الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
ⴰⵖⵏⴰⵡⵉⵙⵓⵏⴰⵎⵓⵔⵜⵉⵏⵜⵉⵙⵉⵏⵙⵉⵏⵜⵉⵙⵜⵉⵏⵜⵉⵙⵜⵉⵏⵜⵉⵙⵜⵉ
ⵜⴰⵎⴰⵡⴰⵙⵜⵉⵏⵜⵓⵣⵣⵓ ⵎⵓⵍⵓⴷ ⵎⴰⵎⵔⵉ ⴷⵉ ⵜⵉⵣⵉ ⵡⵣⵓ
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜⵜⴰⵏⵜⵜⵉⵏⵜⵜⵉⵏⵜⵜⵉⵏⵜⵜⵉ
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵏ ⵜⵣⵣⵓⵍⴰ ⵏ ⵜⵣⵣⵓⵍⴰ ⵏ ⵜⵣⵣⵓⵍⴰ
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵏ ⵜⵣⵣⵓⵍⴰ ⵏ ⵜⵣⵣⵓⵍⴰ ⵏ ⵜⵣⵣⵓⵍⴰ
UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU
FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES
Département de Langue et Littérature Arabes
جامعة مولود معمري - تيزي وزو
كلية الآداب واللّغات
قسم اللّغة العربية وآدابها

التخصص: اللغَة والأدَب العربِي
الفرع: لغوي

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم

الموضوع:

إعداد الطالب: بلقاسم بن زيان

القَضَايا البَلاغِيَّة وأَثَرُهَا فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي فِي كِتَابِ (إِعْرَابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبيَانُهُ) لمحيي الدِّين الدرويش

لجنة المناقشة:

- أ . د. بوجمعة شتوان، أستاذ التعليم العالي جامعة مولود معمري - تيزي وزو - .....رئيساً.
- أ. د. عمر بورنان، أستاذ التعليم العَالي جامعة أكلي محند أولحاج - البويرة - ..... مشرفًا ومقررًا.
- د. البشير عزوزي، أستاذ محاضر "أ" جامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريريج - .....عضوًا ممتحنًا.
- د. عبد القادر تواتي، أستاذ محاضر "أ" جامعة أكلي محند أولحاج - البويرة -.....عضوًا ممتحنًا.
- د. علي صالحي، أستاذ محاضر "أ" جامعة أمحمد بوقرة - بومرداس - .....عضوًا ممتحنًا.
- د. عمر بن دحمان، أستاذ محاضر "أ" جامعة مولود معمري - تيزي وزو- .....عضوًا ممتحنًا.

تاريخ المناقشة: 12. /02./2023.

بِسْمِ اِللَّهِ اِلرَّحْمَٰنِ اِلرَّحِيمِ

يقول تعالى﴿ قَالَ رَبِّ اِشْرَحْ لِے صَدْرِے ٢٤ وَيَسِّرْ لِيَ أَمْرِے ٢٥ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِے ٢٦ يَفْقَهُواْ قَوْلِے ٢٧ ﴾[طه:27-24]

شُكر وعِرفَان

الحَمْدُ للهِ الذِي أَسْبَغَ عَلَيْنَا نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وبَاطِنَةً، وَكَفَى بِنِعْمَةِ الإِسْلامِ مِن نِعْمَةٍ، وَكَفَى بِنِعْمَةِ العِلْمِ والتَّوْفِيقِ وَالسَّدَادِ مِن نِعْمَةِ، فَأَشْكُرُ اللهَ تَعَالَى أَوَّلاً وآخِرًا عَلَى هَذِهِ النِّعَم، وأَسْأَلُهُ تَعَالَى أَن يَجْعَلَ هَذَا العَمَل خَالِصًا لِوَجْهِهِ الكَرِيم.

....وَفِي هَذَا المَقَام أَرْفَع أَسْمَى آيَاتِ الشُّكْرِ وَالعِرْفَان لِلأُستَاذ المُشْرِف عَلى هَذهِ الأطروحة، **الأستَاذ الدكتُور: عمر بورنان** الذِي حَفَّنِي بِالرِّعَايَةِ والنُّصْحِ والإرْشَادِ والتَّوْجِيهِ . أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَن يَجْعَلَ ذَلِكَ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ

..والشُّكْرُ مَوْصُولٌ لِكُلِّ الأسَاتِذَة الأفاضل بجامعة مولود معمري . بتيزي وزو، إلى كُلِّ من ساعَدنِي على إنجَازِ هذهِ الأطرُوحَة، أسْألُ اللهَ العليَّ القَدير أن يجازِيهم خيرَ الجَزاءِ، وأَنْ يَحْفظَهُم بِحِفْظِهِ ويَسْتُرَهُم بِسِتْرِهِ.

الإهداء

هَذَا العَمَل مُهدَى إِلَى:

ـ فُؤَادِي المَفْقُود وحَنَاني وحُبّي وجَنّتِي ؛ وَالِدَيَّ الكَريمَيْنِ ـ رَحِمَهُمَا اللهُ بِرَحْمَتِهِ الوَاسِعَة ـ وَرَحِمَ اللهُ مَن قَالَ آمِينَ.

ـ جَدِّي وَجَدّتي رَحِمَهُمَا اللهُ.

ـ زَوْجَتِي وَأَبْنَائِي: نور الدِّين أيمن وعبد النُّور وسَارة.

ـ أهل العِلْم وَكُل مَن لَهُ شَغَفٌ بِالعِلْمِ وَأَهْلِهِ.

ـ إِلَى كلّ أساتِذَتِي وإلى جميعِ رفَاق الدرَاسَة بمراحِلِها المُختلفَة ، وكُل من يعرفنِي مِن قَرِيبٍ أو مِنْ بَعيدٍ.

أُهْدِي هَذَا العَمَلَ

بلقاسم بن زيان

مقدمة

الحمد الذِي عَلَّمنَا مِنَ العُلُومِ مَا بِهِ كَلَّفَنَا، أحمدُهُ تَعَالَى حَمدًا يَلِيقُ بِجَلالِهِ وَكَرَمِ إحسَانِهِ ثُمَّ الصَّلاة وَالسَّلامُ عَلَى أَشرَفِ خَلقِ اللهِ مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ اللهِ صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلامُهُ عَلَيهِ وَعَلَى ءالهِ وَصَحبِهِ أَجمَعِين:

إنَّ الدِّرَاسَات اللُّغَوِيَّة بِفُرُوعِهَا المُخْتَلِفَة نَشَأَت وَتَرَعرَعَت فِي رِحَابِ القُرآنِ الكَرِيمِ، مِن عِلمِ النَّحو، وَالإعرَاب، وَالصَّرف، والقِرَاءَات، وَعِلم البَلاغَةِ بِفُرُوعِهِ الثَّلاثة عِلم المَعَانِي، والبَيَان، والبَدِيعِ، والإعجَاز، والصَّوتِيَات، وَعِلم الأُسلُوب، وَغَيرِهَا مِنَ العُلُوم الأُخْرَى.

وَلَقَد شَهِدَت الدرَاسَات القَدِيمَة والحَدِيثَة لإعْرَابِ القُرآن الكَرِيم تَطوّرًا في طَرحِهَا، فلم يَبْقَ الطَّرح مَحصُورًا فِي الإعْرَابِ بَل تَعدَّاه إلَى جَوَانِب لُغَوِيَّة وَبَلاغِيَّة، وَلَعَلَّ الدرَاسَات الحدِيثَة للقرآنِ الكَرِيم وتَفسيرِهِ أخذَت طُرُقًا أخرَى للدرَاسَةِ، وَذَلِكَ من خِلالِ الإستِعَانَة بعُلُومٍ مُخْتلفَة بغَرضِ الوُصُول إلَى المعنَى القُرآني المُراد؛ الذِي به يتَحَدَّدُ توجِيهُ الآيَةِ أو الآيَات القُرآنِيَّة، وَفِي هَذَا الرِّحَاب، مُدوَّنة إعرَابِيَّة لُغَوِيَّة بَلاغِيَّة موسُومَة بـ: **إعرابُ القُرآنِ الكَرِيم وبيَانه، لـ محيي الدِّين الدرويش (1908م/1982م)** تَختلِفُ هَذهِ المُدوَّنَة عَن غَيرِهَا من مُدوَّناتِ إعرابِ القُرآنِ الكَرِيم فِي مَنهَجِهَا، وفي كَونِهَا طَرَحَت قَضَايَا بَلاغِيَّة.

وَمَا أَرُومُهُ بالبَحثِ فِي هَذِه المُدَوَّنَة، هو تلَمُّس طَرِيقَةَ ومنهجَ محيي الدِّين الدرويش مَعَ مُنَاقشةِ القضَايَا البَلاغيَّة التي عَرضَهَا؛ وَهَذَا بِغرَضِ الوُصُول إلَى مَعَانِي الآيَات القُرآنيَّة والبَحث في مكَامِنهَا وتوجيهَاتِهَا، مُختَصِرًا فِي هَذَا عَلَى الجَانبِ البَلاغِي دُونَ الجَوَانبِ الأخرَى التي طَرَحَهَا محيي الدِّين الدرويش، تَحت عنوَان: **القضَايَا البَلاغيَّة وأثرهَا في تَوْجِيهِ المَعْنَى القُرآنِي في كِتَابِ (إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وبَيَانه) لِمحيي الدِّين الدرويش.**

وقَد جَاءَ اِختِيار هَذَا المَوضُوع استِجَابَةً لِدوَاعٍ ذَاتِيَّة وأُخرَى مَوضُوعِيَّة؛ فأَمَّا الذَّاتِيَّة فتتَعلَّقُ بكَون الكِتَاب يعَالجُ آيَات القُرآن الكَرِيم بطَرِيقَة مُختلِفَة عن سَابقِيه من مُعربِي القُرآن الكَرِيم، فأَرَدتُ أن أُبرِزَ هَذَا الكِتاب المُهِم ومُؤلّفه، فهُو لَم يَنَل حَقَّهُ فِي الدرَاسَة والمُعَالجَةِ على الرَّغمِ من غِنَاه بالقَضَايَا النَّحوِيَّة والبَلاغِيَّة وغيرهَا، فمحيي الدِّين الدروِيش أَدِيبٌ وشَاعِر

ونَاقِد ولُغَوِي وصحفِي ومعلِّم وكَاتِب وسيَاسِي؛ فَهُو مَشرُوع فِكرِي بِجَميعِ جَوَانِبِه وميَادِينِهِ المُختلِفَة، وأمَّا السَّببُ الذَّاتِي الثَّانِي فَهُو الذَّوقُ بَعْد الاطلاعِ عَلَى مَجمُوعَة مِنَ المُدوَّنات، أعجَبَتنِي هَذِهِ المُدَوَّنَة بِغِنَاهَا وتَرَاكُم المَعَارفِ فِيهَا، وأَمَّا الدَّوَاعي المَوضُوعِيَّة؛ فإنَّ كِتَاب محيي الدِّين الدرويش(**إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وبَيَانه**) يُعالِج قَضَايَا فِي السِّيرةِ النَّبويَّة وفِي التاريخِ، وفيهُ طرح لِقَضَايَا فِكرِيَّة وفَلسَفيَّة، ومُعَالجة للآرَاءِ مِن أَهلِ التفسِيرِ والنَّحو والبَلاغَة، وَانطِلاقًا ممَّا سَبَقَ، هَذَا مَا يجعلُ هذِهِ المُدوَّنة جَدِيرة بالدرَاسَةِ والمتَابعَةِ والبحث.

وأمَّا عَن المصَادر التي اعتمدَهَا محيي الدِّين الدرويش في إعرَابِهِ للآيَاتِ القُرآنيَّة أَو التوجِيهَات البيَانِيَّة أو القَضَايَا النَّحويَّة؛ فقد اعتَمَدَ عَلَى مَجمُوعَة مِنَ المَصَادِر وَالتي من ضِمنهَا: (تفسِيرُ الكشَّاف عَن حَقَائق التَّنزيل وَعُيُون الأقَاويلِ في وجُوهِ التَّأوِيلِ) للزمخشرِي، (البحر المحيط) لأبي حَيَّان الأندلسي، (الدرُّ المصُون في علومِ الكتاب المكنُون) للسمين الحلبي، وتفسير الطبَري المسمَّى: (تَفْسِير الطّبرِي مِن كِتَابِهِ جَامِعُ البَيَان عَن تَأويلِ آيِ القُرآن)... وهذه الكتُب من أوثَقِ التفاسِير، وأمَّا المَصَادر النَّحويَّة فقد اعتمَد فِي نقلِ الآرَاء على أئمَّة النَّحو: كسيبويه، والفرَّاء، والكَسَائي، والمبرّد، والزَّمخشري وكان هذا مِن المَصادر الموثُوقَة وبِخَاصَّة كتاب": مُغنِي اللبِيب عَن كُتُبِ الأعَارِيب، لابن هشَام الأنصَارِي، والتبيَان للعكبرِي.

وَيَنتهجُ محيي الدين الدرويش فِي كِتَابهِ جُمْلَة مِن الجَوَانِب يُعَالِجُ فيهَا الآيَات القُرآنيَّة، وذلكَ وفق الخُطُوَات التالِية:

1 ـ يَضعُ جُملَة مِن الآيَاتِ تَطُولُ أَو تَقصُر أَقَلُّهَا ثَلاثُ آيَاتٍ وأكثرهَا ثَلاثة عَشَر آيَة؛

2 ـ يُصَدّرُ المَوضُوع المُرَاد بـ: **العنوَان**؛ وَهُم أربع عَنَاوِين: الإعرَاب، اللغَة، البَلاغَة، الفَوائِد.

3 ـ يَبدأُ دِرَاستَهُ للآيَاتِ القُرآنيَّة؛ انطِلاقًا مِنَ **الإعْرابِ** وُصُولا إلَى **الفَوائِدِ**؛

4 ـ يَتَناولُ أوَّل عُنصرٍ في منهَجِ كتَابِهِ وهُو **الإعْرَاب**؛

5 ـ يَتَناوَلُ محيي الدِّين الدرويش المُفردَات بِالشَّرحِ المُعجَمِي بِعنوَان: **اللغَة**؛

6 ـ يَتَعرَّض للقَضَايا البَلاغِيَّة تحت عنوَان: **البَلاغَة؛**

7 ـ يَتَنَاوَلُ قَضَايَا مُختَلِفَة مِن تَاريخِيَّة وفلسَفِيَّة ونَحوِيَّة وأدبِيَّة وتَفسِيريَّة ونقدِيَّة وفِكرِيَّة تَحت عنوَان: **فوائد؛**

8 ـ يَتَنَاوَلُ القَضَايَا البَلاغِيَّة مِن عِلم المَعَانِي والبَيَان والبَدِيع ويُعَلِّق عَلَيهَا؛

وإذَا كَانَتِ هَذِهِ هِي الطَّرِيقَة والمَنهَج والهَيكَل الذِي سَلكَهُ محيي الدِّين الدرويش في كتَابِهِ، فإنَّ مَا أُرِيدُ الوصُولَ إليهِ هُو ما ذَكَرتُهُ فِي العَنَاصِرِ السَّابِقَة وَمن خلالِ:

1 ـ دِرَاسَةُ مَنهَج وطَرِيقَة محيي الدِّين الدرويش فِي كتَابِهِ؛

2 ـ التَّأصِيلُ للدراسَات البيانِيَّة والإعْرَابيَّة للقُرآنِ الكَرِيمِ؛

3 ـ عِلْمُ المَعَانِي وقَضايَاه عِندَ محيي الدين الدرويش؛

4 ـ عِلمُ البيَانِ وقضَايَاه عِندَ مَحْيي الدِّين الدروِيش دِراسَةً وتَوْجِيهًا وَتَحْلِيلاً؛

الإشكاليَّة: لَقَد عَرِفَتْ سَاحَة إعرَاب القُرآن الكَرِيم قَبْلَ محيي الدِّين الدروِيش نمَاذِج مُختلِفَة، كَمَا جَاءَت بَعدَهُ عَشرَات النَّمَاذِج؛ فَمَا طَبِيعَةُ الاختِلاف بَينَ مَا وظَّفَهُ محيي الدين الدروِيش مَعَ مَن سَبِقَه أَو مَن جَاءَ بَعدَهُ عَلَى اِعتِبَارِ أنَّ هُنَاكَ عَنَاصِر زَائِدَة فِي دِرَاسَتِهِ مِمَّا جَعَلَ نَمَطَ الدرَاسَة يَختلِفُ عَن سَابِقِيهِ؟ هَل استِعمَال هَذِهِ العَنَاصر والقضَايَا النَّحوِيَّة والبَلاغِيَّة في تَوجِيهِ الآيَاتِ القُرآنِيَّة، والوصُول إلى المَعنى كَان مُوَفَّقًا فِيهِ؟ وهل هذه الطريقَة سَاهَمَت فِي الكشفِ عَن المَعَانِي الخفيَّة للآياتِ القُرآنِيَّة؟ هل علم المَعَاني لَهُ أثَر فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي؟ هَل يُمكِن الكَشف عَن التَّوجيهِ القُرآنِي مِن خِلالِ قَضَايَا عِلم البيَان؟

الفرضيَّات: إنَّ مَا ضَمَّنتُه هذهِ الإشكاليَّة التي نطرحُهَا في هذه الأطروحَة، فَإنَّنِي أتنَاوَلُ هذه الأطروحَة وِفْقَ الفرضيَّات التاليَّة:

ـ مِن الطبيعِي أن تكُون منطلقَات دراسَة المَعنَى القُرآني، وتَوجِيهَات الآيَات القُرآنِيَّة بَلاغِيَّة، أَلَم تَكُن مُعجِزةُ القُرآن الكَرِيم بيانيَّة؟

ـ يُمْكِنُ لنَا أن نَستَثمِرَ في كُتُبِ أَعَاريبِ القُرآن الكَريم والتي مِنهَا كِتَاب محيي الدِّين الدرويش للوُصُول إلى المَعَانِي القُرآنيَّة .

ـ أليسَ بِالإمكَانِ مُعَالَجَةُ الإعرَاب وَقَضَايَاه وتَسْخِيرِهَا للاستِدلالِ لِمَعَانِي الآيَات القُرآنيَّة؟

ـ أَلا يَبدُوا تَنوّع المَصَادِر المُتنوِّعَة في مُعَالجَةِ الآيَاتِ القُرآنيَّة، ومنهَا مَا جَاءَ بِهِ محيي الدِّين الدرويش أَن تساهِمَ فِي إثرَاءِ وتحديدِ تَوجيهِ الآيَات القُرآنيَّة.

ـ إنَّ محيي الدِّين الدرويش لهُ منهج معلُوم في كِتَابِهِ، فهل مَا جَاء بِهِ لَهُ أثَرٌ فِي الدرس اللغَوِي والدرَاسَات التفسِيريَّة للقُرآنِ الكريمِ؟

ـ حَاجَةُ الدِّرَاسَات اللُّغَوِيَّة وَالقُرآنِيَّة إِلَى مِثلِ هَذِهِ الدرَاسَات التي تَجعَلُ القُرآنَ الكَرِيمَ يُسَايِرُ العُلُومَ الحَدِيثَةِ، وتَكشِفُ مَا يَكتَنِف جَوَانِبَهُ مِن بَرَاعَةِ لُغَةٍ، وَأَسرَارِ بَيَانٍ.

ـ تُوجَد هُنَاكَ علاقة بين الإعرَابِ مِن منطلقَاته الأُولى إلى وَقتِنَا الحَالِي، والبَلاغَة العربيَّة بعُلُومِهَا وآليَاتِهَا الحَدِيثَة، ألا يَنبغِي الاستثمَار في هذهِ العلاقَة بغرضِ الوصُول إلى توجيهَات ومعَانِي الآيَات القُرآنيَّة؟

وأمَّا عَن الدرَاسَات السَّابقَة فَلَم أَجِد إلا رسَالة مَاجستير وَاحِدَة تحت عنوَان: المَسَائِل البَلاغيَّة في كتابِ إعْرابِ القُرآن الكريم وبيَانه لمحيي الدِّين الدرويش ـ عَرض ودِرَاسَة ـ رسالة عِلْمِيَّة مقدَّمة لنَيْلِ درجَة العَالمِيَّة ـ المَاجستير ـ من إعدادِ الطالب: عايَد بن بركِي الصَّاعدي، وإشرَاف فضيلَة الدكتور: علي بن دخِيل الله العُوفِي، 1431هـ/1432هـ.

لقَد اهتَمَّت هَذِهِ الدرَاسَة بِالعَرضِ والإحْصَاء ولم تَهتَم بِمُعَالجَةِ القَضَايَا البَلاغِيَّة والنَّحوية والبَحث في مكَامِن المَعنَى وتَوجيهِ الآيَات القُرآنيَّة، لِهَذَا رَأَيتُ أَن أَدرُسَ كِتَاب محيي الدين الدرويش دراسَة تَأصِيلِيَّة وتَفصِيلِيَّة لِقَضَايَاه، مِن الجَانبِ النَّحوي من خِلال دِرَاسَة القَضَايَا المُشتركَة بَينَ عِلم النَّحو وَعِلم المَعَاني، والجَانِب الآخَر مِن خِلالِ اِسْتنطَاق الآيَات القُرآنِيَّة التي درَسَهَا محيي الدِّين الدرويش لاستِنبَاطِ مَعَانِيهَا وتَوجِيهَاتهَا، وعلى الرَّغمِ من

الدراسَة السَّابِقَة الذِّكر إلا أنَّ الرُّؤيَة البَلاغِيَّة لَم تستوف حَقَّ الدراسَة، ولَم تَنَل حقَّها مِنَ البَحثِ والدراسَة.

عنوان الأطرُوحَة: **القضَايَا البَلاغيَّة وأثرهَا في توجيهِ المعنَى القُرآنِي في كتابِ: (إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وبَيَانه) لمحيي الدِّين الدرويش.**

وأمَّا عَن بِنيَتِهَا:

ـ مقدّمة

الفصل التمهيدي: محيي الدين الدرويش والدراسات البلاغية للقرآن الكريم.

المَبحث الأَوَّل: تَرْجَمَة لِحَيَاة محيي الدِّين الدرويش وآثَاره.

المَبحث الثَّانِي: التفسِيرُ اللُّغَوِي لِلْقُرآنِ الكَرِيم.

المَبحث الثَّالث: الدرَاسَاتُ البَلاغِيَّة للقُرآنِ الكَرِيمِ.

الفصل الأوَّل: عِلمُ إِعرَاب القُرآنِ الكَرِيم والبَلاغَة العَرَبِيَّة.

المَبحث الأوَّل: نَظرَة تَأصِيلِيَّة لِعِلْمِ إِعْرَابِ القُرآنِ الكَرِيم.

المَبحَثُ الثَّانِي: التَّفسِير والبَلاغَة العَرَبِيَّة.

المَبحَثُ الثَّالِث: مَنهَجُ محيي الدِّين الدروِيش فِي كِتَابِهِ.

الفَصلُ الثَّانِي: عِلْمُ المَعَانِي وَتَوجِيهُ المَعْنَى القُرآنِي فِي كِتَابِ محيي الدِّين الدروِيش.

المبحث الأَوَّل: عِلْمُ المَعَانِي وَدَلالاتُهُ فِي تَوْجِيهِ المَعْنَى القُرآنِي.

ـ عِلمُ المَعَانِي وَالتَّفسِيرِ القُرآنِي.

أوَّلاً: التَّقدِيمُ والتَّأخِير.

ـ التَّقدِيمُ وَالتَّأخِير اللَّفظِي وَأَثرُهُ فِي المَعنَى.

ـ التَّقدِيمُ وَالتَّأخِيرُ وأثَرُهُ فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.

ـ التَّقْدِيمُ والتَّأخِير فِي كِتَابِ محيي الدِّين الدروِيش وَحَالاته.

ـ التَّقدِيمُ والتَّأخِيرُ وعلاقتُهُ بِالسِّياقِ القُرآنِي.

ثانيا- الذِّكرُ وَالحَذفُ ودَلالاتُهُ فِي تَوجِيهِ المَعْنَى القُرآنِي.

- أَقسَامُ الحَذفِ مِنَ الوِجهَةِ البَلاغِيَّة.

- الحَذفُ مِنَ الوِجهَة النَّحوِيَّة.

ثَالثًا- التَّعْرِيفُ وَالتَّنكِيرُ وَدَلالاتهِمَا فِي تَوْجِيهِ المَعْنَى القُرآنِي.

- التَّنكِيرُ وَدَلَالَاتُهُ فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.

رَابِعًا - الخَبَرُ والإنشَاءُ وَدَلالاتُهُما فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.

خَامِسًا - الإيجَازُ والإطنَابُ ودَلالاتُهُ فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.

1 - الإيجاز ودلالاته في توجيه المعنى القرآني.

2 - الإطنَابُ وَدَلالاتُهُ في توجيه المعنى القرآني.

سادسًا- القَصْرُ وَالحَصْرُ وَدَلالاتُهُما فِي تَوْجِيهِ المَعْنَى القُرآنِي.

1 - القَصرُ ودَلالاتُهُ.

الفَصْلُ الثَّالث: عِلمُ البيَانِ وَتَوْجِيه المَعْنَى القُرآنِي.

- عِلْمُ البَيَانِ القُرآنِي.

المبحث الأول: التشبِيهُ البَيَانِي وَدَلالاتُهُ فِي تَوْجِيهِ المَعْنَى القُرآنِي.

1 - التَّشبِيهُ عِندَ محيي الدِّين الدرويش.

2 - التَّشبِيهُ التَّمثِيلِي وتَوجِيهُ المَعْنَى القُرآنِي.

المَبْحَثُ الثَّانِي: المَجَازُ وَدَلالاتُهُ فِي تَوْجِيهِ المَعْنَى القُرآنِي.

1 - أَقْسَامُ المَجَاز عِندَ محيي الدِّين الدرويش

1 - 1 - المَجَازُ المُرْسَل ودلالاتُهُ فِي التَّوجِيهِ القُرآنِي.

1 - 2 - المَجَازُ العَقْلِي ودَلالاتُهُ فِي المَعنَى القُرآنِي.

المَبْحَثُ الثَّالِث: الكِنَايَةُ وتَوجِيه المَعْنَى القُرآنِي.

الفصل الرَّابع: الإِسْتِعَارَةُ وتوجيه المعنى القرآني فِي كِتَابِ إِعْرَابِ القُرآنِ الكَرِيم وبَيَانه.

1 ـ الإِستِعَارَةُ وَأَثَرُهَا فِي تَوجِيهِ المَعْنَى القُرآنِي.

2 ـ الإِسْتِعَارة التَّصرِيحِيَّة وتَوجِيه المَعْنَى القُرآنِي عِندَ محيي الدِّين الدرويش.

3 ـ الاستِعَارَة المَكَنِيَّة وتَوجِيه المَعْنَى القُرآنِي عِندَ محيي الدِّين الدرويش.

4 ـ الإِستِعَارَة التَّمثِيلِيَّة ودَلالتُهَا فِي تَوجِيهِ المَعْنَى القُرآنِي.

المَنهجُ المتَّبع:

إِنَّ المَنهَجَ الذِي يَتَنَاسَب مَعَ مثل هَذِهِ الدرَاسَة، هُو المَنهَج الإِستِقرَائِي الوَصفِي التَّحلِيلِي، فَالإِستِقرَاء مِن خِلالِ تَتَبُّعِ وَدِرَاسَةِ مَا ذَكَرَهُ محيي الدِّين الدرويش، وَالوَصف والتَّحلِيل يَكْمُنُ فِي دِرَاسَةِ مَا وَرَدَ مِن قَضَايَا مَعَانِي النَّحو والإِعرَاب والبَلاغَة وأَثرها فِي توجِيهِ المَعنَى القُرآنِي، وَذَلِكَ بِتَحلِيلِهَا وِفقَ إِجرَاءَاتِ هَذَا المَنهَج، وبِالإِضَافَة إِلَى دِرَاسَةِ كِتَابِهِ، وَمَا تَضَمَّنَهُ مِن قَضَايَا وَمَسَائِل مُختَلِفَة، مَعَ طَرحِ هَذِهِ المَسَائِل بِالقَبُولِ أَو الرَّفض.

إِنَّ مَوضُوعَ الأُطرُوحَة لَهُ خَلفِيَّة تُرَاثِيَّة كَمَا لَهُ علاقَة بِمَا وصَلَت إِليهِ البَلاغَة؛ مِمَّا يحتِّم علينَا الرُّجُوع إِلى مَصَادِر مُختلفَة بَينَ القَدِيمِ والحَدِيثِ، وَذَلِكَ بِحَسبِ الحَاجَة التي تخدُمُ المَنهَج المُتَّبَع فِي هَذِهِ الأُطرُوحَة.

أَمَلُنَا فِي أَن يَتَوَصَّلَ هَذَا المَنهَج إِلَى كَشفِ أَهَمِّ أَسرارِ القُرآن الكريم مِن مَعَانٍ مُكْتَنَزَة بَينَ آيَاتِهِ، وَكَشف مُمَيِّزَات كِتَاب محيي الدِّين الدرويش**(إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وبَيَانه)** مِن حَيثُ الدرَاسَة البَلاغِيَّة مِن عِلْمِ المَعَانِي وَالبَيَان، وَمِن جَانِب الإِعرَاب فِي الوُصُولِ إِلَى المَعَانِي الصَّحِيحَة، وَمِن الجَانِبِ التَّأصِيلِي لِعِلمِ إِعرَابِ القُرآنِ وَفِي علاقَةِ الإِعرَاب بِالتَّفسِيرِ، وَعُلُوم العَرَبِيَّة والشَّرِيعَة، بِالإِضَافَةِ إِلَى كَشفِ طُرُقِ الاِستِدلالِ وَالمُصطَلَحَات التي اِهْتَمَّ بهَا محيي الدِّين الدرويش فِي كِتَابِهِ.

لَقَد اِعتمَدتُ فِي هَذِهِ الأُطرُوحَة على جُملَةٍ من المَصَادرِ والمَراجِع، وقَد جَمَعَت هذهِ الأطرُوحَة بَينَ المَصَادِرِ والمَرَاجعِ التُّراثِيَّة والحَدِيثَة، وهَذَا بِحُكمِ طَبِيعَةِ الأُطرُوحَة، وَمِن ضِمنِ هذهِ المصَادِرِ والمَراجِعِ:

1 ـ القُرآن الكَريم.

2 ـ إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وبَيَانه، محيي الدِّين الدروِيش(المُدوَّنَة).

3 ـ ابن فارس، أحمد بن عبد الله مسلم، الصَّاحِبِي في فقه اللغَةِ؛

4 ـ الزَّمَخْشرِي، تفسِيرُ الكشَّاف عَن حَقَائق التَّنزيل وَعُيُون الأقَاويلِ في وجُوهِ التَّأوِيلِ، دط. بيروت:1407هـ، دارُ الكتَاب العَرَبِي.

5 ـ ابن عاشُور، التحْرِير والتَّنوِير، تونس: 1984، الدار التونسِية للنَّشر.

6 ـ الزَّركشي، البُرهَان فِي علُوم القُرآن، تح: أبي الفضَل الدميَاطِي، دط. القاهرة: 2006، دَارُ الحَدِيث.

7 ـ القُرطُبِي، أبِي عبد الله محمَّد بن أحمد الأنصَارِي القُرطُبي، الجَامِع لأحكَام القُرآن، القُرطُبِي، ط1. القاهرة: 2005، مكتبة الصَّفا.

8 ـ تَفْسِير الطّبرِي مِن كِتَابِهِ جَامِعُ البَيَان عَن تَأويلِ آيِ الطَّبَرِي، محمَّد بن جرير الطَّبرِي، القُرآن، تح: بشَّار عَوَّاد مَعرُوف وعِصَام فارس الحرستاني، ط1. بيروت:1415/1994هـ، مؤسَّسَة الرِّسَالَة.

9 ـ التَّفْسِير اللُّغَوِي للقُرآنِ، مساعد بن سليمَان بن نَاصِر الطيَّار، دار بن الجوزي.

10ـ يُوسُفُ بن خَلَف العِيسَاوِي، عِلْم إعْرَابُ القُرآنِ تأْصِيل وبَيَان.

11 ـ العزاوي، عقيد خالد حمودي العزاوي، النظم القرآني في تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط1. دمشق:2013، دار العصماء.

12 ـ إبراهيم عبد الله رفيدة، النَّحُو وكُتُب التَّفْسِير، ط3. ليبيا: 1990، دار الكتُب الجَماهِيريَّة.

15 ـ ابن أبي الإصبع المِصرِي، بَدِيعُ القُرآنِ، تح: حفني محمَّد شَرَف، دط. مصر: دت، نَهْضَةُ مِصر للطبَاعَةِ والنَّشر والتَّوزيع.

وبَعدَ أن استوَت الأطرُوحَة على الشَّكل والمَضمُون التي هي عليهِ، أتمنَّى أن أكُونَ قد أَعْطيت المدوَّنة حقَّهَا، وحَقَّقتُ الأهدَاف المرجُوَّة مِنهَا.

ولا يَسَعُنِي إلا أن أشكُرَ اللهَ تَعالى أولا على تمامِ نعمتهِ عليَّ، وأشكره أن وفقني لتمام هذه الأطروحة، ثُمَّ الشُّكر موصُول إلى الأستاذ المشرِف: الأستَاذ الدكتور: **عمر بورنان** على رحابةِ صَدرهِ وصَبرِهِ، وعلى رعايتِهِ لِي من خلال توجيهاتِهِ في كُلِّ وقتٍ وحِين.

بلقاسم بن زيان: 16 ذو القعدة 1443هـ

16 جوان 2022م

على السَّاعة: 15:08

الفَصلُ التمهِيدِي

محيي الدِّين الدروِيش وَالدِّرَاسَات البَلاغِيَّة للقُرآنِ الكَرِيم

المبحث الأول: تَرجمَة لِحَيَاةِ محيي الدِّين الدروِيش ولآثَارِهِ.

1 ـ حَيَاةُ محيي الدِّين الدرويش وآثارهُ.

1 ـ 1 ـ اِسمُهُ وَنَسَبُهُ وَمَولِدُهُ.

1 ـ 2 ـ حَيَاتُهُ العِلمِيَّة والعَمَلِيَّة.

1 ـ 3 ـ أَدَبُهُ وَشِعرُهُ.

1 ـ 4 ـ مُؤلَّفَاتُهُ.

1 ـ 5 ـ وَفَاتُهُ.

المبحث الثاني: الإعْرَاب وَالتفسِيرُ اللُّغَوِي لِلْقُرآنِ الكَرِيم.

1 ـ صِلَةُ الإعرَاب بِالقُرآنِ الكَرِيم وَأَصَالَته.

2 ـ الإعرَابُ وعِلمُ التفسِيرِ نَظرَة تَأصِيليَّة.

3 ـ الفَرقُ بَيْنَ تَفسِير الإعْرَاب وَتَفْسِير المَعنَى.

4 ـ الإعرَابُ وَالمَعنَى وتَّوجِيه المَعنَى القُرآنِي.

5 ـ العَلامَةُ الإعرَابِيَّة وَتَوجِيهُ المَعْنَى.

المبحث الثالث: الدراسَاتُ البَلاغِيَّة للقُرآنِ الكَرِيمِ.

1 ـ البَلاغَةُ العَربية وعَلاقَتُهَا بِالمَعْنَى.

2 ـ الإعرَابُ والبَلاغَة.

3 ـ التفسِيرُ البَيَانِي والبَلاغَة.

4 ـ التفسِيرُ البَيَانِي وَبِدَايَاتُهُ.

المَبْحَثُ الأَوَّل: تَرجمَة لِحَيَاةِ محيي الدِّين الدروِيش ولآثَارِهِ.

1 ـ حَيَاةُ محيي الدِّين الدرويش وآثارهُ.

1 ـ 1 ـ اِسمُهُ وَنَسَبُهُ وَمَولِدُهُ.

هُو اللُّغَوِي والأَدِيب والشَّاعِر والنَّاقِدُ والصّحفِي والسِّيَاسِي والمُعَلِّم؛ محيي الدِّين بن أحمَد مُصطَفَى الدَّروِيش[1] وُلِدَ فِي مَدِينَةِ حِمص سنَةَ 1908م/1326هـ.

وَقَد كَانَ لَهُ مِنَ الأَولادِ اثنَانِ: أحمَد وعَون[2].

1 ـ 2 ـ حَيَاتُهُ العِلْمِيَّة والعَمَلِيَّة.

دَرَسَ محيي الدِّين الدروِيش مَرحَلَتَهُ الاِبتدَائِيَّة كَغَيره من أبنَاءِ بَلدَتِهِ فِي دَارِ المُعَلِّمِين، كَمَا تَعَلَّمَ فِي كُتَّابِ مَدِينَةِ حِمْص وَحَفِظَ القُرآنَ الكَرِيمَ وَسِنُّهُ لَم تَتَجَاوَز عَشرَ سِنِينَ، كَمَا تَعلَّمَ عُلُومَ القُرآن الكَرِيم بِمَسقَطِ رأسِهِ حمص عن جُملَةٍ مِنَ العُلَمَاء، وَأَتَمَّ دِرَاسَتَهُ الثَّانوِيَّة فِي مَدِينةِ حِمص؛ وَسَاعَدَهُ حِفظهُ للقُرآنِ الكَرِيمِ فِي الدُّخُولِ إِلَى مَدرَسَةِ المُعَلِّمِينَ العُليَا، فتَحَصَّلَ علَى الإِجَازَةِ مِن دَارِ المُعلِّمِينَ العُليَا بِدِمَشق تسمحُ لهُ هَذِهِ الشَّهَادة بممَارَسَةِ التعلِيمِ.

وقَد عَمِلَ مُعظَمَ حَيَاتِهِ مُدرِّسًا فِي التَّعلِيمِ فِي المُؤسَّسَاتِ الرَّسمِيَّة والخَاصَّة، فَكَانَ أُستَاذًا للُّغَةِ العَرَبِيَّة حَيثُ عُيِّنَ عَامَ (1932م) مُدَرِّسًا للغَةِ العَرَبِيَّة فِي قَريَةِ طَيْبَة الإِمَام مِن أَعمَالِ حَمَاه، ثُمَّ فِي مَدِينةِ تَدمُر، وَكَانَ قَبْلهَا أستَاذًا فِي التَّجهِيزِ الخَيرِيَّة الإِسلامِيَّة فِي حِمْص، فَقَدِ اِشتَغَلَ فِي مَيدَانِ التَّدرِيسِ مَا يَقرُبُ عَن أَربَعِينَ عَامًا[3].

---

[1] ـ عبد القادر عيَّاش، مُعْجَم المُؤلِّفِينَ السُّورِيِّين في القرن العِشْرين، دط. دت: سوريا، دَار الفِكْر، ص190، عبد الغَني العطرِي، عبقريات، ط1. دمشق: دت، دارُ البَشَائِر، ص339، المَسَائِلُ البَلاغية فِي كِتابِ" إعْرَاب القُرآن الكَرِيم وبيانه" لمحيي الدين الدرويش ـ عَرْض ودراسَة ـ إعدادُ الطالب: عايد بن بركي الصَّاعدي، إشراف فضيلة الدكتُور: علي بن دخيل الله العُوفِي، السنةُ الجَامِعِيَّة: 1431هـ/1432هـ.

[2] ـ عبد القادر عيَّاش، مُعجم المؤلفين السُّوريِّين في القَرْنِ العِشْرِين، دط. دت: سُوريا، دَار الفِكْر، ص190

[3] ـ محيي الدين الدرويش، إِعْرابُ القرآنِ الكرِيم وبيَانُهُ، ج1، ص18.

وَقَد عَمِلَ مُرَاسِلا وَمَحَرِّرًا لِعِدَّةِ جَرَائِد مُختلِفَةُ النَّهج وَالمَنهَج، وَقَد عَمِلَ محيي الدِّين الدرويش رَئِيسًا لِتَحرِير جَرِيدَةِ (الضُّحَى) الصَّادِرَة فِي حِمص.

وَأَمَّا فِي المَجَالِ السِّيَاسِي فَقَد تَمَّ تَوقِيفُهُ عَن العَمَلِ فِي التَّعلِيمِ لِمَشَاكِل سِيَاسِيَّة، كَمَا أَنَّهُ اِنضَمَّ إِلَى الكُتلَة الوَطنِيَّة عَام (1936م)، ثُمَّ اِنضَمَّ إِلَى الحِزبِ الوَطنِي عَامَ (1948م)، فَالسِّيَاسَة كَانَت مِن اهتِمَامَاتِ محيي الدِّين الدرويش؛ ولأَنَّهُ شَاعِرٌ وَأَدِيبٌ كَانَ يُعبِّر عَن واقعِ مُجْتَمَعِهِ، وَمِن طبِيعَةِ الشَّاعِر أَن يَتَعَايشَ مَعَ مُجتَمَعِهِ وَيُعَبِّرَ عَن حَالِهِ وَمَا يَتَمَنَّى أَن يَرَى مُجتَمَعَهُ وأُمَّتَهُ عَلَيهِ مِن جَمِيعِ نَواحِي الحَيَاةِ.

1 ـ 3 ـ أَدَبُهُ وَشِعْرُهُ.

إِنَّ محيي الدِّين الدرويش قَد جَمَعَ بَينَ الشِّعرِ وَالنَّثرِ وَيَمْتَازُ نَثْرُهُ" بِلُغَتِهِ السَّلِيمَة، وأَلفَاظه المُختَارَة، وَهُو مُحَافِظ فِيمَا كَتَب، وَأَلَفَ، وَحَقَّقَ، ومُتَمَسِّكٌ بِالقَدِيمِ أَدَبًا وَلُغَةً، نَثْرًا وَشِعْرًا، وَظَلَّتْ لُغَتُهُ سَلِيمَة رَصِينَة، صَافِيَة"[1]، وَمِن دَلالَةِ اِهْتِمَامِهِ بِالقَدِيمِ شِعرًا وَنَثرًا، مَا يُلاحِظُهُ الدَّارِسُ مِن خِلالِ رَوعَة شرحِهِ لِلألفَاظِ التي تَجمَعُ بَينَ القَدِيمِ وأَصَالَة الحَدِيثِ، وَاهْتِمَامه بِالجَانِبِ البَلاغِي وَالإِعرَاب فِي كِتَابِهِ (إِعرَابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ) فِيهِ دَلالَة عَلَى تَمَكُّنِهِ وَاطِّلاعِهِ الوَاسِع عَلَى القَدِيمِ وَالحَدِيث، وَفِيهِ إِشَارَات أَنَّ لُغَتَهُ مُتَشَبِّعَةً بِالتُّراثِ.

وَقَد وَصَفَهُ عبد الغَنِي العَطرِي بِكَونِهِ" كَانَ أَدِيبًا مُبدِعًا، فِي طَلِيعَةِ الأُدَبَاءِ، وَكَانَ شَاعِرًا مُجَدِّدًا فِي مُقَدِّمَة الشُّعَرَاءِ، وَكَانَ عَالِمًا بِاللغَةِ والنَّحو، بَينَ الصَّفوَةِ المُختَارَة مِنَ العُلَمَاءِ، بَيْنَهُ وَبَينَ اللغَةِ والبَلاغَةِ مَا يُشبِهُ العِشق والهُيَام، وَصَفُوهُ بِأُستَاذِ الأَسَاتِذَة..."[2] وَخَيرُ دَلِيلٍ عَلَى سِعَةِ عِلمِهِ غَزَارَةُ إِنتَاجِهِ العِلمِي وَفِي شَتَّى العُلُومِ اللغَوِيَّة والأَدَبِيَّة المُخْتَلِفَة.

لَقَد كَانَ محيي الدِّين يُعَانِي الفَقرَ والشَّقَاء، وَهَذَا كَحَالِ العَدِيدِ مِنَ الأُدبَاء والعُلَمَاء عَبْرَ العُصُورِ، فَهُو أَشبَهُ حَالاً بِأَبِي العَلاء المَعَرِّي، وَقَد كَتَبَ عَنهُ فِي مَجَلَّةِ (الخَمَائِل) عَشرَ

[1] ـ محيي الدِّين الدروِيش، إِعْرَابُ القرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ط12. دمشق: 1435هـ/2014م، دار اليَمَامَة، ج1، ص19.

[2] ـ عبد الغني العطري، عبقريَّات، ط1. دمشق: دت، دارُ البَشَائِر، ص340.

حَلَقَاتٍ كَامِلَة، وَلَكِنَّ محيي الدِّين الدرويش عَلَى الرَّغمِ مِن ذَلِكَ كَانَ بَشُوشًا سَعِيدًا مُبتَسِمًا لِلحَيَاةِ، لا يُرَى عَلَيهِ أَثَرُ المُعَانَاةِ عَلَى الرَّغْمِ مِن شَقَائِهِ فِي الحَيَاةِ، وَكَانَ لا يُظْهِرُ إلا مَا هُو حَسَنٌ، وَكَانَ النَّاسُ يَسأَلُونَهُ عَن سِرِّ سَعَادَتِهِ عَلَى الرَّغمِ مِنَ المُعَانَاةِ التي كَانَ يُعَانِيهَا، فَكَتَبَ فِي ذَلِكَ قَصِيدَة، هَذِهِ بَعض أَبيَاتِهَا:

قَالُوا لَقَد شَاخَ الزَّمَانُ وَأَنتَ فِي شَرْخِ الشَّبَابِ
وَمَشَتْ بِسَاحَتِكَ الصِّعَا بُ فَمَا شَكَوْتَ مِنَ الصِّعَابِ
وَنَرَاكَ مَوْفُورَ السَّعَادَةِ نَاعِمًا غَضَّ الإِهَابِ
فَأَجَبْتُهُم: لاَ تَعْجَبُوا هَذَا النَّعِيمُ صَدَى العَذَابِ

وَقَد تَطرَّقَ محيي الدِّين الدرويش فِي قَصَائِدِهِ إِلَى أغرَاضٍ وَمَوَاضِيعَ مُختلِفَة مِنهَا: قَضَايَا الفُقَرَاء والبُؤسَاء والمُعوَزِّينَ، وَقَضَايَا الوَطَنِ وَمُعَانَاتِهِ، وقَضَايَا الأُمَّة العَرَبِيَّة والإِسْلامِيَّة، والقَضَايَا الاِجْتِمَاعِيَّة، كَمَا حملت قَصَائِدهُ أَغْرَاض مُتَعَدِّدَة مِنهَا: الشَّكوَى والعِتَاب، وَالغَزَل والحَنِين والوَصْف.

1 ـ 4 ـ مُؤلَّفَاتُهُ.

ـ إعرَابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، وهُو مِن أَروَعِ مُؤلّفَاتِهِ، أَلَّفَهُ فِي مُدَّةِ عِشرِينَ عَامًا، مِمَّا يَشهَدُ لِهَذَا المُؤلِّفِ عَلَى سِعَةِ عِلمِهِ، وَأَنَّهُ رَحمَةُ اللهِ عَلَيهِ كَانَ مَوسُوعِيًا فِي جَمِيعِ المَجَالاتِ العِلمِيَّة والبَلاغِيَّة والتَّارِيخِيَّة والأَدبِيَّة وَالفِكرِيَّة واللغَوِيَّة والنَّحوِيَّة والإعرَابِيَّة.

ـ تَقْوِيمُ اليَدِ واللِّسَان؛ وهُو عَمَل مُشترَك مَعَ الشَّاعِر رَفِيق فَاخُورِي.

ـ الصُّوَر الفَنِّيَّة المُقتَبَسَة مِنَ القُرآنِ الكَرِيم، سِلسِلَة أَصدَرَهَا فِي مَجَلّتِهِ(الخَمَائِل).

ـ دِيوَانُ دِيك الجِن الحِمصِي، جَمَعَهُ بِالاشتِرَاك مَعَ عبد المُعِين المَلُّوحِي[1]، صَدَرَ عَن دَارِ الفَجْرِ الجَدِيدِ، عَام (1960م).

ـ صُوَرٌ زَاهِيَة مِن تَارِيخِنَا العَرَبِي، سِلسِلَة مِن الدِّرَاسَات.

ـ حَدِيثُ الثُّلاثَاء، نَشَرَهُ مُسَلسَلا فِي جَرِيدَةِ (السُّورِي الجَدِيد) الحِمصِيَّة.

ـ دِيوَانُ شِعرٍ كَبِير مَخطُوط.

ـ إِصدَارُ مَجَلَّةُ الخَمَائِل الأَدَبِيَّة، عَام (1963م).

ـ سَوَانِح وبَوَارِح، سِلسِلَة نُشِرَت فِي الصُّحُفِ المَحَلِّيَّة الحِمصِيَّة.

أَمَّا مِن جَانِبِ المَقَالات والدِّرَاسَات الأَدَبِيَّة، فَقَد نَشَرَ مَجمُوعَة مِن الدِّرَاسَاتِ الأَدَبِيَّة والبَلاغِيَّة مِنهَا:

ـ الشَّرِيفُ الرَّضِي فِي غَزلِهِ، مَجَلَّةُ الخَمَائِل، العدد(21) عَام (1962م).

ـ الصُّورَةُ الفَنِّيَّة المُقتبَسَة مِنَ القُرآنِ، مَجَلَّةُ الخَمَائِل، العدد (14). عام (1963م).

ـ أَبُو العَلاء المَعَرِّي في رِسَالَة الغُفران، مجلَّةُ الخَمَائِل، عام (1964م) فِي عَشرِ حلَقَاتٍ.

إِنَّ محيي الدِّين الدروِيش عَلَمٌ مِن أَعلامِ الشَّامِ، شَاعِرًا مُتَمَكِّنًا، أَدَيبًا قَدِيرًا، لُغَوِيًّا فَذًّا.

وَقَد وَصَفَ محيي الدِّين الدرويش كِتَابَهُ بِأَنَّهُ عَجِيب حَيثُ قَالَ:" وَسَيَرِدُ فِي كِتَابِنَا العَجِيب مِنهُ"[2].

وَقَد نُشِرَت لَهُ مَجمُوعَة مِن المَقَالاتِ وَبَعْض القَصَائِد الشِّعرِيَّة فِي مَجَلاتٍ عِدَّة، نَشَرَت لَهُ مَجَلَّةُ (الرِّسَالَة) عَدَدًا مِنَ القَصَائِدِ مِنهَا: (بَقِيَّةُ حِلم) العَدَد(166)، القَاهِرة سِبتمبر(1936)،

[1] ـ عَبدُ المُعين المَلُّوحِي هو: أَحَدُ تَلامِذَةِ محيي الدِّين الدَّرويش، من مواليدِ حِمص عَام2006/1917م، شَاعِر وصحفِي وصَاحبُ كِتَاب:(في بلَدِي الحَبيب والغَيْر حِمْص)، وَصَفَ مُعَلِّمَهُ وَأُسْتَاذَهُ محيي الدِّين الدرويش بِقَولِهِ:" إِنَّهُ الشَّاعِر الأكثَر طبعًا، وتدفقًا بَينَ مُعَاصِرِيهِ فِي حِمْصٍ، مَا أَشْبَهَهُ بِحَافِظ إبراهيم فِي مِصرَ "(ص111).

[2] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعرَابُ القُرآنِ الكَرِيم وبيَانُهُ، ط12. دمشق: 1435هـ/2014م، دارُ اليمَامَةِ، ج5، ص271.

(مَسَاء القَرْيَة) العَدَد (173) القاهرة أكتُوبر (1936)، وَقَد نَشَرَت لَهُ مَجَلَّة (الخَمَائِل) عَدَدًا مِن القَصَائِدِ مِنهَا: (اليَتِيم) فِي العَدَدَانِ (25) و(26) ، حِمْص ديسمبَر(1964)[1]

1 ـ 5 ـ وَفَاتُهُ:

تَوَفَّى محيي الدِّين الدروِيش فِي التَّاسِعِ مِن أَيْلُول سَنَةَ (1982م/1402هـ)، وَدُفِنَ فِي ثَرَى حِمْص[2].

رَحِمَهُ اللهُ بِرَحمتِهِ الوَاسِعَة، ونفَعَ اللهُ بِهِ وبِمَا تَركَهُ مِن كُتُبٍ.

[1] . أدهم آل جندي، أَعلامُ الأدَبِ وَالفَن، دط. دمشق: 1958،ج2، ص54. عبد القادر عيَّاش، مُعجَم المُؤلِّفِين السُّوريّيّن فِي القَرنِ العِشْرِين، دط. دمشق: 1985، دارُ الفِكر، عبد المُعين المَلُّوحِي، بلَدِي الصَّغير الحَبِيب حِمص، دط. حمص: 2002، غُرفَة التجَارة والصِّناعَة، محمد غازي التدمُرِي، الحَركَة الشِّعريَّة المُعَاصِرة فِي حِمْص 1956/1900، دط. دمشق:1980، مطبعة سوريا، بتصرُف.

[2] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرَابُ القُرآنِ الكَرِيم وبيَانُهُ، ج1، ص19.

المَبحَثُ الثَّانِي: الإعرَاب وَالتفسِيرُ اللُّغوِي لِلقُرآنِ الكَرِيم.

إِنَّ تَفسِيرَ القُرآنِ الكَرِيم بَدَأَ مَعَ بِدَايَةِ نُزُولِهِ عَلَى الرَّسُولِ الكَرِيم ﷺ الذِي كَانَ المُفَسِّرُ الأَوَّل والمُعَلِّم وَالمُبَيِّن لَهُ، فَقَد كَانَ نُزُولُ القُرآنِ الكَرِيمِ فِي فَترةٍ مُحَدَّدَةٍ، حَيثُ دَامَ نُزُولُهُ ثَلاثًا وَعِشرِينَ سَنَة، خلال هَذِهِ الفَترَة كَانَ الرَّسُولُ الكَرِيم ﷺ يُفَسِّر ويُوَضِّح مَعَانِي الآيَات القُرآنِيَّة بِحَسبِ الوَاقِعَة والغُمُوض وَالسُّؤال، وَهَذِهِ الوَقَائِع تُعَدُّ مَرجعًا فِي فَهمِ الآيَاتِ القُرآنِيَّة، وهَذا الرَّأي هُو رأي محيي الدِّين الدرويش الذِي يَرَى أَنَّ" أَوَّل مَا بَدأَت دِرَاسَات القُرآنِ وتَفسِيره زَمَن الرَّسُول ﷺ، ففِي عهدِهِ نرَى أعرابيًا يَسأَلهُ في معنَى بعضِ ألفاظ القرآن فِي مثل قولهِ تعالى﴿ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلَامْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[1] قائِلاً: " وأيُّنَا لَم يَظْلِم نَفسَهُ؟" وَفَسَّرَه النَّبِي ﷺ بِالشِّركِ، وَاسْتَشهَد عَلَيهِ بِقَولِهِ تَعَالى ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [2]"[3]، كَمَا نَجِدُ أَنَّ السُّنَّةَ النَّبَوِيَّة قَد اِحْتَوَت تَفسِيرَ بَعْضَ الآيَاتِ القُرآنِيَّة، أَوْ كَانَت شَارِحِةً لألفَاظِ القُرآنِ الكَرِيمِ وَهَذَا مِن بَاب تَفسِير القُرآن الكَرِيم بِالسُّنَّةِ، قَالَ محيي الدِّين الدرويش" وَرُوِيَ عَنِ النَّبِي ﷺ فِي كُتبِ الحَدِيثِ كَالبُخَارِي ومُسْلِم، وغيرهَا كَثِير مِن الأَحَادِيث التي تتَعلَّقُ بِتَفْسِيرِ القُرآن، وَبَعضهَا يَنحَصِرُ فِي ذِكرِ فَضَائلِهِ، وَتَفسِير بَعض آيَاتِهِ تَفسِيرًا مُختَصَرًا يُبيِّنُ وَجهَ التَّشرِيعِ، أَو المَوعِظَة فِي الآيَةِ"[4] إلا أَنَّ التَّفسِيرِ فِي عَهدِ الصَّحَابَةِ كَانَ لهُ أمر آخَر، فَهُنَاكَ مَن كَان لا يَتَحَرَّج مِن تفسِيرِ القُرآنِ الكَرِيمِ، وهُنَاكَ مَن تَحَرَّجَ مِن تَفسِيرِ مَا يُعرَضُ لَهُ مِن آيَاتٍ، قالَ محيي الدين الدرويش " وَعَلَى أَنَّ الصَّحَابةَ وقَفُوا فِي صَدرِ الإسْلامِ مَوقِفَينِ: مُتَحرِّجٌ مِنَ القَولِ فِي القُرآن، ومِن هَؤلاءِ: أَبُوبكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمر، وَغَيرُهُم رضي الله عنهم أجمعين، وكَانَ عَبدُ اللهِ ابن عمر ـ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا ـ يَأخُذ عَلَى عَبد الله ابن عَبَّاس ـ

[1] . سورة الأنعام، الآية 82.

[2] ـ سورة لقمان الآية 13.

[3] . محيي الدِّين الدرويش، إِعْرَابُ القُرآنِ الكَرِيم وبيَانُهُ، ج8، ص224.

[4] ـ المصدر نفسه، ج8، ص224.

رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا ـ تَفسِيرَهُ القُرآنِ بِالشِّعرِ، والقِسمُ الثَّانِي: الذِين لم يَتَحَرَّجُوا، وَفَسَّرُوا القُرآن حسب مَا فَهِمُوا مِنَ الرَّسُولِ ﷺ أو حسب فَهمِهِم الخَاص بِالمُقَارَنَةِ إِلَى الشِّعرِ العَرَبِي وكَلامِ العَرَبِ، وَمِن هؤلاءِ: علي بن أَبِي طالب، وعبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهم، ومَن أَخَذَ عنهُما، وقَد وقَفَ ابن عبَّاس ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ على رأسِ المُفَسِّرين بالرَّأي المُتَّخذِين شِعرَ العَرَبِ وَسِيلَة إِلَى كَشفِ مَعَاني القُرآن، وكَانَ عَلي بن أَبِي طَالب يُثني على ابن عبَّاس ـ رضي الله عنه ـ وَيقُولُ: كأنَّما يَنظُر إلى الغَيبِ مِن سِترٍ رَقيقٍ"[1] وفِي هَذَا البَاب هُنَاك المَسَائِل الوَارِدَة عن ابن عبَّاس ـ رضيَ اللهُ عَنهُ ـ فَقَد وَرَدَ فِي" فِي كَاملِ المُبرّد، وأَغَانِي أَبِي الفَرج الأصبهَانِي: أَنَّهُ دَخَل عُمر بن أَبِي ربيعَة ـ وَهُو غُلام ـ على ابن عبَّاس، وَعِندَهُ نَافِع بن الأَزْرَق، فَقَالَ لَهُ ابن عَبَّاس: أَلا تُنشِدنَا شَيئًا مِن شِعرِكَ يَا ابنَ أَخِي؟ فَأَنشَدَهُ[2]:

أَمِنْ آلِ نُعم أنتَ غَادٍ فَمُبْكِرُ غداة غد أَم رَائِحٌ فَمُهْجِرُ

حَتَّى أَتَمَّهَا وهِيَ ثَمَانُون بَيْتًا، فَقَالَ لَهُ الأَزرَق: لله أنتَ يا ابن عبَّاس أَنَضْرِبُ إِلَيْكَ أَكْبَادَ الإِبِلِ، نَسْأَلكَ عَن الدِّينِ، ويَأْتِيكَ غُلامٌ مِن قريشٍ يندك سفهًا فَتُسْمِعهُ، وأَمَّا تَدوِينُهُ وَكِتَابَتُهُ فِي كُتُبٍ مُسْتقِلَّة فَقَد كَانَ فِي أَوَائِلِ القَرنِ الثَّانِي الهِجرِي، وَبَعْدَ تَعَاقُبِ الأَجيَال عَمِلَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعِينَ والمُصلِحِينَ مِن أُمَّةِ النَّبِي المُختَار عَلَى خِدْمَةِ الكِتَاب المُبِينِ دِرَاسَةً واسْتنبَاطًا، وَكَشْفًا عَن أَسْرَارِهِ وَمَعَانِيهِ، وَالتَّفْسِير فِي بِدَايَةِ ظُهُورِهِ كَانَ نَوْعَينِ فَقَط؛ التَّفسِير المَأْثُور والثَّانِي التَّفسِير بِالرَّأيِ، ومِمَّا لا شَكَّ فِيهِ أَنَّ التَّفسِيرِ القُرآنِي لَمْ يَصِل إِلَى مَا وَصَلَ إِلَيهِ إِلا بَعدَ أَنَّ مَرَّ بِمَرَاحِلَ مُتَعدِّدَة فِي المَنْهَجِ وَالهَدَفِ، لِيَصِلَ التَّفسِير وَيَعرِف مَسَارَات واتِّجَاهَات مُخْتَلِفَة، كُلُّهَا تَسعَى للوُصُولِ إِلَى مَكَامِنِ النَّص القُرآنِي، وَهَذَا بِالاِستِعَانَة بِأَدَوَات مَنهَجِيَّة وأَسَالِيب مُختَلِفَة. وقَد تكَلَّمتُ عَن التَّفسِيرِ اللغَوِي؛ لأَنَّ التَّفسِيرَ فِي بِدَايَاتِهِ كَانَ تَفسِيرًا جَامِعًا

[1] . محيي الدِّين الدرويش، إِعْرَابُ القُرآنِ الكَرِيم وبيَانُهُ، ج8، ص224.

[2] . هذه قصيدة لِعمر ابن أَبي ربيعَة أنشدهَا لعبد الله بن عبَّاس ـ رضي الله عنهمَا ـ وَعَدد أبياتها 74 بيتًا، وقَد كَانَ هَذَا البيت هُو مَطْلَعُهَا، ومَعْنَى البيت: هَلْ تَذْهب إلى قومِ الحبيبَة باكرًا أَمْ وقت الهَجِيرَة عندما تكُون الحرَارة مُتوهِّجَة في أشدّهَا.

مُتَضَمِّنًا العَدِيدَ مِنَ العنَاصِرِ التي أَصبَحَت فِي زَمَانِنَا عِلمًا مُسْتقِلا، كَالبَيَانِ وَعِلم المُنَاسبَةِ وأَسبَابِ النُّزُولِ، وَمَا تعلَّق بالأسلُوبِ والفِقهِ وأحكَامِهِ وغَيرهَا.

إِنَّ مُصطلَح التَّفسِير اللُّغَوِي مُكَوَّن مِن لَفْظَيْنِ (التَّفْسِير) و(اللُّغَوِي) ولابُدَّ مِن مَعرِفَةِ هَذِهِ الأَلفَاظ مَعْرِفَةً مُنفَصِلَةً، ثُمَّ نَجْمَعُ هَذِهِ المَفَاهِيم حَتَّى نَعرِفَ مُصْطلَح التَّفسِير اللُّغَوِي.

1 ـ تَعْرِيفُ التَّفسِير.

أ ـ **لُغَةً:** كَلِمَةُ التَّفْسِير مِن الفَسْر، قَالَ ابن فَارِس:" وَأَصْلُ مَادَّتِهِ اللُّغَوِيَّة تَدُلُّ عَلَى بَيَانِ شَيءٍ وَإِيضَاحِهِ"[1]

وَقَد وَرَدَ لَفْظُ التَّفسِير مَرَّةً واحِدَةً فِي القُرآنِ الكَرِيم وَهِي قوله تَعَالَى ﴿وَلَا يَاتُونَكَ بِمَثَلٍ اِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾ [الفُرقَان:33]، قَالَ مُجَاهِد: و ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾ بَيَانًا"[2].

وهُنَاكَ مَن يَرَى أَنَّ التَّفسِير والتَّأْوِيل والمَعْنَى كُلُّهَا بِمَعنَى وَاحِد كَمَا قَالَ ابن الأَعْرَابِي(ت231):" التَّفْسِير والتَّأْوِيل والمَعْنَى؛ وَاحِدٌ"[3].

وَفِي حَقِيقَةِ الأَمرِ فَإِنَّ هَذِهِ المُصطلَحَات؛ التَّفسِير والتَّأْوِيل والمَعْنَى مُصطلحَات مُخْتلِفَة فِي المَعْنَى وإِن كَانَت لَهَا نفس المَقَاصِدِ، فَاختِلافُ الأَلفَاظ دَلِيلٌ علَى اِختِلافِ المَعَانِي وهناك الكَثِير مِن الأَمْثلَة فِي هَذَا البَاب كَالفَرقِ بَينَ الفَقِير وَالمِسكِين، فالفقِير مَن يَمْلكُ قُوتَ عَامِهِ، وأمَّا المسكِين مَن لا يَكفِيهِ شَيءٌ ولا تردُّهُ اللقمَة واللقمتَانِ.

---

[1]ـ ابنُ فَارِس، أَبُو الحَسَن أحمد بن فَارِس بن زَكَرِيا، مقَاييس اللغَةِ، تح: عبد السَّلام هَارُون، دط. مصر: 1979، دارُ الفِكْر للطِبَاعةِ والنَّشر، 4ج، ص504.

[2] ـ الطَّبَرِي، محمَّد بن جرير الطَّبرِي، تَفْسِير الطّبرِي مِن كِتَابِهِ جَامِعُ البَيَان عَن تَأويلِ آيِ القُرآن، تح: بشَّار عَوَّاد مَعرُوف وعِصَام فارِس الحرسْتَاني، ط1. بيرُوت:1415/1994هـ، مؤسَّسَة الرِّسَالَة، ج19، ص12.

[3] ـ الأزهرِي، أبِي منصُور محمَّد بن أحمد الأزهَرِي الهَرَوِي، تهذيبُ اللغَةِ، تح: عبد السَّلام هَارُون، دط. مصر: 1967، الدار المِصْريَّة للتأليفِ والترجمَة، ج12، ص407.

فَالدَّارِسُ لِهَذِهِ المُصطلحَات يَجِدُ فُرُوقًا مِن بَينِهَا، أَنَّ" التَّفسِيرَ مَا يَتَعلَّقُ بِالرِّوَايَة، والتَّأوِيل مَا يَتَعَلَّقُ بِالدِّرَايَة"[1]، وَقِيلَ أَنَّ:" التَّفسِير أَكثَر مَا يُسْتعمَلُ فِي الألفَاظِ ومُفرَدَاتِهَا، والتَّأوِيل: أَكْثَر مَا يُسْتَعْمَلُ فِي المَعَانِي وَالجُمَل"[2]، فَالتَّفسِير هُو إِيضَاح وَتَبيّين، وَالتَّأوِيلُ هُو اِستِنبَاط.

ب ـ التَّفسِير اِصْطلاحًا: عَرَّفَهُ أَبو حَيَّان التَّوحِيدِي (ت هـ) بِقَولِهِ:" التَّفسِير: عِلم يُبحَثُ فِيهِ عَن كَيفِيةِ النُّطْقِ بِأَلفَاظِ القُرآنِ، وَمَدُلولاتِهَا، وأَحكَامِهَا الإِفرَادِيَّة وَالتركِيبِيَّة، وَمَعَانِيهَا التي تُحْمَل عَلَيهَا حَال التَّركِيبِ، وتَتِمَّاتٍ لِذَلِكَ"[3].

وَعَرَّفَهُ ابن عَرَفَة المَالِكِي[4](ت803هـ) بِقَوْلِهِ:" ... هُو العِلمُ بِمَدلُولِ القُرآنِ وَخَاصِّيَة كَيفِيَة دَلالَتِهِ، وَأَسْبَاب النُّزُول، والنَّاسِخِ والمَنسُوخِ"[5]، وَمَدلُول القُرآن الكَرِيم هُو بيانُ ألفاظِهِ وتَرَاكِيبِهِ. فَقَولُهُ "خَاصِّية كَيْفِية دَلالتِهِ" هِي إِعْجَازُهُ، وَمَعَانِيهِ البَيَانِيَّة، وَمَا فِيهِ مِن عِلمِ البَدِيعِ الذِي يَذكُرُهُ الزَّمَخشَرِي، وَمَنْ نَحَا نحوَهُ"[6]، فالبَحْث فِي البيَان القُرآنِي والمعَاني مِن أهداف ظهور التفسير وهو قَواعدِهِ.

2 ـ تَعرِيفُ كَلِمَةُ اللُّغَوِي: اللُّغَوِي مُشتَق مِنَ اللغَةِ التي عَرَّفَهَا ابن جِنِّي[7] بِقَولِهِ هِي:" أَصوَات أَصوَات يُعَبِّرُ بِهَا كُلُّ قَوْمٍ عَن أَغرَاضِهِم"[1] واللغةُ هِي اللِّسَان كَمَا وَرَدَ فِي القُرآنِ الكَرِيم، وَمِنه

---

[1] ـ السيُوطِي، عبد الرَّحْمَن بن أبِي بكْر جلال الدِّين السيُوطِي، الإتقَان فِي عُلُومِ القُرآنِ، تح: أحمد بن علي، دط. القاهرة:2006، ج2، ص173.

[2] ـ منَّاع القَطَّان، مَبَاحِثُ فِي علُومِ القُرآنِ، ط3. الرِّياض: 2000، مَكْتَبَةُ المَعَارِف للنَّشر والتَّوزِيع، ص338.

[3] . أبو حيَّان ، محمد بن يُوسف بن علي بن حيَّان، البحر المحيط، ج1، ص26. وقد نقلهُ عنه ـ باختِصَار . الكفويّ في الكلِّيات، تح: عدنان درويش، ومحمد المصْري، ص260. ونقله عنه، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيَّار، التفسِير اللغوِي للقرآنِ الكريمِ، ط1. المملكة العربية السَّعودية:1422هـ ، ص22.

[4] ـ مُحَمَّد بن مُحمَّد بن عرفَة الورغمي التونسِي كُنْيتُهُ: عَبْدُ اللهِ، أَتْقَنَ الكَثِيرَ مِنَ العُلُومِ، وكَانَ إِلَيْهِ المَرْجِعُ فِي بِلادِ المَغْرِب فِي العَدِيدِ مِنهَا، تَوَفّى فِي سَنةِ (803هـ).

[5] . مساعد بن سليمَان بن نَاصِر الطيَّار، التَّفْسِير اللُّغَوِي للقُرآنِ، ط1. الدمام: 1422هـ، دار بن الجوزي، ص22.

[6] المرجعُ نفسُهُ.

[7] . ابن جِنِّي هُو: أَبُو الفَتح عثمَان ابن جِنِّي، مِن أَهْلِ الأَدَبِ واللغَةِ وأَعْلَمُهُم بِالنَّحُو والصَّرف، تِلْمِيذ: أَبِي علِي الفَارسِي، لهُ لهُ مجمُوعَة مِن الكُتُبِ اللغَويَّة التي هِيَ مِن أَمَّهَاتِ الكُتُبِ مِنهَا: الخَصَائص، سِرُّ الصِّناعَة، توفَّى ببغداد (392هـ)، ابن الأنبَارِي: نُزْهَةُ الأَلبَاء فِي طَبقَةِ الأدَبَاءِ، ص244، 246.

وَمِنه قوله تَعَالَى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ اِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ يَّشَآءُ وَيَهْدِے مَنْ يَّشَآءُۜ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُۖ﴾[إبراهيم:4].

وَأَمَّا مُصطلَح اللُّغَوِي[2]، فَاللُّغَوِيُّونَ هُم:" المُنشَغِلُونَ بِجَمعِ أَلفَاظ العَرَب وَمعرفة دَلالَتِهَا واشتِقَاقِهَا وَتَصرِيفِهَا، ومَعرِفَةُ أَسَالِيبِهَا فِي الخِطَاب، والاستِدلالِ لِذَلكَ بِلُغَةِ العَرَبِ مِن شِعرٍ أَو نَثْرٍ"[3]، وَفِي هَذَا المَجَالِ هُنَاكَ الكَثِير مِن عُلَمَاءِ اللغَةِ مَن سَلَكَ طَرِيقَ جَمعِ اللغَةِ، وتَتَبَّعَ مَنَابتها الأُولَى، وَهُنَاكَ مَن تَتَبَّعَ الشِّعرَ وَسَلَكَ فِيهِ مَسلكًا شَارِحًا للأَلفَاظِ العَربِيَّة مُستَدِلا بِهِ في تَفسير القُرآن، والغَرِيب مِن القُرآنِ الكَرِيم والحَدِيث النَّبوِي.

وَمِمَّا سَبَقَ؛ فَالتَّفسِيرُ اللُّغَوِي: هُو تَفسِيرُ القُرآن الكَرِيم بِمَا وَرَدَ فِي لِسَانِ العَرَب، وباللغَةِ العَرَبِيَّة وَبِأسَالِيبِهَا ومَفَاهِيم أَلفَاظِهَا، وبِأَقوَالِ العُلمَاءِ المَبنِيَّة عَلَى عِلمِ النَّحو وَالبَلاغَةِ.

وَمِن مُصَنَّفَاتِ التَّفسِيرِ اللُّغَوِي نَجِدُ:

ـ الكَشَّاف عَنْ حَقَائِقِ التَّنزيل وعُيُون الأَقَاوِيلِ فِي وُجُوهِ التَّأوِيل، جَارُ اللهِ الزَّمَخشَرِي.

ـ أَنوَارُ التَّنزِيل وأَسْرَارُ التَّأوِيلِ، القَاضِي البَيْضَاوِي.

---

[1] ـ ابن جِنِّي، الخَصَائِص، تح: محمَّد علي النَّجَّار، ط3. مصر: 1406هـ، الهيئَة المِصْريَّة العامَّة للكتَابِ، ج1، ص34.

[2] ـ من أَهَمِّ الأَشْيَاءِ التي يَنبَغِي مُرَاعَاتهَا المُصْطلح الذِي هُو أزمَة فِي حَدِّ ذَاتِهِ، كَمَا لَهُ تأثيرٌ فِي تَوْجيهِ العُلُوم وتَطَوّرِهَا، وكَلِمَةُ (اللُّغَوِي) مِن المُصْطلحَات التي يَنبغِي تَحدِيدُ مَفهُومِهَا، فالدَّارِس لَهَا يَجِد اختِلافًا بَيْنَ القُدامَى والمُحْدَثِين، فالقُدامَى يُفَرِّقُون بَيْنَ النَّحْوِي واللُّغَوِي فَلَيْسَ كُلّ لغَوِي نَحْوِي فَنَجِد: كتَاب طبقَات النَّحويّينَ واللُّغَويّنَ، لأبِي بَكْر محمَّد بن الحَسَن الزُّبيدِي، حيثُ قَال:" نبْدأُ بِذِكْرِ النَّحوِيّينَ على طَبقاتِهِم، واللُّغَوِيّين مِن بعدِهُم" الزبيدي، كتاب طبقات النحويين واللغويين، ص8. فهذا يُبَيِّن أَنَّ النَّحْوي ليْسَ هو اللُّغَوِي وهَذَا بِخِلافِ عَصْرِنَا الحَالِي فكُلُّ نَحْوِي لُغَوِي.

وقَالَ الزَّجَّاج في أماليهِ:" فَسَكَتَ الأَصمَعِي، وَلَم يَكُن لَهُ بالعَرَبية، وكَانَ صَاحِب لُغَةٍ، ولَم يَكُن صَاحِبَ إِعْرَابٍ" (ص35).

فاللُّغَوِي فِي تِلكَ الفترة هُو العَالم بأَشْعَارِ العَرَبِ وأَيَّامِهَا وأنسَابِهَا وأخبارِهَا ولُغَاتِهَا، كَمَا أَنَّ اللُّغَوي هُو ذَلك العَالم الذِي يَعْمَلُ على جَمْعِ اللغَةِ مِن مَضَانِّهَا.

وأَمَّا اللّغَوِي فِي زَمَانِنَا فأَصبَحَ مفهُومُهَا يَشْمَلُ عُلُوم مُتَعدِّدَةٍ عَلَى الرَّغْمِ مِن دُخُولِ علُومٍ أُخْرَى مَجَال علُوم اللغَةِ، كَاللسَّانيَّات والمُعْجَمِيَّة والتداوليَّة وأصُول النَّحُو والدرَاسَات البيَانيَّة واللغوِيَّة والنقْدِيَّة وغيرهَا.

[3] . مساعد بن سليمان بن نَاصِر الطيَّار، التَّفسِير اللغَوِي للقُرآن، ط1. الدمام: 1422هـ، دار بن الجَوْزِي، ص108.

ـ إِرْشَادُ العَقْل السَّلِيم إِلَى مَزَايَا الكتَاب الكَرِيم، أَبِي السُّعُود مُحَمَّد بن مُحمَّد بن مصطفى العِمَاد الحَنَفِي.

وَالتَّفسِيرُ مُرتَبِط بِاللغَةِ العَرَبِيَّة اِرتِبَاطًا وَثِيقًا؛ فَالقُرآن الكَرِيم أَنزَلَهُ اللهُ بِلسَانٍ عَرَبِي مُبِين ، وَقَد بَيَّنَ اللهُ ذَلِكَ فِي آيَاتٍ عَدِيدَةٍ مِنهُ قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يُوسُف:2]، وَقوله تَعَالَى: ﴿قُرْءَاناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِے عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزُّمَر:28]، وقَوله تَعَالَى﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسِىٰٓ إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَاناً عَرَبِيّاً لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرِىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأَحقَاف:11]، ومِنهُ مَعنَى القُرآن وبَيَانُهُ يَكُونُ مِن مَفهُومِ اللغَةِ الذِي يُعَدُّ أَسَاسِيًا فِي تَحدِيدِ هَذِهِ المَعَانِي.

وَيُعَدُّ النَّبيُّ ﷺ أَوَّل مُفَسِّر لُغَوِي للقُرآنِ الكَرِيم فَهُو أَفصَحُ العَرَبِ وَكَون النَّبِي ﷺ أَوَّل مُفَسِّرٍ لُغَوِي مِن حيث دلالة الأَلْفَاظ، ومعرفَة أَسَالِيب العَربِ، ومن حيثُ تمَكُّنِهِ مِن اللغة العربيَّة التي نَزَل بهَا القُرآن الكَرِيم، وَمِنَ الأَدِلَّةِ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ عِندَ نُزُولِ الوَحِي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ كَانَ الصَّحَابَةُ ـ رَضِي الله عَنهُم ـ يَسْتَفسِرُونَ النَّبِي ﷺ عَلَى مَعنَى بَعضِ الآيَاتِ، وكَانَ النَّبِيُّ الكَرِيم يُفَسِّرُهَا لَهُم مِنهَا:

فَفِي عَهدِهِ أَنَّ أَعرابيًا جَاءَ يَسأَلُ عَن أَلفَاظِ القُرآنِ الكَرِيم كَمَا فِي قوله تَعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ قَائِلا: وأَيُّنَا لَمْ يَظْلِم نَفسَهُ؟ فقال: رسول الله ﷺ(لَيْس هُو كمَا تَظُنُّونَ إِنَّمَا هُو كَمَا قَالَ لُقمَان لابنِهِ ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾"[1] وَتَفسِيرُ هَذِهِ الآيَة مِن بَابِ تَفسِيرِ القُرآنِ بِالقُرآنِ؛ فَالقُرآنُ يُفَسِّرُ بَعْضَهُ بَعضًا.

[1] ـ القُرطُبِي، أَبُو عبد الله مُحمَّد بن أحمد الأَنصَارِي القُرطُبي، الجَامِعُ لأحكَام القُرآن، القُرطُبِي، ط1. القاهرة: 2005، مكتبة الصَّفا، ج7 ـ 8، ص23 ـ24.

وَمِن التَّفسِيرِ اللغَوِي عِندَ العلمَاءِ وَرَدَ فِي كِتَابِ **(الغَرِيب المُصَنَّف)** لأَبِي عُبَيد القَاسِم بن سلام(ت224هـ) قَالَ:" والكَوثَر: الشَّيء الكَثِير، ومِنه قوله جَلَّ ذِكرُهُ ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكَوْثَر:1]"[1].

والشِّعر الجَاهِلِي دِيوَانُ العَربِ، فَبَعْضُ الآيَاتِ القُرآنِيَّة لَمْ يُفهَم مَعنَاهَا إلا مِن خِلالِ الشِّعرِ الجَاهِلِي ومِنَ الأَمثِلَة فِي هَذَا البَاب:

ـ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ٢٥٣ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة:255] قَالَ نَافِع بن الأَزرَق لابن عبَّاس: أَخبِرنِي عَن قَولِ اللهِ عَزَّوَجل ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ مَا السِّنَةُ؟ قَالَ: النُّعَاس قَالَ زُهَير بن أبِي سُلْمَى:

لا **سِنَةٌ** فِي طِوَالِ الليلِ تَأْخُذُهُ وَلا يَنَام وَلا فِي أَمْرِهِ فَنَدٌ

والنُّعَاسُ هُو أَوَّلُ النَّومِ وَبِدَايَاتُهُ، وَمِنهُ السِّنَةُ هِيَ أَوَّلُ النَّومِ، قَالَ عدي بن الرقَاع[2]:

وَسنانُ أَقْصَدَهُ النُّعَاسُ فَرَنَّقَت فِي عَيْنِهِ سِنَةٌ ولَيْسَ بِنَائِم

ـ يقُولُ تَعَالَى ﴿ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ﴾ [الرَّحْمن:48]

والأَفنَان أَي: ذَوَاتَا ظِلٍّ وأَغصَانٍ[3]، ومنه قول الشَّاعِر:

مَا هَاجَ شَوقُكَ مِن هَيلِ حَمَامَةٍ تَدعُو عَلَى فَنَنِ الغُصُون حَمَامًا

تَدعُو أَبَا فَرخَينِ صَادَفَ طَائِرًا ذَا مَخْلَبَينِ مِنَ الصُّقُور قِطَاما[4]

قَالَ ابنُ عبَّاس ـ رَضِيَ اللهُ عَنهُ ـ:" التَّفسِيرُ عَلَى أربَعَةِ أَوجُهٍ: وَجهٌ تَعرِفُهُ العَرَبُ مِن كَلامِهَا، وتَفسِيرٌ لا يُعذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ، وَتَفسِيرٌ يَعلَمُهُ العُلَمَاءُ، وتَفسِيرٌ لا يَعلَمُهُ إلا الله"[1].

---

[1] . أَبُو عُبيد القَاسِم بن سَلام، الغَرِيبُ المصنَّف، تح: محمد المُختار العبيدِي، ط1. 1996، المجمع التونسِي للعلُوم والآداب والفنون ودار سحنون للنشر والتوزيع، ج1، ص75.

[2] . ابن عَاشُور، التَّحرير والتنوير، دط. تونس:1984، الدار التونسيَّة للنَّشر، ج3، ص19.

[3]. القُرطُبِي، أَبُو عبد الله مُحمَّد بن أحمد الأَنصَارِي القُرطُبي، الجَامِعُ لأحكَام القُرآن، القُرطُبِي، ط1. القاهرة: 2005، مكتبة الصَّفا، ج1، ص40.

[4] . المصدر نفسه، ج1، ص41.

وَلُغَة الأعرَابِ الذِينَ يَقطُنُون فِي البَوَادِي، كَانَت لغة عَلَى الفِطرَةِ، فَقَد كَانَت لُغَتُهُم سَلِيمَة وَمِن الأَمْثِلَة نَجِد:

تَفسِيرُ عَبدُ اللهِ بن عَبَّاس ـ رَضِيَ اللهُ عَنهُما ـ لِكَلِمَةِ ﴿فَاطِر﴾ مِن قَولِهِ تَعَالَى ﴿اِلْحَمْدُ لِلهِ فَاطِرِ اِلسَّمَٰوَٰتِ وَالَارْضِ﴾ قَالَ عبدُ اللهِ ابن عَبَّاس ـ رَضِيَ اللهُ عَنهُ ـ: كُنتُ لا أَدرِي مَا ﴿فَاطِرِ اِلسَّمَٰوَٰتِ وَالَارْضِ﴾ حتَّى أتَانِي أَعرَابِيَانِ يَختصِمَانِ فِي بِئرٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فَطَرتُهَا، أَي أَنَا اِبتَدَأتُهَا"[2]، فَقَد كَانَ سَبَبُ فَهْمِ عَبد الله بن عبَّاس ـ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا ـ لِهَذِهِ الكَلِمَة هَذَانِ الأَعرَابِيانِ، فَقَد كَلامُهُم عَلَى السَّلِيقَة، لِهَذا فَهمُ اللغَةُ العَرَبِيَّة شَرطٌ فِي فَهمِ كَلامِ اللهِ تَعَالَى لِمَن أَرَادَ تَفسِيرَهُ وَبَيَانَهُ، فَالعَالِمُ باللغَةِ تَعصِمُهُ مِنَ الوُقُوعِ فِي الزَّلَلِ، قَالَ الزُّبَيدِي:" وَلَم تَزَلِ العَرَبُ تَنطِقُ عَلَى سَجِيَّتِهَا فِي صَدرِ إِسلامِهَا وَمَاضِي جَاهِلِيَّتِهَا، حتَّى أَظهَرَ اللهُ الإِسلامَ عَلَى سَائِرِ الأَديَانِ، فَدَخَلَ النَّاسُ فِيهِ أفوَاجًا، وأَقْبَلُوا إِلَيهِ أَرسَالا، وَاجتَمَعَت فِيهِ الأَلْسِنَةُ المُتَفَرِّقَة، واللُّغَة المُختَلِفَة، فَفَشَا الفَسَاد فِي اللغَةِ العَرَبِيَّة، وَاستَبَان مِنهُ فِي الإِعرَابِ الذِي هُو حِليهَا، والمُوَضِّحُ لِمَعَانِيهَا، فَتفَطَّن لِذَلِكَ من نَافَرَ بِطِبَاعِهِ سُوء أَفهَام النَّاطِقِينَ مِن دُخُلاء الأُمَم بِغَيرِ المُتَعَارف مِن كَلامِ العَرَبِ، فَعَظُمَ الإِشفَاق مِن فُشُوِّ ذَلِكَ وَغَلَبَتِهِ، حتَّى دَعَاهُم الحَذَر مِن ذَهَابِ لُغَتِهِم وَفَسَادِ كَلامِهِم، إِلَى أَن سَبَّبُوا الأَسبَاب فِي تَقيِيدِهَا لِمَن ضَاعَت عَلَيهِ، وَتَثقِيفِهَا لِمَن زَاغَت عَنهُ"[3] لَقَد ظَهَر الخَطَر حِينمَا فَشَا الفَسَاد فِي اللِّسَانِ العَرَبِي، فأثَّر علَى الفَهم لِلُغَةِ القُرآن الكَرِيم.

---

[1]. الأنصَارِي، صَفِي الدِّين أَحمد بن عبد الله الخَرْزجِي، خُلاصَةُ تَهْذِيب الكَمَال فِي أَسْمَاء الرِّجَالِ، دط. مصر: دت، المَطبَعَة الخيْرِيَّة، ص67.

[2] ـ القُرطُبِي، أَبُو عبد الله مُحمَّد بن أحمد الأنصَارِي القُرْطُبِي، الجَامِع لأَحْكَام القُرآن، القُرْطُبِي، ط1. القاهرة: 2005، مكتبة الصَّفَا، ج14، ص234.

[3] ـ الزُّبيدِي، محمَّد بن الحَسَن الزُّبيدي الأندلُسِي، طَبقَات النَّحْوِيّين واللُّغَوِيين، تح: محمَّد أَبُو الفضْل إبراهِيم، ط2. القَاهِرة: 1984، دارُ المَعَارف، ص10.

وفِي هَذَا البَاب قَالَ مَحمُود شَاكِر فِي إِحدَى تَعلِيقَاتِهِ أَثْنَاء تَحقِيقِهِ لِتَفسِير الطَّبرِي:" وَهَذَا خَبَرٌ عَزِيزٌ جِدًا فِي بَيَانِ رِوَايَةِ اللغَةِ وَشَرحِهَا، وَسُؤال الأَعرَابِ وَالرُّعَاةِ عَنهَا"[1] فالبَحثُ عَنِ اللغَةِ السَّلِيمَة الخَالِيَة مِن اللَّحنِ كَانَ بِسُؤالِ الأَعرَاب فِي البَوادِي وَمِنهُم انطلقَ البَحْث عَن مَعَانِي الألفَاظ.

وَمَسأَلةُ تَفسِير القُرآن الكَرِيم فِي عَهدِ الصَّحَابَةِ قَد اِختَلَفَ الصَّحَابَة فِيهَا إِلَى مَوقِفَينِ، أَو إلى فَرِيقَينِ:

ـ **الفَرِيقُ الأَوَّل:** عَدَمُ الخَوض فِي القُرآنِ الكَرِيم وَالتحَرُّجُ مِنَ الخَوضِ فِي مَيدَانِهِ وَتَفسِير مَكنُونَاتِهِ، مِن هَؤُلاءِ الصَّحَابَة نَجِدُ مِنهُم: أَبُوبَكر الصِّدِيق، عُمَر بن الخطَّاب، عبد الله بن عمر وغَيْرُهُم رضي الله عنهم أجمعين، وَكَانَ عَبدُ اللهِ بن عُمَر يَأْخُذُ عَلَى ابن عبَّاس ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ تَفْسِيرَهُ القُرآنَ الكَرِيم بِالشِّعْرِ.

ـ **الفَرِيقُ الثَّانِي:** الذِينَ خَاضُوا فِي تَفسِير القُرآنِ الكَرِيم، وَلَم يَتَحَرَّجُوا فِي الوُلُوجِ إِلَى مَكنُونَاتِهِ وَمَكَامِنِهِ، فَفَسَّرُوا القُرآنَ بِحَسْبِ فَهمِهِم عَلَى الرَّسُولِ ﷺ، كَمَا اِستَعَانُوا بِالشِّعرِ العَرَبِي فِي تَفْسِيرِ آيَاتِ الذِّكرِ الحَكِيم؛ مِن هَؤُلاءِ الصَّحَابَةِ الكِرَام نَجِد: علي بن أَبِي طالب، وَعَبدُ الله بن عبَّاس ـ رَضِيَ اللهُ عَنهُم أَجمَعِينَ ـ

لِتَأتِي مَرحَلَةُ تَأليف كُتُبُ مَعَانِي القُرآن، وَغَرِيب القُرآن التي كَانَت تَهْتَمُّ بالجَانِبِ اللُّغَوِي والبَيَانِي، وَتُعَدُّ مِن أَوَائِلِ كُتُبِ اللغَةِ التي اِعتَنَت بِالتَّفسِيرِ القُرآنِي، وَمِن ضِمنِ هَذِهِ الكُتُب نَجِدُ:

مَعَانِي القُرآن لأَبِي عُبَيدَة (ت210هـ)، وَمَعَانِي القُرآن ليُونس بن حَبِيب النَّحوِي (ت182هـ)، غَرِيب القُرآن لأَبِي مُحمَّد يَحيَى بن المُبَارك اليَزِيدِي(ت202هـ)، غَرِيبُ القُرآن للنَّضر بن شُمَيْل، البَصْرِي، اللُّغَوِي(ت203هـ)، مُشْكَل القُرآن لمُحمَّد بن المُستَنِير (قطرب)، النَّحوي، اللُّغَوِي (ت206هـ)، مَعَانِي القُرآن، لأَبِي زَكَرِيا يَحيى بن زِيَاد الفَرَّاء، الكُوفِي،

[1] . الطَّبري، تفسير الطبري مِن كِتَابِهِ جَامِعُ البَيَان عَن تأويلِ آيِ القُرآن، ج1، ص4.

النَّحوِي(ت207هـ)، مَجَازُ القُرآن، لأبِي عُبَيدَة مَعمَر بن المُثنَّى، البَصرِي، اللُّغَوِي(ت210هـ)، مَعَانِي القُرآن، لأَبِي الحَسَن سَعِيد بن مَسعَدَة(الأَخْفَش)، البَصرِي، النَّحوي(ت215هـ)، مَعَانِي القُرآن، لأبِي عُبَيد القَاسِم بن سَلام، اللُّغَوِي(ت224هـ)، غَرِيبُ القُرآن، لأبِي عبد اللهِ محَمَّد بن سَلام الجُمَحِي، الأَدِيب، البَصرِي(ت231هـ)، غَرِيب القُرآن، لأَبِي عبد الرَّحمَن عبدُ اللهِ بن يَحيَى بن المُبَارَك اليَزِيدِي(ت237هـ)[1]، غريبُ القُرآن، لأبِي محمَّد بن عبد الله بن مُسْلِم بن قُتيبَة، البَصرِي، اللُّغَوِي(ت276هـ)، مَعَانِي القُرآن، لأَبِي العَبَّاس مُحمد بن يَزِيد(المُبرد)،النَّحوِي، اللُّغَوِي(ت285هـ)[2]، ضِيَاءُ القُلُوب فِي مَعَانِي القُرآن، للمُفَضَّل بن سلمَة، الكُوفِي، اللُّغَوِي النَّحوِي، (ت290هـ)[3]، مَعَانِي القُرآن، لأبِي العَبَّاس أَحمَد بن يحيى(ثَعْلب)،الكُوفِي، اللُّغَوِي النَّحوِي(ت291هـ)[4]، مَعَانِي القُرآن، لمُحمَّد بن أحمد بن كِيسَان، اللُّغَوِي، النَّحوِي(ت299هـ)[5].

وَمِنَ المَجَالات اللغَوِيَّة التي اِهْتَمَّت بِهَا هَذِهِ الكُتُبُ نجِد:

مِن بَينِ هَذِهِ المجَالات تفسِيرُ أَلفَاظِ القُرآنِ الكَرِيم، فَفَسَّرُوا مَعَانِيهَا عَلَى مَفهُومِ مَن سَبقَهُم فِي عِلمِ التَّفسِيرِ كَمَا فَسَّرُوا القُرآنَ الكَرِيم عَلَى أَسَالِيبِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّة، وَقَد اِهْتمَّت كُتُبُ مَعَانِي القُرآن بِالجَانِب النَّحوِي وَالتَّصرِيف والاشتِقَاق مَعَ كَثرَةِ الشَّوَاهِدِ الشِّعرِيَّة لِهَذِهِ الجَوَانِب، وَأَمَّا كُتُبُ غَرِيبِ القُرآن فَقَد أَكثَرَت مِنَ الشَّوَاهِدِ الشَّارِحَة لِلأَلفَاظِ القُرآنِيَّة، وَهَذَا مِن خِلَالِ تَتَبُّعِ الكَلِمَات القُرآنِيَّة.

ثُمَّ جَاءَت كُتُبُ إِعرَابِ القُرآنِ الكَرِيمِ، كَفَنٍّ مُستَقِلٍ عَن مَعَانِي القُرآنِ، وَكُتُب النَّحو بَعدَمَا كَانَ مَبثُوثًا فِي ثَنَايَا كُتُب القُدَامَى، مِنهَا مَا جَاءَ فِي كِتَابِ سِيبَوَيه.

---

[1] ـ ابن النَّديم، الفِهرِست، تح: إبراهيم رمضَان، ط2. بيروت: 1997، دَارُ المَعْرِفَة، ص52.

[2] ـ المصدر نفسه، ص52.

[3] ـ المصدر نفسه، ص52.

[4] ـ المصدر نفسه، ص52.

[5] ـ المصدر نفسه، ص52.

وَمِن المَجَالاتِ التي دَخَلَ الإعرَابُ مَيْدانَهَا؛ القِرَاءَات التي كَانَ النُّحَّاةُ والمُفَسِّرُوَن يَدرُسُونَ أَوْجُهَ الإعرَابِ المُختلِفَة، وَأَثَرهَا فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.

لِتَأتِي كُتُبُ إعرَابِ القُرآنِ الكَرِيمِ المُعَاصِرَة التي أَصْبَحَت تَتَنَاوَلُ مَوَاضِيعَ مُخْتلِفَة، فَإِضَافَةً إِلَى الإِعْرَاب أصْبَحَت تَتَنَاوَلُ فَنَّ التَّصرِيفِ، وَالقِرَاءَات، وَاللغَة، والشَّيء المُهِم الآخَر هُو عِلمُ البَلاغَةِ فَأَصبَحَت تَتَنَاوَلُ جَوَانِب بَلاغِيَّة بَيَانِيَّة مُختلِفَة، وَمِمَّا لَهُ أَثَرٌ فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.

وَمِنهُ يُمكِنُ القَولُ إِنَّ التَّفسِير اللغَوِي هُو التفسِير الذِي يُبَيِّن مَعَانِي القُرآن الكَرِيم بِمَا وَرَدَ مِن كَلامِ العَرَبِ، وَبِمَا جَاءَ عَلَى أَسَالِيبِ كَلامِهِم.

وَمحيي الدِّين الدروِيش دَرَسَ مَعَانِي آيَات القُرآن الكَرِيم بِمَا وَرَدَ مِن كَلامِ العَرَبِ، وَمَا جَاء عَلَى أَسَالِيبِهِم فَبَيَّنَهُ، فَقَد جَعَلَ عُنصُر اللغَة يَهتَم بِهَذَا الجَانِب، وَهو العُنصُر الأَوَّل فِي المنهَجِ المُتَّبَع.

3 ـ صِلَةُ الإعرَاب بِالقُرآنِ الكَرِيم وَأَصَالَته.

إِنَّ ظَاهِرَةَ الإعرَابِ مُتَأَصِّلَةٌ فِي اللغَةِ العَرَبِية[1] كَيفَ لا والشِّعرُ الجَاهِلِي خَيرُ دَلِيلٍ عَلَى ذَلِكَ:" فَالشِّعر الجَاهِلِي هُو أَقدَم نَصٍّ عَرَبِي مُعرَب فَصِيح، وَهَذَا الشِّعرِ مَوزُون وَمُقَفَّى وَتَفعِيلاته العَرُوضِيَّة تَقُومُ صِحَّتُهَا وَسَلامتهَا عَلَى الإعرَابِ مِن تَنوِينٍ وحَرَكَةٍ وسُكُونٍ، إِذ لا يُمْكِنُ قِرَاءَة هَذَا الشِّعر دُونَ كَسر إِذَا أَهْمَلْنَا إِعرَابَهُ"[2]، إِنَّ الإعرَابَ مُتَأَصِّل فِي القُرآنِ الكَرِيم لا يَنفَكُّ عَنهُ بِحَالٍ مِنَ الأَحوَالِ؛ فَهُو جُزء مِن المُعجِزَة التي تَحَدَّى اللهُ بِهَا البَشَر، فَالقُرآن

[1] ـ فِي مَسأَلةِ ظَاهِرةِ الإعرَاب وأَصَالَتِهَا في اللغَة العَرَبِيَّة هُنَاكَ خِلاف بَينَ علمَاءِ اللغَةِ، فَهُنَاكَ مَن يَرَى أَنَّهَا مَلكَاتٌ مُكتَسَبَة ولَيْسَت جِبلَّة، وهُنَاكَ مَن يَرَى أَنَّ الإعْرَابَ تَطَوَّرَ وَلَمْ يَأْتِ دُفْعَةً وَاحِدَةً، وَهُنَاكَ مِن العُلَمَاء وَمِنهُم إبراهِيم أَنِيس الذِي يَرَى أَنَّ الإعْرَاب طَارئ عَلَى اللغَةِ العَرَبِيَّة وهُو مِن اِبتِكَار النُّحَّاة، وَحَقِيقَةً هُو أَصِيل فِي اللغةِ العربية ويَشهدُ على ذلك الشِّعر الجَاهِلِي والقرآن الكريم.

[2] ـ أحمدُ سُليمَان ياقُوت، ظاهِرةُ الإعراب فِي النَّحُو العَرِبِي وتَطبيقها فِي القُرآنِ الكَرِيم، دط. بيرُوت: 2003، دَارُ المَعرِفَة الجَامِعِيَّة، ص7ـ8.

لُغَتُهُ مُعرَبَة، وَالإعرَاب لا يَقِلُّ أَهَمِّيَةً عَن عِلمِ التَّفسِيرِ فِي فَهمِ النَّصِّ القُرآنِي، فَبِتَرَاكِيبِهِ وَأَلْفَاظِهِ بِالإعرَابِ نَفهَمُ المَعَانِي المُرَادَة مِن كَلامِ اللهِ عَزَّوَجَل، وهُو وَسِيلَة مِن وَسَائلِ الفَهمِ.

أمَّا بَوَادِر إعرَاب الآيَاتِ القُرآنِيَّة كَبَيَانٍ وَإيضَاحٍ وتَحلِيلهَا لُغَوِيا، فَقَد بَدَأَت مَع كِتَابِ سِيبوَيه(ت180هـ)" إنَّهُ يُعْتبَرُ تَسجِيلا أَمِينًا بِأُسْلُوبِ العَالِمِ الفَذِّ لِمَا كَانَ يَدُورُ في حَلقَاتِ الدَّرْسِ، ومَجَالِسِ العِلْمِ فِي عَصرِ سِيبوَيْه وَقَبْلَهُ وَفِي الدِّرَاسَات النَّحوِيَّة حَولَ القُرآن الكَرِيم فَهُو حَافِل بِآرَاءِ السَّابِقِينَ مِن شُيُوخِهِ وَبَعض العُلمَاءِ وَغَيرِهِم حَوْلَ تَوجِيهِ كَثِيرٍ مِنَ الآيَاتِ القُرآنِيَّة، وَوُجُوهِ إعرابِهَا أَو القِرَاءَاتِ فِيهَا.

كَمَا يُجْعَلُ لَهُ فَضْلٌ أَوسَع عَلَى النَّحوِيّين لِفَتحِهِ لَهُم بَابَ النَّظَر ـ لُغَوِيًا ـ في كتَابِ اللهِ . عزَّوَجَل ـ مِن حَيثُ النَّحو وَالإعرَاب وَالمَعَانِي وَالاِحْتِجَاج، وهِيَ الميَادِين التي تَوَسَّعَ فِيهَا النَّحوِيُّونَ بَعْدَهُ"[1]

فَكِتَابُ(الكتاب) لسِيبوَيه مِن أَعْظَمِ الكُتُبِ النَّحْوِيَّة وَأَفضَلِهَا "إنَّ كِتَابَهُ كَانَ أَوَّل وَضْعٍ شَامِلٍ لِقَوَاعِدِ اللغَة العَربيَّة لَم تُغَيِّر الأَجْيَالُ المُتَأَخِّرَة شَيْئًا مِن أُسُسِهِ وَقَوَاعِدِهِ"[2]، لِهَذَا كَانَ أَهلُ البَصرَةِ يَفْتَخِرُونَ بِهِ" ويُطلِقُونَ عَلَيهِ قُرآن النَّحو، وَسَمَّاه المُبرِّد البَحر، ويُذكَرُ أَنَّ الفَرَّاءَ الذِي كَانَ غَرِيمًا لِسِيبوَيه قَد مَاتَ وَوُجِدَ تَحتَ رَأسِهِ الكِتَاب[3].

وَبَعدَ سِيبَويه والخَلِيل جَاءَ عبد القَاهِر الجُرجَانِي، فَوَجَدَ عَامَّةَ المُحدِّثِين والفُقَهَاء وَأَهل الشَّرِيعَة قد زَهَدُوا في النَّحو لَمَّا وَجَدُوهُ مَمْزُوجًا بِالمَنطِق، وهَذَا خَطَأ كَبِير وذَلِكَ لِأَنَّ" دِقَّةَ النَّظمِ والبَلاغَة والبَرَاعَة وَالبَيَان كَامِنَة فِي مَعَانِي النَّحو، وَمَطوِيَّة فِي التَّركِيبِ اللُّغَوِي"[4].

---

[1] ـ بن النَّديم، الفِهْرست، ت: إبراهيم رمضان، ط2. بيروت: 1997، دار المَعرِفَة، ص55.

[2] ـ عبد الفتَّاح لاشِين، التَّراكِيب النَّحْويَّة من الوِجْهَة البَلاغِيَّة عند عبد القاهر الجُرجَانِي، دط. الرِّياض: 1990، دَار المرِّيخ، ص15.

[3] ـ المرجع السَّابق، بتصرُّف، ص16.

[4] ـ عبد الفتَّاح لاشِين، التَّراكِيبُ النَّحْويَّة من الوِجْهَة البَلاغِيَّة عند عبد القاهر الجُرجَانِي، دط. الرياض: 1990، دار المريخ، ص4.

ثُمَّ ظَهَرَت كُتُبٌ مُتَخَصِّصَة بِإعرَابِ القُرآنِ ومَعَانِي القُرآن، وأنَّ بَيْنَهُما مِنَ الصِّلَةِ مَا يَجْعَلُ بَعضَ كُتُبِ المَعَانِي يَضُمُّ فِي عِنوَانِهِ (إعْرَاب القُرآنِ) مثْلَ كتَاب (رِياضُ الأَلْسِنَة في إعْرَابِ القُرآنِ ومَعَانِيهِ) للأَصبَهَانِي، فَالإعرَاب يُعَدُّ مَعْبَرًا لِفَهْمِ المَعنَى وهَذَا مَا يُؤكِّدُهُ السيوُطِي في قَولِهِ:" ومِن فَوائِدِ هَذَا النَّوع ـ الإعرَاب ـ مَعرِفَةُ المَعنَى، لأَنَّ الإعْرَابَ يُمَيِّزُ المَعَانِي وَيُوقَفُ عَلَى أغرَاضِ المُتَكَلِّمِينَ"[1] لِذَا نَجِدُ أنَّ كُتُبَ المَعَانِي كَانَت تَحمِلُ طَابِعًا لُغَوِيًّا ونَحوِيًّا، وَسَأُحَاوِلُ هُنَا أَن أَعرِضَ بَعْضَ هَذِهِ المُؤلَّفَات:

إعرَابُ القُرآن لِقطرُب أبي علي محمَّد بن المُسْتنِير[2]، إعرَابُ القُرآنِ لأبِي عُبَيْدَةَ مَعمَر بن المُثَنَّى، كَشفُ الظُّنُون الوَاضِحَة في إعرَابِ القُرآنِ لِحَبِيب بن سُلَيمَان المَالكِي القُرطُبِي إعْرَابُ القُرآنِ للسجِسْتَانِي، إعْرَابُ القُرآن للدينُوري..."[3]، وَأَما كُتُب مَعَانِي القُرآن فَنَجِد " مَعَانِي القُرآن للكِسَائِي، مَعَانِي القُرآن للأَخفَش سَعِيد بن مَسعَدَة، مَعَانِي القُرآن للرُّؤاسِي، مَعَانِي القُرآن لِيُونُس بن حَبِيب مَعَانِي القُرآن للمُبرِّد، مَعَانِي القُرآن لِقُطرُب النَّحْوِي، مَعَانِي القُرآن للفرَّاء..."[4].

وَجَاءَ فِي كِتَابِ الإمَام مَكي بن أبِي طَالب القَيسِي فِي كِتَابِهِ(مُشْكَل إعْرَاب القُرآن) يَقُولُ فِي مُقَدمة كِتَابِهِ:" رَأَيتُ مِن أَعظَمِ مَا يَجِبُ عَلَى طَالِبِ علُوم القُرآن، الرَّاغِب فِي تَجوِيدِ أَلفَاظِهِ

[1] ـ جلال الدين السيُوطِي، الإتقان في عُلُوم القرآن، ط3. سوريا: 1991، دار الحلبي، ج1، ص124.

[2] ـ عَاشَ قُطْرُب فِي القَرْنِ الثَّانِي وبِدايَةِ القَرن الثَّالِث وهُو أبُو علي محمَّد بن المُستنير بن أحمد النَّحْوِي البَصرِي، عاصر الدَّولَة العبَّاسِيَّة وَشَهِدَ حُكْمَ سِتَّةً مِن خُلفائِهَا وهم: أبو جعفر المنصُور(136هـ/158هـ) والمَهدي(158هـ/169هـ) و مُوسى الهَادِي(169هـ/170هـ) وهَارُون الرَّشِيد(170هـ/193هـ) ومحمَّد الأَمين(193هـ ـ 198هـ)والمَأمُون(198هـ ـ 218هـ)، وعَاصَرَ قُطْرُب جُمْلَةً مِنَ العُلمَاءِ مِن أَهْلِ اللغَةِ والفِقْهِ والحَدِيثِ مِن الذِينَ بَرَعُوا فِي تَأسِيسِ علُومٍ جَدِيدَةٍ نَجِدُ مِنْهُم فِي مَيدَانِ اللغَةِ العربيَّة: يُونس بن حَبِيب(ت182هـ)، عيسَى بن عمر(ت149هـ)، الخليل بن أَحمد(ت170هـ)، سيبويه (ت180هـ)، النضر بن شُميل(ت203هـ)، مِن مُؤلَّفَاتِهِ: الأَضْدَاد، المُثَلَّثات فِي اللغَةِ، الفرقُ فِي اللغَة، تَوَفَّى(ت118هـ)، كَمَا ظَهَرَ فِي عَصْرِهِ مَا يُعْرفُ بِالتَّفْسِيرِ اللغَوِي مِن كُتُبِ مَعَانِي وغَرِيب ومَجَاز ومُشْكَل القُرْآن، أبوبكر الزُّبيدِي، طبقَات النَّحْوِيّينَ واللُّغَوِيّينَ، تح: محمد أبو الفَضْلِ إبراهيم، ط2. القاهرة: دت، دارُ المَعَارف، ص99، بتَصرُّف.

[3] ـ إبراهيم عبد الله رفيدة، النَّحُو وكُتُب التَّفْسِير، ط3. ليبيا: 1990، دار الكتُب الجَماهِيريَّة، ج1، ص131.

[4] ـ ابن النَّديم، الفِهْرست، ت: إبراهيم رمَضان، ط2. بيروت: 1997، دار المَعْرفَة، ص53.

وَفَهمِ مَعَانِيهِ، ومَعرِفَةُ قِرَاءَاتِهِ وَلُغَاتِهِ، وأَفضَل مَا القَارِئ إليهِ مُحتَاج، مَعرِفَةُ إِعرَابِهِ، والوُقُوف على تَصَرف حَرَكَاتِهِ وسَوَاكِنِهِ، لِيَكُونَ بِذَلِكَ سَالِمًا مِنَ اللَّحنِ فِيهِ، مُستَعِينًا عَلَى إِحكَامِ اللَّفظِ بِهِ، مُطلِعًا عَلَى المَعَانِي التي قَد تَخْتَلِف بِاخْتِلافِ الحَرَكَات، مُتَفَهمًا لِمَا أَرَادَ اللهُ ـ تَبَارَكَ وتَعَالَى ـ بِهِ مِن عِبَادِهِ؛ إِذ بِمَعْرِفَةِ حَقَائِق الإِعرَاب تُعْرَفُ أَكْثَرُ المَعَانِي، وَيَنجَلِي الإِشكَال، وتَظهَرُ الفَوَائِد، ويُفهَمُ الخِطَاب، وتَصِحُّ مَعرِفَةُ حَقِيقَة المُرَادِ"[1].

وَمِمَّا لا يُنكِرُهُ عَالِمٌ مِنَ العُلَمَاءِ أَنَّ عُلُومَ الشَّرِيعَةِ كُلُّهَا بِحَاجَةٍ لِعِلمِ اللغَةِ العَرَبِيَّة؛ وَمِن ذَلِكَ عِلم أُصُول الفِقه الذِي مُعظَمُ أَبْوَابِهِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى عِلمِ الإِعرَابِ، قَالَ الزَّمَخشَرِي فِي خُطبَةِ كِتَابِهِ(المُفَصل):" إِنَّكَ لا تَجِدُ عِلمًا مِنَ العُلُومِ الإِسلامِيَّة؛ فِقْهِهَا، وَكَلامِهَا، وعِلمَي تَفسِيرِهَا وأَخْبَارِهَا؛ إِلَّا وافتقَادُهُ إِلى العَرَبِيَّة بيِّن لا يُدفَع، وَرأَى أَنَّ الكَلام فِي مُعْظَمِ أَبْوَابِ أُصُولِ الفِقْهِ وَمَسَائِلِهَا مَبْنِيًا عَلَى عِلْمِ الإِعْرَابِ"[2].

وَفِي المُقَابِلِ وَمِمَّا ذَكَرنَاهُ سَابِقًا هُنَاكَ بَعض المُستَشرِقِينَ ادَّعوا أَنَّ القُرآنَ نزل أَوَّلَ الأَمْر بِلَهْجَةِ مَكَّة المُكَرَّمَة المُجَرَّدَة مِن الإِعرَابِ، وَذَهَبَ بَعض البَاحِثِينَ إِلَى أَنَّ الإِعْرَابَ لَم يَكُن يُسْتُعْمَلُ إِلَّا فِي لُغَةِ الآدَابِ مُسْتَدِلاً بِمَا يَلِي:

1 ـ إِنَّ جَمِيعَ اللَّهَجَات الحَالِيَّة خَالِية مِنَ الإِعرَابِ.

2 ـ إِنَّ الإِعرَابَ يَتَطَلَّبُ الانتِبَاه الزَّائِد، فَلا يَتَنَاسَب واللَّهَجَات العَامِّية التي تَتَوَخَّى السُّهُولَة واليُسر.

3 ـ إِنَّ الإِعرَابَ بِنِظَامِهِ الدقِيق، لا يَتَوَافَق وبِدَائِية العَرَبِ فِي جَاهِلِيَّتِهِم.

غَيْرَ أَنَّ مُعظَمَ البَاحِثِينَ فِي مَجَالِ اللغَةِ يَرَونَ أَنَّ الإِعرَابَ مُتَأَصِّل فِي اللغَةِ العَرَبِية مُنذُ نَشْأَتِهَا، وَقَد رَدُّوا عَلَى الفَرِيقِ الأَوَّل بِمَا يَلِي[3]:

---

[1] ـ مكِّي بن أَبِي طَالب القَيْسِي، مُشْكل إِعْرَاب القُرآن، تح: يَاسِين محمَّد السوَاس، ط2.دار المَأمُون للتُّرَاثِ، ج1، ص2.

[2] ـ الزَّمَخْشرِي، المفَصَّل فِي علمِ العَربيَّة، دط. القاهرة: دت، مطبعَة حِجَازِي، ص9.

[3] ـ عَامر السَّامرائِي، آرَاءٌ فِي العَرَبيَّة، دط. :دت، ص68، 71. بتَصَرُّف.

1 ـ إِنَّ بَعضَ اللَّهَجَات العَرَبِيَّة الحَاضِرَة مَا زَالَت تَحْتَفِظُ بِبَعْضِ مَظَاهِر الإعرَاب وَخَاصَّةً الإعرَاب بِالحُرُوفِ.

2 ـ إِنَّ التَّطَوّر اللُّغَوِي هُو الذِي أَسقَطَ الإعْرَاب، فَخُلُو اللَّهَجَات الحَالِيَّة مِنهُ لا يَنفِي بِالضَّرُورَةِ وجُوده قَدِيمًا.

3 ـ إِنَّ دِقَّةَ القَوَاعِد وَتَشَعُّبِهَا لا يَسْتَلزِمَانِ بِالضَّرُورَةِ كَونُهَا مُخْتَرَعَة، فَاليُونَانِية واللاتِينِيَّة فِي العُصُور القَدِيمَة، والألمَانِيَّة فِي العَصرِ الحَاضِر تَشْتَمِلُ عَلَى قَوَاعِدٍ لا تَقِلُّ فِي دِقَّتِهَا وتَشَعُّبِهَا عَن قَوَاعِد اللغَةِ العَرَبِية.

4 ـ لَيسَ فِي الرِّوَايَات العَرَبِيَّة أَيَّ إِشَارَة إِلَى أَنَّ النَّحوِيّينَ تَوَاطَؤُا عَلَى وَضَعِ القَوَاعِد.

5 ـ إِنَّ الشِّعرَ العَرَبِي بِأَوْزَانِهِ المُوسِيقِيَّة يَعْتَمِدُ عَلَى الإعرَابِ، وبِدُونِ الإعرَاب تَخْتَلُّ كُلُّ الأَوْزَانِ الشِّعرِيَّة.

6 ـ إِنَّ القُرآنَ الكَرِيم والحَدِيث النَّبَوِي الشَّرِيف، وَصَلا إِلَيْنَا مُعربي الكَلِمَات.

7 ـ إِنَّ الرِّوَايَات الكَثِيرَة عَنِ اللَّحْنِ واللحنِينَ، لا يُمكِنُ أن تَكُونَ مُختلِفَة وَهِي بِهَذِهِ الكَثْرَة.

8 ـ تُعَدُّ لُغَة قُرَيش هِيَ اللغَةُ الجَامِعَة التي أُنزِلَ القُرآنُ عَلَى لِسَانِهَا، وَالقُرآنُ أُنزِلَ عَلَى سَبعَةِ أَحْرُف، وَلُغَةُ قُرَيش لَمْ تَكُن مُعرَبَة لَيْسَ هُنَاكَ دَلِيل، وَالعَرَبُ فِي الجَاهِلِيَّة مِمَّا يَتَمَيَّزُونَ بِهِ اللِّسَان وَالفَصَاحَة.

إِنَّ مِمَّا سَبَقَ ووفقَ الحَيَاة الثَّقَافِيَّة والإِجْتِمَاعِيَّة والإِقْتِصَادِيَّة للعَرَبِ فِي العَصرِ الجَاهِلِي، فَاللِّسَان العَرَبِي كَانَ فَصِيحًا بَلِيغًا بِالفِطرَة، وَقَد تَكَلَّم القُرآن الكَرِيم عَلَى فَصَاحَةِ وَبَلاغَةِ العَرَب فِي العَصرِ الجَاهِلِي، لِهَذَا كَانَت مُعجِزَةُ القُرآنِ بَيَانِيَّة مِن جِنسِ مَا يَتَمَتَّعُونَ بِهِ.

4 ـ الإعرَابُ وعِلمُ التفسِيرِ نَظرَة تَأصِيلِيَّة.

لا يَكَادُ يَخْتَلِفُ جُمهُور المُفَسِّرِينَ فِي عَدِّ الجَانِب اللُّغَوِي جَانِبًا أَسَاسِيًا فِي تَفسِيرِ كِتَابِ اللهِ وبيَانِهِ؛ لأَنَّ مَعرِفَةَ الجَانِب اللُّغَوِي مَصْدَرٌ أَسَاسِي فِي مَعْرِفَةِ كَلامِ اللهِ تَعَالَى؛ لأَنَّ لُغَةَ العَرَبِ مِن أَهَمِّ المَصَادِرِ وَأَوثَقِهَا فِي مَعرِفَتِهِ.

وَلِهَذا مِنَ القَضَايَا المُسلَّم بِهَا لَدَى أَهلِ الاِخْتِصَاصِ فِي الدرَاسَاتِ القُرآنِيَّة واللغَوِيَّة، أَنَّ الدلِيلَ اللُّغَوِي يُعَدُّ الطَّرِيق الأَوَّل إِلَى فَهمِ آيَاتِ القُرآنِ الكَرِيمِ؛ أَي: لا يَقُومُ أَي تَفسِير لِكِتَابِ اللهِ دُونَ المُرُورِ عَلَى الجَانِبِ اللُّغَوِي؛ مِن لُغَةٍ وإعرَابٍ ونَحوٍ وبَلاغَةٍ...

قَالَ العكبري:" إِنَّ أَقوَمَ طَرِيقٍ يُسلَكُ فِي الوُقُوفِ عَلَى مَعْنَى القُرآنِ الكَرِيم، ويُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى تَبْيِينِ أَغرَاضِهِ وَمَغزَاه، مَعرِفَةُ إِعرَابِهِ، وَاشتِقَاقُ مَقَاصِدِهِ مِن أنحَاءِ خِطَابِهِ، والنَّظَرُ فِي وُجُوهِ القُرآنِ المَنقُولَة عَنِ الأَئِمَّةِ الأَثبَاتِ"[1]

لِهَذَا فَإِنَّ عُلُومَ اللغَةِ العَرَبِية مَا وُجِدَت إِلَّا لِفَهمِ القُرآنِ وَتَفسِيرِهِ، وَالوصُولَ إِلَى مَكَامِنِ أَسرَارِهِ وبَيَانِ إِعجَازِهِ، وَأَمَّا التَّفسِير فَمِن وَظَائِفِهِ الكَشف عَن مَدلُولاتِ أَلفَاظ القُرآنِ الإفرَادِيَّة مِنهَا وَالتَّركِيبِيَّة، ولَا يَخلُو هَذَا الكَشف مِن وُجُودِ جُهُود بَلاغِيَّة ونَحوِيَّة ولُغَوِيَّة، نَاهِيكَ عَن عُلُوم القُرآن ومَا تَحوِيهِ مِن أَسرَارٍ مِن خِلَالِ أَسبَابِ النُّزُولِ وعِلمِ القِرَاءَاتِ.

إِنَّ اللغَة العَرَبية ومَا تَشتمِل عَلَيهِ مِن بَيَان للمُفرَدَات وإعرَابٍ للكَلِمَاتِ، وتَصرِيف للمُشْتَقَّات وَمَعَانِي للسِّيَاقَات، مِنَ الأُمُورِ التي يَنبَغِي أَن يَعْتَمِدَ عَلَيْهَا المُفَسِّر لِكتَابِ اللهِ.

إِنَّ القُرآنَ الكَرِيم كَمَا نُقِلَتْ أَلْفَاظُهُ وَمَعَانِيهِ نُقِلَ إِعرَابُهُ وَفِي ذلكَ قَالَ ابن القَيِّم الجَوزِيَّة:" إِنَّ القُرآنَ نُقِلَ إِعْرَابُهُ كَمَا نُقلِت أَلفَاظُهُ ومَعَانِيهِ، لا فَرْقَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، فَأَلفَاظُهُ مُتوَاتِرَة، وإِعْرَابُهُ مُتَوَاتِرٌ... فإِنَّ القُرآن لُغتُهُ، وَنحوه، وتَصرِيفُهُ، ومَعَانِيهِ، كُلُّهَا منقُولَة بِالتَّوَاتُر، لا يحتَاج فِي ذَلِك إِلَى نقل غَيرِهِ، بَل نُقِلَ ذَلِكَ كُلُّهُ بِالتَّوَاتُرِ، أَصَح مِن نَقل كُلِّ لُغَةٍ نَقَلَهَا نَاقِل عَلَى وَجهِ الأَرضِ، وقَوَاعد الإِعْرَاب، والتَّصرِيف الصَّحِيحَة مُسْتَفَادَة مِنهُ، مَأخُوذَة مِن إِعرَابِهِ وتَصرِيفِهِ، وهُو الشَّاهِدُ عَلَى صِحَّةِ غَيرِهَا مِمَّا يُحتَجُّ لَهُ بِهَا، فَهُو الحُجَّةُ لَهَا وَالشَّاهِدُ"[2].

وَهُناكَ عِدَّةُ أَدِلَّة تُبَيِّنُ أَصَالَةَ الإِعرَابِ فِي القُرآنِ الكَرِيم مِنهَا:

---

[1] ـ مُحَمَّد حسن عثمَان، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيم وبَيَان مَعانِيهِ، ط1. القاهرة: 2002، دار الرِّسَالَة، ص8.

[2] ـ ابن قيِّم الجَوزِيَّة، محَمَّد بن أبي بَكْر بن أيُّوب بن سَعْد، الصَّواعِقُ المُرسَلَة، تح: علي بن مُحمَّد الدخِيل الله، ط1. دمشق: 2009، دار العاصمة، ج2، ص474، 746.

هُنَاكَ آيَات مِنَ القُرآنِ الكَرِيم لا يَسْتقِيمُ مَعْناهَا إِلَّا بِالإِعرَابِ، مِنْهَا قوله تَعَالى: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّۖ﴾ [البقرة:123]، وَقَوله ﴿كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌۖ ﴾ [فاطر:28]، وقَوله تَعَالَى ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾ [التوبة:1]

ـ الرَّسمُ العُثمَانِي للقُرآنِ الكَرِيمِ يُعَدُّ دَلالَة قَطعِيَّة عَلَى أَصَالَةِ الإِعرَاب فِي القُرآنِ، فَالرَّسم العُثمَانِي تَوْقِيفِي، قَالَ البَاحِث عَبْد الوَكِيل الرَّعِيض:" إِنَّ القُرآن الكَرِيم بِأَلفَاظِهِ المُتَوَاتِرَة وَرَسْمِهِ المُتَّبَع، يَدُلُّ دَلالَة قَاطِعَة عَلَى أَصَالَةِ الإِعرَاب فِي العَرَبِيَّة وَأَنَّ النَّحَّاةَ استَنبَطُوا قَوَاعِدَ الإِعْرَابِ مِن كَلامِ العَرَب وَفِي أَعْلَى مَرَاتِبِهِ: كَلامُ اللهِ المُنزَّل بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، لأَنَّ التَّطَابُق وَاضِحٌ بَيْنَ هَذِهِ القَوَاعِد وبَيْنَ إِعْرَاب القُرآنِ المَنقُول بِالتَّوَاتُر عَن طَرِيقِ الرِّوَايَة المُتَسَلسِلَة والتلَقِي الشَّفَوِي المُعرَب دُونَ خِلاف"[1]، فَالرَّسمُ القُرآنِي يَتَمَيَّز بِصِفَاتٍ خَاصَّة يُخَالِف فِيهَا الرَّسْم القِيَاسِي أَحْيَانًا، وَدَلالةُ الرَّسْم القُرآنِي فِي مَيدَانِ النَّحو والإِعرَاب جَلِيَّة فِي كِتَابِ اللهِ.

ـ تَوَاتُرُ نطق القُرآن بِأَلفَاظِهِ وَعَلَى هَيئَتِهَا كَمَا وَرَدَ، فَالقِرَاءَات القُرآنِيَّة كُلُّهَا تَوْقِيفِيَّة، فَتَوَاتُرُ إِعْرَابِ القُرآن الكَرِيم مِن بَابِ أَولَى.

ـ الإِعرَابُ كَان مُتَأَصِّلاً فِي اللغَةِ العَرَبِيَّة وَهَذَا فِطرَة فِي لُغَتِهِم، فَلُغَةُ القُرآنِ الكَرِيم لُغَةٌ مُعرَبَة جِبِلِيًّا وَفِطْرَةً إِلَى أَن ظَهَرَ اللَّحَن، وَفَشَا بَينَ النَّاسِ، فانتَشَرَ فِي الحَاضِرَةِ والبَادِيَةِ.

ـ المُفَسِّر لِكِتَابِ اللهِ عزَّوجَلَّ لا بُدَّ أَن يَكُونَ عَالِمًا بِاللُّغَةِ والنَّحو والإِعرَاب، قَالَ أَبُو حَيَّان:" فَجِدِير لِمَن تَاقَت إِلَى عِلمِ التَّفسِير، وَتَرقت إِلى التَّحْقِيقِ فِيهِ وَالتَّحرِير، أَن يَعْتَكِفَ عَلَى كِتَابِ سِيبَوَيه"[2].

وَهَذَا لأَنَّ كِتَاب سِيبَوَيه فِيهِ عِلم الإِعرَاب الذِي بِهِ تُفهَم آيَاتُ الكِتَابِ الحَكِيمِ.

إِنَّ القَارِئَ والدَّارِس لِكُتُبِ إِعْرَابِ القُرآنِ الكَرِيم، وكُتُب التَّفْسِير، يَجِدُ اِخْتِلافًا بَينَ العُلمَاء فِي إِعْرَابِهِم للقُرآنِ الكَرِيم، ويَعُودُ ذَلكَ لأسْبَابٍ مِن بَينِهَا:

[1] ـ عبدُ الوكِيل الرعيض، ظاهرة الإعرَاب فِي اللغَةِ العربيَّة، ط2. طرابلس: 2009، جمعيَّةُ الدعوَة، ص 684.

[2] ـ أَبُو حيَّان، محمَّد بن يوسف، البَحرُ المُحِيط، ط1. بيروت: 1413هـ/1993م، دارُ الكُتُب العلميَّة، ج1، ص3.

1 ـ أُسلُوبُ القُرآنِ مُعجِز، لا يَسْتَطِيعُ أَحَد أَن يُحِيطَ بِكُلِّ مَرَامِيهِ وَمَقَاصِدِهِ؛ فَاحتَمَلَ كَثِيرًا مِن المَعَانِي، وَكِثِيرًا مِنَ الوُجُوهِ.

2 ـ يَحْتَفِظُ النَّحوِيُّونَ لأنفُسِهِم بِحُرِّيةِ الرَّأيِ وانطَلاقِ الفِكرِ، فَلا يَعرِفُون الحَجرَ عَلَى الآرَاءِ، ولاَ تَقدِيسَ رَأيِ الفَردِ مَهمَا عَلَتْ مَنزِلَتُهُ"[1].

وَمِن العلاقَاتِ المُؤثِّرَة فِي تَوجِيهِ التَّفْسِير القُرآنِي دِرَاسَةُ إعرَاب القِرَاءَاتِ القُرآنِيَّة، فَالقِرَاءَات القُرآنِيَّة فِي تَنَوّعِ إعرَابِهَا لَهَا الأَثَرُ البَالِغ فِي تَوجِيهِ الآيَاتِ وَتَفسِيرِهَا، فَفِي بَعضِ الآيَاتِ لا يُوصَلُ إِلَى المَعنَى القُرآنِي إلا مِن خِلالِ الإعرَابِ، قَالَ مَكِّي بن أَبِي طَالب القَيسِي" وَرَأَيْتُ مِن أَعظَمِ مَا يَجِبُ عَلَى الطَّالِبِ لِعُلُومِ القُرآن، الرَّاغِبِ فِي تَجوِيدِ أَلفَاظِهِ وَفَهمِ مَعَانِيهِ، وَمَعرِفَةُ قِرَاءَاتِهِ وَلُغَاتِهِ، وَأَفْضَل مَا القَارِئ مُحتَاجٌ إِلَيْهِ مَعْرِفَةُ إعرَابِهِ، وَالوُقُوف عَلَى تَصَرُّفِ حَرَكَاتِهِ، وَسَوَاكِنِه، لِيَكُونَ بِذَلِكَ سَالِمًا مِن اللَّحْنِ فِيهِ، مُسْتَعِينًا عَلَى أَحْكَامِ اللَّفْظِ بِهِ، مُطَّلِعًا عَلَى المَعَانِي التي تَخْتَلِفُ بِاخْتِلافِ الحَرَكَات مُتَفَهِّمًا لِمَا أَرَادَ اللهُ بِهِ مِن عِبَادِهِ، إذ بِمَعرِفَةِ حَقَائِق الإعْرَاب تُعْرَفُ أَكثَرُ المَعَانِي وَيَنجَلِي الإشكَال فَتَظْهَر الفَوَائِد، وَيُفْهَمُ الخِطَاب، وَتَصِحُّ مَعْرِفَةُ حقِيقَة المُرَاد"[2]، فَالتَّفْسِير والإعْرَاب مُتَلازِمَانِ مُتَكَامِلانِ فَكُلُّ وَاحِد مِنْهُمَا يُكَمِّلُ الآخَر، فَالإعْرَاب ضَرُرِوي لِمُفَسِّر القُرآن الكَرِيم ولا يُمْكِنُ التَّفسِير دُونَ العِلم بِهِ، وَمِن الأَمْثِلَةِ عَلَى ذَلِكَ فِي علاقَةِ القِرَاءَاتِ بِالإعْرَابِ:

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿مَلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفَاتِحَة:3]

فِي قِرَاءَةِ كَلِمَةِ ﴿مَلِكِ﴾[3] قُرِأَتْ بِقِرَاءَاتٍ مُختلِفَة مِمَّا يَتَرَتَّبُ عَلَى ذَلِكَ تَفَاسِيرٌ وَدَلالَات وَتَوْجِيهَات مُخْتَلِفَة تَبَعًا لِشَكْلِ القِرَاءَةِ، فَقد قُرِأَت بِالرَّفعِ والنَّصبِ وَالجَرِّ ﴿مَالكُ﴾ ﴿مَلَكَ﴾ ﴿مَلِكِ﴾، وَفِي دَلالَتِهَا فَهِي بَينَ العُمُومِ والخُصُوص، قَالَ محيي الدين الدرويش:" وَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ

[1] ـ محمد عبد الخَالق عَظِيمَة، دراسَات لأسلُوب القُرآن الكَرِيم، دط. دت، القاهرة، دار الحدي، ج1، ص13.

[2] ـ مكِّي بن أبِي طَالب القيسي، مُشْكل إعْرَاب القُرآنِ الكَرِيم، تح: حاتم صَالح ضامن، ط3. بيروت: 1405هـ، مؤسسة الرسالة، ج1، ص63.

[3] . ﴿مَالك﴾ قرأهَا عاصِم والكسَائِي ويعقُوب وخَلَف عن نفسِهِ بالألفِ والباقُون دُونَ ألفٍ.

دَقِيق وَهُو أَنَّ المَالِك هُو ذُو المُلْكِ بِكَسْرِ المِيمِ، والمَلكِ: ذُو المُلكِ بِضَمِّهَا. قَالَ أَهلُ النَّحو: إنَّ مَلِكًا أَمدَح مِن مَالِكٍ، وَذَلِكَ أَنَّ المَالِكَ قَد يَكُون غَير مَلِكٍ، ولا يَكُون المَلِك إلا مَالكًا، وجَمعُ المَلِكِ أَملاك وَمُلُوك، وَجَمعُ المَالِك ملاك وَمَالِكُون"[1].

5 ـ الفَرقُ بَيْنَ تَفْسِير الإِعْرَاب وَتَفْسِير المَعْنَى.

لَقَد تَعَدَّدَتِ أَسَالِيب التَّفسِير القُرآنِي، وَمِن بَينِ الأَسَالِيبِ الأُولَى لِتَفسِيرِ القُرآن مَا يُسَمَّى بِتَفْسِيرِ إِعْرَابٍ وَتَفسِيرُ مَعنَى، وَهَذَان الأُسْلُوبَانِ فِي التَّفْسِيرِ يَختَلِفَانِ عَن بَعضِهِمَا البَعض، قَالَ الحَافِظ السُّيُوطِي فِي الإتقَان:" قَد يَقَعُ فِي كَلامِهِم ـ أَي المُفَسِّرِين ـ هَذَا تَفْسِيرُ مَعنَى وَهَذَا تَفْسِيرُ إعرَاب وَالفَرْق بَينَهُمَا: أَنَّ تَفْسِيرَ الإعرَاب لا بُدَّ فِيهِ مِن مُلاحَظَة الصِّنَاعَة النَّحوِيَّة، وتَفْسِيرُ المَعْنَى لا تَضُرُّهُ مُخَالَفَةُ ذَلِكَ، فَالتَّفْسِير فِي بِدَايَةِ نَشأَتِهِ كَانَ تَفسِيرَ مَعنَى وَلَم يَكُن تَفسِيرَ إعرَاب. وَالإِعْرَاب فِي تِلكَ المَرحَلَة كَانَ فِطرَةً وَسَلِيقَة فِي لِسَانِ العَرَبِ.

وَلِهَذَا نَجِدُ أَنَّ ابن جِنّي فِي كِتَابِهِ الخَصَائِص وَضَعَ بَابًا بِعنوَان:" بَينَ تَقدِير الإعرَاب وَتَفسِير المَعنَى فَقَالَ:" فَإِذَا مرَّ بِكَ شَيء مِن هَذَا عَن أَصحَابِنَا، فَاحفظ نَفسَكَ مِنهُ وَلا تَسْتَرْسِل إليهِ، فَإِن أَمْكَنَكَ أَن يَكُونَ تَقدِير الإعرَاب علَى سَمْتِ تَفسِيرِ المَعنَى فَهُو مَا لا غَايَةَ وَرَاءَهُ، وَإِن كَانَ تَقْدِيرُ الإعرَابِ مُخَالِفًا لِتَفسِيرِ المَعنَى، تَقَبلتَ تَفسِير المَعنَى عَلَى مَا هُو عَلَيهِ، وَصَحَّحتَ تَقدِير الإعرَاب، حَتَّى لا يَشُذَّ مِنهَا عَلَيكَ، وَإِيَّاكَ أَن تَسترَسِلَ فَتُفْسِد مَا تُؤْثِرُ إِصلاحَهُ.

وفِي علاقَةِ الإِعْرَاب بِالمَعنَى القُرآنِي فَعُلَمَاءُ التَّفْسِير مِن أَهلِ الإعرَابِ يُقَدِّمُونَ تَفسِير المَعْنَى عَلَى تَفْسِيرِ الإعرَابِ، يَرَى بن يَعِيش فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَآنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُومِنُونَ﴾ فَهُو يُقِرُّ بإمْكَان إعرَاب الفِعْلَينِ الوَارِدَينِ فِي الآيَة الكَرِيمَة خَبَرًا عَنِ المُبتدإ ﴿سَوَآءٌ﴾ تَأَسِّيًا عَلَى تَمَامِ الكَلامِ بِهِمَا، إلا إِنَّهُ يُسَمِّ هَذَا الإعرَاب بِاللَّفظِي وَيُقدّم عَلَيهِ الإعرَاب المَعْنَوِي الذِي يَقضِي بِأَن يَؤُولَ الفِعْلانِ السَّابِقَانِ بِمَصدرِ هُو(الإِنذَار) لِيَصِيرَ المُبْتَدأُ

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكَرِيم وبيَانُهُ، ط12. دمشق: 2014، دار ابن كثير، ج1، ص30.

الحَقِيقِي، وَخَبَرُهُ ﴿سَوَآءٌ﴾، وهذا العُدُول عَنِ الإعرَابِ اللفظِي إِلَى المَعنوِي مُطَابقَة تَامَّة بَينَ صِنَاعَةِ الإعرَابِ وَالمَعْنَى"[1].

6 ـ الإعْرَابُ وَالمَعْنَى وتَّوجِيه المَعْنَى القُرآنِي.

لَقَد كَانَ الاِهْتِمَام بِالمَعنَى[2] قَدِيم قِدَمَ تَفْكِيرِ الإِنسَان، وَلَقَد ظَهَرَت نَظرِيَّات لِلمَعنَى مِن زَمَنِ أَفْلاطُون إِلَى يَومِنَا هَذَا، وَالمَجَال اللُّغَوِي كَانَ مِن ضِمنِ المَجَالات والعُلُوم التي اِهْتَمَّت بِالمَعْنَى ومِنَ بَينِ القَضَايَا التي شَغَلَت عُلَمَاءَ اللغَةِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا تِلكَ العلاقَة التي تَربِطُ بَيْنَ الإِعْرَابِ وَالمَعنَى، هَل لِلإعرَابِ أَثَرٌ فِي المَعنَى أَم لا؟

---

[1] ـ بن يعيش، يَعِيش بن عَلي بن يَعِيش مُوفَّق الدِّين، شَرحُ المُفصَّل،ط1. مصر: دت، إدَارة الطبَاعَة المُنِيرَة، ج1، ص186.

[2] ـ لَقَدْ دَرَسَ عُلَمَاء الشَّرِيعَة المَعنَى وَمِن بَيْنِهِم الطَّاهر ابن عَاشُور الذِي يَرَى أَنَّ المَعَانِي فِي الشَّرِيعَةِ ثَلاثَةُ أَنوَاعٍ: 1 ـ **المَعَانِي الحَقِيقِيَّة:** وهِيَ أمُور مَوجُودَة فِي نَفْسِ الأَمر والوَاقِع تُدرِكُهَا العُقُول وتُطَبقهَا عَلَى الخَارِج فتجدهَا مُطَابِقَة للوَاقِع، فَهِي الشَّيْء الذِي يُوجَد فِي الخَارِج ونَفس الأَمْر لا يَشُوبهَا شَيءٌ مِن الشَّكِّ أو التَّوهُّم، **2 ـ المَعَانِي الإِعْتِبَارِيَّة:** وهِي المَعَانِي التي بِهَا تَعَلُّقٌ بالحَقَائِق، فَالذِّهن مُعْتَبر لَهَا ولَكِن وجُودهَا تابعٌ لِوُجُودِ الحَقِيقَة أوْ الحَقِيقِيِّينَ، أي وجُودهَا أَضعَف مِن وُجُودِ الحَقَائِق، **3 ـ المَعَانِي الوَهْمِيَّة و المُتَخَيَّلَة:** وَهِي المَعَانِي التي اِخْتَرَعَهَا الوَهم مِن نَفسِهِ دُونَ أَن تَصِلَ إِلَيهِ مِن شَيءٍ مُتَحَقَّقٌ فِي الخَارِج، كَإِدْرَاكِ كَثِير مِن الأَحْيَاءِ أَنَّ فِي المَيِّتِ مَعنَى يُوجِبُ النُّفُور عَنْهُ والخَوف عِندَ القُربِ مِنهُ، فَالذِّهن فِيهِ يَخْتَرِعُ المَعْنَى الوَهْمِي ثُمَّ يُدرِكُهُ، أَوْ تَخْتَرعهَا قُوَّة الخَيَال بِمَعُونَةِ الوَهْم، بِأَنْ يَرْكبهَا مِن عِدَّةِ مَعَانِي مَحْسُوسَة مَحْفُوظَة فِي حَافِظَةِ الذِّهْن، وقَد تَكَلَّمَ ابن عَاشُور عن المَعَانِي مِن منظُور الشَّرِيعَة وذلكَ فِي حَدِيثِهِ عَن المَقَاصِد، فالمَعْنَى لَهُ علاقة بِاللَّفْظِ والذِّهْن وبِالوَسطِ الخَارِجِي. الطَّاهر ابن عاشور، أُصُول النِّظَام الاجتِمَاعي فِي الإِسْلام، دط. الدار العربية للكتاب، ص28. بِتَصَرُّف.

أَمَّا المَعْنَى عِندَ عُلمَاء الغَرْب، فَقَد عَرَّفهُ دي سُوسِير بِأَنَّهُ:" اِرْتِبَاطٌ مُتَبَادَل أَو علاقَة مُتبَادلة بَيْنَ الكَلِمَة (أَو الاِسم) وهُو الصُورَة السَّمعِيَّة وبَيْنَ الفِكرة"، محمُود السَّعرَان، علمُ اللغَة مُقدِّمة للقارئِ العربي، دط. دت: بيروت، دار النَّهضَة العربية، ص303. وأَمَّا فِيرث فِيرَى أَنَّ المَعْنَى اللغَوِي هُو مَجمُوعَة مِنَ الخَصَائِصِ والمِيزَات اللغَوِيَّة لِلْحدَثِ المَدْرُوس وَهَذِه الخَصَائِص لا تُدرَسُ دُفْعةً وَاحِدةً بَل لا بُدَّ مِن تناولِهَا علَى مَرَاحِلَ أَو مُسْتويَاتٍ مُخْتلفَة". فَريد عوض حَيدر، علم الدلالة دِرَاسَة نَظرِيَّة تطْبيقيَّة، ط1. القاهرة: 2005، مكتبةُ الآداب، ص17.

فَهُنَاكَ مَن يَرَى أَنَّ الإعرَابَ لَهُ أَثَرٌ فِي المَعنَى وَمُتَأَصِّل فِيهِ وَمِن هَؤُلاءِ العُلَمَاءِ نَجِدُ: ابن جِنِّي[1]، ابن فَارس[2]، وَمِنَ المُعَاصِرِين الكَثِيرَ مِنهم: إبراهيم مُصطفى[3]...

وهُنَاكَ مِنَ العُلَمَاءِ مَن يَرَى أَنَّهُ لا تُوجَد علاقَة بَينَ الإعْرَابِ وَالمَعنَى، وَمِن هَؤُلاءِ العُلَمَاءِ نَجِدُ: قُطرُب (مُحمَّد بن المُسْتَنير)، وإبرَاهيمُ أنِيس[4]...

قَالَ قُطرُب فِي رَدِّهِ لِلقَائلِينَ بِدُخُولِ الإعْرَابِ للدلالةِ عَلَى المَعَانِي" لَم يُعرَب الكَلام للدلالَةِ عَلَى المَعَانِي، والفَرق بَينَ بَعضِهَا البَعض، لأَنَّنَا نَجِدُ فِي كَلامِهِم أسمَاء مُتَّفقَةٌ فِي الإعرَابِ، مُختلِفَة فِي المَعَانِي، وأسْمَاء مُخْتلِفَةُ الإعْرَاب مُتَّفقَةُ المَعَانِي، فمِن ما اتَّفَقَ إعرَابُهُ وَاخْتُلِفَ مَعْنَاهُ قَولُكَ: إِنَّ زَيْدًا أَخُوكَ، وَلَعَلَّ زَيْدًا أَخُوكَ، وكَأَنَّ زَيدًا أَخُوكَ، اِتَّفَقَ إعْرابُهُ، واخْتلِفَ مَعْنَاهُ، وَمِمَّا اخْتُلِف إعْرابُهُ واتُّفِقَ مَعْناهُ قَوْلك: مَا زَيدٌ قَائِمًا، وَمَا زَيدٌ بقَائِمٍ، اخْتُلِفَ إعْرابُهُ، واتُّفِقَ مَعْنَاهُ"[5].

فَالإعرَابُ وَسِيلَة مِنَ الوَسَائِل التي يَكُونُ بِهَا كَشفُ المَعْنَى وإيضَاحه، فَلا إعْرَابَ إلَّا بَعْدَ فَهمِ المَعْنَى، فَالمَعْنَى هُو الأَصل الأَسَاسِي.

---

[1] ـ ابن جني هو عثمان بن جني، قال المازني" أبو الفتح عثمان بن جني الأزدي" ولد بالموصل ولد سنة 321هـ وتوفى سنة392هـ، أخذ النحو عن أحمد بن محمد الموصلي الشافعي المعروف بالأخفش، من مؤلفاته: الخصائص، التمام، سر الصناعة، تعاقب العربية، شرح المقصور والممدود لابن السكيت...

[2] ـ المَعْنَى هُو" القَصْد الذِي يَبْرُزْ ويَظْهَر فِي الشَّيءِ إذَا بُحِثَ عَنْهُ"، وَقَدْ ذَكَر ابن فَارس عن ابن السكِّيت "فَإنْ كَانَ هَذَا فَإن المُرَاد بِالمَعْنَى الشَّيء الذِي يُفِيدُهُ اللفْظ"، ابن فارس، الصَّاحِبِي، ص312 ـ 313.

[3] ـ إبراهيمُ مُصطفَى، مِن العُلمَاءِ المُهْتَمِّينَ بِالنَّحو العَرَبِي وَعَمِلَ عَلَى تَيْسِيرِهِ وَهُو مِن دُعَاتِهِ، مِن مُؤلَّفَاتِهِ: إحْيَاء النَّحو

[4] ـ إبراهيمُ أَنيس وُلِدَ بِالقَاهِرَة سنة 1906م، تَحَصَّلَ عَلَى دكتُوراه فِي الفلسفَةِ فِي الدراسَات اللغوِيَّة والسَّامِية سَنَة1941م، مِن تلامذتِهِ عبد الله درويش، عبد العزيز مطر، وتمَام حسَّان، وكان عُضوًا فِي المَجْمَع سَنَة 1961م، وَمِن مُؤلَّفَاتِهِ: دلالَة الألفَاظ، مُحَاضرات عَن مستقبل اللغَة العَربيَّة، اللغَة بيْنَ القَوْمِيَّة والعَالمِيَّة، جُهُودُ عُلَمَاء العَرَب فِي الدراسَة الصَّوتِيَّة...

[5] . سِيبَويه، الكتَاب، تح: عبد السَّلام محمَّد هَارون ، دط. القَاهِرة: 1966، دَارُ القلم والهَيْئَة المِصْريَّة العامَّة للكتاب، ص87.

قَالَ أَحمَد ابن فَارِس فِي كِتَابِهِ الصَّاحِبِي:" وَالإِعرَابُ بِهَذِهِ الوَظِيفَة أَغنَى اللغَة العَرَبِية عَن أَن تَجعَلَ تَرْكِيبَهَا ذَا حُدُودٍ صَارِمَةٍ مُقَيَّدَةٍ لاَ يُمكِنُ تَجَاوُزَهَا وَالخُرُوج عَلَى أَعْرَافِهَا"[1].

والنَّحوِي الحَقِيقِي هُو الذِي يُرَاعِي بَينَ الإِعْرَابِ وَالمَعنَى قَالَ مَازن مُبَارك:" ولا شَكَّ أَنَّ النَّحوِي الذِي يُخرِجُ وَجهًا مِن وُجُوهِ الإِعرَابِ غَيرَ مُرَاعٍ إِصَابَةَ المَعنَى المَقصُود، هُو نَحوِي لَم نَفهَم صَنعَتَهُ، ولَم يَتَمَثّل الغَايَة مِن عِلمِهِ"[2]، وعَلَى هَذَا المِنوَال يَرَى ابن جِنِّي أَنَّ هُنَاكَ تَجَاذبٌ بينَ الإعرابِ والمَعْنى حيثُ قَالَ" أَنَّكَ تَجِدُ فِي كثِيرٍ من المنثُور والمنظُوم الإِعرَاب والمَعْنَى مُتَجَاذِبَينِ: هَذَا يدعُوكَ إلى أمرٍ، وهَذَا يَمنعُكَ مِنهُ، فمتَى اعتوَرا كلامًا ما، أمسَكتَ بعروةِ المعنَى، وارتحتَ لتُصحِّح الإعرَاب"[3].

إِنَّ جَدَلِيَّةَ اللَّفظِ والمَعْنَى فِي الخِطَابِ القُرآنِي تَتَحَكَّم فِيهَا أُمُور خَارِجَة عَنِ الخِطَابِ القُرآنِي، كَأَسْبَابِ النُّزُولِ وَالنَّاسِخ والمَنسُوخ وَغَيرهَا، والذِي هُو نَصٌّ مُتَكَامِل، فَاللَّفظ والمَعنَى مُوصِلانِ إِلَى التَّفسِيرِ، مُحَدِّدَانِ للمَعنى بِصُورَة مُتكَامِلَة.

وَالإِعْرَابُ بِهِ تُفْتَحُ المَعَانِي المُغْلَقَة، وَتَتَحَدَّدُ دَلالَةُ الأَلفَاظ وَمعَانِيهَا إِفرَادًا وَتَركِيبًا، قَالَ عبد القاهر الجُرجَانِي:" قَد عُلِمَ أَنَّ الألفَاظ مُغلَقَة عَلَى مَعَانِيهَا، حَتَّى يَكُونَ الإِعرَابُ هُو الذِي يَفْتَحُهَا، وَأَنَّ الأَغْرَاض كَامِنَة فِيهَا، حَتَّى يَكُونَ الإِعرَاب هُو المُستَخرِج لَهَا، وَأَنَّهُ المِعيَار الذِي لا يَتَبَيَّن نُقْصَان كَلامِهِ وَرُجْحَانِهِ حَتَّى يُعْرَضَ عَلَيهِ، والمِقيَاس الذِي لا يعرف صَحِيح مِن سَقِيم حَتَّى يُرجَعَ إِليهِ ولا يُنكِر ذَلِكَ إِلا مَن ينكر حِسّهُ وَإِلا مَن غَالَط فِي الحَقَائِقِ نفسَهُ..."[4]، وَالإِعْرَاب القُرآنِي وَالمَعنَى تَربِطُهُمَا مَجْمُوعَة مِنَ العَنَاصِر وَالقَوَاعِد التي يَجِبُ تَوَفرهَا:

---

[1] ـ مَجَلَّةُ الفَيْصَل: مَجَلَّة ثَقَافِيَّة شَهْرِيَّة، السَّعُودِيَّة، العَدَد7، ص37.

[2] ـ مَازن المُبارك، النَّحُو العَرَبِي العِلَّة النَّحويَّة: نشأتهَا وتَطَورهَا، ط1.القاهرة: 1965، المكتبة الحديثة، ج7، ص160.

[3] . ابن جنِّي، أبو الفتح عثمان بن جنِّي، الخصَائص، تح: محمد علي النَّجار، دط. القاهرة: دت، دار الكتب المصريَّة، ج3، ص256.

[4] ـ أحمد سليمَان ياقُوت، ظَاهرةُ الإعرابِ فِي النَّحو العَرَبِي وتَطبيقهَا في القُرآنِ الكريم، دط. :2003، دارُ المَعرِفَة الجامعيَّة، ص7.

6 ـ 1 ـ فَهْمُ الجُملَة المُرَكَّبَة المُرَاد إعرابُهَا إفرَادًا وَتَرْكِيبًا.

إِنَّ فَهمَ المَعنَى للجُملَةِ المُرَكَّبَةِ بِمُفْرَدَاتِهَا وتَرَاكِيبِهَا بِالنِّسْبَة للمُعرِب أَمْر ضَرُورِي وَوَاجِب، فَلا يُمْكِن الإِعْرَاب دُونَ فَهْمِ المَعنَى لِلأَلْفَاظِ والتَرَاكِيبِ، فَالنُّحَاةُ مِن قَوَاعِدِهِم "الإِعرَابُ فَرعُ المَعنَى"، وَالأَدِلَّة فِي هَذَا البَاب كَثِيرَة فِي القُرآنِ الكَرِيم وَكُتُبُ النَّحو، وَمِن ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ ابن هِشَام الأنصَارِي:" وَهَا أَنَا مُورِدٌ بِعَونِ اللهِ أَمْثِلَة مَتَى بُنِي فِيهَا عَلى ظَاهِرِ اللَّفْظِ وَلَم يُنظَر فِي مُوجب المَعْنَى حَصُلَ الفَسَاد، وَبَعْض الأَمْثِلَة وَقَعَ لِلْمُعرِبِينَ فِيهِ وَهم بِهَذَا السَّبَب، وَسَتَرَى ذَلِكَ مُعِينًا"[1]، وَقَد ذَكَرَ ابن هِشَام الأنصَارِي جُمْلَةً مِن الأَمْثِلَة فِي البَاب أَحَدُهَا:" يَقُولُ تَعَالَى ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَامُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوَ اَن نَّفْعَلَ فِےٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُۖ﴾ [هود:87]، فَإِنَّهُ يَتَبَادَر إِلَى الذِّهن عَطف ﴿اَن نَّفْعَلَ﴾ عَلَى ﴿أَن نَّتْرُكَ﴾ وَذَلِكَ بَاطِل؛ لأَنَّهُ لَم يَأْمُرهُم أَنْ يَفْعَلُوا فِي أَمْوَالِهِم مَا يَشَاؤُونَ، إِنَّمَا عُطِفَ عَلَى(مَا) فَهُو مَعْمُولٌ للتَّرْكِ، والمَعْنَى أَنْ نَترُكَ أَنْ نَفْعَلَ، نَعَم مَنْ قَرَأَ ﴿تَفْعَلَ﴾ **و** ﴿تَشَاء﴾ ـ بِالتَّاءِ لا بِالنُّونِ ـ فَالعَطْف عَلَى ﴿أَنْ نَتْرُكَ﴾، وَمُوجِب الوَهم المَذكُور أَنَّ المُعرِب يَرَى أن والفِعل مَرَّتَينِ، وَبَيْنَهُمَا حَرفُ العَطفِ"[2].

6 ـ 2 ـ صِحَّةُ المَعنَى أَولَى مِن صِحَّةِ الإِعرَاب.

وَهَذِهِ القَاعِدَة كَثِيرًا مَا نَجِدُهَا عِندَ النُّحَاةِ والمُفَسِّرِينَ، فَقَد عَقَد ابن جِنِّي فِي كِتَابِهِ الخَصَائِص بَابًا سَمَّاهُ **(بَيْنَ تَقْدِيرِ الإِعرَاب وَتَفْسِيرِ المَعْنَى)** وَفِي ذَلِكَ قَالَ:" فَإِذَا مَرَّ بِكَ شَيءٌ مِن هَذَا عَن أَصحَابِنَا، فَاحفَظ نَفسَكَ مِنهُ وَلا تَسْتَرسِل إِلَيهِ، فَإِذَا أَمكَنَكَ أَن يَكُونَ تَقدِيرُ الإِعْرَاب عَلَى سَمْت تَفْسِير المَعنَى، فَهُو مَا لا غَايَةَ وَرَاءَهُ وَإِن كَانَ تَقدِيرُ الإِعْرَابِ مُخَالِفًا لِتَفسِيرِ المَعْنَى، تَقَبَّلتَ تَفْسِير المَعْنَى عَلَى مَا هُو عَلَيهِ، وَصَحَّحتَ طَرِيق تَقدِير الإِعرَاب حَتَّى لا يَشُذ شَيءٌ

[1] ـ ابن هِشَام، جَمَال الدِّين ابن هِشَام الأنصَارِي، مُغْنِي اللّبِيب عَن كُتُبِ الأَعَارِيب، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دط. القاهرة: دت، مطبعة المدني نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ص498.

[2] ـ ابن هِشَام، جَمَال الدِّين ابن هِشَام الأنصَارِي، مُغْنِي اللّبِيب عَن كُتُبِ الأَعَارِيب، ص498.

مِنهَا عَلَيك، وإِيَّاكَ أَن تَسترسِلَ، فَتُفْسِدَ مَا تُؤثِر إِصلاحَهُ"[1]، فَالمَعنَى اللفظِي يُسَاعِدُ عَلَى تَحدِيدِ المَعنَى الإِعرَابِي.

6 ـ 3 ـ مُوَافَقَةُ الإِعْرَابِ لِمَعْهُودِ كَلامِ العَرَب وَسُنَنِ قَوَاعِد خِطَابِهِم وأَسَالِيبِهم.

إِنَّ مُتَابَعَةَ المَعهُود عَلَى لِسَانِ العَرَبِ مُقَدم عَلَى الأَعَمِّ الغَالِب الذِي لَيس لَهُ حُجَّة وَبُرهَان، فَالقُرآن نَزَلَ بِلُغَةِ العَرَب وَبِأَسَالِيبَ رَاقِيَةٍ فَاقَت أَسَالِيبَهُم، وَلَكِن غَير خَارِجَة عَلَى نِظَامِ لُغَتِهِم، قَالَ ابنُ القَيِّم الجَوزِيَّة:" لِلقُرآن عُرف خَاص وَمَعَانٍ مَعهَودَة لا يناسِبُهُ تَفْسِيرُهُ بِغَيرِهَا، وَلا يَجُوزُ تَفسِيرُهُ بِغَيرِ عُرفِهِ وَالمَعْهُود مِن مَعَانِيهِ، فَإِنَّ نِسبَةَ مَعَانِيهِ إِلَى المَعَانِي كَنِسبَةِ أَلفَاظِهِ إِلَى الأَلفَاظِ، بَل أَعْظَم، فَكَمَا أَنَّ أَلفَاظَهُ مُلُوكُ الألفَاظِ وأَجَلّهَا وأفصَحِهَا، وَلَهَا مِنَ الفَصَاحَةِ أَعْلَى مَرَاتبهَا التي تعجزُ عَنهَا قدرة العَالَمِينَ، فَكَذِلكَ مَعَانِيهِ أَجَلّ المَعَانِي وَأَعظمها وأَفخمهَا، فَلا يَجُوز تَفسِيرُهُ بِغَيرِهَا مِنَ المَعَانِي التي لا تَلِيقُ بِهِ، بَل غَيرهَا أَعظَم مِنْهَا وَأَجَل وأَفخَم، فَلا يَجُوزُ حَمْلُهُ عَلَى المَعَانِي القَاصِرَة، بِمُجَرَّد الِاحْتِمَال النَّحوِي الإِعْرَابِي، فَتَدَبَّر هَذِهِ القَاعِدَة، ولتَكُن مِنكَ عَلَى بَالٍ؛ فَإِنَّكَ تَنتفِع بِهَا فِي مَعرِفَةِ ضُعف كَثِيرٍ مِن أَقْوالِ المُفَسِّرِينَ وَزَيفِهَا، وَتَقْطَع أَنَّهَا لَيْسَت مُرَاد المُتكَلِّم ـ تَعَالَى ـ بِكَلامِهِ"[2]، وَعَلَى هَذَا المِنوَال فَهم الشَّرِيعَة يَكُونُ عَلَى فَهمِ الأُمِّيين الذِينَ نَزَلَ القُرآنُ بِلِسَانِهِم قَالَ الشَّاطِبِي:" لابُدَّ فِي فَهمِ الشَّرِيعَة مِن اِتِّبَاعِ مَعْهُودِ الأُمِّيّينَ، وَهُم العَرَبُ الذِينَ نَزَلَ القُرآنُ بِلسَانِهِم، فَإِن كَان للعَرَبِ فِي لِسَانِهِم عُرفٌ مُسْتَمِرٌ فَلا يَصِحُّ العُدُولُ عَنهُ فِي فَهمِ الشَّرِيعَةِ، وإن لَم يَكُن ثَمَّ عُرف فَلا يَصِح أَن يَجرِيَ فِي فَهمِهَا عَلَى مَا لا تَعرفهُ العَرَبُ، وهَذَا جَارٍ فِي المَعَانِي والأَلفَاظ والأسَالِيب"[3]، وقَالَ ابن بَدْرَان:" بَلِ الوَاجِب أَنْ يَعْرِفَ اللغَةَ والعَادة والعُرف الذِي نَزَلَ بِهِ القُرآن والسُّنَّة، وَمَا كَانَ

[1] . ابن جنِّي، الخَصَائِص، ص684ـ 685.

[2] ـ ابن قيِّم الجَوزِيَّة، مُحمَّد بن أَبِي بَكر بن أَيُّوب بن سعد الزَّرْعي الدمشقِي، بدائعُ الفَوائِد، تح: علي بن محمَّد العُمران، دمشق: 2008، مَجْمَع الفِقْه الإِسْلامِي، ج3، ص877.

[3] ـ الشَّاطِبِي، إبراهيم بن مُوسَى بن محمَّد اللخمِي الشَّاطِبِي الغرناطِي، المُوافقَات، دط. 2007، دار ابن عفان، ج2، 164.

الصَّحَابَةُ يَفهَمُونَ مِنَ الرَّسُولِ عِندَ سَمَاعِ تِلكَ الألفَاظ، فَبِتلكَ اللغَة وَالعُرف خَاطَبَهُم اللهُ وَرَسُولُهُ، لا بِمَا حَدَثَ بَعدَ ذَلِكَ، وَهَذِهِ قَاعِدَة كَبِيرَة مِن قَوَاعِد التَّفسِير"[1]، وَمُوَافَقَة المَعهُود مِن كَلامِ العَرَبِ وَبِخَاصَّةٍ فِي فَهمِ آيَاتِ الذِّكرِ الحَكِيم ضَرُورِي لِدَارِسِ القُرآنِ الكَرِيم، فَبَعضُ الآيَاتِ يَظُنُّ الدَارِس لَهَا وُجُودَ اِختِلافٍ، وَلَكِن العُلَمَاءَ" يَذهَبُونَ إِلَى الجَمعِ بَينَ هَذِهِ النُّصُوص التي ظَاهِرُهَا التَّعَارُض، إِمَّا بِاِخْتِلافِ الأحوَالِ أَو بِاخْتِلافِ الأَشخَاص أَو بِاِختِلافِ الأزمَانِ أَو بِاختِلافِ الأَمكِنَة، فَهَذِهِ أَربَعُ حَالاتٍ لا تَعدُوا هَذِهِ الأَحوَال"[2]، وَقَد أَلَّف الشّنقِيطِي كِتَابًا سَمَّاهُ (دَفعُ إِيهَام الاِضطرَاب فِي آيِ الكِتَاب)، فَالمَوهُوم لا يَدفَع المَعلُوم، وَأَنَّ المَجهُول لا يُعَارِض المُحَقَّق.

6 ـ 4 ـ السِّيَاقُ والمُنَاسَبَة وَسَبَبُ النُّزُول مَطِيَّةٌ لِفَهمِ اِحْتِمَالات المَعْنَى.

إِنَّ هَذِهِ القَاعِدَة تَشمَلُ عَنَاصِر مُتَعَدِّدَة تُسَاهِمُ فِي تَحدِيدِ المَعنَى المُرَاد فِي ظِلِّ وُجُودِ اِحْتِمَالات، فَيَكُون الأَمر الفَاصِل فِيهَا هَذِهِ العَنَاصِر، فَالسِّيَاق يُسَاعِد فِي فَهمِ المَعنَى بِمُرَاعَاةِ مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعدَهُ مع حيثِيَّات الحَدَث مِن أسبَاب وغَير ذلِكَ، كَمَا لَهُ أَهَمِّيَّة فِي فَهْمِ المَعنَى، فَهُو يُعِينُ فِي التَّرْجِيحِ عِندَ الاِختِلاف، وَيُسَاهِم فِي بَيَانِ المُتَشَابه اللَّفظِي، كَمَا لَهُ أَثَر فِي بَيَانِ سَبَبِ النُّزُولِ، قَالَ الزَّركَشِي:" وطَرِيقُ التَّوصُّل إلى فَهْمِهِ النَّظَر فِي مُفرَدَات الأَلفَاظ مِن لُغَةِ العَرَب ومَدلُولاتِهَا وَاسْتعمَالهَا بِحَسبِ السِّيَاق"[3] فَالسِّيَاق لَهُ أَثَرٌ فِي استعمَالِ الألفَاظ المُنَاسبَة.

[1] ـ بدران، الشَّيخ العلامَة عبد القادر بن أحمد بدرَان، جَواهِرُ الأفكَار ومَعَادِنُ الأسْرار المُسْتخرجَة من كَلامِ العَزيزِ الجَبَّار، دط. دمشق:1999، المَكتَب الإسلامِي للطباعَة والنَّشر، ص135.

[2] ـ عبد الرَّحمن بن ناصر بن عبد الله السَّعدي، شَرْحُ القَواعد الحسَان لتَفسِيرِ القُرآن، ط1. القاهرة: 2012م/1433هـ، دار الآثار للنَّشر والتَّوزيع، ص164.

[3] ـ الزَّركشِي، البُرهَان في عُلُوم القُرآن، ج2، ص172.

6 ـ 5 ـ مُرَاعَاةُ القِرَاءَاتِ القُرآنِية وَالرَّسم القُرآنِي وَالعِلم بِهِمَا.

يَجِبُ عَلَى مُعرِبِ القُرآن الكَرِيم العِلم بِالقِرَاءَات؛ فَلا يُمْكِن تَرجِيحُ قِرَاءَةٍ شَاذَّة عَلَى قِرَاءَةٍ مُتَوَاتِرَةٍ، وَلَكِن يَجِبُ أَن تَكُونَ القِرَاءَةُ المُتَوَاتِرَة أَصلٌ فِي الإعرَابِ، وَكَذَلِكَ بِالنِّسبَةِ للرَّسمِ القُرآنِي فأمر الرَّسم القرآني توقيفِي.

7 ـ العَلامَةُ الإعرَابِيَّة وَتَوْجِيهُ المَعْنَى.

إنَّ العَلامَةَ الإعْرَابِيَّة بِهَا نُفَرِّقُ بَيْنَ المَعَانِي التَّركِيبِيَّة، وَلُغَةُ القُرآنِ الكَرِيم مُعرَبَة، فَالقُرآن نَزَلَ بِالتَّواتُر، وَتَلَقَّتْهُ الآذَانُ رِوَايَةً جِيلا عَن جِيل، وَلَقَد تَصَدَّى لِهَذِهِ المُهِمَّة أَبُو الأَسود الدُّؤلِي حَيْثُ وَضَعَ عَلامَات خَاصَّة عَلَى أَوَاخِرِ الأَلفَاظِ القُرآنِيَّة؛ وهَذَا حِفَاظًا عَلَى نُطْقِهِ وَمَعْنَاه.

والعَلامَةُ لا تَشمَلُ جَمِيعَ المُفْرَدَاتِ اللغَوِيَّة وإنَّمَا هُنَاكَ مِنَ المُفرَدَاتِ مَا لا تَظهَرُ عَلَيهَا العَلامَةُ الإعْرَابِيَّة لِسَبَبٍ مِنَ الأَسْبَابِ، لِلثقَلِ أَو لِتَعَذُّرِ ظُهُورِ الحَرَكَة؛ بِالإضَافَةِ إِلَى العَنَاصِرِ المُرَكَّبَة، لِهَذَا وَضعُوا شُرُوطًا للمُفْرَدَةِ المُعرَبَة.

يَرَى العَكبرِي أَنَّ" الحَرَكَات تُبَيِّنُ الفَاعِلَ مِنَ المَفعُول، وَتُفَرِّق بَينَ المَعَانِي كَمَا فِي قَولِهِم: مَا أَحْسَن زَيْدًا؛ فَإِنَّهُ إِذَا عُرّي عَنِ الحَرَكَاتِ احتمل النَّفي، وَالاِسْتِفهَام، والتَّعَجُّب، وكَذَلِكَ قَولك: ضرب زيدٌ عمرًا، وَلَو عَرّيْتَهُ مِنَ الإعرَابِ لَم تَعرِفِ الفَاعِلَ مِنَ المَفعُول"[1].

وَيَقُولُ المُبَرِّد:" إنَّمَا كَانَ الفَاعِلُ رَفعًا والمَفعُولُ بِهِ نَصْبًا، لِيُعرَفَ الفَاعِلُ مِنَ المُفعُولِ"[2].

فالعلامَة الإعْرَابِية هِي التي يُعْرَفُ بِهَا الفَاعِل مِن المَفْعُول.

والعلامَة الإعرَابِيَّةُ ودَلالَتهَا عَلَى المَعَانِي فِيهَا اِختِلاف بَينَ عُلمَاء اللغَةِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا مِن زَمَنٍ قُطرُب إلى يَومِنَا هَذَا، فَهُنَاكَ مَن يَرَى مِن أَنَّ العَلامَة الإعرَابِيَّة تَدُلُّ عَلَى مَعنَى وَظِيفِي، وَهَذَا الرَّأْي يَتَبَنَّاهُ أَغْلَبُ النُّحَّاة وَهُو الرَّأي الأَرجَح يَقُولُ الرَّضِي:" وَالاِسمُ إِنَّمَا يَستَحِقُّ الإعرَاب بَعدَ

[1] ـ العكبرِي، أبو البقَاء عبد الله بن الحُسَين، اللبَاب فِي عِلَلِ البنَاء والإعْرَاب، تح: مختار محمَّد طليمات، دمشق، دار الفكر، ط1. 1995، ج1، ص52.

[2] ـ المُبرِّد، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، كتاب المُقْتَضَب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة،دط. القاهرة: 1388هـ، لجنة احياء التراث الإسلامي، ج1،ص146.

تَركِيبِهِ مَعَ عَامِلِهِ كَمَا تَقَرَّرَ، فَفِي قَولِكَ "جَاءَ غُلامُ زَيد" مَثَلا لَم يَسْتَحق المُضَاف الإعرَاب إلا بَعْدَ كَوْنِهِ مُسندًا إلَيْهِ، أَي كَونُهُ عُمدَةَ الكَلامِ، إذ هُو المُقْتَضى ـ لِرَفعِ الأَسمَاء، وكَونُهُ مُسندًا مَسْبُوق بِثُبُوتِهِ أَوَّلا فِي نَفسِهِ والمُسنَد إلَيهِ المَجِيء فِي مِثَالِنَا لَيسَ مُطلق الغُلام بَلِ الغُلام المُنصَف بِصِفَةِ الإِضَافَة ثُمَّ كَونُ المُضَاف عُمْدَةً أَوْ فَضلَة ثُمَّ الإعرَاب"[1].

وَقَد جَعَلَ الرَّضِي لِعَلامَاتِ الإعْرَابِ مَعَانِي حَيثُ قَالَ:" إنَّ الرَّفعَ عَلامَةُ العُمدَة، والنَّصب للفَضلاتِ التي يُوصَل إليهَا بِلا وَاسِطَة، والجَرُّ بِالفَضَلاتِ التي يُوصَل إليهَا بِوَاسِطَةِ"[2].

كَمَا أَنَّ الزَّمخشرِي يَرَى أَنَّ" الرَّفعَ عَلامَةُ الفَاعِلِيَّة، وَالنَّصب عَلَمُ المَفعُولِيَّة، وَالجر عَلَمُ الإِضَافَة"[3].

وَالرَّأْي الثَّانِي هُو رَأي قُطْرُب مِنَ العُلُمَاء القُدامَى ومُصطفى إبرَاهيم مِنَ المُحدَثِينَ، حتَّى أَنَّ هُنَاكَ مِنَ العُلُمَاء المُحدَثِينَ مَن يدعون وَيَتَبَنَّونَ إلغَاءَ الإعرَاب حَيْثُ أَنَّهُم يَرَونَ أَنَّهُ لا فَائِدَة مِنَ الإعرَابِ.

والنُّحَّاةُ لَم يَأتُوا بِالعَلامَاتِ الإعرَابِيَّة هَكَذَا عَبَثًا لَو كَانَ كَذَلِكَ لَفَسَدَ نِظَامُ اللغَةِ.

وَقَد خَصَّ إبْرَاهِيمُ مُصطفى كُلَّ عَلامَةٍ مِن عَلامَاتِ الإعرَابِ بِمَعنَى خَاص بِهَا فَيَرَى أَنَّ" الرَّفْع عَلَمُ الإسنَادِ، والجَرُّ عَلامَةُ الإِضَافَةِ، أَمَّا الفَتْحَةُ فَلَيسَت بعلم إعرَاب وَلَكِنَّهَا الحَرَكَة الخَفِيفَة المُسْتَحَبَّة، كَمَا أَنَّ التَّنوِين عَلَمُ التَّنكِير"[4].

وَلَم يَرضَ النَّحَّاس قِرَاءَةَ نَصرُ بن عَاصِم وَعَبْدُ اللهِ بن أبي إسحَاق فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ ﴾ [الاخلاص .2] بِغَيْرِ تَنوِينٍ حَيْثُ قَالَ:" إنَّ الأَجْوَدَ تَحْرِيكُ التَّنوِين لالتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ؛ لأَنَّهُ عَلامَة، فَحَذْفُهُ قَبِيح، وقِرَاءَةُ الجَامِعَةُ أَوْلَى"[1].

---

[1] ـ الرَّضي، محمَّد بن الحسن الاستراباذي، شرحُ الرَّضِي لكافيَة ابن الحَاجِب، تح: حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي ويحيي بشير مصطفى، ط1. الرياض: 1966، ج1، ص33، شرحُ المفصَّل: 1ج1، 84.

[2] ـ المرجع نفسه، ص33.

[3] ـ أبو البقَاء، موفق الدِّين أبُو البقَاء بن يَعيش المَوْصِلي، شَرْحُ المُفَصَّل للزَّمخشَرِي، ص18.

[4] ـ مصطفى إبرَاهِيم، اِحيَاءُ النَّحُو، دط. القاهرة: 2012، مُؤسَّسة هنداوي للتعليم والثَّقافَة، مقَدّمَةُ الكتَاب ص15.

وقَد وَافَقَهُ الرَّأي مَهدِي المَخزُومِي فِي كِتَابِهِ، فِي النَّحو العَرَبِي . نَقد وتَوجِيه .

وهُو رَأيُ النَّحَّاس حَيثُ قَالَ:" التَّنوِين فَرق بَينَ المَعرِفَةِ والنَّكِرَة"[2].

أَمَّا العَلامَةُ الإِعرَابِيَّة عِندَ مُعرِبِي القُرآن الكَرِيم مِنهُم النَّحَّاس حَيثُ يَقُولُ:" أَنَّ التَّنوِينَ فَرْقٌ بَينَ المَعرِفَةِ والنَّكِرَة"[3].

إِنَّ العلاقَة بَينَ العَلامَة الإِعرَابِيَّة وَالمَعنَى قَائِمَة بَينَهُمَا مِمَّا لاَ شَكَّ فِيهِ وَيُؤكِّد الدكتور إبراهيم بَرَكَات ذَلِكَ بقولِهِ:" مِن القَضَايَا التي تَربِطُ فِيهَا بَينَ العَلامَةِ الإِعرَابِيَّة وَالمَعنَى قَضِية الخِلاف وَأَثَرُهُ فِي التَّوجِيهِ الإِعرَابِي، حَيثُ يَتَغَيَّرُ الإِعْرَابُ بِالتَّغِيير الدلالِي المَفهُوم مِنَ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، أَي يَرتَبِطُ الإِعْرَابُ بِتَحدِيدِ العَلاقَة الدلاليَّة المَفهُومَة مِن جُملَتَينِ تَرتَبِطَانِ بِبَعضِهِمَا..."[4].

7 ـ 1 ـ غِيَابُ العَلامَةِ الإِعرَابِيَّة وحَذْفهَا.

يَرَى بَعض النُّحَّاةِ أَنَّ العَلامَةَ الإِعرَابِيَّة يَخْتَلُّ مَعنَاهَا فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَة مِنهَا:

أ ـ التقَاءُ السَّاكِنَين: فِي هَذِهِ الحَالَة يَلتَقِي سَاكِنٌ فِي آخَرِ الكَلِمَةِ مَعَ سَاكِنٍ فِي بِدَايَةِ الكَلِمَة المُوَالِية لَهَا، فَيَكُون التَّخَلُّصُ مِن أَحَدِ السَّاكِنَين بِالحَذفِ أَوْ بِتَحرِيكِ السَّاكِنِ الأَوَّل، كَقَولِهِ تعالى: ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِے غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنعام:93].

ب ـ الإِتَّبَاعُ: وقَد وَرَدَ الإِتَّبَاعُ فِي القِرَاءَات القُرْآنِيَّة وحتَّى الصَّحِيحَة مِنهَا، يقُولُ أبو علي الفارسي:" اِتِّبَاعُ الحَرَكَة لَيْسَ بُمُسْتمرٍّ اِسْتِمْرَارُ حَركَة الإعرَابِ"[5].

مِنَ القِرَاءَاتِ القُرآنِيَّة مَا رُوِيَ عَن أَبِي عَمْرُو وحَمزَة واليَزيدي والدَّانِي قِرَاءَةُ: ﴿بَارِئْكُمْ﴾ [البقرة:54]، وكذلك: ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ [البقرة:74]، ويَرَى سِيبَوَيه أَنَّ هَذَا مِن بَاب اختِلاس الحَرَكَة،

---

[1] ـ النحَّاس، إعرابُ القُرآن، ج5، ص309.310

[2] ـ المصدر نفسه، ج3، ص 74.

[3] ـ المصدر نفسه، ج2، ص74.

[4] . إبراهِيم بركَات، العلاقَة بَينَ العَلامَة والمَعْنَى فِي كِتَابِ سِيبويه، دط. مصر: 1983، مكتبة الخانجي، ص103.

[5] ـ أَبُو عَلي الفارِسِي، أَبُو علي الحَسَن بن عبد الغفَّار الفارسِي النَّحوِي، الحُجَّة فِي عِلَلِ القِراءَات السَّبع، تح: الشَّيخ عَادل أَحمد عبد المَوجُود والشَّيخ محمَّد علي محمد معوض، لبنان: 2013، دار الكتُب العلميَّة، ج1، ص73.

وَنَقَل النَّحَّاسُ عَنِ المُبرِّدُ ذَلِكَ فِي قَوله تَعَالَى ﴿ولا يُحْزِنْكَ﴾ [آل عمران:176] حيثُ قَالَ:" إِنَّهَا عَلَى اِختِلاسِ الحَرَكَةِ أَيضًا"[1].

7 ـ 2 ـ الحَرَكَات الإعرَابِية ودَلالاتُهَا:

أ ـ مَفهُومُ الحَركَة لُغَة: وَرَدَ في مُعجَمِ العَينِ:" حَرَّك الشَّيء يُحَرِّك حَرَكًا وَحَرَكةً وكَذَلِكَ يَتَحَرَّكُ تَقُولُ: حَرَّكتُ السَّيفَ مُحركة حركًا. أَي: ضَرَبتُهُ".

فَالحَركَةُ ضِدَّ السُّكُون سوَاء الشَّيء مَادِّي أَو مَعنَوِي.

ب ـ اِصطِلاحًا: الحَرَكَةُ الإعرَابِيَّة هِي التي:" تَنقُلُ الاِسمَ وَمَا يُشَارِكُهُ مِنَ الأَفعَالِ مِن حَالِ الرَّفعِ حِينَ يَكُونُ مُحَرَّكًا بِالرَّفعِ إِلَى النَّصبِ حِينَ يُحَرَّكُ بالفَتْحِ أَو مَا يَنُوبُ عَنهُ إِلَى الجَرِّ حِينَ يسبقُ بِمَا يَدُلُّ عَلَى الجَرِّ كَحرُوفِ الجَرِّ والاضَافة والتَّبعِيَّة"[2].

فَالكَلامُ عِندَ النُّحَّاةُ يَنقَسِمُ إِلَى قِسمَينِ: المُتَحَرِّكُ وهُو المُعرَب، والمَبنِي وهُو مَا يُلازِمُ حَالا واحِدًا فِي جَمِيعِ الحَالاتِ.

وَيُعَدُّ الزَّجَّاجُ(ت310هـ) أَوَّل مَن أَطْلَقَ مُصطَلَح الحَرَكَةِ عَلَى تَغَيُّرِ أَوَاخِرِ الكَلِمِ وَهَذَا فِي كِتَابِهِ الإيضَاح، وَكِتَابِهِ مَعَانِي القُرآن وإِعْرَابه، حتَّى أَنَّهُ جعَلَ فِي كِتَابِهِ الإيضَاح بَابًا بِعنوان:" بَابُ القَولِ فِي الإعرَابِ، أَحَرَكَة هُو أَم حَرف"[3] وَهُنَاكَ مَن يَنسِب إِطلاق مُصطَلَح الحَرَكَات الإعرَابِيَّة إِلَى ابن جنّي والذِي ذَكَرَهَا فِي كِتَابِهِ الخَصَائِص وَسِرُّ صِنَاعَة الإِعْرَاب.

وَرَدَّ عن الزَّجَّاج قَوله:" إِنَّ الأَسمَاءَ لَمَّا كَانَت تَعْتَوِرُهَا المَعَانِي فتَكُون فَاعِلَة ومَفعُولَة، وَمُضَافًا إِلَيْهَا، ولَمْ تَكُن فِي صُورِهَا وأَبْنِيَتِهَا أَدِلَّة عَلَى هَذِهِ المَعَانِي بَل كَانَت مُشتَرَكَة، جَعَلَت حَرَكَات الإعرَاب فِيهَا تَنبَنِي عَن هَذِهِ المَعَانِي بَل كَانَت مُشتَرَكَة، جَعَلَت حَرَكَاتِ الإعرَاب فِيهَا تُنبِيءُ عَنْ هَذِهِ المَعَانِي. فقَالُوا: ضَرَبَ زَيدُ عُمَرَا، فدلُّوا بِرَفْعِ زيد عَلَى إِنَّ الفِعْلَ لَهُ، وَبِنَصب على

[1] ـ محمد أحمد خضير، الإعرابُ والمَعْنَى فِي القُرآن الكَرِيم، دط. مصر:2011، مكتبة الأنجلو مصريَّة، ص18.

[2] . سُعاد كرِيدِي، أثرُ الحَرَكَة فِي تَوجيهِ الدلالة، ط2. العراق: 2010، مجلةُ أورُوك للأبحَاث الإنسَانيَّة، ج1، ص54.

[3] ـ الزَّجَّاجِي، أبُو القَاسم الزَّجَّاجي، الإيضَاح في عِلَلِ النَّحُو، تح: مَازِن المُبارك، ط3. بيروت: 1979، دارُ النفائِس، ص 72.

إن الفِعل وَاقع بِهِ...وَكَذَلِكَ سَائِرُ المَعَانِي جَعَلُوا هَذِهِ الحَرَكَات دَلائِلَ عَلَيهَا لِيَتَّسِعُوا فِي كَلامِهِم، وَيُقَدِّمُوا الفَاعِلَ إِن أَرَادُوا ذَلِكَ أَو المَفعُول عِندَ الحَاجَةِ إِلَى تَقدِيمِهِ، وتَكُون الحَرَكَات دَالَّة عَلَى المَعَانِي"[1].

وجَعَلَ الزَّجَّاجِي الإِعْرَاب دَالا عَلَى حَرَكَاتِ الإِعرَابِ، جَاءَ فِي الإِيضَاحِ:" وَالإِعرَابُ الحَرَكَات المَبنِيَّة عَن مَعَانِي اللغَة. ولَيسَ كُلُّ حَرَكَةٍ إِعرَابًا، كَمَا أَنَّهُ لَيسَ كُلُّ الكَلام مُعربًا"[2]، فَالكَلِمَات والجُمَل فِي التَّركِيبَ هِي المُحَدِّد الرَّئِيسِي لِوَضعِ الحَرَكَاتِ.

يَرَى الكَثِيرُ مِنَ النُّحَّاةِ أَنَّ الحَرَكَات الإِعرَابِيَّة لَهَا مَعَانِي وَدَلَالات، فَكُلُّ حَرَكَةٍ لَهَا دَلالَة تَدُلُّ عَلَيْهَا، يَرَى الزَّمخشرِي:" أَنَّ الرَّفعَ عِندَهُ عَلَمٌ للفَاعِلِيَّة، والنَّصب عَلَمٌ للمَفعُولِيَّة، والجَرُّ علَم الإِضَافَة، وأَمَّا التَّوابِعُ فَهِي فِي رَفعِهَا وَنَصبِهَا وَجَرّهَا دَاخِلَة تَحتَ أَحكَام المَتبُوعَاتِ، يَنَصَبُّ عَمَل العَامِل عَلَى القبيلَينِ انصبابة وَاحِدَة"[3].

وَعَلَى مِنوَالِ الزَّمَخشرِي تَبِعَهُ ابن يَعِيش فِي التَّقسِيمَاتِ فِي شَرحِ المُفَصّلِ.

وَيَرَى إِبرَاهِيمُ مُصطَفَى وَهُو مِنَ النُّحَّاةِ المُحدَثِينَ يَقُولُ:" فَأَمَّا الضَّمَّةُ فَإِنَّهَا عَلَمُ الإِسنَاد، ودَلِيلُ ذَلِكَ أَنَّ الكَلِمَة يُرَاد أَنْ يُسْنَدَ إِليهَا وَيَتَحدّث عَنهَا، وأَمَّا الكَسرَة فَإِنَّهَا عَلَمُ الإِضَافَة، وَإِشَارَة إِلَى اِرْتِبَاط الكَلِمَة بِمَا قَبْلَهَا سَوَاءٌ كَانَ هَذَا الاِرْتِبَاط بِأَدَاةٍ أَو غَير أَدَاة، كَمَا كِتَابُ مُحَمد، وكِتَاب لِمُحَمد، وَلا تَخرُج الضَّمَّة ولا الكَسرَة عَنِ الدلالَة عَلَى مَا أَشَرنَا إِليهِ إِلا أَن يَكُونَ ذَلِكَ فِي بِنَاءِ ونَوع من الاِتِّبَاع، أَمَّا الفَتْحَةُ فليسَت علامَة إِعرَاب وَلا دَالة عَلَى شَيءٍ، بَل هِيَ الحَرَكَةُ الخَفِيفَة المُستَحَبَّةُ عِندَ العَرَبِ التي يُرَادُ أَن تَنتَهِيَ بِهَا الكَلِمَة كُلَّمَا أَمكَنَ ذَلِكَ فَهِيَ بِمَثَابَةِ

[1] ـ الزَّجَّاجِي، أَبُو القَاسم الزَّجَّاجي، الإِيضَاح في عِلَلِ النَّحُو، تح: مَازِن المُبارك، ط3. بيروت: 1979، دارُ النفائِس، ص69، 70

[2] ـ المرجع السابق، ص91.

[3] ـ الزَّمخشرِي: محمود بن عمر(ت538ه) المُفَصَّل في صنعة الإِعْرَاب، تقديم: علي بوملحم، ط1، بيروت: دَار الهِلال 1993، ج1، ص37.

السُّكُون فِي لُغَةِ العَامة فَالإعرَاب الضمَّة والكَسرَة فَقَط، وَلَيْسَتَا بقية مِن مَقْطَع ولا أَثَر العَامل من اللَّفظ بَل هُمَا مِن عَمَلِ المُتَكَلِّم ليَدُلَّ بِهِمَا عَلَى مَعْنَى تَأليفِ الجُملَة وَنَظمِ الكَلامِ"[1].

ولَقَد رَدَّ النُّحَّاةُ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الآرَاء وَرَد فِي الإيضَاح قوله:" لَوْ كَانَ كَمَا زَعَمَ لَجَازَ خَفْضُ الفَاعِل مَرَّةً وَرَفَعَهُ أُخرَى وَنَصَبَهُ، وَجَازَ نَصْبُ المُضَاف إِلَيهِ لأَنَّ القَصدَ فِي هَذَا إِنَّمَا هُو الحَرَكَةُ تعاقب سكونًا يَعْتَدِلُ بِهِ الكَلامُ، وَ أيُّ حَرَكَةٍ أَتَى بِهَا المُتَكَلِّم أَجزأتهُ فهُو مُخَيَّر فِي ذَلِكَ، وَفِي هَذَا فَسَاد للكَلامِ وَخَرُوج عَن أَوْضَاعِ العَرَب وَحِكْمَة نِظَام كَلامِهِم، وَاحتَجُّوا لِمَا ذكره قُطْرُب مِن اتِّفَاقِ الإعرَابِ وَاختِلافُ المَعَانِي، واخْتِلافُ الإعرَاب واتِّفَاق المَعَانِي فِي الأَسمَاء التي تُذْكَرُ بَعْدَ الأَفْعَال، لأَنَّهُ يَذكر بَعْدَهَا اِسْمَان إِحْدَاهُمَا فَاعِل والآخَر مَفعُول، فَمَعْنَاهُمَا مُخْتَلِف فَوَجَبَ الفَرقُ بَينَهُمَا ثُمَّ جَعَلَ سَائِرَ الكَلامِ عَلَى ذَلِكَ"[2].

والإعرَاب بِحَركَاتِهِ المُخْتلِفَة لَهُ أَثَر فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي، فقِرَاءَةَ القُرآن أَمر تَوْقِيفِي وَلَقَد اِهْتَم النبي ﷺ، لِهَذَا نَجِد عِلم القِرَاءَات الذِي يَدرُسُ كَيفِيَةَ قِرَاءَة القُرآن، فَنَجِدُ القِرَاءَات السَّبع والقِرَاءَات العَشر وَالقِرَاءَات الأَربع عَشَر.

إنَّ قَارِئَ القُرآنِ يُشتَرَطُ فِيهِ أَن يَقرَأَهُ مُعرَبًا لِمَا لَهُ مِن أَثَرٍ فِي تَوجِيهِ المَعْنَى القُرآنِي، فَالقَارِئ الذِي لا يُرَاعِي الحَرَكَات الإعرَابِيَّة قَد يَصِلُ حُكمُ قِرَاءَتِهِ إِلَى التَّحرِيمِ إِن كَانَ فِيهَا تَحرِيف، قَالَ الإمامُ الزَّركَشِي:" يُسْتَحَبُّ قِرَاءَتُهُ (أَي القُرآن) بِالتَفخِيمِ والإعرَاب"[3]، عِندَمَا يُقرأُ القُرآنُ دُونَ إعرابٍ يَكُونُ فِيهِ تَغَيُّر فِي المَعَانِي وتَحرِيف عَنِ المَقصُودِ.

[1] . مصطفى إبرَاهِيم، احياءُ النَّحُو، دط. القاهرة: 2012، مُؤسَّسة هنداوي للتعليم والثَّقافَة، ص45.

[2] . الزَّجَّاجِي، أَبُو القَاسم الزَّجَّاجي، الإيضَاح في عِللِ النَّحُو، تح: مَازِن المُبارك، ط3. بيروت: 1979، دارُ النفائِس، ص 12.

[3] . الزَّركشي، البُرهان في علُوم القُرآن، ص1، ص467.

المَبحث الثَّالث: الدراسَاتُ البَلاغِيَّة للقُرآنِ الكَرِيمِ.

القُرآنُ كِتَابُ اللهِ وَمُعجِزَةُ نَبِيِّهِ محَمَّد ﷺ الخَالِدَةُ أَبَدَ الدَّهرِ، لا تَنقَضِي عَجَائِبُهُ، ولا تُحصَى عُلُومُهُ، ولا تُستَقصَى مَعَانِيهِ، ومِن عَجَائِبِهِ أَنَّهُ جَمَعَ بَينَ الإِعجَازِ والبَيَانِ، فَجَاءَ نَظمُهُ بِنَاءً مُحكَمًا مُتلَائِم الأَجزاءِ، فِي أَتَمِّ تَأْلِيفٍ وأَروَعِ تَركِيبٍ، فَأَعجَزَ البُلَغَاءَ والفُصَحَاء، وبَلَغَ مَبْلغًا لَم يَبْلُغهُ غَيرهُ من الكُتُبِ، وتَمَيَّزَ بِقُوَّةِ أَلفَاظِهِ وسَلامَتِهَا ومَتَانَةِ التَّعبير ولَطَافتِهِ، وَرَوعة الأُسلُوبِ وجَاذِبِيَّتِهِ، مِمَّا أَذهَلَ العَرَبَ الذِينَ عَاصَرُوا نُزُولَهُ فِي وَقتٍ قَد بَلَغُوا فِيهِ القِمَّة فِي الفَصَاحَةِ والبَلاغَة، فلمَّا سَمِعُوا القُرآنَ وَقفُوا مَذهُولِينَ حَيَارَى أَمَامَ بَلاغَتِهِ وبيَانِهِ، وَلَم يَكُن فِي وسعِهِم أَكْثَرَ مِن أَن يَصِفُوهُ مرَّةً بِالسِّحرِ وَتَارَةً بِالكَهَانَة، وَمَرَّةً بكَلامِ الجِنِّ، وَلَم يَكُن فِي وسعِ أَربَابِ البَلَاغَةِ وَالبَيَان مِنْهُم إِلَّا أَن يَشهَدُوا بِإِعجَازِهِ وَأَن يَعْتَرِفُوا بِعُلُوِّهِ وسُمُوِّهِ عَلَى غَيرِهِ من الكَلامِ.

فَهَا هُو ذَا عُتبَة بن رَبِيعَة يُوفِدُهُ قَومه لِتَثْنِي الرَّسُول ﷺ عَمَّا جَاءَ بِهِ، فَيَرجِع إِليهِم بِغَيرِ الوَجهِ الذِي ذَهَبَ بِهِ بَعْدَمَا سَمِعَ آيَاتٍ من سُورَةِ فُصِّلت قَرأَهَا عَلَيهِ النَّبِي ﷺ

والوَلِيد بن المُغِيرة يَشهَدُ للقُرآنِ بِأَنَّ لَهُ لَحَلاوَة، وَأَنَّ عَليهِ لَطَلاوَة، وأَنَّهُ يَعلُو ولا يُعلَى عَلَيهِ فكَانَت هَذِهِ الشَّهَادة مِمَّن كَانَ على الفِطرَة اللُّغَوِيَّة، وأَبُو عُبَيدَة يَذكُرُ أَنَّ أَعرَابِيًا سَمِعَ رَجُلا يَقْرأُ قَولَهُ تَعَالَى: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُومَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر:94] فَسَجَدَ، وقَالَ: سَجَدْتُ لبَلاغَتِهِ، وَمَا فَعَلَهُ القُرآن الكَرِيم لَما سَمِعَ جُبَير بن مطعَم النبي ﷺ بِتَدَبر وتَأَمُّلٍ وإنصَاتٍ وهُو يَتْلُو فِي الصَّلاة وَيَقرأُ بِدَايَةَ سُورَةِ الطُّور.

وارتَبَطَتِ البَلاغَة بِفِكرَةِ الإِعجَاز القُرآنِي وَلَعَلَّ أكبَرَ دَلِيلٍ عَلَى العلاقَة بَينَ إعجَازِ القُرآنِ وَوَضع عِلمِ البَلاغَةِ العَرَبِيَّة هُو أَنَّ الإِعجَازَ البَلاغِي إِذَا أُطلِقَ يُرَادُ بِهِ البَلاغَة نَفسهَا"[1]، ولَعَلَّ

[1] . نَعيم الحِمصِي، تاريخُ فكرة إعجَاز القُرآن، دط. دمشق: 1955، ص44.

الغَرَضَ الدينِي كَانَ أَكثرَ الأَسبَابِ مَدعَاةً لِظُهُورِ البَحث البَلاغِي، وَلَهُ الأَثَرُ الكَبِير فِي تَطوّر البَلاغَة العَربِية قَالُ محمد منيف:" إذ تُعَدُّ البَلاغَة وَالإعجَاز تَوأَمَينِ يَصعُبُ التَّمييزُ بَينَهُمَا"[1].

والعُلَمَاءُ مُتَّفقُون على أنَّ القُرآنَ الكريم أَتَى بِأفصَحِ الأَلفَاظِ في أَحسَنِ نظام التَّأليفِ، ويَرَى الرَّازِي(ت606هـ) أَنَّ القُرآنَ كَمَا هُو" مُعجِز في لَطَائِفِ نَظمِهِ وبَدَائِعِ تَرتِيبِهِ وفَصَاحَة أَلفاظِهِ وشَرَف مَعَانِيهِ، فَهُو أيضًا مُعجِز بِحَسبِ تَرتِيبِهِ ونَظمِ آيَاتِهِ وأُسلُوبِهِ"[2].

وَمِنَ الحَقَائِق المَعْلُومَة أنَّ عُلُومَ العَرَبِيَّة؛ كَالنَّحو وَالصَّرف وَاللغَة وَغَيرِهَا نَشَأَت فِي خِدمَةِ القُرآنِ الكَرِيمِ، كَمَا أَنَّ عِلمَ البَلاغَةِ نَشَأَ لِنَفسِ الغَرَض، وَارْتَبَطَ ظُهُورهَا بِإعجَازِ القُرآنِ.

وَتُعَدُّ البَلاغَة وَاحِدَةً مِن هَذِهِ العُلُوم التِي كَانَت فِكرةُ الإعجَازِ القُرآنِي هِي المُوَجِّهُ الأَكبَر لِنَشأتِهَا وَتَطوّرهَا وَازدِهَارِهَا، فَقد كَانَ أَوَّلُ غَايَاتِ البَلاغَة البَحْث فِي أُسْلُوبِ القُرآنِ لِبَيَانِ خَصَائِصِهِ الجَمَالِيَّة، وَرَوْعَةِ تَعْبِيرِهِ، وَالوُصُول إلَى مَنَاطِ الإعجَازِ فِيهِ، فاتَّجَهَت الدرَاسَات حَولَ نَظْمِ القُرآنِ وَبَدِيعِ تَأليفِهِ، وبَرَاعَةِ تَصوِيرِهِ، ومِن هَذِهِ الدرَاسَات مَا قَامَ بِهِ الجَاحِظ(ت255هـ)، وابن قُتيبة(ت276هـ)،والرمَّانِي(ت386هـ) والخطابي(ت388هـ)، وأبُو هِلال العسكري(ت395هـ)، والبَاقِلانِي(ت403هـ)، وعبد القاهر الجُرجَانِي(ت471هـ)، وَمِنَ العُلَمَاءِ الذِينَ جَاءُوا مِن بَعدِهِم الرَّافِعِي...

إنَّ هَؤلاءِ العُلَمَاء الأَفذَاذ رَبَطُوا بَينَ مَعرِفة الإعجَاز القُرآنِي ومَعرِفَة البَلاغَة، فَمِن تَمَامِ الإلمَامِ بِأَسرارِ القُرآن الكَرِيم، ومَعرِفَة نُصُوصِهِ ودَقَائِقِهِ؛ مَعرِفة البَلاغَة التي تُعِينُ على ذَلِكَ، يَقُولُ أَبُوهِلال العسكرِي:" وَقَد عَلِمنَا أَنَّ الإنسَانَ إذَا أَغْفَلَ علَى عِلمِ البَلاغَة وَأَخَلَّ بِمَعرِفَةِ الفَصَاحَة، لَم يَقَع عِلمُهُ بِإعْجَازِ القُرآنِ، مِن جِهَةِ مَا خَصَّهُ اللهُ بِهِ مِن حُسنِ التَّأليفِ وَبَرَاعَةِ التَّركِيبِ، وَمَا شَحَنَهُ مِن الإيجَازِ والاختِصَارِ اللَّطِيفِ، وَضَمَّنَهُ مِن الحَلاوةِ وجَلَّلَهُ مِن رَقِيقِ

[1] ـ مُحمَّد منيف فقيهي، نظريةُ إعجَاز القُرآن عند عبد القَاهر الجُرجَانِي، دط. صيدا: 1959، المكتبة العَصْريَّة للطباعة والنشر، ص126.

[2] ـ الإمَام فَخر الدِّين الرَّازِي، التَّفْسِير الكَبِير، دط. بيروت: 2000، دَارُ الكُتُب العِلميَّة، ص94.

الطَّلاوَةِ مَعَ سُهُولَةِ كَلِمِهِ وَجَزَالتِهَا وَعُذُوبَتِهَا وَسَلامَتِهَا؛ إلَى غَيرِ ذَلِكَ مِن مَحَاسِنِهِ التي عَجزَت الخَلْقُ عَنهَا وَتَحَيَّرَت عُقُولُهُم فِيهَا"[1]، ويَذكُر السُّيُوطِي قول السكَّاكِي (ت626هـ) فَيَقُول:" اِعلَم أَنَّ إِعجَازَ القُرآنِ لا يُدرَكُ تَحصِيلُهُ لِغَيرِ ذَوِي الفِطرَةِ السَّلِيمَة، إلا بِإتقَانِ عِلمَي المَعَانِي والبَيان والتَّمرِينِ فِيهِمَا"[2].

لَقَد أَجمَعَ البَاحِثُونَ من أربَابِ الفَصَاحَةِ والبَيَان، والمُهتَمّونَ بِالدِّرَاسَات اللغَوِيَّة عَلَى أَنَّ عبد القَاهر الجُرجَانِي يُعَدُّ بِحَقٍّ عَلَمًا من أَعلامِ الدرَاسَات البَلاغِيَّة، يَقُولُ البَاحِث عبدالعزيز عَتِيق:" فَهُو بِهَذينِ الكِتَابَين ـ أَسرَار البَلاغَةِ ودَلائِل الإعجَاز ـ يُعَدُّ بِحَقٍّ وَاضع أُسُسُ البَلاغَة العَربِيَّة والمُوَضِّح لِمُشكِلاتِهَا والذِي عَلَى نَهجِهِ سَارَ رِجَالُ البَلاغَةِ مِن بَعدِهِ، وَأَتَمُّوا البُنيَانَ الذِي رَسَمَ حُدُودَهُ ومَعَالِمَهُ وَأَرسَى قَوَاعِدَهُ وأَركَانَهُ"[3].

بِالإضَافَة إلَى هَذَا، هُنَاكَ دِراسَات أُخرَى عَدِيدَة عَنِيَت بِالظَّوَاهِر اللُّغَوِيَّة فِي النَّصِّ القُرآنِي، هَذَا النَّص الذِي وَجَدَ فِيهِ كُلُّ دَارِسٍ ضَالَّتَهُ، فَهُو سَيَظَلُّ دَائِمًا وَأَبَدًا مَنبَعًا لا يَنضَب، يَنهَلُ مِنهُ الدَّارِسُونَ مَا أَرَادُوا، وَذَلِكَ لِمَا يَتَمَيَّزُ بِهِ مِن صَفَاءٍ وَعُذُوبَة أَلفَاظٍ، وَفَصَاحَة ودِقَّة تَرَاكِيب وَاتِّسَاع دَلالَةٍ وَبَلاغَةٍ وَجَزَالَة أُسلُوبٍ، قالَ الزَّركَشِي:" لَو أُعطِيَ العَبدُ بِكُلِّ حَرفٍ مِنَ القُرآنِ أَلفَ فَهمٍ لَمْ يَبْلُغ نِهَايَةَ مَا أَودَعَهُ اللهُ فِي آيَةٍ مِن كِتَابِهِ؛ لأَنَّهُ كَلام اللهِ وكَلامُهُ صِفَتُهُ، وَكَمَا أَنَّهُ لَيس للهِ نِهَايَة فَكَذَلِك لا نِهَايَةَ لِفَهم كَلامِهِ، وإنَّمَا يَفهَمُ كُل بِمِقدَارِ مَا يَفْتَحِ اللهُ عَلَيهِ"[4].

---

[1] . أَبُوهِلال العَسكرِي، كتَابُ الصِّنَاعَتيْنِ، تح: علي محمد البجَاوي ومحمَّد أبو الفضْل إبراهِيم، دط. سوريا: دت، مطبعة عيسى البَابِي الحَلبِي، ص7.

[2] ـ جلال الدِّين السيوطي، الإتقَان في علوم القرآن، تح: أحمد بن علي، ط3.سوريا: 1991، دَارُ الحَلبِي، ج2، ص157.

[3] ـ عبد العزيز عتيق، فِي تَارِيخ البَلاغة العربيَّة، دط. بيروت: 1985، دار النَّهضَة العربيَّة، ص246.

[4] ـ الزَّركشي، البُرهَان فِي علُوم القُرآن، تح: أبي الفضَل الدميَاطِي، دط. القاهرة: 2006، دَارُ الحَدِيث، ص18.

1 ـ البَلاغَةُ العَربية وعَلاقَتُهَا بِالمَعنَى.

إِنَّ البَلاغَةَ مُتأصِّلَةٌ فِي اللغَةِ العربِيَّة مُنذُ العَصرِ الجَاهِلِي، وَقَد كَانَ الاِهتِمَام بالمَعَانِي والألفَاظ فِي تَأدِيَةِ المَعنَى، وَقَد كَانُوا يُرَاعُونَ الجَمَال البَلاغِي وَكَانَ هَذَا فِطرَةً فِيهِم، وَكَانَت لَهُم مَنَابِر يَتَدَارَسُونَ فِيهَا أَشعَارهُم وهِي: سُوقُ ذِي المَجَاز وَمِجَنَّة وعُكَاظ.

وممَّا يؤكِّد هَذهِ العلاقَة رُوِيَ أَنَّ طرفةَ بن العبدِ البَكري، الشَّاعِر الجَاهِلِي، ذَاتَ مَرَّةٍ سَمِعَ وهُو صَغِير، وَكَانَ وَقْتَهَا يَلْعَبُ مَعَ الصِّبيَانِ، سَمِعَ قَوْلَ المُسَيّب بن علس فِي أَثنَاءِ مُرُورِهِ بِمَجلس قَيْسُ بن ثَعْلبَة، وهُو يَصِفُ بَعِيرَهُ:

وَقَد أَتنَاسَى الهَمّ عِندَ ادِّكَارِهِ بِنَاحٍ عَلَيهِ الصُّعَيْرِيَّة مكدم

وَإِذَا بِطَرفَة يَصرُخُ (اِسْتَوَى الجَمَلُ)، إِذِ الصُّعَيرِيَّة تُعَدُّ سِمَةً خَاصَّة بِالنَّاقَةِ دُونَ الجَمَلِ.

وَهَذَا سَنَدٌ وَدَلِيلٌ عَلَى السَّلِيقَةِ اللغَوِيَّة والبَيَانِيَّة، وبِدَايَة لِرُوحِ النَّقدِ.

وَهَذَا الحَال اِسْتَمَرَّ بَعدَ مَجِيءِ الإِسلام وَنُزُولُ القُرآنِ الكَرِيم، فَالقُرآن مُعجِزتُهُ بَلاغِيَّة بَيَانِيَّة، تَحَدَّى بِهِ البَشَرَ قاطِبَةً، والنَّبِي ﷺ لا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى، وهُو القَائِل عَن نَفسِهِ:" أَنَا أَفصَحُ العَرَبِ بَيْدَى أَنَّي مِن قُرَيش"[1]، وَهُو القَائِل:" إِنَّ مِنَ الشِّعرِ حِكَمة وإِنَّ مِنَ البَيَانِ سِحرًا"[2] وَبَيَانُ الرَّسُولِ ﷺ أعلى بَيَانٍ بَعدَ بَيَانِ القُرآنِ الكَرِيم.

وَقَدِ اِستَمَدَّتِ البَلاغَة العَرَبِيَّة رُوحَهَا، وطَوَّرت قَوَاعِدَهَا فِي ظِلِّ النَّثرِ والشِّعرِ الجَاهِلِي والقُرآنِ الكَرِيم، يَقُولُ الدكتُور سَعْد سليمَان حَمُّودَة:" إِنَّ البَلاغَة العَرَبِيَّة تَسْتَمِدُّ رَوَافِدَهَا وأُصُولَهَا مِن مَنَابِع عَرَبِيَّة أَصِيلَة مِن شِعرٍ وَنَثرٍ وقُرآنٍ مُستَمِدَّةً مِنْهَا شَوَاهِدَهَا وَعَلَيهَا تَقُومُ قَوَاعدهَا عَلَى نَهجٍ عَرَبِي أَصِيل..."[3].

---

[1] . قال الحافظ بن كثير في تفسيره لآخر سورة الفاتحة، أن هذا الحديث لا أصل له، وقال العجلوني في كشف الخفاء، ج1، ص200 ما نصه:" معناه صحيح ولكن لا أصل له".

[2] . الراوي بريدة بن الحصيب الأسلمي، كتاب الإرشاد، ج3، ص898.

[3] ـ سعد سليمَان حمُّودَة، دُرُوس فِي البَلاغَةِ العَربيَّة، كُلِّيَّةُ الآداب، جامعَة الإسكندرية، دارُ المَعرفَة الجَامعيَّة، دط، 1999، ص8.

إنَّ حَاجَةَ الدَّارِسِ والكَاشِف عَن المَعنَى للبَلاغَةِ أَمر ضَرُورِي، وَمِن بَابِ أَولى الكَاشِف عَن المَعْنَى القُرآنِي، لأَنَّ اللهَ خَصَّهُ بِجُملَةٍ مِنَ الخَصَائِصِ، مِن حُسنِ التَّأْلِيفِ والتَّركِيب، وَمِن الإِيجَازِ والإِختِصَار، وَمِن الحَلاوَةِ والطَّلاوَةِ، والسُّهُولَةِ والجَزالَةِ، والعُذُوبَةِ والسَّلاسَة، يُعجِزُ البَصَرَ والبَصِيرَة.

2 ـ الإعرَابُ والبَلاغَة.

لا يُمكِنُ أَن نَفصِلَ بَينَ الإعرَاب والفَصَاحَةِ، فَالإعرَاب هُو الفَصَاحَة وَالفَصَاحَة هِي الإعرَاب، يَقُولُ الدكتُور أَحمَد حَاطُوم:" أَنَّهُ لَيسَ مِن شَرطِ الإعرَاب أَن يَكُونَ إعرَابًا دَلالِيًا أَي مِن أَجلِ ايصَالِ المَعنى، فَقَد يَكُونُ إعرَابًا أَو تَركِيبيًا أو شَكلِيًا أَوْ جَمَالِيًا"[1]، فَالفَصَاحَةُ تَعنِي البَيَان وَهِيَ وُضُوحُ المَعنَى وَظُهُورِهِ، أَي تَعنِي: سَلامَةُ الأَلفَاظِ وَصِحّة تَأليفِهَا وَخُلُوهَا مِنَ الغُمُوضِ. فَالفَصَاحَةُ وَالإعرَاب كَأَنَّهُمَا مُترَادِفَانِ، كِلاهُمَا يُرَادُ بِهِمَا الإفصَاح والإظهَار وَالتَّبيّين.

مُنذُ بِدَايَةِ التَّأْلِيف عِندَ أَهْلِ المَعَانِي لَم يَكُن هُنَاكَ فَرق بَينَ أَهلِ المَعَانِي والمُعربِينَ، حَيثُ نَجِدُ فِي كُتُبُ أَهْل المَعَانِي الإعرَاب إلا أَنَّهُم يَتَفَاوَتُونَ فِي ذِكرِهِ وَتَنَاوُلِهِ، يَقُولُ أَحمد أَمِين:" فَالفَرَّاءُ مَثَلاً، وسَعِيد بن مَسعَدة الأَخْفَش، وإبْراهِيمُ أَبُو إسحَاق الزَّجَّاج لَهُم عِنَايَة كَبِيرَة بِالمَبَاحِث النَّحوِيَّة فِي مَعَانِيهِم، وأَبُو عُبَيدَة مَعمَر بن المُثَنَّى لَهُ عِنَايَة أَكبَر بِالمَبَاحِث اللغَوِيَّة، بَل هِيَ الطَّاغِيَة عَلَى مَجَازِهِ"[2].

حَتَّى أَنَّ كُتُبَ إِعْرَاب القُرآنِ الكَرِيم الأُولَى كَانَت تَربِطُ بَينَ المَعَانِي والإعرَاب، فَنَجِد مَعَانِي القُرآن وإعرَابه للزجَّاج، مَعَانِي القُرآن للفرَّاءِ، مَعَانِي القُرآن للأخفَش، فَهَذِهِ الكُتُب رَبَطَت بَينَ الإعرَاب والمَعَانِي.

[1] ـ أحمد حَاطُوم، كتَابُ الإعرابِ، الإمَارات: 1992، شركة المطبوعَات للتَّوزِيع والنَّشر، ص304.

[2] ـ أَحْمَد أَمِين، ضُحَى الإسْلام، دط. مصر:1933، ج2، مكتبة النَّهضة المصريَّة، ص146.

وَفِي عَصرِنَا الكَثِير مِن كُتُب إعْرَاب القُرآن تَربِط بَينَ الإعرَابِ والبَلاغَة، وكَذَلِكَ بَينَ التَّفْسِيرِ والبَلاغَة، فَمِنَ الكُتُب التي تَربِطُ بَينَ الإعرَابِ والبَلاغَة كِتَاب محيي الدِّين الدَّرويش(إعرَاب القُرآن الكَرِيم وَبَيَانُهُ).

3 ـ التفسِيرُ البَيَانِي والبَلاغَة.

وَرَدَتْ كَلِمَةُ (البَيَان) فِي القُرآنِ الكَرِيمِ فِي مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَة، مِنهَا يَقُولُ تَعَالى ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران138]، فَالمُرَاد بِالبَيَانِ فِي هَذِهِ الآيَة بِمَعنَى الإيضَاح وَالتَّبيِّين، وَيَقُولُ تَعَالَى ﴿خَلَقَ الْإِنسَٰنَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ فِي الآيَة الكَرِيمَة قَرَنَ اللهُ بَينَ خَلقِ الإنسَانِ والبَيَان، قَالَ ابن كِثِير:" أَنَّهُ بِمَعنَى النُّطق الذِي بِهِ يَتَمَيَّزُ الإنسَان عَن سَائِرِ الحَيَوَان"، [الرَّحمن]، ثُمَّ وَرَدَ فِي آيَةٍ أُخرَى مِن سُورَةِ القِيَامَة، يَقُولُ تَعَالَى﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة18].

3 ـ 1 ـ مَفهُومُ التفسِير البَيَانِي: عَرَّفَهُ فَاضِل السَّامرائِي بِقولِهِ:" فَهُو جُزءٌ مِن التفسِير العَام، تَنصَبُّ فِيهِ العِنَايَة عَلَى بَيَانِ أَسرَارِ التَّعبِير مِنَ النَّاحِية الفَنِّيَّة، كَالتَّقدِيمِ وَالتَّأخِير، والذِّكرِ والحَذفِ، واخِتِيَارِ لَفظَةٍ عَلَى أُخرَى، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِأَحوَالِ التَّعبِيرِ"[1]، كَمَا فِي المَجَازِ الذِي يَكُون فِي اللفظَةِ الوَاحِدَة، وَقَد ذَكَرَ محيي الدِّين الدرويش بَعضَ التَّحلِيلات فِي تَغَيُّرِ الألفَاظ وَأَثَرِهَا فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي، فَالألفَاظ تَتَطَوَّرُ تَتَّسِع فِي المَعنَى وَتَضِيق وَتَتَغَيَّر.

فَالتَّفْسِير البَيَانِي يَهْتَمُّ بِالجَانِبِ البَلاغِي وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِن قَضَايَا تُسَاهِمُ فِي تَوجِيهِ المَعنَى، بِالإضَافَةِ إِلَى أَسَالِيبِ التَّركِيب وَخَصَائِصِهِ الدلالِيَّة مِن تَقدِيمٍ وتَأخِيرٍ وذِكرٍ وَحَذفٍ وَفَصلٍ وَوَصلٍ وَتَعرِيفٍ وَتَنكِيرٍ...

وَأَحوَال التَّعبِير مِن خِلالِ العُدُولِ مِن لَفظَةٍ إِلَى لَفظَةٍ أُخرَى، هَذَا العُدُول يَنقُلُ التَّعبِير مِن مَعنى إلى مَعنى آخَر، وَكَذَلِكَ بِالنِّسبَةِ لألفَاظِ القُرآنِ الكَرِيم فَاختِلافُهَا اِختِلاف للمَعَانِي.

[1] ـ فَاضل صَالح السَّامرائِي، على طَرِيق التَّفسِير البَيَانِي، ط1. عُمَان: 2011، دَار الفِكر، ج1، ص6.

وَيُعَدُّ عِلمُ البَلاغَة ضَرُورِي لِدَارِسِ كِتَابِ اللهِ المُتَبَحّر فِيهِ، يَقُولُ الزَّمَخشَرِي:" مِن حَقِّ مُفَسِّرِ كِتَابِ اللهِ البَاهِر، وَكَلامِهِ المُعجِز أَن يَتَعَاهَدَ بَقَاءَ النَّظمِ عَلَى حُسنِهِ، والبَلاغَة عَلَى كَمَالِهَا، وَمَا وَقَعَ بِهِ التَّحدِّي سَلِيمًا عَلَى القَادِحِ"[1].

وَفِي ذَلِكَ قَالَ ابنُ القَيِّم الجَوزِيَّة فِي فَضلِ القُرآنِ وشُرُوطِ دَارِسِهِ وَذَلِكَ بِقولِهِ:" وَإِنَّمَا يَعرِفُ فَضلَ القُرآنِ مَن عَرِفَ كَلامَ العَرَبِ، فَعَرِفَ عِلمَ اللغَةِ، وعِلمَ العَرَبِيَّة، وَعِلم البَيَانِ، وَنَظَرَ فِي أَشْعَارِ العَرَبِ وخُطَبِهَا وَمَقَالاتِهَا فِي مَوَاطِنِ اِفتِخَارِهَا، وَرَسَائِلِهَا، وأَرَاجِيزِهَا، وأَسْجَاعِهَا، فَعلم مِنهَا تَلوِيين الخِطَاب ومَعدُولِهِ، وفُنُون البَلاغَةِ وضُرُوب الفَصَاحَة... فَإِذَا عَلِمَ ذَلِكَ، ونَظَرَ فِي هَذَا الكِتَاب العَزِيز، وَرَأَى مَا أَودَعَهُ اللهُ سُبحَانَهُ فِيهِ مِنَ البَلاغَةِ والفَصَاحَةِ وفُنُون البَيَان فَقَد أُوتِيَ فِيهِ العَجَبَ العُجَاب، والقَول الفَصل اللُّبَاب، والبَلاغَة النَّاصِعَة التي تُحَيِّر الأَلبَاب، وتُغْلَقُ دُونَهَا الأَبْوَاب"[2].

وَالبَيَانُ لَهُ علاقَة بِعِلمِ الجَمَالِ وعِلم النَّفس الأَدَبِي والدِّراسَات اللسَانِيَّة الحَدِيثَة، فَالبَيَان بِمَعْنَاه الوَاسِع هُو:" أَقرَب فُنُون التَّعبِير التي تنبه عَلَيهَا عُلَمَاء فِي دِرَاسَات القُرآن إِلَى بحوث علم الجَمَال وَإِلَى عِلم النَّفس الأَدَبِي، وهُمَا دعَامَتَا النَّقد الحَدِيث ـ مَا تَضَمَّنَهُ عِلمُ البَيَان مِنَ الصُّور البَيَانِيَّة التي تَعتَمِدُ عَلَى التَّشبِيهِ والاِسْتِعَارَة والكِنَايَة، وَعِلم البَدِيع وَدَور الصُّور البَيَّانِيَّة يَقُومُ عَلَى مَا فِي اللَّفْظِ مِن خَصَائِصِ الإِيحَاء وَرَسم صور المَعَانِي فِي الخَيَالِ، وَعِلم البَدِيع يَقُومُ عَلَى خَصَائِص اللَّفظ مِن حَيثُ الجَرَس، وَوَقعِهِ الصَّوتِي، وهُو مَا يَدُورُ فِي المُحَسِّنَات اللفْظِيَّة المُختلِفَة، وَالنَّظم والسَّجع وَالفَوَاصِل وَغَير ذَلِكَ"[3].

---

[1] ـ السُّيُوطِي، جَلال الدِّين السيُوطِي، الإتقَان فِي علُوم القُرآن، ج2، ص398.

[2] ـ ابن القيِّم الجوزِيَّة، الفَوائِدُ المُشوِّق إِلَى علُومِ القُرآن وعِلْم البيَان، تح: جماعَة من العلمَاء، ط2. بيروت: 1988، دار الكتُب العلميَّة، ص9.

[3] ـ مُحمد زغلول سلام، أثرُ القُرآن فِي تَطوّر النَّقد العَرَبِي إِلَى آخِر القَرْن الرَّابع الهِجْرِي، ط3. مصر: 1968، دار المعَارف، ص358.

3 ـ 2 ـ التفسِيرُ البَيَانِي وَبِدَايَاتُهُ.

إِنَّ التفسِيرَ البَيَانِي عَلَى قَدرِ قِيمَتِهِ، وَرِفعَةِ مَكَانَتِهِ، وثُبُوتِ وَجُودِهِ عِندَ العَرَبِ، فَاللّسَان فِي ذَلِكَ الزّمَان كَانَ لِسَانًا فَصِيحًا مُبِينًا، وَكَانَتِ الفَصَاحَة مِن سِمَتِهِم البَارِزَة التي يَتَمَيَّزُونَ بِهَا وَلَكِن فِي الوُجُودِ لَم يَصِل إِلَيْنَا تَفْسِيرًا يَحْمِلُ اِسمَ التفسِير البَيَانِي، بِهَذَا الاِسم وبِخَصَائِصِهِ البَيَانِيَّة.

وَالتَّفْسِيرُ البَيَانِي يُعَدُّ أَوَّل تَفسِيرٍ ظَهَرَ لِبَيَانِ القُرآنِ الكَرِيمِ، وَهَذَا مِمَّا لا شَكَّ فِيهِ، فَقَد كَانَ الرَّسُولُ ﷺ المُبِين الأَوَّل للقُرآنِ الكَرِيم، وَقَد وَصَفَه اللهُ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿بِالْبَيِّنَٰتِ وَالزُّبُرِۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النّحل44]، ثُمَّ كَانَ الصَّحَابَةُ الكِرَام الذِينَ نَزَلَ القُرآنُ بِلُغَتِهِم ولِسَانِهِم وفِي زَمَانِهِم، فَهُم أَعرَفُ الحَالِ بَعْدَ النَّبِيِّ، فَقَد عَرَفُوا أَسبَابَ نُزُولَ بَعضَ آيَاتِهِ ومُنَاسَبَة بَعضَ الآيَاتِ الأُخرَى، فَكَانَ مِنهُم: عَبْدُ اللهِ بن عبَّاس(ت68هـ) حِبْرُ الأُمَّةِ وتُرجُمَانُ القُرآنِ، وَكَانَ بَعدَ الصَّحَابَةِ عُلَمَاءَ ربَّانِيّينَ مِنَ التَّابِعِينَ فَكَانَ مِنهُم: سَعِيد بن جُبَير(ت94هـ)، وقَتَادَة بن دعَامَة الدوسِي(ت117هـ)، ثُمَّ حَمِلَ العِلم عَلَى هَؤُلاءِ أَتْبَاع التَّابِعِينَ مِمَّن كَانَ يَحمِلُ العِلم مُتَوَارِثًا، مِن هُؤلاءِ الأَعلام: عَبْدُ الرَّحمَن بن زَيْد بن أَسلَم المَدَنِي(ت182هـ)، ويحيَى بن سَلَّام البَصْرِي(ت200هـ)، والكَسَائِي(ت183هـ)، وعمرُو بن العَلاء وغَيْرُهُم، ومِمَّن كَانَ يَحمِلُ عِلمَ التفْسِير فِي هَذِهِ المَرحَلَة أَهلَ اللغَةِ مِنهُم: الكسَائِي[1](ت183هـ)، والفَرَّاءِ(ت206هـ) الذِي كَانَ تِلْمِيذ الكسَائِي، فَأَهلُ اللغَةِ كَانُوا يَجمَعُونَ بَينَ النحو والقِرَاءَات وعُلُوم أُخرَى نَجِدُ مِنهُم: عمرو

[1] ـ الكسَائِي هُو علي بن حَمْزة، وُلِدَ بِالكُوفَةِ عام(119هـ) وَنَشَأَ بِهَا، وَوَاظبَ مُنذُ نَشْأتِهِ علَى حلقَاتِ القُراء، وكَانَ ذَكِيًا فطنًا، رَحَلَ إِلَى البَصْرةِ وتَعَلم اللغَة العَرَبِية مِن عُلمَائِهَا مِنهُم: عمرُو بن العَلاء ويُونُس بن حَبيب والخَليل بن أحمد الفراهيدي وغيرهم، وتوفي عام(189هـ)، شَوقِي ضيف، المَدارس النَّحْوِيَّة، ص172 ـ173.

بن العَلاء[1] وعِيسَى بن عُمَر الثَّقَفِي ويُونُس بِن حَبِيب الزَّيَّات والكسَائِي والخَلِيل بن أَحمد الفَرَاهِيدِي، فَمِن عَهْدِ الرَّسُول الكَرِيم إِلَى أَتْبَاعِ التَّابِعِين كَانُوا هُمُ النَّوَاة الأُولَى لِتَّبْيِين القُرآنِ الكَرِيم، فَقَد خَلَقَ اللهُ الإنسَانَ وَعلَّمَهُ القُرآن والبَيَانُ بِاللِّسَانِ، قَالَ تَعَالَى ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَۖ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَۖ ﴾.

فَهَذِهِ هِيَ الإرهاصَات الأُولَى لِتَفسِيرِ وَبَيَانِ كَلامِ اللهِ عزَّوَجَلَّ، والتَّفْسِيرُ البَيَانِي كَانَ مَبثُوثًا ومَوجُودًا ضِمنِيًا فِي أَقوَالِهِم وآثَارِهِم العِلمِيَّة، لِتَأتِيَ المَرَاحِلُ الأُخرَى التي تَمَيَّزَت بِكِتَابَةِ التَّفَاسِير.

إلا أَنَّ إِفرَادَ التَفسِير البَيَانِي بِتَأليفٍ مُنفَرِدٍ لَم يَكُن مَوجُودًا، إلا إِنَّهُ كَانَ مَبثُوثًا فِي بُطُونِ التفَاسِيرِ الأُخرَى، وَنَجِدُ الكَثِيرَ مِن هَذَا فِي تَفسِيرِ الطبَرِي (ت310هـ)، فَالتفَاسِير كَانَت تَهْتَمُّ بِجَوَانِب مُختلِفَة مِنهَا: أُمُورُ العَقِيدَة، أَحكَامُ الشَّرِيعَة، الجَانِب التَّارِيخِي، قصَص الأُمَمُ الغَابِرَة، الجَوانِب اللُّغَوِيَّة وَالبَيَانِيَّة.

إِنَّ البِدَايَات الحَقِيقِيَّة للتفسِيرِ البَيَانِي كَانَت مَعَ الزَّمَخشَرِي (ت538هـ) فِي كِتَابِهِ:" الكَشَّاف عَن حَقَائِقِ غَوَامِضِ التَّنزِيل وعُيُون الأَقَاوِيل فِي وُجُوهِ التأوِيلِ"، فَقَد كَانَ التَّفسِير الأَوَّل الذِي كَانَت لَهُ العِنَايَة الكَبِيرة بِالمَجَال البَيَانِي، وَوُجُوهُ الإِعجَازِ، وَدَقَائِق الأَلفَاظِ وبَلاغَةُ التَرَاكِيبِ، قَالَ ابنُ أَبِي الإِصْبَع" ولأَنَّ الزَّمَخشَرِي يُعَدُّ بِحَقٍ أَوَّل مَن فَسَّرَ القُرآنَ الكَرِيم مُتَأَثِّرًا بِالبَلاغَةِ بَعدَ الفَرَّاءِ فِي مَعَانِي القُرآن مُطَبِّقًا قَوَاعِدَهَا مُسْتَخرِجًا بَعضَ أَنوَاعِهَا الأَدَبِيَّة فِي تَفسِيرِهِ، والمُفَسِّرُونَ أَحوَجَ النَّاسِ إِلَى هَذَا الفَنِّ وإِن كَانَ أَغلَبُ المُفَسِّرِينَ الذِينَ تَقَدَّمُوا الزَّمَخشَرِي أَغْفَلُوا تِلْكَ النَّاحِيَة فِي تَفَاسِيرِهِم حَتَّى ظَهَرَتْ خَالِيَةً مِنَ البَيَانِ"[2]، وفِي حَقِيقَةِ الأَمرِ هُنَاكَ مَن المُتَأَخِّرِينَ مَن رَجَّحَ كِتَاب (مَجَازُ القُرآنِ) لأَبِي عُبَيدَة كَمُنطَلَقٍ أَوَّلِي لِدِرَاسَةِ البَيَان القُرآنِي

[1] ـ عَمرُو بن العَلاء هُو أَحَدُ القُراءِ السَّبعَة، وكَانَ أَعْلَم النَّاس بِالغَرِيب وَالعَربيَّة وبِالقُرآن وبِأَيَّام العَرَبِ، وُلِدَ بِمَكة سنة(70هـ)، وهُو مِن الأَعْلام فِي القُرآن الكَرِيم فهُو أَكْثَرُ القُرَّاء شيُوخًا، قرَأَ بمَكَّة والمَدِينَة وبالبَصْرة أيضًا، مِن تَلامِذتِهِ يُونس بن حَبِيب الزيَّات، تَوفَّى عام(154هـ). ابن جنِّي، الخصائِص، ج1، ص249. ابن النَّديم، الفهرست، ص48.

[2] ـ حَفنِي محمَّد شَرَف، ابن أَبِي الأصْبع مِن علمَاء البَلاغَة، دط. القاهرة: 1962، مطبعة القَاهِرَة، ص329.

وهُو الدكتور حَمِيد قَاسم هَجر المُفَضَّل[1] حَيثُ قَالَ:" لأَنَّ دِرَاسَة المَجَاز فِي أُسلُوبِ القُرآنِ حَدَّدَتِ الطَّرِيقَ مِن بَعد لِلدِرَاسَاتِ البَيَانِيَّة فِي الأُسلُوبِ القُرآنِي"[2].

وَلا عَجَبَ مِن ذَلِكَ أَنَّ اللهَ سُبحَانَهُ وتَعَالَى، مَدَحَ اللِّسَان العَرَبِي فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يَّقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنَافقُون:4] ويَقُولُ اللهُ تَعَالَى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يُّعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِے ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [البقرة:202] فَكَانَت لُغَةُ قُرَيش بِمَكَّة هِي اللغَةُ الجَامِعَة التي ذَابَت دُونَهَا كُلّ اللّغَاتِ.

إِنَّ العَرَب فِي العَصرِ الجَاهِلِي اللغَةِ العَرَبِية كَانَت عِندَهُم صِنَاعَة، وَفَن وَذَوق وأَصل فِي الذَّاتِ، فَلَمَّا نَزَلَ القُرآنُ عَلَى النَّبِي الكَرِيمِ، تَذَوَّقُوا أَلفَاظَهُ وَمَعَانِيهِ، وَبَلاغَتَهُ وبَيَانَهُ، فَوَجَدُوهُ أَرقَى كَلامًا، وأفصَح بَيَانًا، وَأَروعَ أُسلُوبًا، وَلا أَدَل عَلَى ذَلِكَ مِن كَلامِ الوَلِيد بن المُغِيرَة أَحد كِبَارِ قُرَيشٍ وَزُعَمَائِهِم، وَأَعلَمُهُم بِنَاصِيَةِ البَيَانِ والبَلاغَة، يَقول عِندَمَا سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَتلُو شَيْئًا مِنَ القُرآنِ الكَرِيمِ، فَقَالَ:" وَاللهِ لَقَد سَمِعتُ مِن مُحَمَّدٍ آنفًا كَلامًا مَا هُو مِن كَلامِ الإِنسِ، وَلا مِن كَلامِ الجِنِّ، إِنَّ لَهُ لَحَلاوَة، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلاوَة، وَإِنَّ أَعلاه لَمُثمِر، وَإِنَّ أَسفَلَهُ لَمُغدِقٌ، وَإِنَّهُ يَعْلُو وَمَا يُعْلَى"[3].

فَتَعجبَت قُرَيش مِن كَلامِ الوَلِيد بن المُغِيرَة، فَأَرَادَ زُعَمَاءُ قُرَيش تَحطِيمَ شَهَادَتِهِ فِي القُرآنِ الكَرِيم، وَالنَّبِيُّ الكَرِيم حَامِلُ الرِّسَالَة الربَّانِيَّة، فَقَالُوا لَقَد سَحَرَكَ بِكَلامِهِ، فَاتَّهَمُوهُ بِالسِّحْرِ وَالكَهَانَة فَلَم يَنفَع ذَلِكَ، وَبِالشِّعرِ وَمَا هُو بِشَاعِرٍ، فَهُنَاكَ أَدِلَّة عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَم يُمَارِس الشِّعر، كَمَا أَنَّهُ لا يَعْلَمُ قَوَاعِدَهُ الفَنِّيَّة فَلَو كَانَ شَاعِرًا لَمَا اِتَّخَذَ شُعَرَاء يُدَافِعُونَ عَنْهُ، وبِالجُنُونِ

[1] ـ حَمِيد قَاسم هَجر المُفَضَّل، تَحْلِيلُ الخِطَاب التَّفسِيرِي عِندَ المُحْدثِين مُنطلقاتُهُ واتِّجَاهَاتُهُ، ط1. بغداد: 2015، دار أومَا، ص71.

[2] ـ الدكتور حَمِيد قَاسِم هَجر المُفَضَّل، كَاتِب مِن العِرَاقِ لَهُ مُؤلَّفَات من بينهَا: تَحلِيلُ الخِطَاب التفسِيرِي عند المُحدثِينَ منطلقاتُهُ واتجاهَاتهُ، وكتاب العُدولُ في العددِ في النَّص القُرآنِي.

[3] ـ الزَّمَخْشرِي، تفسِيرُ الكشَّاف عَن حَقَائق التَّنزيل وَعُيُون الأَقَاوِيلِ في وجُوهِ التَّأوِيلِ، دط. بيروت:1407هـ، دارُ الكتَاب العَرَبِي، ج4، ص636.

وَمَا هُو بِمَجنُونٍ، وَلِهَذَا يَقُولُ تَعَالَى وَاصِفًا أَقْوَالَهُم وَاتّهَامَاتِهم يَقُولُ تَعَالَى﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُومِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَّكَّرُونَ ٤٢ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الحاقة:38-42] وقَوْلِهِ تَعَالَى﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ٢٧ اَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ٢٨ قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّے مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ [الطور:27-29]

وَمِنَ الأَدِلَّةِ عَلَى أَنَّ العَرَبَ أَهْلَ بَيَانٍ وَبَلاغَةٍ وَفَصَاحَةٍ، تَأَثُّر عُمر بن الخَطَّاب ـ رَضِي الله عَنْهُ ـ بِالبَيَانِ القُرآنِي عِندَمَا سَمِعَ كَلامَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ قبل إسلامِهِ، فَقَد أَخبَرُوهُ بِإِسلامِ أُخْتِهِ فَاتَّجَهَ نَحْوَ بَيْتِهَا" فَقَالَ أَرُونِي هَذَا الكِتَاب، فَقَالَت لَهُ فَاطِمَة إِنَّهُ لا يَمَسُّهُ إِلا المُطَهَّرُونَ، فَقَامَ عُمَر فَاغتَسَلَ، فَأَخرَجَا لَهُ صَحِيفَةً فِيهَا (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فَقَالَ: أَسْمَاءٌ طَيِّبَة طَاهِرَة، ﴿طَٰهَٰ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿لَهُ ٱلَاسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾"[1]، فَمَا الشَّيءُ الذِي جَعَلَ عُمَر بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ يَتَأَثَّر هَذَا التأَثُّر عِندَ سَمَاعِهِ لِسُورَةِ طه، إِنَّهَا البَلاغة والبَيَان والفَصَاحَة وَفِي المُقَابِل الذَّوق البَلاغِي، والفَنِّي للعَرَبِي الذِي نَزَلَ القُرآنُ فِي زَمَانِه، وَهُم أَهل بَلاغَةٍ وبَيَانٍ وَفَصَاحَةٍ.

وَمن الأَدِلَّةِ فِي هَذَا المَجَالِ كَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا هَاجَرَ المُهَاجِرُون بِأَمرِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الحَبَشَةِ عِندَ النَّجَاشِي، وَكَانَ مَا كَانَ بَينَ النَّجَاشِي والمُهَاجِرِين وعمرُو بن العَاص، فَقَالَ النَّجَاشِي:" هَل مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللهِ شَيءٌ؟ قَالَ نَعَم فَقَرَأَ عَلَيهِ قُرآنًا، فَبَكَى النَّجَاشِي وَبَكَى أَسَاقِفَتَهُ، وَقَالَ النَّجَاشِي: إِنَّ هَذَا والذِي جَاءَ بِهِ عِيسَى يَخْرُجُ مِن مِشْكَاةٍ وَاحِدَة"[2]، فَبَيَانُ القُرآنِ وحَلاوتُهُ وَذَوقُهُ يُحِسُّ بِهِ العَرَبِي والأَعجَمِي إِلَّا مَن عَمَت بَصِيرَتُهُ وَذَهَبَ بَصَرُهُ.

وَمِنَ الأَدِلة كَذَلِكَ مَا قَالَهُ الكِندِي الذِي أَخَذَهُ الغُرُور وَأَرَادَ مُحَاكَاة القُرآن الكَرِيم، فَقَد كَانَ مِن أَهل البَيَان وَالحِكمَةِ والفَلسَفَة والمَنطِق، اِغتَر بِعلمِهِ فَقَالَ لَهُ مُرِيدُوهُ يَومًا: أَيهَا الحَكِيم اِعمل

[1] ـ أبوبكر جَابر الجَزائري، هَذَا الحَبِيب مُحَمَّد يَا مُحِب، ط1.بيروت:1995، دارُ الفِكْر، ص68.

[2] ـ المرجع السَّابق، ص82.

لَنَا مِثْلَ هَذَا القُرآن فَقَالَ نَعَم أَعْمَلُ مِثْلَ بَعضِهِ، فَاحْتَجَبَ أَيامًا كَثِيرَة ثُم خَرَجَ عَلَيهِم وَقَالَ: وَاللهِ مَا أَقدِر وَلا يَطِيقُ هَذَا أَحَد، إِني فَتَحت المُصحَف فَخَرَجَت سُورَةُ المَائِدَة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ١ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة: 1 ـ2] فَنَظَرتُ فَإِذَا هُو قَد نَطَقَ بِالوَفَاءِ ونَهَى عَنِ النكث وحَلَّلَ تَحْلِيلاً عَامًّا ثُمَّ اِستَثنَى بعد اِستِثناء ثُمَّ أَخبَرَ عَن قُدرتِهِ وَحِكمَتِهِ فِي سَطرَينِ ولا يَقدِرُ أَحَد أَن يَأتِيَ بِهَذَا[1].

هَذَا مَا قَالَهُ الكِندِي وهُو عَلَم مِن أَعلام الحِكمَةِ والكَلام والبَيَانِ والفَلسَفَةِ، أَشَارَ إِلَى عَظَمَةِ القُرآنِ وقَائِلِهِ، وفِيهِ بَيَان لِرَوعَةِ أَسلُوب القُرآنِ وَنَظمِهِ وَقُوة مَعَانِيهِ.

وَقَد مَرَّ تَفسِيرُ القُرآنِ الكَرِيم بِمَرَاحِلَ مُتَعَدِّدَة، مِن بَينَ هَذِهِ المَرَاحِل؛ مَرحَلَة الرُّكُودِ التي كَانَ يَهتَمُّ أَصْحَابُهَا بِالتَّلخِيصِ، وَنَزْعِ الأَسَانِيدِ وَغَيرِهَا، إِلا أَنَّ مُعظَمَ المُفَسِّرِينَ هُم عَالَةٌ عَلَى بَعضِهِم البَعض؛ فَقَد تَجِد نَفس المَعَانِي مُنقُولَة عَن بَعضِهِم البَعض:" فَالبَغَوِي تَفسِيرُهُ مُختَصَر مِن الثَّعَالِبِي، وَتَفسِيرُ الجَوَاهِرُ الحِسَان هُو اِختِصَار لِتَفسِيرِ المُحَرِّرُ الوَجِيز، وَالدرُّ المنثُور عِبَارَة عَن جَمْعِ مَا نُقِلَ عَنِ السَّلَف بِصَحِيحِهِ وَسَقِيمِهِ، دُونَ إِضَافَةٍ أَو زِيَادَة أَو حَتَّى تَعْلِيقٍ، وَالبَيْضَاوِي تَفْسِيرُهُ اِخْتِصَارٌ لِلْكَشَّافِ، وَمَفَاتِيح الغَيب، وَتَفسِيرُ الرَّاغِب الأَصفَهَانِي، وَمَدَارِكُ التَّنزِيل للنَّسفِي، كُلُّ ذَلِكَ تَلخِيصٌ للبَيضَاوِي والكَشَّاف، وَلُبَاب التَّنزِيل اِختَصَرَهُ الخَازِن مِن مَعَالِمِ التَّنزِيل لِلبَغَوِي مَع حَذفِ الأَسَانِيدِ، وتَجَنُّبِ التَّطوِيل والإسهَاب، والبَحر المُحِيط مُعظَمه مِن تَفسِيرِ الزَّمخشَرِي"[2].

وَيُعَدُّ التَّفسِيرُ البَيَانِي مِن أَكْثَرِ التَّفاسِير المُعَاصِرَة تَأَمُّلا فِي القُرآنِ وتَفَكُّرًا فِيهِ، فَهُو يَتَنَاوَلُ جَوَانِب مُتَعَدِّدَة فِي القُرآنِ الكريم؛ كَالإِعجَاز البَيَانِي مِن حَيثُ البَلاغَةِ وَالفَصَاحَة والأَدَاء

[1] ـ محيي الدين الدرويش، إعرابُ القُرآن الكريم وَبيانُهُ، ج2، ص173. أمير عبد العزيز، إعجَازُ القُرآن، ط1. نابلس:2010، مكتبة دنديس، ص38. بتصرف

[2] ـ محمَّد حُسين الذَّهبِي، التفسِير والمُفسِّرون، ط7. القاهرة:2000، مكتبة وهبة، ج2، ص180. عثمان أحمد عبد الرحيم، التَّجديد في التفسير المفهُوم والضَّوابِط، دط. مجلة الوعي، ص19.

ومَعَانِى الأَلفَاظ القُرآنِيَّة وَدِقَّة بَيَانِهَا وَحُسن سَبكِهَا، وَقُوَّةِ مَوضِعِهَا فِي التَّركِيبِ وَدَلالتِهَا فِيهِ، وَفِي تَوجِيهِ المَعْنَى القُرآنِي مِن حَيثُ تَأثِيرِهَا فِي تَوجِيهِ الأَحكَامِ والوُصُول إِلَى المَعَانِي المُرَادَةِ.

وَلَكِن فِي حَقِيقَةِ الأَمرِ فَالمُفَسِّرُ البَيَانِي الأَوَّل هُو النَّبِيُّ الكَرِيم ﷺ بَدَأَ مَعَ بِدَايَةِ نُزُولِ الوَحْيِ، ثُمَّ اِسْتَمَرَّ مَعَ تَفَوُّقِ عبد الله ابن عبَّاس فِي اِكتِسَابِهِ أَدَوَات التَّفسِير البَيَانِي مِن خِلالِ اطّلاعِهِ عَلَى المَورُوث العَرَبِي شِعْرًا وَنَثْرًا، فَالشِّعرُ دِيوَانُ العَرَبِ، وَكَذَلِكَ مَعرِفَتُهُ لِدَلالَةِ الأَلفَاظ العَرَبِيَّة.

ثُمَّ جَاءَ عَصر التَّدوِين وَالذِي ظَهَرَتْ مَعَهُ مُؤَلَّفَات تَهْتَمُّ بِالبَيَانِ القُرآنِي، فَكَانَ أَبُو عُبيدَة بن مَعْمَر بن المُثَنَّى(209هـ) فِي كِتَابِهِ مَجَاز القُرآنِ، والفَرَّاءُ فِي مَجَازِ القُرآنِ والجَاحِظ فِي نَظمِ القُرآنِ، وهُنَاكَ اِختِلافٌ بَينَ البَيَانِ فِي بِدَايَتِهِ والبَيَانِ فِي عَصرِنَا المُعَاصِر، وَيَعُودُ الأَمر فِي ذَلِكَ لأَمْرَيْنِ اِثنَينِ ذَكَرَهُمَا الدكتور فَهد الرُّومِي:

الأَوَّلُ: أَنَّ هَذِهِ الدرَاسَات القَدِيمَة كَانَت وَسِيلَة وَلَيسَت غَايَة، بِمَعنَى أَنَّ المُفَسِّرَ كَانَ الأَصلُ عِندَهُ الإِعتِنَاء بِالمَفْهُومِ القُرآنِي وَإبرَاز مَعَانِيهِ فِي أَبْهَى صُوَرِهَا البَيَانِيَّة، وَكَانَ يَتَّخِذُ الكَشفَ البَيَانِي وَسِيلَة لَهُ فِي الكَشفِ عَن هَذِهِ المَعَانِي القُرآنِيَّة، أَمَّا الدرَاسَات البَيَانِيَّة فِي عَصرِنَا الحَدِيث فَهِيَ تَدْرُسُ النَّصَّ القُرآنِي، وَقَصدُهَا الأَوَّل أَدَبِي مَحض صَرف، غَيرَ مُتَأَثِّرٌ بِأَيِّ اِعْتِبَار وَرَاءَ ذَلِكَ.

والثَّانِي: أَنَّ المُؤَلَّفَات القَدِيمَة لَم تُؤَصِّل هَذَا المَنهَج وَلَم تُحَدِّد مَعَالِمَهُ، بِمَعنَى أَن تَصُوغَهُ فِي إِطَارٍ بَارِز مُحَدَّدُ المَنْهَج والضَّوَابِط والمَعَالِم، وإِنَّمَا تَنَاول كُلٌّ مِنهُمَا جَانِبًا أَو جَوَانِب مَعدُودَة، دُونَ أَن يَكُونَ لَهُ مَنْهَج عَام وَوَاضِح"[1]، وَالمَقصُود بِمَجَازِ القُرآنِ لَيسَ المَجَاز المُقَابِل لِلحَقِيقَةِ وَلَكِن إِنَّمَا هِيَ:" تَسمِيَة لُغَوِيَّة تَعنِي التَّفسِير، فَالمَعرِفَةُ بِأَسَالِيبِ العَرَبِ، وَدَلاَلاَتِ أَلفَاظِهَا، وَمَعَانِي أَشعَارِهَا وَأَوْزان أَلفَاظِهَا وَوُجُوهُ إِعرَابِهَا وَطَرِيق قِرَاءَتِهَا كُلُّ ذَلِكَ سَبِيل مُوصِل إِلَى

[1] ـ فهد الرُّومِي، بُحُوث فِي أُصُول التفسِير، ط4.، الرياض: 1419هـ، مكتبة التوبة، ص107، 106.

المَعنَى فَمَجَازُ القُرآنِ يَقْصِدُ أَبُو عُبَيدَة بِهِ المعبر إلى فَهمِهِ فالتَّسمِية لُغَوِيَّة وَلَيسَت اِصطِلاحِيَّة"[1]، وَفِي كِتَابِهِ مَجَازُ القُرآنِ ذَكَرَ مَجَالات التَّفسِير البَيَانِي وَمَجَالاتِهِ اللُّغَوِيَّة والبَيَانِيَّة" حِينَ تَعَرَّضَ للنُّصُوص القُرآنِيَّة أَشَارَ إِلَى مَا تَدُلُّ عَلَيهِ مِن حَقِيقَةٍ أَو مَثَلٍ أَو تَشبِيهٍ أَوْ كِنَايَةٍ وَمَا يَتَضَمَنُّ مِنْ ذِكْرِ حَذْفٍ أَوْ تَقْدِيمٍ أَوْ تَأْخِيرٍ، فَوَضَعَ بِذَلِكَ اللَّبِنَة الأُولَى فِي صَرْحِ الدرَاسَات البَلاغِيَّة لِلْقُرآنِ"[2]، ثُمَّ كَانَ الجَاحِظ بَعْدَ أَبِي عُبَيدَة؛ والذِي يُعَدُّ مِن أَعلامِ التفسِيرِ البَيَاني، فَقَد سَاقَ أَمثِلَة قُرآنِيَّة وَذَكَرَ مَا فِيهَا مِنَ الفُنُونِ البَلاغِيَّة وَالأَسَالِيب البَيَانِيَّة، وَقَد اِهْتَدَى الجَاحِظ إِلَى مَعَانِي وَأَسرَار بَلاغِيَّة وبَيَانِيَّة، وَبِخَاصَّةٍ مَا تَعَلَّقَ بِالأَلفَاظِ وَالأَسَالِيب القُرآنِيَّة فَكَانَ كَاشِفًا لِلمَعَانِي" لَقَد نَظَرَ الجَاحِظُ إِلَى أَلْفَاظِ القُرآنِ، وَمَعَانِيهِ فَأَطَالَ النَّظَرَ الفَاحِص لِيَهْتَدِيَ إِلَى فطنٍ بَارِعَة فِي التَّحلِيلِ والاِستِنتَاجِ كَانَت عَوْنَ البَلاغِيّينَ جَمِيعًا فِي كَثِيرٍ ممّا كَتَبُوهُ عَنِ اللَّفظِ والجُملَةِ وَالصُّورَةِ"[3].

ثُمَّ تَوَالَت المُؤلَّفَات فِي مَيْدَانِ البَيَان القُرآنِي، فَكَانَ كِتَاب الكَشَّاف للزَّمَخشرِي، بِالإِضَافَة إِلى كُتُب المُنَاسَبَات التي هِيَ مِن مَيدَانِ البَيَان والبَلاغَة القُرآنِيَّة كَكِتَاب نَظم الدُّرَر فِي تَنَاسِبِ الآيَاتِ وَالسُّور.

وَاستَمَرَّ التَّفسِيرُ البَيَانِي فَكَانَ رَشِيد رِضَا فِي كِتَابِهِ **(المَنَار)** والشّيخ مُصطفَى المَرَاغِي والشّيخ عبد القَادر المَغرِبِي[4]، فَكَانَ هَؤُلاءِ العُلمَاء بِحَقٍّ مَدرَسَة بَيَانِيَّة، فَقَدِ اِعتَمَدُوا عَلَى مَجمُوعَةٍ مِنَ الأُسسِ التي يُبنَى عَلَيْهَا المَنْهَج البَيَانِي لِتَفسِيرِ القُرآنِ الكَرِيم مِنهَا:" فهم حَقَائِق الأَلفَاظ التي

[1] ـ الجُوينِي، منَاهجُ فِي التفسِير، ط1. الإسكندرية: دت، منشأة المَعَارف العَامَّة، ص77،78.

[2] ـ إبراهيم أنيس، إحيَاءُ النَّحو، دط. القاهرة: 1959، مطبَعَة القَاهرة، ص19،20.

[3] ـ محمَّد رَجَب البيُّومِي، خُطُوات التفسِير البيَانِي، ط1. مصر:1971م، مطابِع الشَّركة المصريَّة للطباعَة والنَّشر، ص79.

[4] ـ عبد القادر بن مصطفى المغربِي الطرابلسِي (1868م/ 1956م) مِن علمَاء اللغةِ والأدب وهُو أحدُ أعضَاء المَجْمَع العَربِي بدمشق، ولِد في اللاذقيَّة: نشأ في الشَّام قَرَأَ على يَدِ أبيهِ وبعض عُلمَاء دِمَشق، عَمِلَ مُحَررًا فِي جريدةِ "الشَّرق"، وهُو تلميذٌ للشَّيخَينِ محمد عبدهُ ورشيد رضَا، من مؤلفاتِهِ: "الأخْلاق والواجبَات"، "تفسِير جُزء عَم"، "علَى هَامش التفسِير"،" الاشتقَاق والتَّعريب"، توَفَّى فِي مَدينة دمشق. أدهم آل جندي، أعْلامُ الأدَب والفَن، دط. سوريا: 1954، مطبعةُ مَجلَّة صَوت سُوريَا، ج2، ص120.

أَودَعَهَا القُرآنُ مِن خِلال مَعرِفَةِ اِستِعمَالِهَا اللُّغَوِي، وَمَعرفَة أَسَالِيب الكَلام البَلِيغ وَمُزَاوَلتِهِ مَعَ مَعْرِفَة مَحَاسِنِهِ وَالعِنَايَة بِالوُقُوفِ علَى مُرَادِ المُتَكَلِّم مِنهُ، وَفَهْمِ مَا يُمكِنُ فَهْمِهِ بِقَدرِ طَاقَةِ البَشَر وَيَحتَاجُ ذَلِكَ إِلَى الإِعرَابِ وعِلمِ الأَسَالِيبِ"[1] ثُمَّ جَاءَ أَمِين الخُولِي[2] الذِي يُعَدُّ مِنَ الذِينَ عَمِلُوا عَلَى ضَبطِ المَنهَج العَام للتفسِير البَيَانِي الأَدَبِي وِفقَ قَوَاعِد مَضبُوطَة وَعِلمِيَّة، وقد نَشَرَ ذَلِكَ فِي دَائِرَة المَعَارِف الإسلامِية، وَمِن مُؤلَّفَاتِهِ: **(التَّفْسِيرُ.. مَعَالِمُ حَيَاتِهِ مَنْهَجُهُ اليَوْم)** وَكِتَاب **(مَنَاهِجُ التَّجْدِيد)** وكِتَاب عِنوَانُهُ **(دِرَاسَات مِنْ هَدِي القُرآن)**، ثُمَّ وَاصَلَت تِلمِيذَتُهُ الدكتورة عَائِشَة بِنت الشَّاطِئ عَلَى مِنوَالِهِ، فَقَد كَانَت أُسْتَاذَة مَدَرَّسة فِي كُلِّيَّةِ الآدَاب بِالقَاهِرَة، وَتَنَاوَلَت فِي تَدرِيسِهَا لِمَادَّةِ التَّفْسِير تَفسِير بَعض قِصَار السُّور، وَقَد طَبَعَت ذَلِكَ فِي كِتَابٍ يَحمِلُ عِنوَان **(التَّفْسِيرُ البَيَانِي للقُرآنِ)**.

وَقَد ذَكَرَت بِنت الشَّاطِئ فِي مُقَدِّمةِ كِتَابِهَا أَنَّهَا" اِهتَدَت إِلَى هَذِهِ الطَّرِيقَة لِمُعَالَجَةِ مُشكِلاتِنَا فِي حَيَاتِنَا الأَدَبِيَّة واللغَوِيَّة، وأَنَّهَا بَحَثَت ذَلِكَ فِي عِدَّةِ مُؤتمَرَاتٍ دَولِيَّة، فَفِي مُؤتَمَر المُسْتَشرِقِينَ الدَّولِي فِي الهِند سَنَة 1964م، كَانَ مَوضُوعُ البَحث الذِي شَارَكَت بِهِ فِي شُعْبَةِ الدرَاسَات الإِسْلامِيَّة هُو: **مُشْكِلَةُ الترَادُف اللغَوِي، فِي ضَوْءِ التَّفْسِير البَيَانِي لِلْقُرآنِ الكَرِيم**" قَالَتْ: وَقَد بَيَّنتُ كَيْفَ شَهِدَ التَّتَبُّعُ الدَّقِيق لِمُعجَمِ أَلفَاظ القُرآن: وَاسْتِقرَاء دَلالاتِهَا فِي سِيَاقِهَا، بِأَنَّ القُرآن يَسْتَعمِل اللَّفْظَ بِدلالَةٍ مَحدُودَةٍ، لاَ يُمكِنُ مَعَهَا أَنْ يَقُومَ لَفظٌ مَقَامَ آخَر، فِي المَعنَى الوَاحِد الذِي تحْشُدُ لَهُ المَعَاجِم اللغَوِيَّة وَكُتُب التَّفسِير، عَدَدًا قَل أَوْ كَثُرَ مِنَ الأَلفَاظِ المَقُول

[1] ـ عقيد خالد حمّودي محيي العزّاوي، المَنهَجُ البَيَانِي فِي تفْسِيرِ القُرآنِ فِي العَصرِ الحَدِيث، ط1. دمشق: 2012، دار العصمَاء، ص14.

[2] ـ محمَّد بن عبد العَزيز بن عَلي الشَّاذلي الخُولِي واعِظٌ ومُفَسِّر مُحدِّث وفَقِيه، ولد بالمنوفيَّة سنة1895م، أَحَدُ أعضَاء المَجْمَع اللُّغوِي بمِصر، تعلَّم بالأزهَر الشَّريف وتخرَّجَ بمدرسة القَضَاء الشَّرعي، تقلَّدَ عدَّة مَناصِب فقد عَمل أستاذاً فِي الجامِعَة المصريَّة، ثُمَّ وكيلاً لكلِّية الآدَاب، ثمَّ مُديرًا للثقافة العامَّة بوزراة التربية سنة1955م، توفَّى سنة1966م، عادل نويهض، معجمُ المُفسِّرينَ من صَدرِ الإسلام وحتَّى العَصر الحَاضر، 1988، ط3، ج2، ص522.

بِتَرادُفِهَا"[1]، إلا أَنَّ المَوتَ أَخَذَهَا قَبلَ أن تُكمِلَ تَفسِيرَهَا البَيَانِي للقُرآنِ الكَرِيم، فَكَتَبَت ما تَيَسَّرَ مِن كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَل.

لِتَأتِي دِرَاسَات السيِّد قُطب فِي مَجَال التَّفسِيرُ الأَدَبِي التَّصوِيرِي لِلقُرآنِ الكَرِيم لِتُسَاهِم فِي بِنَاءِ هَذَا النَّوع مِنَ التَّفسِيرِ وَمِن مُؤلفَاتِهِ نَجِد: **(التَّصْوير الفَنِّي فِي القُرآنِ وَمَشَاهِد القِيَامَة)** وَتَفسيره **(فِي ظِلال القُرآنِ)** وَيُعَدُّ السيِّد قُطب مِن مَدرَسَةِ التَّذوُّق الأَدَبِي، وَقَد عَمِلَ السيّد قُطب عَلَى التَّفْسِير البَيَانِي الأَدَبِي التَّصوِيرِي، وأَثْبَت ذَلِكَ فِي أَعمَالِهِ بِأُسلُوبٍ سَاحِر رَائِع، وَذَوق فَنِّي رَفِيع، وَقُوَّة بَيَان تَدُلُّ عَلَى تَمَكُّنِهِ مِن نَاصِيَةِ اللغَة.

وَكَانَ الدكْتُور فَاضل صَالح السَّامرائِي مِن أَعلامِ التَّفسِير البَيَانِي مِن خلالِ مُؤلفَّاتِهِ التي خَصَّ بِهَا البَيَان القُرآنِي مِنْهَا **(التَّعْبِيرُ القُرآنِي)** و**(لَمَسَات بَيَانِيَّة)** و **(عَلَى طَرِيقِ التَّفْسِيرِ البَيَانِي)** هذهِ الكتُب التي تدرسُ التعبير القرآني وبيَانه، وهي لبنة في دراسَات البيَان القُرآنِي.

وَالدرَاسَات المُعَاصِرَة أَخَذَت مَنحَى آخَر فِي الدِّرَاسَات التَّفسِيرِيَّة البَيَانِيَّة للقرآنِ الكَرِيمِ، فَظَهَرَت كُتُبُ إعرَاب القُرآنِ التي تَجمَع بَينَ اللغَةِ والبَيَان والبَلاغَة، فَنَجِد مَجمُوعَة مِنَ المُؤلَّفَاتِ فِي هَذَا المَجَال مِنهَا مَا هُو مَوْضُوع دِرَاسَتِنَا كِتَابُ" إِعْرَاب القُرآنِ الكَرِيم وَبَيَانه، لِمُؤلِّفِهِ: محيي الدين الدرويش، فَيَدرُسَ فِيهِ الجَانِب المُعجَمِي وَالإِعرَابِي والجَانِب البَلاغِي وَالبَيَانِي.

ومنْهُ يُمكِنُ القولُ أَنَّ الدراسَات البيَانِيَّة واللغويَّة، ظَهرَت واستمدَّت رُوحهَا من القرآنِ الكريمِ وتطوَّرت فِي كنفِهِ، فالبيَان القُرآني كَشَف عَن الكثِير من خبايَا مَعَان القُرآن الكَرِيمِ مِن خِلال مفاهيم الألفَاظ .

[1] ـ منَّاع القطَّان، مباحث في علوم القرآن، ط3. الرياض: 2000م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ص43.

الفَصلُ الأوَّل: عِلمُ إِعرَاب القُرآنِ الكَرِيم والبَلاغَة العَرَبِيَّة.

أَوَّلا- نَظرَة تَأصِيلِيَّة لِعِلمِ إِعرَابِ القُرآنِ الكَرِيم.

ثانيا: أعاريبُ القرآنِ الكَريم القَدِيمَة والحَدِيثَة.

أ ـ مصنَّفاتُ أعاريب القرآن الكريم القديمة.

ب ـ مصَّنفات معَانِي القُرآن الكَريم ومَجَازه ومشكلهُ.

ج ـ كُتُبُ إِعرَاب القُرآن الكَرِيم الحديثة ومبَاحثهَا.

ثالثا: التفْسِيرُ والبَلاغة العَرَبِيَّة.

1 ـ البَلاغةُ العَربِيَّة قَبلَ مَجِيء القُرآن الكَرِيم.

2 ـ تَفسِيرُ القرآنِ الكريم وكتب الإعراب والمَعَانِي.

المَبحَثُ الثَّاني: الإعرابُ القُرآنِي وأثرُهُ فِي عُلُومِ العَربِيَّة والشَّرِيعَة.

أَوَّلا- الإعرَابُ وعلاقته بتوجيه الأحكام الفقهية.

ثَانِيًا- البلاغة وعلاقَتُهَا بِالتَّوجِيه العَقَدِي عِندَ محيي الدِّين الدروِيش.

المَبْحَثُ الثَّالث: منهجُ محيي الدِّين الدرويش فِي كِتَابِهِ.

1 ـ مُصطَلَحَات محيي الدرويش وأرآؤهُ البَلاغِيَّة.

2 ـ الاعتمادُ عَلَى الشَّواهِدُ الشِّعريَّة فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.

3 ـ الإِعتِمَادُ عَلَى النَّثرِ فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.

4 ـ طبَعَاتُ الكِتَاب.

5 ـ أرآؤهُ اللغَوِيَّة

المبحثُ الأوَّل: نَظرَة تَأصِيليَّة لِعِلمِ إعرَابِ القُرآنِ الكَرِيم.

أَفضَلُ عِلمٍ صُرِفَت فِيهِ الأَوقَات، وَعَلَت فِيهِ الهِمَم، وَاشْرَأَبَّت إِلَيْهِ العُقُول، وَتَذَوَّقَتهُ الأَلسُنُ عَلَى اِختِلافِهَا، عِلمُ كِتَابِ اللهِ، الذِي بِهِ تَحيَا النُّفُوسُ وَالأبدَان، والعُقُول والأَروَاح.

وَعِلمُ إِعرَابِ القُرآنِ الكَرِيم مِن عُلُومِ القُرآنِ الجَلِيلَة التي لَهَا أَثَرُهَا فِي كِتَابِ اللهِ، وَلَقَد اِهْتَمَّ النُّحَّاةُ بِإِعرَابِ القُرآنِ اِهْتِمَامًا بَالِغًا، إلا أَنَّهُم لَم يَهْتَمُّوا بِالجَانِبِ النَّظَرِي، وَلَم يَأْخُذ حَقَّهُ مِنَ الدرَاسَةِ وَالتَّنظِير، وَفِي نَظرَةِ العُلَمَاءِ لِمُصطلَحِ (إعرَابُ القُرآن) مَشَارِب مُختلِفَة.

1 ـ مُرَكب (إعْرَاب القُرآنِ الكَرِيم) وَحَدُّهُ:

هَذَا المُصْطَلَح **(إعرَابُ القُرآنِ الكَرِيم)** هُو مُركَّبٌ إِضَافِي مِن كَلِمَتَينِ**(إعرَاب)** وَكَلِمَةُ **(القُرآنِ الكَرِيم)** وَلِمَعرِفَةِ مَفهُوم هَذَا المُرَكَّب لابُدَّ مِن مَعرِفَةِ مَفهُوم كُل كَلِمَة.

2 ـ الإعرَابُ فِي اللغَةِ والاِصطِلاح:

2 ـ 1 ـ الإعراب لُغَةً: يُطلَقُ الإعرَاب فِي اللغَةِ عَلَى خَمسةِ مَعَانٍ[1] مَجمُوعَة فِي قَولِهِم:

بَيَانٌ وَحُسنٌ وَانتِقَال تَغَيّر وَعِرْفَانٌ أَي الإعرَابُ فِي اللغَةِ أَعْقِلا

أ ـ البَيَانُ: وَمِن ذَلِكَ قَولُ النَّبِيِّ الكَرِيم . ﷺ:(الثَّيِّب تُعرِبُ عَن نَفسِهَا)

ب ـ الحُسنُ: وَمِنهُ قَوله تَعَالَى ﴿عُرُباً اَتْرَاباً﴾ [الواقعة:37]، عُرُبًا أَي: حِسَانًا.

وَمِنه قول الشَّاعِر:

عَرُوب فَمَا تَلقَاهَا إلا تَبَسَّمَت وَأَبدَت عَقِيقًا فِي جُمَانٍ مُنَظَّمِ

ج ـ الإِنتِقَالُ: مِمَّا تَقُولُهُ العَرَبُ: أَعْرَبَتِ الإِبِلُ عَن مَرعَاهَا، إِذَا اِنتَقَلَت مِن مَوضِعٍ إِلَى مَوْضِع.

د ـ التَّغَيُّر: يُقَالُ: أَعْرَبَت معدَّةُ[2] فُلان إِذَا تَغَيَّرَت.

ر ـ العِرفَانُ: يُقَالُ: أَعْرَبَ الرَّجُلُ إِذَا كَانَ عَارِفًا بِالخَيلِ.

---

[1] ـ محمَّد بَاي بلعالم، منحَةُ الأترَاب شَرح عَلَى مُلحَةِ الإعرَابِ، دط. الجزائر: 2001، دار هومة للطباعَة والنَّشر والتَّوزِيع، ص20.

[2] . المرجع نفسه، ص20.

وَقَد قُمتُ بتعرِيفِ الإعراب لُغَةً حتَّى أُبَيِّنَ العلاقَة بَينَ الإعرَاب والبَلاغَة، فَالإعرَاب فِي أَصلِهِ وبِدَايَاتِهِ الأُولَى أنَّهُ بَيَان؛ وبِهِ تَحَدَّدُ المَعَانِي فَتَتخِذ أشكَالا مُتَغيِّرَة؛ وَهِيَ الانتقَال مِن مَعنَى إلَى مَعنَى.

2 ـ 2 ـ الإعرابُ اصطلاحًا:

الإعرابُ اصطلاحًا: هُو العلامَة التي تقعُ في آخرِ الكلمَة وتُحدِّد موقعهَا مِن الجُملة أي تحدِّد وظيفتهَا فيها، وهذهِ العلامة لا بدَّ أنْ يتَسَبَّب فيها عَامِل مُعيّن ولَمَّا كَانَ موقعُ الكلمَة يتغيَّر حَسب المَعنَى المُراد، كَمَا تَتَغَيَّر العَوَامِل، فإنَّ علامَة الإعرَاب تَتغيَّر كَذلكَ"[1].

3 ـ جُملَةُ (إعْرَابُ القُرآن الكَرِيم) فِي الآثَارِ النَّبَوِيَّة.

وَرَدَت جُملَةُ (إعرَاب القُرآن) فِي جُملَة مِنَ الآثَارِ النَّبَوِيَّة؛ لَكِن الصَّحَابَة الكِرَام وَالعُلَمَاء المُختَصِّينَ اِخْتَلَفُوا فِي مَفهُومِ هَذِهِ الجُملَة مِن خِلالِ هَذِهِ الآثَار، وَمِن هَذِهِ الآثَار:

ـ عن أَبِي هُريرَةَ ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ:" أَعرِبُوا القُرآن، والتَمِسُوا غَرَائِبَهُ"[2] رَوَاهُ الجَمَاعَة.

ـ قَالَ ـ ﷺ ـ: (أَعْرِبُوا الكَلام كَي تُعْرِبُوا القُرآنَ)[3] رواه ابن مَاجَه والترمذِي، وَإعرَابُ القُرآنِ يَشمَلُ بَيَانهُ، وَالحَرَكَات الإعرَابِيَّة لِلكَلِمَات القُرآنِيَّة، وَفَهمِ أَسَالِيبِ القُرآنِ وِفقَ كَلامِ اللهِ وكَلامِ العَرَبِ.

ـ قَالَ مَالِكُ بن أنَس: (الإعرَابُ حِلي الكَلامِ، فَلا تَمنعُوا أَلسِنَتَكُم حِليهَا)[4].

---

[1] . عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ط1. الرياض: 1999، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ص19.

[2] . أحمد بن علي بن المُثنَّى التَّميمِي أبُو يَعلَى المَوصِلِي، مُسندُ أبِي يَعْلَى المَوصِلِي، تح: حسين سلِيم أسد، ط2. دمشق:1989، دَارُ المَأمُون للتراثِ، ج11، ص436. الهَيثَمِي، علِي بن أبِي بَكرٍ بن سليمَان الهيثمِي، ومُجْمَعُ الزَّوائِد ومَنبَعُ الفَوائِدُ، تح: حُسَامُ الدِّين القدسِي، دط. القاهرة: دت، النَّاشِر مَكْتبة القدسِي، ج7، ص1637، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة تحت رقم:1345.

[3] ـ الزَّجَّاجِي، الإيضَاح فِي عِلَلِ النَّحُو، ص96، الإمَام مُسلِم، أبُو الحُسَيْن مُسْلِم بن الحَجَّاج النيسَابُورِي، مُخْتَصر صَحِيح الإمام مُسْلِم، ط1، بيروت: 2002، دَار الفِكْر، ص566.

[4] ـ القلقشندِي، أبُو العبَّاس أحمد القلقشندي، صُبح الأعْشَى فِي صِنَاعَةِ الإنشَاء، دط. بيروت: دت، دَارُ الكُتُبُ العلميَّة، ج1، ص168.

ـ حَدَّثَنَا أَبُو حَفص القَطَّان، قَالَ: حَدَّثَنَا الحَسانِي مُحَمَّد بن إسمَاعِيل، قَالَ: حدَّثَنَا وَكِيع، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيان، عَن عُقبَة الأسدِي، عن أَبِي العَلاء، قَالَ: عَبدُ اللهِ: (أَعْرِبُوا القُرآنَ فَإِنَّهُ عَرَبِي)[1].

ـ عَن أَبِي هُرَيرَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:(أَعرِبُوا القُرآنَ وَالتَمِسُوا غَرَائِبَهُ)[2].

(جَوِّدُوا القُرآنَ وَزَيِّنُوهُ بِأَحسن الأَصوَاتِ، وَأَعرِبُوهُ فَإِنَّهُ عَرَبِي، واللهُ يُحِبُّ أَن يُعرَبَ)[3].

(مَن قَرَأَ القُرآنَ بِإعرَابٍ فَلَهُ أَجرُ شَهِيدٍ)[4].

ولأَهَمِّيَةِ عِلم إعرَابِ القُرآنِ نَجِدُ أَنَّ الكَثِيرَ مِن العلَمَاءِ عَقَدُوا أَبوَابًا فِي كُتَبِهِم تَحُثُّ عَلَى أَهَمّيَةِ فَضلِ إعرَاب القُرآنِ الكَرِيم حَيثُ نَجِد، صَاحِب كِتَاب(المُصَنَّف لابن أَبِي شَيبَةَ) أَبِي بَكرٍ ابن أَبِي شَيبَةَ(ت235ه) عَقَدَ بَابًا سَمَّاهُ: بَاب مَا جَاءَ فِي إعْرَابِ القُرآنِ[5]، كَمَا ذَكَرَ صَاحِب كِتَاب (إيضَاحُ الوَقْف والإبتِدَاء فِي كِتَابِ اللهِ) مَجمُوعَة مِن الآثَارِ النَّبَوِيَّة التي تُبَيّنُ فَضْلَ إعْرَابِ القُرآنِ الكَرِيم، وَقَد صَاحَبَ كِتَاب (فَضَائِل القُرآن) أَبُو عُبيدَة القَاسِم بن سَلَّام الهَرَوِي بَابًا فِي كِتَابِهِ سَمَّاهُ إعْرَابُ القُرآن[6]، كَذَلِكَ عَقدَ صَاحِب كِتَاب (غَرِيبُ الحَدِيث) أَبُو سُليمَان حَمَد بن مُحمَّد الخَطابِي(ت388ه) عَقد بَابًا سَمَّاهُ: ذِكْر مَادَرَجَ عَلَيْهِ الصَّدر الأَوَّل مِن لُزُومِ الإعْرَاب، وَمَا أَنكَرُوهُ مِن اللَّحنِ، وَعَابُوهُ مِن أَهلِهِ"[7] وَعَقَدَ صَاحِبُ (الإتقَانُ فِي عُلُومِ القُرآنِ) جَلال الدِّين السُّيُوطِي بَابًا فِي مَعرِفَةِ إعرَابِ القُرآنِ ذَكَرَ فِيهِ جُملَة مِن الفَضَائِلِ

---

[1] ـ القَاسِم بن سَلام أَبُو عُبيدَة، فضَائِلُ القُرآنِ وَمَعالمهُ وآدَابُهُ، دط. المغرب: دت، وزارة الأوقاف والشؤُون الإسلاميَّة بالمغرب، ص180.

[2] ـ أبوبكر الأنباري، محمَّد بن القَاسم بن محمَّد بن بشَّار أبو بَكر الأنبَارِي، إيضَاحُ الوقْفِ والابتِدَاء فِي كِتَابِ اللهِ عزَّوجَلَّ، دط. دمشق: 1971، مطبُوعَات مَجْمَعُ اللغة العربية بدمشق، ج1، ص15.

[3] ـ المصدر نفسُهُ، ج1، ص16.

[4] ـ صُبحي الصَّالح، دراسَات فِي فقه اللغَةِ، ط3.بيروت: 1407ه، العلم بالمَلايين، ص131.

[5] . أبو بكر ابن أَبِي شَيبة، المُصنَّف لابن أَبِي شَيبة، تح: حبيب الرَّحمَن الأَعْظمِي، مُؤسَّسة علوم القرآن، ج10، ص456.

[6] . أَبُو عُبيدَة القَاسِم بن سَلَّام الهَرَوِي، فَضَائِل القُرآن، دط. بيروت: دت، دارُ الكُتُبِ العلميَّة، ص204،200.

[7] . أَبُو سُليمَان حمد بن محمد الخَطابِي، غريب الحديث، تح: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، دمشق: 1982، دار الفكر، ج1، ص63،60.

والآثَار الوَارِدَة فِي فَضلِ الإعْرَابِ[1]، الإمَام محمَّد بن أحمد القُرطُبِي(ت671هـ) عَقدَ بَابًا فِي تَفْسِيرِهِ (الجَامِعُ لأَحْكَامِ القُرآن) سَمَّاهُ: بَاب مَا جَاءَ فِي إعرَابِ القُرآنِ وَتَعلِيمِهِ والحَثِّ عَلَيه، وثَوَاب مَن قَرَأَ القُرآنَ مُعربًا[2]، كَمَا ذَكَرَ صَاحِب كِتَاب (تَنبِيهُ الألبَابِ عَلَى فَضَائِلِ الإعرَابِ) الإمَام أبِي بَكرٍ مُحمّد بن عبد المَلك الشّنترِينِي(ت549هـ) مَجمُوعَة مِن الآثَارِ النَّبَوِيَّة فِي فَضْلِ إعْرَابِ القُرآنِ الكَرِيم[3]، وَذَكَرَ صَاحِبُ كِتَاب (الجَامعُ لِشُعَبُ الإيمَان) الإمَام أَبِي بكر أحمد بن الحُسَين البَيهَقِي (ت458هـ) فِي الشُّعبَة التَّاسِعَة عَشر: فِي تَعظِيمِ القُرآنِ، عَقَدَ بَابًا فِي قِرَاءَة القُرآنِ بِالتَّفْخِيمِ وَالإعرَاب[4]، صَاحِب كِتَاب (الصَّعقَة الغَضَبِيَّة فِي الرَّدِّ عَلَى مُنكِرِي العَرَبِيَّة) أبُو الرَّبِيع نجم الدِّين سليمَان بن عبد القَوِي الطوفي(ت716هـ) ذَكَرَ مَجمُوعَة مِن الأَدِلَّةِ القُرآنِيَّة والآثَار النَّبَوِيَّة، والاِستِدلالات العَقليَّة التي تُبَيِّنُ أَهَمِّية إعرَاب القُرآن[5]، وَالإمَام أَبُو جَعفر النَّحَّاس صَاحب كِتَاب (إعرَاب القُرآن) ذَكَرَ مَجمُوعَة مِنَ الآثَارِ والأَحَادِيث التي تُبَيِّن أَهَمِّيَّة إعرَاب القُرآن[6]، وَفِي كِتَابِ (بَهْجَةُ المَجَالِس وَأُنسُ المَجَالِسِ) لأَبِي عُمَر يُوسُف ابن عبد البَر القُرطُبِي(ت463هـ) عَقَدَ بَابًا فِي حَمدِ اللِّسَان، وَفَضلِ البَيَانِ، وبَابًا فِي اِجْتِنَابِ اللَّحْنِ، وَتَعَلُّم الإعرَاب[7]، وعَالَجَ محيي الدِّين الدرويش فِي مُقدمة كتابِهِ (إعرُاب القرآنِ الكريمِ وبَيَانُهُ) مَجمُوعَة مِن العَنَاصِرِ التي تُبَيِّنُ فَضلَ الإعرَابِ وأَهَمِّيتهُ، مِن بَينِ هَذِهِ العَنَاوِين:

---

[1] . جَلال الدِّين السيُوطِي، الإتقَانُ فِي عُلُومِ القُرآنِ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دط. مصر: 1974، الهيئة المصريَّة العامة للكتاب، ج1، ص179.

[2] ـ القُرطُبِي، محمَّد بن أَحمد الأنصَارِي القُرطُبِي، ط1. القاهرة:2004، مكتبةُ الصَّفَا، ج1ـ 2، ص38.

[3] ـ أبِي بَكْرٍ مُحمّد بن عبد المَلك الشنتريني، تَنبِيهُ الألبَابِ عَلَى فَضَائِلِ الإعْرَابِ، تح: عبد الفتاح الحموز، ط1. عمان: 1995، دار عمار، ص74، 81.

[4] ـ الإمَام أَبِي بَكْر أحمد بن الحُسَين البَيْهَقِي، الجامع لشعب الإيمان، تح: مختار أحمد الندوي، عبد العلي عبد الحميد حامد، ط1. دمشق: 2003، مكتبة الرشد، ج2، ص426، 430.

[5] . أبُو الرَّبِيع نجم الدِّين سليمَان بن عبد القَوِي الطوفي، الصَّعْقَة الغَضَبِيَّة فِي الرَّدِّ عَلَى مُنكِرِي العَرَبِيَّة، تح: محمد خالد الفاضل، ط36. الأردن: 2013، منشورات مجلة الوعي الإسلامي، ص235، 260.

[6] ـ الإمَام أَبُو جَعْفر النَّحَّاس، أَبُو جَعفر النَّحَاس أحمد بن محمَّد بن إسماعِيل بن يُونس المُرادِي النَّحْوي، إعْرابُ القُرآنِ، علق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط1. بيرُوت: 1421هـ، دارُ الكتُب العلميَّة،ج1، ص 115،116.

[7] ـ لأَبِي عُمَر يُوسُف ابن عبد البَر القُرطُبِي، بَهْجَةُ المَجَالِس وَأُنسُ المَجَالِسِ، تح: محمد مرسي الخولي، بيروت:1981، دارُ الكتبِ العلميَّة، ج1، ص64، 71.

العِنَايَةُ بِإعرَابِ القُرآن الكَرِيم وَبيَانه، أَهَمِّيَةُ إعرَاب القُرآنِ الكَرِيمِ، المُصَنَّفَات فِي إعرَابِ القُرآنِ الكَرِيم[1]، وفي هذا دليل على أهمية الإعراب وأثره في الدراسات العَربِيَّة والقُرآنيَّة.

4 ـ تَعرِيفُ عِلم إعْرَاب القُرآن الكَرِيم[2].

إنَّ النَّاظِرِينَ فِي إعْرَابِ القُرآنِ الكَرِيمِ، المُنظِّرِينَ لَهُ الطَّارِقِينَ بَابَهُ، فَهُنَاكَ منهُم مَن عرَّف علم إعرَاب القُرآن الكَرِيم ومِنهُم مَن لَم يُعَرّفهُ، وَمِن التَّعْرِيفَات الجَامِعَة لِعِلْمِ إعْراب القُرآن أَنَّهُ:" عِلْمٌ[3] يَبْحَثُ فِي تَخْرِيجِ[4] تَرَاكِيبِهِ[5]، عَلَى قَوَاعِدِ النَّحو[6] المُحَرَّرَةُ[7]"[8]، وَهَذَا التَّعرِيف اِستَمَدَّهُ الدكتُور يُوسُف خَلَف العِيسَاوِي مِن تَعرِيفِ جُزئِيَّاتٍ، كَتَعرِيف إعرَاب القُرآن التي ذَكَرَهَا الأَبْيَارِي فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى (مُغنِي اللبِيب لابن هِشَام)، وَهَذَا التَّعرِيف قَابِل للزِّيَادَةِ إذ يُمكِنُ أَن تَظهَرَ بَعض التَّعَارِيف مَعَ مُرُورِ الوَقت تَشمل قَضَايَا أُخرَى لأنَّ العُلُوم اللسَانِيَّة واللغويَّة والبَلاغيَّة فِي تَطَوُّرٍ مُستَمِر، وهَذِهِ العُلُوم لهَا القَابِلِيَّة للتطورِ.

5 ـ أَعَارِيبُ القُرآنِ الكَرِيمِ القَدِيمَة وَالحَدِيثَة.

أ ـ مُصَنَّفَات أَعَارِيب القُرآن الكَرِيم القَدِيمَة

---

[1] . محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القرآن الكريمِ وبيَانُهُ، ج1، ص5.

[2] . إن مَسْأَلَةَ الاِخْتِلاف فِي عَد عِلْم إعرَاب القُرآنِ الكَرِيم عِلْمًا مُسْتقِلا أَو أَنَّهُ يَنضَوِي تَحتَ عِلْم مِن العُلُومِ كَعِلْمِ النَّحو أَو عُلُوم القُرآن فِيهَا نَظَر مِن عِدّةِ جَوانب، إلَّا أَنَّ عِلم إعرَاب القُرآن عِلْمٌ مُسْتقِلٌ عَن بَاقِي العُلُوم الأُخْرَى.

والعُلمَاء يَرَوْنَ أَنَّهُ لابُدَّ مِن تَوفُّرِ عَشْرَة شُرُوطٍ حَتَّى يُصْبِحَ مَيدَان مِن العُلُومِ عِلْمًا مُسْتَقِلا، قَالَ محمَّد بن يُوسُف الخَيَّاط:" اِعْلَم أَنَّهُ يَنبَغِي لِكُلِّ شَارِع فِي فَنّ أَنْ يَعْرِفَ مَبَادِئهُ العَشَرَة" وَقَد جَمَعَهَا محمد بن علي الصبَّان(ت 1206هـ) بِقَولِهِ:

إنَّ مَبَادِئَ كُلِّ فَنٍ عَشَرَه الحَدُّ والمَوضُوع ثُمَّ الثَّمَرَة
وَفَضْلُهُ وَنِسْبَةٌ وَالوَاضِع والاِسْمُ الاِسْتِمدَادُ حُكْمُ الشَّارِع
مَسَائِلٌ والبَعْضُ بِالبَعْضِ اكْتَفَى وَمَن دَرَى الجَمِيعَ حَازَ الشَّرَفَا

[3] . **العِلْمُ:** هو الإدرَاك وَالعِلم هُو عِبَارة عَن مَجمُوعَة مِنَ المَسَائِل المَضبوطَة.

[4] . **التَّخْرِيج:** هُو بِمَعْنَى التَّوجِيه، وَهَذَا اللفظ مَوجُودٌ عِندَ أَهْلِ الحَدِيثِ، فَيقُولُونَ تَخْرِيجُ الحَدِيثِ بِمَعْنَى ضَبطُ مَتنِهِ، وَذِكْرُ سَنَدِهِ وَرُوَّاتِهِ، وَيَقْصُدُ النُّحَّاةُ بالتخْرِيجِ إيجَادُ الوُجُوه والتَّوجِيهَات المُنَاسِبَة.

[5] . **تَرَاكِيبُهُ:** بِحسبِ الوَضعِ، وَهَذَا عَامٌ فِي تَرَاكِيبِهِ، وَبِالتَّرَاكِيبِ تَكُونُ المَعَانِي وَالوُجُوهُ المُخْتلِفَة.

[6] . **قَوَاعِد النَّحو:** فِيهِ إشَارَة إلَى الصِّنَاعَةِ النَّحوِيَّة.

[7] . **المُحرَّرة:** أي المَضبُوطَة وَالمَحَققَة والرَّاجِحَة.

[8] ـ يُوسُفُ بن خَلَف العِيسَاوِي، عِلم إعْرَابُ القُرآنِ تأْصِيل وبَيَان، ط1. الرياض: 2007، دارُ الصميعي للنَّشر والتَّوزيع، ص27.

وَقَد رُتِّبَت هَذِهِ المُصَنَّفات حَسْبَ تَارِيخ الوَفَاة للمُؤلِّف.

1 ـ البُرهَانُ فِي عُلُومِ القُرآنِ؛ لعلي بن إبراهِيم الحُوفي النَّحوِي(ت330هـ).

2 ـ إعرَابُ القُرآنِ؛ أبُو جَعْفر النَّحَّاسِ (ت338هـ).

3 ـ إعْرَابُ ثَلاثِينَ سُورَة مِنَ القُرآنِ؛ لابن خَالَويه (ت370هـ).

4 ـ البَيَانُ فِي غَرِيبِ إعْرَابِ القُرآن؛ لأَبِي البَرَكَات عَبْدُ الرَّحْمَن بن أَبِي سَعِيد الأنبَارِي (ت577هـ).

5 ـ المُلَخَّصُ فِي إعرَابِ القُرآنِ؛ ليحيى بن علي التبرِيزِي (ت502هـ).

6 ـ إملاءُ مَا مَنَّ بِهِ الرَّحمَنُ؛ للعكبرِي (ت616هـ).

7 ـ إعرَابُ الفَاتِحَة؛ لموفق الدِّين عبد اللطيف البغدَادِي (ت629هـ).

8 ـ الفَرِيدُ فِي إعرَابِ القُرآنِ المَجِيدِ؛ لحسين بن أَبِي العِز الهَمَذَانِي (ت643هـ).

9 ـ المَجِيدُ فِي إعرَابِ القُرآنِ المَجِيد؛ لإبرَاهِيم بن مُحمَّد السفَاقِسي (ت742هـ).

10ـ الدرُّ المَصُون فِي عُلُومِ الكِتَابِ المَكنُون؛ للسَّمِين الحَلَبِي (ت756هـ).

ب ـ مُصَنَّفَات مَعَانِي القُرآنِ الكَرِيم وَمَجَازِهِ ومُشكلِهِ.

1 ـ مَعَانِي القُرآن؛ لأَبِي زَكَرِيا يَحيَى بن زِيَاد الفَرَّاءِ(ت207هـ)

2 ـ مَجَازُ القُرآنِ لأَبِي عُبَيْدَةَ مَعْمَر بن المُثَنى (ت210هـ).

3 ـ مَعَانِي القُرآنِ لأبِي الحَسَن الأَخْفَش الأَوْسَط (ت211هـ).

4 ـ مَعَانِي القُرآن وَتَفْسِير مُشْكل إعْرَابه[1] لأَبِي عَلِي مُحمَّد بن المُسْتَنِير(ت225هـ).

5 ـ تَأوِيلُ مُشْكل القُرآن؛ أبُو مُحَمَّد عبد الله بن مُسلِم ابن قُتَيْبَة الدينُورِي(ت276هـ)، تح: إبراهِيم شمس الدِّين.

6 ـ مَعَانِي القُرآن وَإعرَابِهِ؛ لأبِي إسْحَاق الزجَّاج (ت311هـ).

[1] ـ لَقَد وَرَدَ كِتَاب قُطْرُب فِي كُتُب التراجِم تَحْت عَنَاوِين مُخْتَلفَة منهَا: مَعَانِي القُرآن كَمَا رواه الخطيب البغدادِي وفِي تَارِيخ بغداد وابن درستويه وابن النديم وفِي الفهرست وابن الأنبَارِي فِي نزْهَةِ الألبَابِ ص77، وفِي وفيَات الأعيَان ج4، ص312، وفي مُعجَمِ الأدبَاء وغيرها، وسُمّيَ بِإعرَابِ القُرآنِ كَمَا وَرَدَ فِي طَبَقَاتِ المُفَسّرِينَ ج2، ص256، وابن النَّدِيم والفهرست وغيرِهَا، كَمَا ورَدَ باسْمِ مجَاز القُرآن واسْم مشكَل القُرآن.

7 ـ إعرَابُ مُشكِل القُرآن؛ لمكِّي بن أَبِي طَالِب القَيْسِي (ت437هـ).

8 ـ رِيَاضَةُ الأَلسِنَة فِي إعرَابِ القُرآنِ وَمَعَانِيهِ؛ لأَبِي بَكر بن أَشْتَه الأَصْبهَانِي(ت748هـ).

ج ـ كُتُبُ إعرَابِ القُرآنِ الكَرِيم الحديثة ومَبَاحِثِهَا.

مِن أَهمِّ المَبَاحِث التي اِهتَم بِهَا مؤلفو كُتُب إعرَاب القُرآن الكَرِيم المُعَاصرِينَ نَجِد:

1 ـ المَبَاحِث النَّحويَّة والصَّرفِيَّة: مِنَ الجَوَانِب النَّحوِيَّة التي اِعْتَنَت بِهَا كُتُبُ إعرَاب القُرآن الكَرِيم، الجَانِب الإعرَابِي مَعَ ذِكرِ الأَوجُه الإعرَابِيَّة المُختلِفَة مَعَ التَّرجِيحِ فِي بَعضِ الحَالات أَو مَعَ ذِكرِ التَّعْلِيلات لِكُلِّ وَجهٍ، كَمَا بَحَثَت العلاقَة بَينَ الإعْرَابِ والمَعنَى، كَمَا اِهْتَمَّت بِالخِلافِ النَّحوِي وَقَضَايَاه مَعَ ذِكرِ المُصطَلَحَاتِ التي يَرَاهَا مُناسبة فِي هَذَا المَجَالِ.

أَمَّا مِن الجَانِب الصَّرفِي فَالكَثِير مِمَّن أَلَّفَ فِي مَجَالِ إعرَابِ القُرآن لم يَهتَم بِهِ إلا القَلِيل، وَمِن هَؤلاءِ محيي الدِّين الدرويش ومَحمُود صَافِي فِي كِتَابِهِ (الجَدولُ فِي إعرابِ القُرآن وصَرفِهِ وبَيَانِهِ مَع فَوائِد نَحويَّة هَامَّة) وغَيرهم، وَفِي هَذَا المَجَال يَهتَمُّونَ بِذِكرِ أَصل الكَلِمَة وَتَارِيخِهَا وَتَصرِيفِهَا، وَمَوْقِف المُؤَلِّف مِن تَصرِيفِ هَذِهِ الكَلِمَة مَعَ ذِكرِ الخِلافِ الوَاقِعِ فِيهِ فَالوَزن الصَّرفِي للكَلمَاتِ القُرآنِيَّة لَهُ أَثَرُهُ فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي، كَمَا أَنَّ الإشتِقَاق لَهُ تَوجِيهَات بَلاغِيَّة تُسَاهِمُ فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي؛ كَاسمِ الفَاعِل واسم المَفعُولِ والصِّفَة المُشَبَّهَة وأفعَال التَّفضِيلِ وَصِيَغُ المُبَالَغَة...

2 ـ المبَاحِثُ البَلاغيَّةُ: إنَّ الكَثِير مِمن أَلَّف فِي مَيدَانِ إعرَابِ القُرآن وَمَعَانِيهِ وَمَجَازِهِ اِهْتَمّ بِالجَانِبِ البَلاغِي مِن خِلالِ إظهَارِ علاقَةِ المَبَاحِث البَلاغِيَّة بِالمَعنَى وَالإعرَاب، وَعلاقَة عِلم البَيَان وَالمَعَانِي وَالبَدِيع، بِتَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي، وَهَذَا مَبْثُوث فِي ثَنَايَا هَذِهِ الكُتُب.

والبَلاغَةُ والفَصَاحَة جُزء أَسَاسِي وَمُهِم فِي كَشفِ أَسرَارِ القُرآنِ وَمَعَانِيهِ؛ لأَنَّ القُرآنَ الكَرِيم بِنَاؤُهُ الأَوَّل فِي النُّزُولِ كَانَ مَبنِي عَلَى الفَصَاحَةِ والبَلاغَة بِجَمِيعِ مَكَامِنِهَا وَحُمُولَتِهَا المَعرِفِيَّة المَغرُوسَة فِي وِجدَانِ العَرَبِ فِي ذَلِكَ الوَقتِ، لِتَعرِفَ البَلاغَة تَطَوُّرًا بِفَضلِ القُرآنِ الكَرِيمِ الذِي سَاهَمَ فِي الكَشفِ عَن خَبَايَاهَا ومَكنُونَاتِهَا مِمَّا سَاهَمَ فِي تَطَوُّرِهَا.

وَالبَلاغَةُ العَرَبِيَّة أَصبَحَت لَهَا آلِيَّات تَكشِفُ بِهَا عَن المَعَانِي، وَتَسْتَنطِقُ بِهَا النَّص القُرآنِي وَتَسْتَحْضِرُ نُزُولَ النَّصَّ القُرآنِي بِاستِنطَاقِ أَلفَاظِهِ، وَمُنَاسَبَة النَّصِّ وَسِيَاقِهِ.

3 ـ مَبَاحِث فِي عِلمِ القِرَاءَات: مِنَ العُلُومِ المُرتَبِطَة بِالإعرَابِ عِلم القِرَاءَات، فَبِالإعرَابِ تَتَمَيّزُ القِرَاءَات وَتُرَجَّحُ وَ تَتَّضِحُ المَعَانِي، لِهَذَا نَجِدُ كُتُب أَعَارِيب القُرآنِ الكريم تَهتَمُّ بِالإعرَابِ وَالقِرَاءَات مِنهَا: إعرَابُ القِرَاءَات السَّبع وَعِللهَا لِمُؤلِّفِهِ: الحُسَين بن أَحمد بن خَالَوَيه.

مِن الأَمْثِلَةِ فِي هَذَا البَاب قوله تَعَالَى ﴿ لَّا يَسْتَوِے ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُومِنِينَ غَيْرَ أُوْلِے ٱلضَّرَرِ وَالْمُجَٰهِدُونَ فِے سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۖ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴾ [النِّسَاء:95].

قَرَأَ نَافِع، والكسَائِي، وابنُ عَامِر بِنَصْبِ ﴿غَيْرَ﴾، وَقَرَأَ بَاقِي السَّبْعَة بِالرَّفعِ[1]، وأَمَّا بَاقِي القِرَاءَات وَقُرِئَ فِي الشَّوَاذ بِالجَرِّ[2].

فِي حَالَةِ قِراءَتِهَا بِالرَّفعِ، ﴿لَّا يَسْتَوِے ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُومِنِينَ غَيْرَ أُوْلِے ٱلضَّرَرِ﴾ يُصْبِح المَعنَى:"[3] لا يَستَوِي القَاعِدُونَ الذِينَ هُم غَير أُولِي الضَّرَرِ.

وَالمَعْنَى: لاَ يَستَوِي القَاعِدُونَ الأَصِحَّاء.

وَمَن قَرَأَهَا بِالنَّصبِ ﴿غَيْرَ﴾ فَلَهَا مَعنَيَانِ:

ـ أَحَدُهُمَا: الإستِثنَاء، وَيَكُونُ المَعنَى: إلا أُولِي الضَّرَر فَإِنَّهُم يَستَوُونَ مَعَ المُجَاهِدِينَ.

وَالمَعْنَى الآخَر: أَن يَكُونَ ﴿غَيْرَ﴾ فِي مَوضِعِ الحَالِ، أَي: لا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ أَصِحَّاء مَعَ المُجَاهِدِينَ.

---

[1] ـ ابن الجَزرِي، النَّشر فِي القِرَاءاتِ العَشر، ط2. بيروت: دارُ الكُتُب العِلْمِيَّة، ج2، ص243.

[2] . النَّحَّاس، إعرَابُ القُرآن، ج2، ص234، القُرطُبِي، أحكَامُ القُرآن، ج5، ص343، ابن عَطِيَّة، المُحرّرُ الوَجِيز، ج2، ص97.

[3] ـ الرَّحِيلِي، سَعُود بن سَعِيد بن نويجي، التَّوجيهَات النَّحويَّة والصَّرفيَّة للقراءَاتِ القُرآنيَّة فِي كتَاب" مَعَانِي القُرآن" لأبِي جَعْفَر النحَّاس، بَحْث وَدِرَاسَة، بَحْثٌ تَكميلِي مُقَدَّم لنيلِ درَجَة العالميَّة، الرَّقْم الجَامِعِي42780276، إشرافُ: رِيَاض الخَوام، السَّنَة الجَامعيَّة: 1428هـ/1429هـ. ص55.

ـ 4 ـ المَبَاحِث اللُّغَوِيَّة: تَتَعَدَّدُ المَبَاحِثُ اللغَوِيَّة مِن مُعْجَمِيَّة وَنَحوِيَّة وَدَلالِيَّة وَغَيرِهَا فَمَعرِفَةُ المَعنَى المُعجَمِي يُسَاهِمُ فِي إيجَادِ الإعرَاب المُنَاسِب، فَالمَعَانِي المُعجَمِيَّة دَاخل التَّركِيب القُرآنِي؛ عَامِل مُسَاعِد فِي تَحدِيدِ الإعرَاب.

كَمَا يُبحَثُ فِي الجَانِبِ اللُّغوِي عَن أُصُول مَعَانِي الأَلفَاظ وَتَطوّرِهَا فِي الاِستِعمَالِ، هَذَا يُسَاهِمُ مُسَاهَمَةً فَعَّالَة فِي إيجَادِ المَعنَى القُرآنِي لِلآيَةِ، فَالتَّفسِير القُرآنِي بِدَايَاتُهُ الأُولَى بَيَانِيَّة لُغَوِيَّة.

7 ـ أَعَارِيبُ القُرآنِ الكَرِيم المُعَاصِرَة.

وَقَد رتَّبتُ هَذِهِ الكُتُب عَلَى حَسبِ تَارِيخِ الإصدار المَوجُود في الكتابِ، وَهَذَا مِنَ القَدِيمِ إلَى الحَدِيثِ.

ـ الجَدوَلُ فِي إعْرَابِ القُرآنِ وَصَرفِهِ وَبَيَانِهِ مَعَ فَوَائِد نَحْوِيَّة هَامَّة، المُؤلِّف: مَحمُود صَافِي ـ طُبِعَ سَنَةَ 1989م.

وَأَصلُ تَسمِيَة هَذَا الكِتَاب كَمَا سَمَّاهُ صَاحِبُهُ فِي المَخطُوط (إعرَابُ القُرآنِ الكَرِيم) وَعُدِلَ عَن هَذِهِ التَّسمِية مِن طَرَفِ مُؤسَّسَة دَار الرَّشِيد التي عَمِلَت عَلَى دِرَاسَتِهِ، كَمَا عَمِلَت عَلَى تَعْدِيلِ العُنوان، وَلَقَدِ اِعْتَمَدَ مَحمُود صَافِي فِي كِتَابِهِ الذِي يَتَكَوّنُ مِن ثَلاثِينَ جُزءًا عَلَى جُملَةٍ مِنَ العَنَاصِر مِن بَينِهَا:

أ ـ اِعتَمَدَ عَلَى قِرَاءَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ القِرَاءَاتِ السَّبعِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ حَفص بن سليمَان الذِي أَخَذَ القِرَاءَةَ عَن عَاصِم بن أَبِي النَّجُود الأسدي.

ب ـ اِختِيَارُ الإعرَاب الأَنسَب الذِي يَكُونُ مَعَهُ المَعْنَى أَوْضَح وَأَظْهَر، مَعَ ذِكرِ أَوجُه الإعْرَاب المُخْتَلِفَة لِلْكَلِمَةِ المُعْرَبَة، وَلَكِن هَذَا فِي حَاشِيَةِ الكِتَابِ.

ج ـ الاِعتِمَادُ عَلَى المُصطَلَحَات الإعرَابِيَّة الحَدِيثَة التي تُدَرَّسُ فِي المَدَارِسِ والجَامِعَات، وَذَلِكَ مِن حَيثُ الشَّكل.

د ـ يقومُ بِإعرَابِ الكَلِمَة القُرآنِيَّة ثُمَّ بِإعرَابِ الجُمَل.

هـ ـ فِي حَالَةِ تُعَارُض الإعرَاب القُرآنِي مَعَ القَوَاعِد النَّحوِيَّة؛ فَإِنَّهُ يَعتَمِدُ عَلَى الإعرَابِ القُرآنِي وإن خَالَف الصَّنَاعَة النَّحوِيَّة؛ أَي أَنَّهُ يَهتَمُّ بِإعرَابِ المَعنَى.

وَقَامَ بَعدَ تَمَامِ كُلِّ آيَة بِدِرَاسَةٍ صَرفِيَّة اِشْتِقَاقِيَّة للكَلِمَات الوَارِدَة فِي الآيَةِ.

وقَد تَوَفَّي مَحْمُود صَافي سَنَة1985م.

ـ فِي إعرَابِ القُرآن، الدكتور: مَحمُود أَحمد نَحْلَة، دار العلوم العربية، ط1. 1989. وَقَد تَحَدَّثَ الدكتُور مَحمُود أَحمَد نَحلَة فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِهِ عَنِ الغَرَضِ الذِي كَانَ يَرْجُوهُ مُؤلِّفُ الكِتَاب وَهُو تَعْلِيمِي حَيثُ يَقُولُ:" وَهَذَا الكِتَاب الذِي نَضَعُهُ بَينَ أَيدِي الدَّارِسِينَ لِهَذَا العِلم كَانَ أَصْلُهُ تَدرِيبًا للطُّلابِ عَلَى إعرَابِ سُوَرٍ مِنَ القُرآنِ حَذر الوُقُوف بِهِم عِندَ حَدِّ الاِستِظهَارِ للقَوَاعِدِ دُونَ قُدْرَةٍ عَلَى تَطْبِيقِهَا عَلَى النُّصُوصِ، وتِلْكَ آفَةٌ يَعرِفُهَا مَن كَابَدَ تَدرِيسَ النَّحو فِي جَامِعَاتِنَا العَرَبِيَّة"[1].

ـ فِي إعرَابِ القُرآنِ، د. محمُود أحمد نَحْلَة، ط1. بيروت: 1989، دَارُ العلوم العَرَبيَّة للطباعة والنشر.

ـ تَفسِيرُ القُرآنِ الكَرِيم وإعْرَابُهُ وَبَيَانُهُ، الأُسْتَاذ الشَّيخ العَلامَة محمَّد عَلي طه الدرَّة، مُكَوَّن مِن سِتَّةَ عَشَرَ مُجَلَّد، دمشق، مَنشُورَات دَار الحِكْمَة، 1991م/1412هـ.

وَقَد ذَكَرَ مُؤلِّفُهُ أَنَّهُ سَلَكَ طَرِيقَ الاِختِصَارِ والإيجَازِ خَوفًا مِنَ الإطَالَةِ، وَهُو كِتَاب عَظِيمُ الفَوَائِدِ، غَزِير العِلمِ، غَنِي بِمَا فِيهِ.

ـ إِعْرابُ القُرآنِ الكريمِ، د. محمُود سليمَان ياقُوت، الإسكندريَّة، دَار المَعرفَةِ الجَامِعيَّة، 1993م.

ـ الإعرَابُ المُفَصَّلُ لِكَتَابِ اللهِ المُرَتَّل ـ بَهْجَت عبدُ الواحد صالح، ط1. 1993م/1413هـ

تَتَكَوَّن هَذِهِ السِّلسِلَة مِن كِتَابِ:" الإعرَابُ المُفَصَّلُ لِكِتَابِ اللهِ المُرَتَّل" عَلَى اِثْنَي عَشَرَ مُجَلَّدًا، وَقَد اِهتَمَّ صَاحِبُهُ بِإعرَابِ اللَّفظَة القُرآنِيَّة وَلَم يَتَحَدَّث عَن الصَّرف ولا المَعَانِي، وَقَد مَكَثَ فِي

[1] ـ مَحمُود أحمد نحلَة، فِي إعْرَابِ القرآنِ، ط1 بيروت: 1989، دار العلُوم العرَبية، ص7.

تَأْلِيفِهِ أَكْثَرَ مِن خَمسِ سَنَوَاتٍ، وَقَدِ اِعتَمَدَ عَلَى مَجمُوعَة مِنْ كُتُبِ التَّفسِيرِ للاِستِفَادَةِ مِنهَا فِي تَحدِيدِ المَعنَى وَمِنهُ يَكُونُ الإعرَاب؛ بِالإِضَافَةِ إِلَى اِعتِمَادِهِ عَلَى مَجمُوعَةٍ مِن كُتُبِ اللغَةِ.

ـ الإِعْرَابُ المَنْهَجِي للقُرآنِ الكَرِيم، حُرُوف وَمُفْرَدَات وَجُمَل (د. مُحَمَّد صَادق حَسَن عبد الله) ط1. مَطبَعَةُ الفَجر الجَدِيدَة،1994م.

ـ الإِعرَابُ الكَامِل لآيَاتِ القُرآنِ الكَرِيم (أ.د عبد الجَوَاد الخَطِيب) صَدَرَ مِنهُ أَرْبَعَة عَشر جُزْء، القَاهِرَة، مَكتبَةُ الآدَاب،1995م/ 1416هـ.

ـ إِعرَابُ القُرآنِ الكَرِيم مِن مُغْنِي اللَّبِيب، (أيمن عَبد الرَّزَّاق الشَّوَّا) مُجلَّد وَاحِد، دط. دمشق: 1995 م/ 1416هـ، دار ابن كَثِير.

ـ معرضُ الإِبْرِيز مِنَ الكَلامِ الوَجِيز عَنِ القُرآنِ العَزِيزِ (أ.د عبد الكريم محمد، عبد الكريم الأسعد) فِيهِ 6 مُجَلدَات، ط1. الرِيَاض، دَارُ المِعْرَاج الدوليَّة للنَّشْرِ، 1997م/1418هـ.

ـ إِعرَابُ القُرآنِ الكَرِيم (د.بشير سالم فرج) دار النَّهضَة العربيَّة، ط1. بيروت: 1999.

ـ الجَامِعُ لإِعرَابِ جُمَل القُرآن ـ الدكتور: أَيْمَن الشوَّا. 2000م.

لَقَد اِختَارَ صَاحِبُ الكِتَاب التَّكَلُّمَ عَن إِعرَابِ الجُمَلِ فِي القُرآنِ؛ لأَنَّ بِاخْتِلاف إِعرَابِ الجُملَة يَتَغَيَّرُ المَعْنَى تَغَيُّرًا كَثِيرًا، وَقَد يَكُون فِي إِعرَابِ بَعضِ الجُمَل أَكْثَر مِن وَجهٍ إِعرَابِي، وَالمَعنَى يَتَغَيَّرُ بِتَغَيُّرِ الإِعرَابِ، وَهَذَا فِيهِ إِثْرَاء للمَعَانِي.

وَقَد اِستَفَادَ المُؤلِّف مِمَّا كَتَبَهُ الأَوَائِل فِي هَذَا المِضمَار، وَبِخَاصَّةٍ كِتَاب (الدرُّ المَصُون فِي عُلُومِ الكِتَابِ المَكْنُون) الذِي أَلَّفَهُ شِهَابُ الدِّين أَبِي العبَّاس المَعرُوف بِالسَّمِينِ الحَلَبِي(ت756هـ)، و(تفسِيرُ الكشَّاف عَن حَقَائق التَّنزيل وَعُيُون الأَقَاوِيلِ في وجُوهِ التَّأْوِيلِ) للزَّمَخشَرِي و(البَحرُ المُحِيطُ) لأَبِي حَيَّان التَّوحِيدِي، و(مُغْنِي اللَّبِيب عَن كُتُبِ الأَعَارِيبِ) لابن هِشَام الأنصَارِي جَمَالُ الدِّين، وَكِتَابُ (إِمْلاءُ مَا مَنَّ بِهِ الرَّحْمن مِن وُجُوهِ الإِعْرَابِ وَالقِرَاءَاتِ فِي القُرآنِ) لأَبِي البقَاء عبد اللهِ بن الحُسَينِ بن عبد اللهِ، للعكبرِي، كَمَا أَنَّهُ اِعتَمَدَ فِي كِتَابِهِ عَلَى اِخْتِيَارِ أَرجَح الأَعَارِيب مِنَ الكُتُبِ المَوثُوقَة فِي مَيدَانِ الإِعرَابِ القُرآنِي.

وَقَد تَحَدَّثَ أَيمَن الشَّوَّا فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِهِ عَلَى جُمْلَةٍ مِنَ القَضَايَا ذَاتِ الصِّلَةِ بِإِعرَابِ القُرآنِ مِن بَينِهَا: علم الإعرَاب، والنَّحو القُرآنِي، والإعجَازُ القُرآنِي، وَبَلاغَة الجُملَة العَرَبِيَّة، وَمَا يَحتَاجُهُ المُفَسِّر...

ـ البُرهَانُ فِي إِعْرَابِ آيَاتِ القُرآنِ (أحمد ميقرِي بن أحمد، حسين شميلَة الأهْدَلِي) فيه سِتَّةُ أجزَاء، ط1. بَيرُوت، المَكْتَبَةُ العَصرِيَّة، 2001م/1422.

ـ إِعرَابُ القُرآنِ الكَرِيم؛ للدكتُور محمد الطيب إِبْرَاهِيم، ط1. بيروت: 2001م/1422هـ، دار النفائس.

وَهُو إِعرَابُ لِلْقُرآنِ الكَرِيم وهُو إِعرَابٌ مُبَسَّط ومُختَصَر، طبعَةُ دَار النَّفائس فِي مُجلَّد وَاحد وَفِيهِ مَا يُقَارِب 600 صفحَة.

ـ إِعْرَابُ القُرآنِ الكَرِيم وَبَيَانُ مَعَانِيهِ، الأستاذ الدكتور: مُحمَّد حسن عثمَان. ط1: القاهرة، دار الرسالة، 2002م.

تَحَدَّثَ المُؤَلِّفُ فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِهِ عَن أَهَمِّيَةِ كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، ثُمَّ ذَكَرَ أَهَمَّيَةَ عِلمِ الإِعرَابِ وَذكَرَ مِن بَينِ أَهَمِّيَّةِ إِعرَابِ القُرآنِ أَنَّهُ:

أ ـ الطَّرِيقُ المُؤَدِّي إِلَى فَهمِ مَعَانِي القُرآن الكَرِيم وَالمُرَادُ مِنهُ.

ب ـ تَجَنُّبُ اللَّحنِ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

ج ـ الإِعرَابُ مِفتَاحُ العُلُومِ كُلِّهَا يَسْتَفِيدُ مِنهُ الفَقِيه والمُفَسِّر والأُصُولِي واللُّغَوِي والمُحَدِّث.

وَفِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِهِ ذَكَرَ جُمْلَة مَا أُلِّفَ فِي مَيدَانِ إِعرَابِ القُرآنِ الكَرِيم وَلَكِن بِاختِصَار، ثُمَّ ذَكَرَ أَسْبَابَ تَأْلِيفِهِ لِهَذَا الكِتَاب وَحَصَرَهَا فِي خَمْسَة عَنَاصِر، وَأَمَّا عَن المَنهَجِيَّة فِي كِتَابِهِ فَكَانَت كَمَا يَلِي:

ـ اِعتَمَدَ عَلَى السُّهُولَةِ والبَسَاطَة فِي إِعرَابِ أَلْفَاظ القُرآنِ الكَرِيمِ، وَكَانَ إِعرَابُهُ تَفصِيلِيًا لِكُلِّ آيَة.

- فِي ثَنَايَا إعرَابِهِ يُعَرِّف المُصطَلحَات النَّحوِيَّة التي يَمُرُّ عَلَيهَا مِثل:" الضَّمِير المُتَّصِل، الضَّمِيرُ المُنفَصِّل...

- يَذكُرُ عَشرَ آيَاتٍ، ثُمَّ مَعَانِي المُفرَدَات، ثُمَّ أَسْبَابَ النُّزُولِ، ثُمَّ المَعنَى العَام لِلآيَاتِ، ثُمَّ الإِعْرَاب.

- الاِعتِمَادُ عَلَى الكُتُبِ السَّابِقَة فِي إِعْرَابِ القُرآنِ الكَرِيم، وَمِن أَهَمِّ المَصَادِر التي اِعْتَمَدَ عَلَيهَا نَجِدُ: الدرُّ المَصُون، الكَشَّاف، البَحر المُحِيط، رُوح المَعَانِي، مُختَصَر الطَّبَرِي...

- **اليَاقُوتُ والمرجَان فِي إعرَابِ القُرآن** (محمَّد نُور بن مُحَمَّد بَارتجي) مُجَلّد وَاحد، دَار الإعْلام، ط1. الأردن: 2002م/1423هـ.

- **إِعْرَابُ القُرآنِ الكَرِيم** (أَحْمَد عبيد الدعَّاس، أحمد مُحَمَّد حَمِيدان، إسماعِيل محمُود القاسم، 3 مجلدات، دارُ النميرِي ودَار الفَارَابِي ط1. صدر فِي دمشق: 1425/2004هـ.

- **إِعْرَابُ القُرآن الكريم المُيَسَّر (أ.د محمد الطيب الإبرَاهيمِي)** دَارُ النقاش، ط1.

- **الإِعْرَابُ المُحِيط مِن تَفْسِيرِ البَحْرِ المُحِيط** (د. يَاسِين حَاسم، 5 أَجْزَاء، 2006م/ 1427هـ، دَار إحيَاء التُرَاث العَرَبِي.

يحتوِي الكتَاب مَبَاحِث لُغوِيَّة كَمَا يَتَضَمَّن مَسَائِل خِلافِيَّة تكلَّم المُؤلِّف فِي هذِهِ المسَائِل عَن وُجُوهِ الإعرَابِ للكلمَاتِ القُرآنِيَّة، بالإضَافة إلى شرحِ معَانِي الكلمَات القُرآنِيَّة.

- **نَتِيجَةُ الفِكْر فِي إِعْرَابِ أَوَائِلِ السُّور**، محمّد بن عَبد العَظِيم الصدِيقِي الحصنِي الشَّافِعِي، المَعْرُوف بِابن عَتِيق، المُتَوَفَّى 1088هـ، تَحْقِيق وَدِرَاسَة: أَحمَد رَجَب أَبُو سَالِم، الطبعَة الأُولَى: **1428هـ/2007م.**

أَعرَبَ المُؤلِّف فِي كِتَابِهِ فَوَاتِحَ السُّور، وَاشْتَمَلَ كَذَلِكَ عَلَى ذِكرِ الآراء التَّفْسِيرِيَّة مَعَ الترجِيحِ، وَتَطَرَّقَ إِلَى مَخَارِجِ وَصِفَاتِ الحُرُوفِ فِي فَوَاتِحِ السُّورِ، مَعَ ذِكرِ مَا يَعتَرِيهَا مِن إدغَامٍ وإبدَالٍ، بِالإِضَافَةِ إِلَى إِيجَادِ العلاقَةِ بَينَ فواتح السُّورِ ومَوضُوع السُّورَةِ، كَمَا اِعْتَمَدَ المُؤَلِّف عَلَى مَجمُوعَة مِنَ المَصَادِرِ مِن بَينِهَا: الكَشَّاف للزَّمَخشَرِي، جَامِعُ البَيَانِ للطبَرِي، البحرُ المُحِيط

لأَبِي حَيَّان الأندَلُسِي، وتَفسِيرُ البَيْضَاوِي، بِالإِضَافَة إِلَى عُلُومِ القُرآنِ للزَّرْكَشِي والإِتْقَان للسُّيُوطِي، والكِتَاب لِسِيبَوَيهِ...

ـ المُيَسَّرُ فِي إِعْرَابِ القُرآنِ الكَرِيم، تَاجُ الدِّين عم عَلِي، دمشق: 2008، دار الكر.

ـ الإتقانُ فِي النَّحُو وإِعْرَاب القُرآن، الأستاذ الدكتور: هادي نهر، ط1. الأردن: 2010، عالم الكتاب الحديث.

يَتَكَوَّن مِن أَرْبَع مُجَلَّدَات.

ـ الأعَارِيبُ المُعَاصِرَة لِسُوَر مُعَيَّنَة:

ـ إِعْرَابُ سُورَةُ آل عِمْرَان، عَلي حيدر، منشُورات دارُ الحِكْمَة، دمشق: 1973م/ 1392هـ.

ـ إِعْرَابُ سُورَتَي (الرَّعد، والرُّوم) عبد القادر أحمد عبد القَادر، دارُ النَّفَائس، ط1. الأردن: 1993م/1413هـ.

ـ إِعْرَابُ سُورُ (لُقْمَانُ، ق، الذاريَات) عبد القادر أحمد عبد القادر، دار النفائس، ط1. الأردن: 1993م/1413هـ.

وَفِي هَذَا المَجَال بَعْض الرسَائِل وَالكُتُب اِنشَغَلَت عَلَى إِعْرَابِ بَعْض الآيَات مِنَ القُرآنِ الكَرِيم بِمُؤلّفٍ خَاص.

المَبحثُ الثَّاني: التَّفسِير والبَلاغَة العَرَبِيَّة.

القُرآنُ الكَرِيم كِتَابُ اللهِ وبَيَانُهُ للنَّاسِ، جَاءَ فِي أحسَنِ صُورةٍ جَامِعَةٍ مُتكَامِلَةٍ واضِحَةٍ تَامَّةٍ، فَهُو مُقنِع بِأُسلُوبِهِ ومنهجِهِ القَوِيم، وَقَد جَاءَ فِي أَتمِّ تَألِيفٍ وَأَروَع تَركِيب، فَأَعجَزَ البُلَغَاءَ وَالفُصَحَاءَ، وَبَلَغَ مَبلَغًا لَم يَبْلُغْهُ غَيرُهُ مِنَ الكُتُبِ، وَتَمَيَّزَ بِقُوَّةِ أَلْفَاظِهِ وَسَلامَتِهَا، وَمَتَانَةِ التَّعبِيرِ ولَطَافَتِهِ، وَرَوعَةِ الأُسلُوبِ وَجَاذِبِيَّتِهِ، مِمَّا أَذهَلَ العَرَبَ الذِينَ عَاصَرُوا نُزُولَه فِي وَقتٍ قَد بَلَغُوا فِيهِ القِمَّةَ فِي الفَصَاحَةِ والبَلاغَةِ، فَلمَّا سَمِعُوا القُرآنَ الكريم وَقَفُوا مَذهُولِينَ حَيَارَى أَمَامَ بَلاغَتِهِ وَبَيَانِهِ، وَلَمْ يَكُن فِي وِسْعِهِم أَكْثَرَ مِنَ أَن يَصِفُوهُ مَرَّةً بِالسِّحرِ وَتَارَةً بِالكَهَانَةِ، وَمَرَّةً بِكَلامِ الجِنِّ، وَلَم يَكُن فِي وِسعِ أَربَابِ البَلاغَةِ وَالبَيَانِ مِنهُم إلا أَن يَشهَدُوا بِإعجَازِهِ وَأَن يَعتَرِفُوا بِعُلُوِّهِ وَسُمُوِّهِ عَلَى غَيرِهِ مِنَ الكَلامِ.

فَهَا هُو ذَا عُتْبَة بن رَبيعَة يُوفِدُهُ قَومُهُ لِثَني النَّبِي ﷺ عَمَّا جَاءَ بِهِ، فَيَرْجِعَ إِلَيهِم بِغَيرِ الوَجْهِ الذِي ذَهَبَ بِهِ بَعْدَمَا سَمِعَ آيَاتٍ مِن سُورَة فصِّلت قَرَأَهَا عَلَيْهِ النَّبِي ﷺ.

والوَلِيد بن المُغِيرَة يَشهَدُ لِلقُرآنِ بِأَنَّ لَهُ لَحَلاوَة، وأَنَّ عَلَيهِ لَطَلاوَة، وأَنَّهُ يَعلُو ولاَ يُعلَى عَلَيهِ، فَكَانَت هَذِهِ الشَّهَادَة ممَّن كَانَ عَلَى الفِطرَةِ اللُّغَوِيَّة، وأَبُو عُبَيدَة يَذكُرُ أَنَّ أَعرَابِيًا سَمِعَ رَجُلا يَقرَأُ قوله تَعَالَى: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُومَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: 94]. فَسَجَدَ، وَقَالَ: سَجَدْتُ لِفصَاحَتِهِ"[1].

وَارتَبَطَتِ البَلاغَة بِفِكرَةِ الإعجَاز" ولَعَلَّ أَكْبَرَ دَلِيلٍ عَلَى العلاقَة بَينَ إعجَازِ القُرآنِ وَوَضعِ عِلمِ البَلاغَةِ العَرَبِيَّة هُو أَنَّ الإعجَازَ البَلاغِي إِذَا أُطْلِقَ يُرَادُ بِهِ البَلاغَة نَفسهَا"[2]، فَظَهَرَت بِذَلِكَ مُؤلَّفَات فِي مَيدَانِ إعجَازِ القُرآنِ مِنهَا: (إعجَازُ القُرآنِ) للجَاحِظِ(255هـ)، و(إعجَازُ القُرآنِ) لأَبِي عبد اللهِ مُحَمد بن يَزِيد الوَاسِطِي(306هـ) وَقَد شَرَحَهُ الجُرجَانِي فِي كِتَابٍ سَمَّاه **(المُعْتضد)**، وكِتَاب **(نظمُ القُرآنِ)** لأَبِي بَكر عَبد اللهِ بن أَبِي دَاوُد السجِسْتَانِي (316هـ). ثُمَّ

[1] . ابن أبي الإصبع المصري، بَدِيعُ القرآن، تح: حفنِي محمَّد شرَف، دط. مصر: دت، نَهْضَةُ مِصر للطبَاعَةِ والنَّشر والتَّوزيع، ص 22 بتصرف.

[2] . نَعِيم الحِمْصِي، تاريخُ فكرة إعجَاز القُرآن، دط. دمشق: 1955، ص44.

تَوَالَى التأليف فِي إعجَازِ القُرآنِ فَكَانَ: أَحمَد بن علي المَعرُوف بِابن الإِخشِيد المُعْتزِلِي(326هـ)، وأبُو سُليمَان أَحمد بن محَمَّد بن إبرَاهيم الخَطابِي(ت388هـ)، وأبُو بَكر مُحمد بن الطيب البَاقِلانِي (ت403هـ)، وعبدُ القَاهر الجُرجَانِي فِي كِتَابِهِ (دَلائِلُ الإِعجَازِ)، وكَذلِكَ مَا أَلفَهُ الإِمَام الفَخرُ الرَّازِي، وابن أَبِي الأصبع(ت654هـ) فِي(بَدِيعِ القُرآنِ) وهُو مِن العُلمَاءِ المَشهُود لَهُم بِالبَلاغَةِ، وَقَد تَأَثَّر بِهِ محيي الدِّين الدرويش فَقَد تَبَنَّى جُملَة مِن أَرَائِهِ البَلاغِيَّة.

وَلَعَلَّ الغَرَضَ الدِينِي كَانَ مَن بَينِ أَكثَر الأَسْبَابِ مَدعَاةً لِظُهُورِ البَحثِ البَلاغِي، وَلَهُ الأَثَرُ الكَبِير فِي تَطَوُّرِ البَلاغَة العَرَبِيَّة قَالَ مُحمَّد منيف:" إِذْ تُعَدُّ البَلاغَة والإِعْجَاز تَوْأَمَيْنِ يَصْعُبُ التَّمْيِيز بَيْنَهُمَا"[1].

وَيُعَدُّ العَصْرُ العَبَّاسِي مِن أَهَمِّ العُصُورِ التي عَرَفَت فِيهَا البَلاغَة تَطَوُّرًا كَبِيرًا، وَيَرجِعُ ذَلِكَ لِكَوْنِ العَصْر العَبَّاسِي تَمَيَّزَ بِالانفِتَاحِ العِلْمِي والثَّقَافِي لِلْحَضَارَاتِ المُخْتَلِفَة، فَكَانَ الجِدَالُ والحِجَاجُ بَينَ المَذَاهِب المُخْتَلِفَة، مِن كَلامِيَّة وَغَيرِهَا.

وَالمُفَسِّرُ لِكِتَابِ اللهِ بِحَاجَةٍ كَبِيرَةٍ إِلَى فَنِّ البَلاغَةِ قَالَ ابن خَلدُون:" وَأَحوَج مَا يَكُون إِلَى هَذَا الفَنِّ المُفَسِّرُون"[2]، كَيْفَ لا وَالقُرآن الكَرِيم قِمَّةُ البَلاغَةِ وَالفَصَاحَةِ، ولأَهَمِّيَّةِ البَلاغَة فَهِي ضَرُورِيَّة لِمَن أَرَادَ تَفسِيرَ القُرآنِ الكَرِيم؛ يَقُولُ الإِمَامُ الزَّركَشِي:" وَاعْلَم أَنَّ مَعْرِفَةَ هَذِهِ الصِّنَاعَة بِأَوضَاعِهَا هِيَ عُمدَةُ التَّفسِير المُطَّلِع عَلَى عَجَائِبِ كَلامِ اللهِ، وَهِي قَاعِدَةُ الفَصَاحَة وَوَاسِطَةُ عِقْد البَلاغَة، وَلَو لَم يُحَبِّب الفَصَاحَة إلا قَول اللهِ تَعَالَى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَۖ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَۖ﴾[3].

وَمِنَ العُلمَاءِ المُعَاصِرِينَ الذِينَ دَرَسُوا البَلاغَة القُرآنِيَّة الأُستَاذ الدكتور أميرُ عبد العَزِيز فِي كِتَابِهِ **(إِعْجَازُ القُرآنِ)**، والشَّيخ مَتولِّي الشَّعرَاوِي فِي كِتَابِهِ **(مُعْجِزَةُ القُرآن)**، ومُصطفى صَادِق

[1] ـ محمَّد منيف فقيهي، نظريَّةُ إعجَاز القُرآن عند عبد القاهر الجُرجَانِي، دط. صيدا:1959، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ص126.

[2] ـ الزرْكَشِي، البُرهَانُ فِي عُلُومِ القُرآنِ، ج1، ص414.

[3] ـ المَصدر نفسه، ج1، ص388.

الرَّافِعِي فِي كِتَابِهِ **(إعجاز القرآن)**، والسيِّد قُطب فِي كِتَابِهِ **(التصْوِيرُ الفَني فِي القُرآنِ)**، وعبد الخَالِق عَضِيمَة فِي سِلْسِلَتِهِ: **(دِرَاسَات لأسْلُوب القُرآن الكَرِيم)**، **والدكتور مُحمد إبرَاهِيم شَادِي فِي كِتَابِهِ: (البَلاغَةُ الصَّوْتِية فِي القُرآنِ الكَرِيم)**. ومحيي الدِّين الدرويش فِي كِتَابِهِ **(إعْرَابُ القُرآنِ الكَرِيم وبَيَانُهُ)**

وَأَهْلُ البَلاغَةِ وَالبَيَان فِي كُل عَصرٍ مِنَ العُصُورِ نَجِدُ أَنَّهُم فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَكْتَشِفُونَ الخَبَايَا البَلاغِيَّة والبَيَانِيَّة للقُرآنِ الكَرِيمِ، فَكَشَفُوا عَن أَسَالِيبِ القُرآنِ وَمَا تَحمِلُهُ فِي طَيَّاتِهَا مِن مَعَانِي وَأَحْكَام.

1 ـ البَلاغَةُ العَرَبِية قَبْلَ مَجِيءِ القُرآنِ الكَرِيم.

لَقَد بَلَغَ العَرَبُ فِي فَصَاحَتِهِم وَبَلاغَتِهِم قَبلَ بِعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ مَبلغًا عَظِيمًا، وذلكَ مِن اِخْتِيَارٍ للأَلفَاظِ، وَجَودَةٍ فِي التَّركِيبِ، وَدِقَّةٍ فِي الوَصف، وَتَذوقٍ لِلأَلفَاظِ" وَالذَّوْقُ الفِطرِي الذِي يُعَدُّ القَاعِدَة الأَسَاسِيَّة وَدُستُورًا فِي الحُكمِ عَلَى كُلِّ الفُنُونِ الأَدَبِيَّة حَتَّى يُهَيِّيءَ للقارئ فُرصَةَ سَمَاعِ جَرَس الكَلِمَات وَحَلاوَتِهَا، وَعُذُوبَة نَغَمِهَا والتِحَام التَّرَاكِيبِ، وَحُسن رَصف الكَلِمَات، وَدِقَّة اللفظِ، وَسُمُوَّ الخَيَالِ فَيَستَطِيعَ بِذَلِكَ المُقَارَنَة بَينَهَا"[1]، فكَانَ ذلكَ مِن مِيزَتِهِم الفِطرِيَّة.

وَالعَرَبِي فِي العَصرِ الجَاهِلِي كَانَ لَمَّا يَتَكَّلم يُحِس السَّامِعُ بِقُوَّةِ مَنطِقِهِ، وَعُذُوبَة أَلفَاظِهِ، كَيْفَ لا؟ وَقَد مَدَحَهُم القُرآنُ مِن أَنَّهُم أَهْلَ بَلاغَةٍ وَفَصَاحَةٍ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يَّقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المُنَافِقُون:4].

وَالعَرَبُ قَبْلَ مَجِيءِ القُرآنِ الكَرِيمِ كَانُوا قَد اِكتَمَلَت لَهُم أَركَان اللغَةِ العَرَبِية، فَبَلَغت بِذَلِكَ ذُروَتَهَا، فَكَانُوا يَتَبَاهَونَ بِالفَصَاحَةِ، وَيَتَنَافَسُونَ فِي مَجَالِ الشِّعرِ وَالنَّثرِ، وإِجَادَةِ الكَلامِ وَالتفَنُّنِ فِيهِ، وَكَانَت هُنَاكَ أَسوَاق فِيهَا مَجَالِس للتنَافُسِ فِي مَيدَانِ الشِّعرِ، فَأَصبَحَت اللغَة العَرَبِية أَرقَى اللُّغَات، وَذَلِكَ العَصر أَرْقَى العُصُور عِندَ العَرَبِ لُغَةً، وَقَد كَانُوا يَفْرَحُونَ فَرَحًا شَدِيدًا

[1] ـ الجُرجَانِي: أبوبكر عبد القَاهر الجُرجَانِي، دَلائِلُ الإعجَاز، اعتنى بِهِ علي محمَّد زينُو، ط1. دمشق: 1426هـ/2005، مؤسسة ناشرون، ص30.

بِمِيلادِ شَاعِرٍ فِيهِم؛ فَالقَبِيلَة التي لا يَكُونُ لَهَا شَاعِر يُدَافِعُ عَنهَا قَبِيلَة ضَعِيفَة، فَكَانَتِ الكَلِمَةُ أَقوَى صَدَى مِن السِّلاحِ.

إِنَّ العَرَبَ قَد بَهَرَهُم القُرآن الكَرِيم لَمَّا سَمِعُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَد أَنطَقَ إِحساسهُم فَتَذَوَّقُوا رَوعَةَ نَظمِهِ وَحَلاَوَةَ أَلْفَاظِهِ، فَخَاطَبَ فِيهِم الوِجدَان وَالأَعمَاق والأَذهَان، فَقَد أَثَّرَ فِي بَعضِهِم تَأثِيرًا بَالِغًا، فَقَد خَاطَبَ فِيهِم الفِطرَة.

إِنَّ اللهَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى يَجعَلُ المُعجزات مِن جِنسِ مَا تَتَمَتَّعُ بِهِ الأُمم فَيَتَحَدَّاهُم اللهُ بِذَلِكَ؛ فَالطب كَانَ فِي زَمَنِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلام، وَالسِّحرُ كَانَ فِي زَمَنِ مُوسَى عَلَيهِ السَّلام، والفَصَاحَة وَالبَيَان والبَلاغَة كَانَت فِي زَمَنِ النَّبِي ﷺ، وَقَد تَحَدَّى اللهُ العَرَبَ عَلَى أَن يَأتُوا بِمِثلِهِ، أَو أَن يَأتُوا بِعَشرِ سُوَرٍ مِن مِثلِهِ، وَفِي ذَلِكَ يقُولُ تَعَالَى ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُومِنُونَ ٣١ فَلْيَاتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾ [الطور 31 ـ32]

وَيَقُولُ تَعَالَى ﴿اَمْ يَقُولُونَ اِفْتَرٰىهُۖ قُلْ فَاتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيٰتٍ وَادْعُواْ مَنِ اِسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اِللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هود:13].

لَقَد اِستَفَادَتِ البَلاغَةُ العَرَبِيَّة مِن الخِطَاب القُرآنِي أَيَّمَا اِستَفَادَةٍ، فَقَد اِكتَشَفَت البَلاغَة العَرَبِية ذَاتَهَا فِي القُرآنِ الكَرِيم.

2 ـ تَّفسِيرُ القُرآنِ الكريم وَكُتُبُ الإعرَابِ والمَعَانِي.

فِي بِدَايَةِ القَرنِ الثَّانِي للهِجرَةِ كَانَت بِدَايَة ظُهُور كُتُب مَعَانِي القُرآن الكَرِيم التي حملت أَسمَاءَ مُخْتَلِفَة مِنهَا، مَعَانِي القُرآن وَمَجَازُ القُرآنِ ومُشْكل القُرآنِ وغَرِيب القُرآنِ إِلَى إِعرَابِ القُرآنِ فِيمَا بعد، يَقُولُ الشَّيخُ أَبُو عمرُو بن الصَّلاح:" وَحَيثُ رَأَيْتَ فِي كُتُبِ التَّفسِير قَالَ أَهلُ المَعَانِي، فَالمُرَادُ بِهِ مصنفو الكُتُبِ فِي مَعَانِي القُرآن كَالزَّجَّاجِ وَمَن قَبله؛ وَفِي بَعضِ كَلامِ الوَاحِدِي: أَكْثَرُ كَلام أَهل المَعَانِي: الفَرَّاء، والزَّجَّاج، وابن الأنبَارِي قَالُوا كَذَا"[1].

[1] ـ الزَّركَشِي، البُرْهَان فِي عُلُومِ القُرآن، ط3، القاهرة:1980، دارُ الفِكْر، ج1، ص291.

3 ـ ظَاهِرَةُ الإعرَاب وَعِلمُ إعرَابِ القُرآنِ الكَرِيمِ.

تُعَدُّ ظَاهِرَةُ الإعرَابِ مِن أهَمِّ الظَّوَاهِرِ التي تَتَمَيَّزُ بِهَا اللغَةُ العَرَبِيَّة عَن غَيرِهَا مِنَ اللُّغَاتِ، وَهَذَا لِدِقَّتِهِ فِي تَحدِيدِ المَعَانِي، وتَرَابُطِ الأَلفَاظ وَالجُمَلِ، هَذِهِ الحَرَكَات التي:" يَتَمَثَّلُ مُعظَمُهَا فِي أَصوَاتِ مَدٍّ قَصِيرَة يَلحَقُ أَوَاخِر الكَلِمَاتِ لِتَدُلَّ عَلَى وَظِيفَةِ الكَلِمَة فِي العِبَارَةِ وَعلاقَتِهَا بِمَا عَداهَا مِن عَنَاصرِ الجُمْلَةِ، وَهَذَا النِّظَام لا يُوجَدُ لَهُ نَظِيرٌ فِي أَيَّةٍ أُخْتٍ مِن أَخوَاتِهَا السَّامِيَّة، اللَّهُمَّ إلا فِي بَعضِ آثَار ضَئِيلَة بِدَائِيَّة فِي العِبرِيَّة، وَالآرَمِيَّة والحَبَشِيَّة"[1]، فَالإعرَاب لَهُ علاقَة فِي تَركِيبِ الجُملَة وتَرَابُطِ مَعناهَا وِفقَ نِظَامٍ لُغَوِي دَقِيق.

فَعِلمُ إعرَابِ القُرآنِ الكَرِيمِ لَهُ أَهَمِّيَّةٌ فِي الكَشفِ عَن خَفَايَا النَّصِّ القُرآنِي وَدَلالاته وَمَعَانِيهِ فَمُعْرِبُ القُرآنِ الكَرِيمِ وَاجِب عَلَيهِ أَن يَكُونَ فَاهِمًا لِمَا يُعرِبه، فَالمَعْنَى يُسَاهِمُ فِي الوُصُولِ إِلَى الإعرَابِ الصَّحِيحِ، قَالَ ابنُ هِشَام الأنصَارِي" وَقَد زَلَّت أَقدَامُ كَثِيرٍ مِنَ المُعرِبِينَ رَاعوا فِي الإعرَابِ ظَاهِرَ اللَّفظِ ولَم يَنظُرُوا فِي مُوجب المَعنَى، وَمِن ذَلِكَ قوله تَعَالَى﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَامُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوَ اَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود:87] فَإِنَّهُ يَتَبَادر إِلَى الذِّهْنِ عَطْفُ ﴿اَن نَّفْعَلَ﴾ عَلَى ﴿أَن نَّتْرُكَ﴾ وَذَلِكَ بَاطِل؛ لأَنَّهُ لَم يَأمرهُم أَن يَفْعَلُوا فِي أَموَالِهِم مَا يَشَاؤُونَ، وإِنَّمَا هُو عَطف عَلَى ﴿مَا﴾ فَهُو مَعْمُولٌ للتَركِ"[2].

وَأَوَّل مَا كَانَ الإعرابُ كَانَ فِي النُّقَطِ التي وَضَعَهَا أَبُو الأَسوَد الدُّؤلِي للقُرآنِ الكَرِيم، وَهُو أَوَّل رَمزٍ رُمِزَ بِهِ لأَحوَالِ أَوَاخِرِ الكَلِمَاتِ القُرآنِيَّة، فَقَد قَالَ لِكَاتِبِهِ:" إِذَا رَأَيْتَنِي قَد فَتَحتُ شَفَتي فَأنقِط وَاحِدَةً فَوقَ الحَرفِ، وَإِذَا ضَمَمْتُهَا فَاجعَل النُّقطَة إِلَى جَانِب الحَرفِ، وَإِذَا كَسَرتهمَا فَاجعَل النُّقطَةَ فِي أَسفَلِهِ، فَإِذَا أَتْبَعت شَيئًا مِن هَذِهِ الحَرَكَات غُنَّةً فَأَنقِط نُقطَتَينِ" فَالفَتحَة وَالضَّمَّةُ وَالكَسرَة هِيَ الحَرَكَات التي وَرَدَت عَن أَبِي الأَسوَد الدؤلِي ثُمَّ تَبِعَهُ فِي هَذَا العَمَلِ الخَلِيل بن أَحمد الفَرَاهِيدِي بِإِبدَالِ هَذِهِ النُّقَط ضَمَّةً وَكَسْرَةً وَفَتْحَةً، هَذِهِ النُّقَط التي وَضَعَهَا أَبُو

[1] ـ علي عبد الواحِد، في فِقْهِ اللغَةِ، ط8. مصر: دت، دار نهضَة مصر، ص210.

[2] ـ السيُوطِي، جلال الدِّين السيُوطِي، الإتقانُ فِي عُلُومِ القرآنِ، ج1، ص383.

الأَسوَد الدُّؤلِي بَينَ يَدَي الحَرف وَتَحتَه وَفَوقَهُ، فَهَذِهِ العلاقَات كَانَت بِهَا تُبْنَى الكَلِمَات المُخْتَلِفَةُ.

بَعدَ هَذَا الوَضع أَخَذَ الجَدَلُ حَوْلَ هَذِهِ العَلامَات، هَل هِي مُجَرَّدُ عَلامَات تُسَاعِدُ عَلَى النُّطقِ بِالحُرُوفِ السَّوَاكِنِ؟ أَم هِي عَلامَات للتَّمييزِ بَينَ المَعَانِي المُختَلِفَة؟

وَلَكِن هَذِهِ الأَسئِلَة لَم تَظْهَر إلَّا بَعدَ الخَلِيل بن أحمد وَسِيبَوَيه.

وَمِن أَهَمِّ الفَوَائِدِ التي تُستَفَادُ مِن إعرَابِ القُرآنِ الكريم:

ـ الإعرَابُ يُسَاهِمُ فِي تَحدِيدِ المَعنَى المُرَاد فِي بَعضِ الأَحيَانِ.

ـ بِالإعرابِ تَتَحَدَّدُ بَعض الأَحكَامِ الشَّرعِيَّة وَبِهِ تُسْتَنبَطُ.

ـ الإعْرَابُ يُسَاهِمُ فِي تَرجِيحِ بَعضِ القِرَاءَات عَن بَعض.

ـ بِالإعرَابِ يُقْرَأُ كِتَابُ اللهِ قِرَاءَةً صَحِيحَةً بَعِيدَة عَنِ اللَّحْنِ.

ـ لِلإعرَابِ فَوَائِد نُطْقِيَّة لَفْظِيَّة مِن ذَلِكَ دَفع التقاء السَّاكِنَين.

ـ لِلإعرَابِ فَوَائِد صَوتِيَّة تُسَاعِدُ مُرَتِّلَ كِتَابَ اللهِ عَلَى تَحدِيدِ مَعَانِي كِتَاب الله، والوُقُوف عِندَ مَعَانِيهِ ومَرَامِيهِ.

وَلأَهَمِّيَةِ الإعرَاب فَهُو مُرتَبِط بِالقُرآنِ الكَرِيم اِرتِبَاطًا كُلِّيًا، لِهَذَا نَجِدُ الإمَام القُرطُبِي قَد أَفرَدَ بَابًا فِي كِتَابِهِ سَمَّاهُ:" بَابُ مَا جَاءَ فِي إعرَابِ القُرآنِ وَتَعلِيمِهِ والحَث عَلَيهِ، وَثَوَاب مَن قَرَأَ القُرآنَ مُعرَبًا"[1] وهَذا فِيهِ دلالة تُبيّن صِلَة الإعرابِ بالقرآنِ الكريمِ وضرُورة تعلمِهِ وتَحصِيلِهِ.

4 ـ مَفَاهِيمُ الإعرَابِ المُعَاصِرَة.

إنَّ ظَاهِرَةَ الإعرَابِ قَضِيَّةٌ مُسْتَمِرَّة وَمُتَجَدِّدَةٌ فِي طَرحِهَا، فَأَعَارِيبُ القُرآنِ المُعَاصِرَة أَصبَحَت تَهْتَمُّ بِجَوانِبَ أُخْرَى لَهَا علاقَة بِالإعرَاب، كَالبَلاغَةِ والنَّحو والصَّرف واللغَة وعِلم المُنَاسَبَة وغَيرِهَا.

لَقَد اِرتَبَطَ الإعرَابُ فِي عَصرِنَا بِجُملةٍ مِنَ النَّظَرِيَّات والآراء مِن ضِمنِهَا:

[1] ـ القُرطُبِي، الجَامِع لأحْكامِ القُرآن الكريمِ، ج1، ص31،32،33.

نَظَرِيَّة الحَالَة الإعرَابِيَّة وَتُعَدُّ هَذِهِ النظَرِية " نَظَرِيَّة فَرعِية مِن نَظَرِية القَوَاعِد والتي نَدعُوهَا نَظَرِيةُ الحَالَة الإعرَابِيَّة بِتَفسِيرِ الحَالات الإعرَابِية التي تَظهَرُ فِيهَا العِبَارَات الاِسمِيَّة، وَإِلَى جَانِبِ ذَلِكَ تُوَفِّرُ لَنَا تَفسِيرًا لِبَعضِ الظَّوَاهِر النَّحوِيَّة مِنهَا حَالات الحَرَكَة التي تَتَعَرّض لَهَا بَعض العَنَاصِرِ، وَهِي بِهَذَا تُؤَلِّفُ جُزءًا مُهِمًّا مِن أَجزَاءِ نِظَام القَوَاعِد فِي التَّخطِيطِ الذِي نُقَدّمُهُ هُنَا لِهَذا النّظَام وَالذِي يَكتَسِبُ فِيهِ التّفسِير مَنزِلَةً رَئِيسَة"[1]، فَالإعرَاب مُتَجَدّد فِي دِرَاسَتِهِ وَلَهُ إِسهَامَات فِي تَحدِيدِ المَعَانِي وَالتّفسِير وَمُعَالَجَة الظّوَاهِر النَّحوِيَّة وَمَا يَطرَأُ عَلَيهَا، فَأَوَاخِر الكَلِمَات تَتَغَيّر بِسَبَبٍ مِنَ الأَسبَابِ فِي علاقَةِ الكَلِمَات بِعَنَاصِرِ الجُملَة، وَيَعُودُ بِسَبَبِ تَغَيّرِ أَوَاخِر الكَلِمَات، وَمَا يُسَمّيهِ النُّحَاةُ المُعَاصِرُون وِفقَ وَظَائِفِهَا النَّحوِيَّة، وَنَظَرِيةُ الحَالَة الإعرَابِيَّة تَعْمَلُ عَلَى وَصفِ التّغييرَات الظَّاهِرَة فِي أَوَاخِرِ الكَلِمَات، فَالحَالَة الإعرَابِيَّة تُقَدِّمُ تَفسِيرًا لِلحَرَكَاتِ المَوجُودَة فِي الأَسمَاءِ فِي إطَارِ الجُمَل.

[1] ـ مرتضَى جَوَاد باقر، مُقدِّمَة في نَظَرِيَّة القوَاعِد النَّحْوِيَّة، ط1. الأردن:2002، دار الشروق للنشر والتوزيع، ص135.

المَبحَثُ الثَّانِي: الإعرَابُ القُرآنِي وأَثَرُهُ فِي عُلُومِ العَرَبِيةِ والشَّريعَة.

أَوَّلاً ـ الإِعرَابُ وعلاقتُهُ بِتَوجِيهِ الأَحْكَامِ الفِقْهِيَّة.

ثانيًا ـ الإِعرَابُ وعلاقتُهُ بِالتَّوجِيهِ العَقَدِي عِندَ محيي الدِّين الدرويش.

المبحثُ الثَّاني: الإعرَابُ القُرآنِي وأَثَرُهُ فِي عُلُومِ العَرَبِيةِ والشَّريعَة.

أوَّلا ـ الإعرَابُ وعلاقتُهُ بِتوجِيهِ الأَحكَامِ الفِقْهِيَّة.

فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحيَانِ يَكُون الإعرَاب فِي اِختِلافِ حَرَكَاتِهِ مِن خِلَالِ القِرَاءَاتِ القُرآنِيَّة مُؤَثِّرًا عَلَى الحُكمِ الفِقهِي مِن الأَمثِلَةِ:

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۗ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّداً فَجَزَآءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْياً بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَاماً لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۖ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍۗ﴾ [المائدة95].

فِي هَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة اِختَلَفَ أَهْلُ التفْسِيرِ فِي حُكمِ فِيمَن قَتَلَ صَيْدًا هَل عَلَيهِ القِيمَة أَو المَثَلُ مِنَ النِّعَمِ؟ وَهَذَا الاِخْتِلاف رَاجِعٌ إِلَى الاِخْتِلافِ فِي القِرَاءَةِ التي مَرَدُّهَا الإِعْرَاب، فَقَد وَرَدَت بِالرَّفْعِ كَمَا وَرَدَت بِالخَفضِ.

قَالَ ابنُ العَرَبِي:" ﴿مِثْلُ﴾ قُرِئَ بِخَفْضِ ﴿مثل﴾ عَلَى الإِضَافَةِ إِلَى ﴿فَجَزَاءٌ﴾ وَبِرَفعِهِ وَتَنوِينِهِ صِفَةً لِلْجَزَاءِ؛ وَكِلاهُمَا صَحِيحٌ رِوَايَةً، صَوَاب مَعنىً، فَإِذَا كَانَ عَلَى الإِضَافَةِ اِقْتَضَى ذَلِكَ أَن يَكُونَ الجَزَاء غَير المَثَل؛ إِذ الشَّيءُ لا يُضَافُ إِلَى نَفسِهِ، وَإِذَا كَانَ الصّفَةُ بِرَفعِهِ وَتَنوِينِهِ اِقْتَضَى ذَلِكَ أَن يَكُونَ المَثَلُ هُو الجَزَاءُ بِعَينِهِ، لِوُجُوبِ كَونِ الصِّفَة عَين المَوصُوفِ"، فَبِالرَّفعِ يَكُونُ الجَزَاءُ بِالمِثلِ، وَأَمَّا فِيمَن قَرَأَ بِالخَفضِ فَيَكُون الجَزَاءُ بِالقِيمَةِ.

وَأَمَّا محيي الدِّين الدرويش فِي هَذِهِ المَسألة انطَلَقَ فِيهَا مِن تَعرِيفِهِ لِكَلِمَةِ ﴿حُرُمٌ﴾ حيثُ قَالَ" جَمْعُ حَرَامٍ، والحَرَام يَستوِي فيهِ المُذكَّر والمُؤنَّث، تَقُولُ: هَذَا رَجُل حرَام، وهذه امرأة حرَام، فإذَا قِيلَ: مُحرِم قِيل للمَرأةِ: مُحْرِمَة، والإحرَام هُو الدخُول فِيهِ، يقالُ: أحرَم القومُ إذَا دخلُوا فِي الشَّهرِ الحرامِ أو الحُرُم"[1].

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرَابُ القُرآنِ والكَرِيمِ وبيانُهُ، ج2، ص294.

وأمَّا تَوجِيه الآيةِ بالنِّسبَة إليهِ وتأويله لَهَا من الجانبِ الفقهِي فقد قَال" لا تقتلُوا الصَّيد وأنتُم مُحرِمُون بحجٍّ أوْعُمرَة"[1]، وَمِنهُ تكَلَّم محيي الدِّين الدروِيش عَن حُكمِ الصَّيد فِي الحَجِّ والعُمرَة وَحُكْمُهُ مُتَّفَقٌ عَلَيهِ، وأَمَّا ابن العَرَبِي فتَكَلَّم عَن الجَزَاءِ إذَا وقَعَ الصَّيْدُ.

- يقول تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة:6]

فِي قولِهِ تَعَالَى ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ قُرِأَت بِالفَتحِ كَمَا قرأَت بِالجَرِّ، بِالفَتحِ قَرَأَ بِهَا نَافِع وابن عَامِر وَحَفص والكسَائِي وَيَعقُوب، فيَكُونُ المَعنَى: وَاغسِلُوا أَرجلَكُم إلى الكَعبَينِ، فَيَكُون مِن بَابِ أَنَّهُ مَعْطُوف عَلَى اللَّفْظِ دُونَ المَعْنَى، فَفِيهِ دلالَة عَلَى الغَسلِ لأَنَّهُ يُنظَرُ إِلَى المَعنَى لا اللفظِ، وَقَد ذَكَرَ الإِمَامُ القُرطُبِي أَنَّ" العَرَبَ قَد تَعطِفُ الشَّيءَ عَلَى الشَّيءِ بِفعِل يَنفَرِدُ بِهِ أَحَدهُمَا تَقُولُ: أَكَلْتُ الخُبْزَ وَاللبَنَ، أي: وَشَربتُ اللبَنَ"[2]، قَالَ محيي الدِّين الدرويش" وَمِن هُنَا اِخْتَلَفَ المُسْلمُونَ فِي غَسْلِ الرِّجْلَينِ وَمَسحِهِمَا، فَجَمَاهِير أَهْل السُّنَّة عَلَى أَنَّ الوَاجِبَ هُو الغَسْلُ وَحدَهُ.."[3] وَقَد ذَكَرَ محيي الدِّين الدرويش أَنَّ الإِمَام الطَّبَرِي نُقِلَ عَنهُ الجَمع بَينَ الغَسلِ والمَسحِ وهُو الرَّأي الذِي ذَهَبَ إِليهِ محيي الدِّين الدرويش، وَقَرَأَ البَاقُونَ مِن القُرَّاءِ بِالخَفْضِ قَوْلَهُ ﴿وَأَرْجُلِكُمْ﴾ وَهُم ابنُ كَثِير وَحَمزَة وأَبُو عَمرُو.

وأَمَّا محيي الدِّين الدرويش في بدَايةِ دراستِهِ لهذِه الآيَة ذَكَرَ نكتَةً في تفْرِيقِهِ بينَ وُرُود كَلِمَة ﴿الْمَرَافِقِ﴾ جَمعًا، كما ثنَّى كلمَة ﴿الكَعْبَيْنِ﴾، وجعلَ ذلك لأمْرَينِ هُمَا:

---

[1] . محيي الدِّين الدرويش، إِعْرَابُ القُرآنِ والكَرِيمِ وبيانُهُ، ج2، ص294.

[2] . القرطبي: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد بن شعبان بن أحمد ومحمد بن عيادي بن عبد الحليم، ط1، القاهرة: 2005، مكتبة الصفا، ج6، ص68.

[3] . محيي الدِّين الدرويش، إِعْرَابُ القُرآنِ والكَرِيمِ وبيانُهُ، ج2، ص185.

1 ـ لأنَّ الإنسانَ لَهُ مرفَق واحِد في كلِّ يدٍ، فناسَب أن يذكُر بالنِّسبةِ للجَميعِ بِالجَمعِ وأمَّا الكَعْبانِ فَكُل قَدَم لَهَا كَعبَانِ، فَنَاسَبَ أَنَّهُ يَذكُر الاثنَانِ مِن كُلِّ رِجلٍ.

2 ـ جَمعُ لفظِ المرفق لفظٌ مأنُوس في الكَلامِ، أمَّا جَمع الكَعب فهُو لا يحلُو ذكرهُ فِي الكَلامِ، ومردُّوا هَذا الأَمر إلى الذَّوقِ.

ـ يقول تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:4]

فِي الآيةِ الكرِيمَة جَاءَ التعبير القُرآنِي بنُونِ الجَمعِ فِي قَولِهِ ﴿نَعْبُدُ﴾ وقوله ﴿نَسْتعين﴾ وَاستِعمَال نُون الجَمعِ لَهُ دلالَة فِقهِيَّة قَالَ محيي الدِّين الدروِيش فـ" المُتَكلِّم وَاحِد؛ لأنَّهُ وردَ فِي الشَّرِيعَة أنَّهُ مَن باعَ أجنَاسًا مختلفَة صَفقَةً واحِدَة، ثُمَّ ظهرَ للمُشترِي فِي بعضِهَا عيبٌ، فهُو مُخيَّر بينَ ردِّ الجميعِ أو إمسَاكِهِ، وليسَ له تبعيضُ الصَّفقَة، بردِّ المَعيبِ وإبقَاء السَّلِيم"[1]، وبعدهَا استمَدَّ محيي الدين الدرويش مِن هذا الحُكمِ معنَى هذِهِ الآيَة حيثُ قَالَ" وهُنَا لَمَّا رأَى العَابِد أنَّ عبادتهُ ناقِصَة مَعيبَة لَم يَعرضهَا على اللهِ مُفردةً، بل جَنَحَ إلى ضمِّ عبادةِ جَميعِ العَابدِينَ إليهَا، وعَرض الجَميعِ صفقةً كاملةً راجيًا قبُولَ عِبَادتِهِ فِي ضِمنهَا؛ لأنَّ الجميعَ لا يُرَدُّ البَتَّة، إذ بعضهُ مقبُول، وردُّ المعيبِ وإبقاءُ السَّليم تَبعِيضٌ للصَّفقَةِ وقد نهَى سُبحَانهُ عبادهُ عنهُ، وهو لا يليقُ بكرمهِ العَظيم، وفضلهِ العميم فبقِي قبُول الجَميعِ"[2].

ثَانِيًا ـ البَلاغَة وَعلاقَتُهَا بِالتَّوْجِيهِ العَقَدِي عِندَ محيي الدِّين الدرويش.

إنَّ البَلاغَة فِي القُرآنِ الكَرِيم لَها أَثَر فِي التَّوجِيهِ العَقَدِي، فَبعضُ المِلَلُ والنِّحَل يَسْتَعِينُونَ بِالبَلاغَةِ فِي تَوجِيهِ مَا يَعتقِدُونَهُ مِن مَعَانِي قُرآنِيَّة، قَد تَتَوَافَق وَتَوَجُّهَاتِهِم العَقَدِيَّة، وَمحيي الدِّين الدَّرويش فِي بَابِ العَقِيدَةِ ذَهَبَ بِبَعضِ التَّأوِيلات مَذَاهِب شَتَّى فِيهَا دلالَة عَلَى أنَّهُ مِن مَدرَسَة التَّذَوُّق الفَنِّي التي تَعتَبِرُ الذَّوقَ الفَنِّي أَمر أَسَاسِي فِي تَوجِيهِ المَعْنَى، وَمِن الأَمثِلَة فِي هَذَا البَاب:

[1] . محيي الدِّين الدرويش، إعْرَابُ القُرآنِ والكَرِيم وبيانُهُ، ج2، ص185.

[2] . المصدر نفسه، ج1، ص33.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ إِنَّ ٱلذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنَ اَوْفِىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهِ ٱللَّهَ فَسَنُوتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ [الفتح:10].

يَرَى محيي الدِّين الدَّرويش أَنَّ قَولَهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ ٱلذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ اِستِعَارَة مَكنِيَّة فَقَد شَبَّهَ اللهُ تَعَالَى نَفسَه بِالمُبَايِع، وَأَثبَتَ لَهُ مَا هُو مِن لَوَازِمِ المُبَايعَة حَقِيقَةً وَهُو اليَدُ، عَلَى طَرِيقِ الاِستِعَارَة المَكنِيَّة الأَصْلِيَّة، قَالَ محيي الدِّين:" وَفِي إثبَاتِ اليَدِ للهِ تَعَالَى، وَاللهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الجَوَارِحِ عَن صِفَاتِ الأَجسَامِ، لِتَأكِيدِ مَعنَى المُشَاكَلَة"[1]، وهَذَا الرَّأي اِسْتَمَدَّهُ محيي الدِّين الدرويش مِمَّا كَتَبَهُ الزَّمَخشَرِي فِي كَشَّافِهِ، وَحَقِيقَة كَلام محيي الدِّين الدرويش فِيهِ شَيء مِن النُّقصِ، فالمُبَايعَة هِيَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَقد المُبَايعَة مَعَهُ كَعَقدِهَا مَعَ اللهِ وَهِيَ معنى قوله تَعَالَى ﴿إِنَّ ٱلذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ فَبَيْعَتُهُم لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي الظَّاهِرِ هِيَ بَيْعَةٌ للهِ تَعَالَى وَهِيَ كَقَولِهِ تَعَالَى ﴿مَّنْ يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدَ اَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً ﴾ [النساء80] مَن ثَبَتَت طَاعَتُهُ للرَّسُولِ فَهُو طَائِع لله تَعَالَى، وَالمُبَايعَة مُشتَقَّة مِن البَيعِ الذِي لَهُ أَركَان لا يَصلُحُ إلا بِهَا، وإِذَا تَمَّ البَيعُ مِن العَادَةِ أَنْ يَضَعَ البَائِع يَدَهُ فِي يَدِ المُشتَرِي دَلِيل عَلَى تَمَامِ البَيعِ.

واللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى لَهُ يَدَان لا تُشبِهَانِ شَيْئًا مِن أَيدِي المَخلُوقَات، تَلِيقَانِ بِكَمَالِهِ وَجَلالِهِ وعَظمَتِهِ، قَالَ تَعَالَى ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتَ اَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَٰهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَالْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِے ٱلاَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة64] وَقَالَ تَعَالَى ﴿ قَالَ يَٰإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾ [ص:74]، واللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى أَثْبَتَ

[1] . محيي الدِّين الدرويش، إِعْرَابُ القُرآنِ والكَرِيمِ وبيانُهُ ، ج7، ص225.

فِي بَعضِ الآيَاتِ القُرآنِيَّة والأَحَادِيث النَّبَويَّة أَنَّهُ خَلَقَ أَشيَاءَ بِيَدِهِ[1]، وَذَهَبَ بَعضُ أَهلِ التَّأوِيلِ أَنَّ اليَدَ بِمَعنَى (النِّعمَة) وَآخَرُونَ يَرَونَ أَنَّهَا بِمَعنَى (القُوَّة).

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ إِنَّ ٱلذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِے ٱلاٰخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ ٱلِيمٌ ﴾ [آل عمران:76]

فِي تَأْوِيلِهِ للنَّظَرِ مِن قَولِهِ تَعَالَى ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش:" ولا يَعْطِف عَلَيهِم بِخَيرٍ مَقْتًا مِنَ اللهِ لَهُم، كَقَولِ القَائِلِ: انظُر إِلَيَّ نَظَرَ اللهُ إِلَيكَ، بِمَعنَى تَعَطَّف عَلَيَّ تَعَطَّفَ اللهُ عَلَيكَ بِخَيرٍ وَرَحمَة، وَكَمَا يُقَالُ للرَّجُلِ: لا استجَابَ اللهُ لَكَ، واللهُ لا تَخفَى عَلَيهِ خَافِية عَلَى حَدِّ قَولِ شُمَير بن الحَارث الضبَّي:

دَعَوتُ اللهَ حَتَّى خِفتُ أَلا يَكُونَ اللهُ يَسْمَعُ مَا أَقُول[2]

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران:53]، فِي تَأْوِيلِ محيي الدِّين الدرويش لِكَلِمَة (المَكْر[3])، وَعَدَّهَا مِن المُشَاكَلَة حَيْثُ قَالَ:" وأَخَذَهُم بِمَكْرِهِم؛ لأَنَّ اللهَ

---

[1]ـ أوَّلا: خَلَقَ اللهُ آدَمَ بِيَدِهِ يقُولُ تَعَالَى ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص75]، وَفِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ يَقُولُ الرَّسُول ﷺ -(فيَأتُونَ آدمَ فيقُولُون: أنتَ آدَم أَبُو النَّاس، خلَقَك اللهُ بيدِهِ، وأسْكنَكَ جَنَّتَهُ) مُتَّفَق عليهِ، روَاهُ البخَارِي كِتَاب التَّوحيد(7440)، ومسلم كتَاب الإيمَان (182)، ثَانِيًا: كَتَبَ التَّوراة بِيَدِهِ وفِي هَذَا وَرَدَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَات لِحَدِيثِ الكَلام الذِي دَارَ بَيْنَ آدم ومُوسَى ـ عليهمَا السَّلام ـ، أنَّ آدَم قَالَ لمُوسَى عَلَيْهِ السَّلام: (أنتَ مُوسَى اِصْطفَاكَ اللهُ بِكَلامِهِ، وَخَطَّ لَكَ التَّورَاة بِيَدِهِ) رَواهُ مُسْلِم فِي كتَابِ القَدرِ (2652)، وأَبُو دَاود(3934)، ثالثًا: غَرسَ جنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ: وَهَذَا فِي الحَدِيث الذِي رَواهُ مُسْلِم فِي صَحِيحِهِ أنَّ رسُولَ اللهِ . ﷺ قَالَ: (قَالَ: رَبِّ فَأعلاهُم مَنزِلةً؟ قَالَ: أُولئِكَ الذِينَ أَرَدْتُ، غَرسْتُ كَرَامتهم بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، ولَمْ تَسْمَع أُذُنٌ، ولَمْ يَخْطُر عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، قَالَ: وَمِصْداقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:17] رَواهُ مُسْلِم كِتَاب الإيمَان(189)، رَابِعًا: كَتَبَ اللهُ كِتَابًا هُو عِندَهُ: وَرَدَتْ عِدَّةُ أَحَادِيثٍ منهَا مَا رواهُ ابن ماجَه عَن أَبِي هُريرَة:" كَتَبَ ربُّكُم عَلَى نَفْسِهِ بِيَدِهِ قَبْلَ أَن يَخْلُقَ الخَلق: رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي" رَواهُ ابن مَاجه، خَامِسًا: عِظَمَ قُدرَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: يقُولُ تَعَالَى ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَالاَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَالسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر64]، وعَن أَبِي هُريرَة ـ رَضِي اللهُ عنهُ ـ، عَن النَّبِي ﷺ قَالَ:(يَقْبِضُ اللهُ ـ تَبَارَكَ وتَعالَى ـ الأَرْض يَوْم القِيامَة، ويطْوِي السَّماء بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يقُولُ: أَنَا المَلِك، أينَ ملُوكُ الأَرْضِ) رواه البُخَارِي(4812)، ومسلِم(2787).

[2] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرَابُ القُرآنِ والكَرِيمِ وبيانُهُ، ج2، ص468.

[3] . وأَصْلُ المَكرِ فِي اللغَةِ هُو الاِحتِيالِ والخِدَاع، وفِي قَوْلِهِ تَعَالَى﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ جَاءَت عَلَى صِيغَةِ اِسْم فَاعِل وهناك من العلماء من عده في أسماء الله الحسنى، ومِنْهُ دُعَاء النَّبِي ﷺ (اللهُمَّ امكُر لِي ولا تَمكُر عَلَي) حديث صحيح رواه الترمذي: سنن الترمذي، ط3. مصر: 1395هـ/1975، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ص45. ورواه ابن ماحه وأحمد.

تَعَالَى وَتَقَدَّسَ لا تُسْتَعمَلُ فِي حَقِّهِ لَفظَة تُوهِمُ الشَّنَاعَة، وهُو كَثِيرٌ شَائِعٌ فِي القُرآنِ، فَاعلَمهُ، وَمِنهُ فِي الشِّعرِ قَولُ عَمرُو بن كَلثُوم[1]:

أَلا لا يَجهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَا

وَعَلَى سَبِيلِ المَكرِ نَذكُرُ الاِستِهْزَاءَ فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿اَللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِے طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، فَالمَكر والاِسْتِهْزَاء صِفَتَانِ لا تَلِيقَانِ بِاللهِ تَعَالَى، فَالمَكْر نَاتِجٌ مِن مَكرِهِم والاِستِهْزَاء مِن اِستِهزَائِهِم.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ اَللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِے طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة:14]

فِي دِرَاسَةِ محيي الدِّين الدرويش لِهَذِهِ الآيَة وتَأويلِهِ لِمَعنَى الاِستِهْزَاء حَيثُ عَدَّهُ مِن بَابِ المُشَاكَلَةُ وَقَالَ:" فَقَد ثَبَتَ أَنَّ الاِستِهزَاء ضَرب مِن اللَّهوِ واللعبِ، وَهُمَا لا يَلِيقَانِ بِاللهِ تَعَالَى، وَهُو مُنَزَّهٌ عَنهُمَا، ولَكِنَّهُ سَمَّى جَزَاءَ الاِستِهزَاءِ اِستِهزَاءً، فَهِي مُشَاكَلَةٌ لَفظِيَّة لا أَقَل ولا أَكْثَر"[2]، وأَمَّا مِنَ الجَانِبِ الآخَر فَيَرَى محيي الدِّين الدرويش أَنَّ هُنَاكَ فَصل وَاجِب فِي قوله ﴿اَللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾" لأَنَّ فِي عَطفِهَا عَلَى شَيءٍ مِنَ الجُمَلِ السَّابِقَة مَانِعًا قَوِيًّا؛ لأَنَّهَا تَدخُلُ عِندَئِذٍ فِي حَيِّزِ مَقُول المُنَافِقِينَ، وَالحَال أَنَّ اِستِهزَاءَ اللهِ بِهِم وَخُذلانه إِيَّاهُم ثَابِتَانِ مُسْتَمِرَّانِ سَوَاء خلوا شَيَاطِينِهِم أَم لا، فالجُملَة مُستَأنفَة عَلَى كُلِّ حَالٍ لأَنَّهَا مَظنَّةُ سُؤَالٍ يَنشَأُ فَيُقَالُ: مَا مَصِيرُ أَمرِهِم؟ مَا عُقْبَى حَالهم؟ فَيستَأنف جَوابًا عَن هَذَا السُّؤَال"[3].

[1] . محيي الدِّين الدرويش، إِعْرَابُ القُرآنِ والكَرِيمِ وبيانُهُ ، ج1، ص447.

[2] . المصدر نفسه، ج1، ص52.

[3] ـ المصدر نفسه، ج1، ص54.

المبحثُ الثَّالث: مَنهَجُ محيي الدِّين الدروِيش فِي كِتَابِهِ.

فِي هَذَا المبحَث من الفَصلِ الأوَّل دَرَسنَا الجَوَانِبِ الكُبرَى مِن كِتَابِ محيي الدِّين الدرويش، كَالمَنهجِ والمصَادر وغيرِهَا، وَقد وصَفَ محيي الدِّين الدروِيش كِتَابَهُ بِقَولِهِ:" هَذَا كِتَابُ: إعرَاب القُرآن وَبَيَانُهُ، أُتِيحَ لَهُ أَن يَظهَرَ بَعدَ أَن طَالَ اِحْتِجَابُهُ، وَكَثُرَ طُلابُهُ، وَلَعَلَّهُ أَوَّل كِتَابٍ جَمَعَ البَيَان فَأَوْعَى، وَرَسَمَ لِشداة الآدابِ السَّبِيل الأَقْوَم والأَسْنَى"[1].

وَقَد سَلَكَ محيي الدين الدرويش فِي كِتَابِهِ:" إعرَابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ" مَنهَجًا قَوِيمًا يَعتمِدُ عَلَى عَنَاصر أَسَاسِيَّة، وَهِي:

ـ النَّحو والإعرَاب: والإعرَاب هُو الأَصلُ الذِي انطَلَق مِنهُ المُؤلِّف فِي كِتَابِهِ، فَالجُزءُ الكَبِير مِنهُ يَهْتَمُّ بِالإعرَابِ، حَيثُ قَامَ بِإعرَابِ القُرآنِ الكَرِيمِ كَامِلا، وَفِي إعرَابِهِ لِسُوَرِ القُرآنِ الكَرِيمِ يُقَسِّمُهَا إِلَى أَجزَاءٍ وَمَقَاطِعٍ تَضُمُّ مَجمُوعَة مِنَ الآيَاتِ تقلُّ وتَزيد بِحَسبِ حَجمِ الدرَاسَة الإعرابيَّة واللغَوِيَّة والبَلاغِيَّة والفَوائِد لِهَذِهِ الآيَات، حَيثُ يَعمَلُ عَلَى دِرَاسَةِ هَذِهِ الأَجزَاء والمَقَاطِع مِن جَمِيعِ الجَوَانِبِ؛ مِن إعرَابٍ وَلُغَةٍ وَبَلاغَةٍ وَفَوَائِدَ مُسْتقَاةٍ مِن الآيَاتِ المَدرُوسَة، أَوْ لَهَا علاقَة بِالآيَةِ الكَرِيمَة، كَمَا عَمِلَ محيي الدِّين الدرويش فِي دِرَاسَتِهِ للجَانِبِ الإعرَابِي عَلَى مُناقَشةِ أَوجه الإعرَاب المُختلِفَةُ.

وَقَد اِعتمَدَ على مُناقَشَةِ الأَعَارِيب عَلَى مَجمُوعَة مِن أَقوَالِ العُلمَاءِ، وَأَئِمّة النَّحو مِنهُم: سِيبَوَيه والخَلِيل بن أَحمَد والفَرَّاءُ والكَسَائِي والزَّمَخشَرِي.

ولَكِنَّهُ فِي هَذَا المَجَال كَانَ اِعتِمَادهُ أَكْثَر عَلَى كِتَابِ: (مُغْنِي اللَّبِيب عَن كُتُبِ الأَعَارِيبِ) لابن هِشَام الأنصَارِي، وَكِتَاب: (الكَشَّافُ عن حقَائِقِ غَوَامضِ التَّنزيل وعُيُون الأقاوِيلِ فِي وُجُوهِ التَّأوِيلِ) للإمَام الزمَخشَرِي، و(التبْيَان فِي إعْرابِ القُرآنِ) للعكبرِي، وهِيَ أَهَمُّ المَصَادِرِ التي اِعْتَمَدَ عَلَيهَا محيي الدّين الدرويش فِي مَجَالِ الإعرَابِ وَالنَّحو.

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القرآنِ وَبيَانُهُ، ج1، ص13.

وَفِي هَذَا الجَانِب نَجِدُهُ قَد يَتَطَرَّق لِبَعضِ المَسَائِلِ أَكثَر تَفصِيلًا سَوَاءٌ كَانَت هَذِهِ المَسَائِل، صَرفِيَّة أَو نَحوِيَّة أَو إِعرَابِيَّة، أَو ذِكرٍ لأَسرَارِ بَعصِ الحُرُوف فِي العَرَبِيَّة والقُرآنِ الكَرِيمِ.

وَفِي الجَانِبِ النَّحوي كَذَلِكَ؛ فَالكِتَاب يَحتَوِي عَلَى مَجمُوعَةٍ مِنَ الدرُوسِ النَّحوِيَّة، وَقَد وَضَعَهَا محيي الدِّين الدرويش فِي بَابِ الفَوَائِدِ، والذِي هُو آخِرُ بَابٍ فِي الدرَاسَةِ لِكُلِّ جُزءٍ مَدرُوسٍ مِنهَا:

ـ عِنَايَتُهُ بِمَعَانِي المُفرَدَات: إِنَّ بَيَانَ مَعَانِي الكَلِمَات والمُفرَدَات القُرآنِيَّة لَهُ الأَثَر فِي بَيَانِ وَتَحدِيدِ مَعْنَى الآيَة القُرآنِية، أَمَّا الجَانِب اللُّغَوِي فِي كِتَابِهِ، فَقَد اِهْتَمَّ بِشَرْحِ الألفَاظ الصَّعْبَة شَرحًا كَافِيًا، وَقَد يَذكُرُ أَبْيَاتًا مِنَ الشِّعرِ الجَاهِلِي، وَمِنَ العُصُور الأُخرَى لتَوضِيحِ المَعنَى، كَمَا يَذْكُر فِي بَعْضِ الأَحيَانِ الاِسْتِعمَالات اللُّغَوِيَّة لِهَذَا اللفْظ، وَقَدِ اِعتمَدَ فِي شَرحِهِ لِهَذِهِ الأَلْفَاظ عَلَى مَجمُوعَةٍ مِن المَعَاجِم اللغَوِيَّة مِنهَا: لِسَانُ العَرَبِ لابن منظُور، اللسَان، الصِّحَاح، المُخْتَار، الأَسَاس، القَامُوس المُحِيط...

الرقم	اِسْمُ المُعْجَم اللغَوِي	المُؤلِف
1	لِسَانُ العَرَبِ	ابن منظُور
2	الصحاحُ تَاجُ اللغَةِ وصِحَاحُ العَرَبِية	الجَوْهَرِي
3	مُعْجَمُ مَقَاييس اللغَةِ	ابنُ فَارِس
4	أَسَاسُ البَلاغَةِ	الزمَخْشَرِي
5	التعريفَات	الشَّريف الجُرجاني

الجدولُ رقم **(1)** أهمُّ المصَادرِ والمراجع المُعْتمدَةُ فِي شرحِ الأَلفَاظ

وَفِي بَعْضِ الحَالات يَدرُسُ تَطَوُّر الأَلفَاظِ وَمَعَانِيهَا.

وَمَن بَينِ شُرُوحَاتِهِ اللُّغَوِيَّة نَجِدُ:

ـ بَيَانُهُ لِكَلِمَةُ **(الدِّين)** فِي سُورَةِ الفَاتِحَة التي ذَكَرَ مِن مَعَانِيهَا:

أ- الجَزَاءُ: وَمِنهُ يَوم الدِّينِ هُو يَوم الجَزَاءِ وَمِنهُ قَولُ العَرَبِ" كَمَا تُدِينُ تُدَانُ" وَقَولُ الشَّاعِرِ فند الزماني[1]:

وَلَم يَبْقَ سِوَى العدوا نِ دِنَّاهُم كَمَا تُدانُوا

ب ـ الطَّاعَةُ: وَمِنهُ قوله تَعَالَى: ﴿فِي دِينِ الملِكِ﴾ كَمَا وردَ فِي سُورةِ يُوسُف.

ج ـ المِلَّةُ: قَالَ المَثقبُ العَبدِيُّ

تَقُولُ إِذَا دَرَأت لَهَا وَضِينِي أَهَذَا دِينهُ أَبَدًا وَدِينِي.

ـ عِنَايَتُهُ بِالتَّوْجِيهِ البَلاغِي للآيَاتِ القُرآنِيَّة.

لَقَد أَولَى محيي الدِّين الدرويش الجَانِب البَلاغِي عِنَايَةً كَبِيرَة، وَهُو مَيدانُ دِراسَتِنَا، فَقَد دَرَسَ الجَوانِب البَلاغِيَّة دِرَاسَةً وَافِية تَدُلُّ عَلَى تَمَكُّنِهِ مِنَ البَلاغَةِ العَرَبِيَّة وَإِحَاطَتِهِ بِمَا أَفَاضَ بِهِ عُلَمَاء هَذَا الفَن.

وَالجَانِبُ البَلاغِي هُو الدرَاسَة الأَسَاسِيَّة لِهَذِهِ الرِّسَالَة، وَقَدِ اِسْتَعَانَ محيي الدِّين الدرويش بِالعَنَاصِر البَلاغِيَّة مِن اِستِعَارَةٍ وتَشبِيهٍ وَمَجَازٍ وَتَقدِيمٍ وتَأخِيرٍ وَتَعرِيفٍ وَتَنكِيرٍ وغَيرهَا، فِي الوَصُولِ إِلَى مَعَانِي وَتَوجِيهَات الآيَاتِ القُرآنِيَّة، وَقَد كَانَ اِهتِمَامُهُ بِعِلمَي المَعَانِي وَالبَيَان أَكْثَر مِن اِهْتِمَامِهِ بِعِلمِ البَدِيع، وَيَذكُرهَا بَعدَ الإِعرَاب وَاللغَةِ.

ـ الفَوَائِدُ: عُنصرُ الفَوَائِدِ هُو مِنَ العَنَاصِرِ التي اِعْتَمَدَ عَلَيهَا محيي الدِّين الدرويش، وَهُو العُنصُرُ الرَّابِع فِي دِرَاسَةِ كُل مَقْطُوعَة أَوْ جُزء مِنَ القُرآنِ الكَرِيم، فَبَعدَ دِرَاسَةِ جَانِبِ اللغَة وَالإِعْرَاب وَالبَلاغَة يَأْتِي جَانِب الفَوَائِد، وَمِنَ الجَوَانِبِ التي اِعْتَنَى بِهَا محيي الدَّين درويش فِي الفَوَائِدِ؛ فقد كَان شَامِلا لمَوَاضِيع مُخْتَلفَة.

وَعُنصُر الفَوَائِدِ دَرَسَ فِيهِ مَجمُوعَة مِنَ القَضَايَا إِمَّا نَحوِيَّة أَو إِعرَابِيَّة أَو تَفسِيرِيَّة أَو تَارِيخِيَّة أَو في السِّيرَة النَّبَوِيَّة، أو فِكرِيَّة فلسفِيَّة أو مَجَالاتٍ أُخرَى.

[1] . التبريزي، أبو زكريا التبريزي، شرح ديوان الحماسة، دط. بيروت: دت، دار القلم، ج1، ص6.

ـ عِنَايَتُهُ بِالقِرَاءَاتِ القُرآنِيَّة:

إنَّ مِمَّا لا شَكَّ فِيهِ أَنَّ القِرَاءَات القُرآنِيَّة مِمَّا يَعْتَمِدُ عَلَيهَا أَهلُ الإعرَاب وَالتَّفْسِيرِ فِي تَوجِيهِ مَعنَى الآيَة القُرآنِيَّة، وَاسْتِنبَاط الأَحْكَام الشَّرْعِيَّة، وَمحيي الدّين الدرويش مِنَ الذِينَ اِسْتَعَانُوا بِالقِرَاءَاتِ وَأَوْجُهَهَا الإعرَابِيَّة فِي تَوْجِيهِ تَفسِيرِ الآيَاتِ القُرآنِيَّة والمَعَانِي اللغَوِيَّة، وهو قَلِيل عِندَهُ.

قَالَ محيي الدِّين الدرويش:" وَبَيْنهُمَا فَرق دَقِيق وهُو أَنَّ المَالِك هُو ذُو المِلكِ بِكسرِ المِيمِ، وَالمُلكِ: ذُو المُلكِ بِضَمِّهَا"[1]، وَيَرَى أَهل النَّحو أَنَّ مَلِكِ أَمدَح مِن مَالِكِ.

ـ التَّفْسِيرُ: لَقَدِ اِعْتَمَدَ محيي الدِّين الدرويش فِي تَفسِيرِهِ للقُرآنِ الكَرِيم عَلَى أَوثَقِ التَّفَاسِيرِ وَأَحْسَنِهَا، مِنهَا: المُحَرِّرُ الوَجِيز لابن عَطِيَّة، والكَشَّاف للزَّمَخشَرِي، وَجَامِعُ البَيَانِ للإِمَامِ الطبرِي، والبَحرُ المُحِيط لأَبِي حيَّان الأندَلُسِي، والدرُّ المَصُون للسَّمِين الحَلَبِي...وغَيرهَا مِن كُتُبِ التفسِيرِ وَبِخَاصَّةٍ التي تَذْكُر الجَانِب اللُّغوِي والإعرَابِي والبَلاغِي، وَقَد كَانَ يَذكُرُ الآرَاء وَيُنَاقِشهَا وَيُرَجِّحُ الرَّأيَ الذِي يَرَاهُ وَيَستَحسِنُهُ، كَمَا أَنَّهُ يُضِيفُ إن كَانَت هُنَاكَ إِضَافَة.

وَلَقَد فَسَّرَ بَعضَ الآيَاتِ القُرآنِيَّة تَفْسِيرًا رَائعًا يَدُلُّ دَلالَةً قَطعِيَّة عَلَى سِعَةِ عِلمِهِ، وَتَمَكُّنِهِ مِن نَاصِيَةِ اللغَةِ وَمِن تَفسِيرَاتِهِ:

ـ قَولُهُ تَعَالَى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِے ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِے شَےۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُومِنُونَ بِاللَّهِ وَالۡيَوۡمِ ٱلۡأَاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَاوِيلاً ﴾ [النِّساء:59].

فَسَّرَ هَذِهِ الآيَةَ بِقولِهِ:" فِي هَذِهِ الآيَة إِلمَاعٌ إِلى الأَدِلَّةُ الفِقهِيَّة الأَربعة فقولهُ: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى الكِتَابِ، وَقوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى السُّنَّةِ، وَقَولُهُ﴿وَأُوْلِے ٱلۡأَمۡرِ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى الإجمَاعِ، وَقَوله:﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ﴾ إِشَارَة إِلَى القِيَاسِ"[2].

[1] ـ محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج1، ص30.

[2] ـ المَصْدر نفسه، ج2، ص 46.

ـ التفسِيرُ وَالإسْتِعَانَة بِاللغَةِ العَربية:

ـ فِي تَفسيرِ قولِهِ تَعَالَى﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنَ اَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاًۖ﴾ [الكهف: 32] حَيْثُ قَالَ فِي تَفسِيرِ الجَنَّتَينِ" يُحتَمَلُ أَن تَكُونَ الجَنَّتَانِ مُجَرَّدَ اِجتِمَاعِ شَجَرٍ مُتَكَاثِف، وَيسترُ بِظِلِّ غصُونِهِ الأَرضَ، كَمَا تَقْتَضِيهِ الدلالَة اللُّغَوِيَّةُ عَلَى مَعنَى الجّنَّةِ"[1]

ـ مَنْهَجُهُ فِي تَرْجِيحِ الأَعَارِيبِ.

ـ فِي إعرَابِهِ لِقَولِهِ تَعَالَى ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْداًۖ﴾ [مريم: 87] قَالَ محيي الدِّين إِنَّ أَقوَالَ المُعرِبِينَ اِضْطَرَبَت فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَة، وَقَد اِخْتَرْنَا مَا رَأَيْنَاهُ ـ فِي نَظَرِنَا ـ أَمْثَلَ الأَوجُهِ، وَنَنَقُلُ فِيمَا يَلِي لُمَعًا مِن أَقوَالِهِم مَعَ التَّعْلِيقِ عَلَيْهَا بِمَا يُنَاسِبُ المَقَام"[2]، وَفِي هَذِهِ المَسأَلَة نَقد الزَّمَخشَرِي فِي إِعرَابِهِ لِلوَاو مِن قَولِهِ ﴿لَّا يَمْلِكُونَ﴾ فَقَالَ:" وَيَجُوزُ أَن تَكُونَ الوَاوُ فِي يَملِكُونَ ـ عَلامَة لِلجمعِ كَالتي فِي أَكَلُونِي البَرَاغِيث"[3].

ـ فِي إِعْرَابِهِ لِقَولِهِ تَعَالَى ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَاباً وَعِظَٰماً اَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴾ [المؤمنون 35]

اِخْتَلَفَ المُعرِبُونَ فِي إِعرَابِ قَولِهِ تَعَالَى ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ﴾ يَرَى محيي الدِّين الدرويش أَنَّ:" إِلَى أَنَّ خَبَرَ أَنَّ الأُولَى هُو مُخرِجُون وَهُو العَامِل فِي إِذَا وَكُرِّرَت الثَّانِية تَوكِيدًا لما طَالَ الفَصل" وَهَذَا هُو الوَجه الذِي اِخْتَارَهُ محيي الدِّين وَهُو رَأيُ المُبَرِّد والفَرَّاء.

وَذَهَبَ سِيبَوَيه إِنَّ خَبَرَ (إِنَّ) الأُولَى مَحذُوف لِدَلالَةِ خَبَر الثَّانِية عَلَيهِ، تَقدِيرُهُ: (أَنَّكُم مُخرَجُون) وَهُو العَامِل فِي الظَّرْفِ وَ(أَنَّ) الثَّانِية وَمَا فِي حَيِّزِهَا بَدَل مِنَ الأُولَى.

---

[1] ـ محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج4، ص496.

[2] ـ المصدر نفسه، ج4، ص652.

[3] ـ المصدر نفسه، ج4، ص652.

وَاخْتَارَ أَبُو البَقَاءِ أَنَّ اِسم الأُولَى مَحذُوف أُقِيمَ مَقَام المُضَاف إِلَيْهِ، تَقدِيرُهُ: أَنَّ إِخرَاجَكُم، وَ (إِذَا) هُو الخَبَر، وَ﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ تَكْرِير؛ لأَنَّ (أَنَّ) وَمَا عَمِلَت فِيهِ للتَوْكِيدِ، أَو للدلالَةِ عَلَى المَحْذُوف.

ـ مَنهَجُهُ فِي التَّوجِيهِ والدلالَة.

إِنَّ محيي الدِّين الدرويش مِن خِلالِ سِلسِلَتِهِ **(إِعرَابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ)** اِعتَمَدَ عَلَى مجمُوعَة مِنَ الأَدَوَاتِ التي تُسَاهِمُ فِي الوصُولِ إلى المَعنَى القُرآنِي ولالاتُهُ.

وَلَقَد اِعتَمَدَ محيي الدين الدرويش فِي اِحْتِجَاجِهِ واستنبَاط الدلالات والتَّوجِيهَات القُرآنِيَّة فِي بَعْضِ المَسَائِلِ اللُّغَوِيَّة عَلَى جُملَةٍ مِن العَنَاصِرِ المُخْتَلِفَة منها.

أ ـ التَّوجِيهُ اللُّغَوِي المُعجَمِي للمَعَانِي القُرآنِيَّة.

ـ فِي بَيَانِ شَرحِهِ لِكَلِمَةِ ﴿آذَنتُكُم﴾.

يَقُولُ تَعَالَى ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَۖ ﴾ [الأنبياء 109].

قَالَ محيي الدين الدرويش" وَآذَنتُكُم مَنقُولٌ مِن أَذِنَ إِذَا عَلِمَ، قَالَ الحَارِثُ ابنُ حِلِّزَة:

آذنتنا ببينهَا أَسْمَاءُ رُبَّ ثَاوٍ يَمَلُّ مِنْهُ الثواء"[1]

فَآذَنتُكُم أَي: أَعْلَمْتُكُم بِهَذَا الشَّيءِ الذِي إِن فَعَلْتُمُوهُ سَتَكُونُ العُقُوبَةُ هَكَذَا.

ـ فِي بَيَانِ شَرحِهِ لِكَلِمَةِ ﴿وَجَبَتْ﴾.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌۖ فَاذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَۖ ﴾ [الحج: 36]

قَالَ محيي الدِّين الدرويش" مِن وجَبَ الحَائِط وَجبةً، إِذا سَقَطَ، وَوَجَبَتِ الشَّمْسُ وَجْبَةً: غَرُبَت، قَالَ أَبُو تَمامِ[2]:

---

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعرَابُ القُرآنِ الكريمِ وبيَانُهُ، ج5، ص85.

[2] ـ المصدر نفسهُ، ج5، ص134

فَالشَّمسُ طَالِعَةٌ من ذَا وَقَد أَفلَت

وَالشَّمسُ وَاجِبَةٌ مَن ذَا وَلَم تَجِب[1]

ب ـ الذَّوقُ الفَنِّي: مِنَ المَعَايِيرِ التي عَمِلَ بِهَا محيي الدِّين الدرويش فِي كِتَابِهِ، فَقَدِ اِعتَمَدَ عَلَى الذَّوقِ الفَنِّي الجَمَالِي، وَلاَ يُمكِنُ لأَدِيبٍ وشَاعِرٍ أَنْ يُهمِلَ هَذَا المَجَال، وَنَجِد هَذَا مَبثُوثًا فِي ثَنَايَا كِتَابِهِ، فَالتَذوّق الأَدبِي للقُرآنِ الكَرِيم:" حَرَكَة نَفسِيَّة، وانطِبَاع ذَاتِي، لا يَمْلِكُ الإنسَان لَهُ رَدًّا، وَلا يَسْتَطِيع لَهُ مَنعًا، بَل لابُدَّ أَن يَظهَرَ أَثَرُهُ فِي خَلَجَاتِ سَامِعِهِ وَسَكَنَاتِهِ شَاءَ ذَلِكَ أَمْ أَبَى"[2]، فَهُو يَبْحَثُ عَنِ المَعَانِي الكَامِنَة فِي كِتَابِ اللهِ، بِأُسلُوبٍ أَدَبِيٍّ رَاقٍ فَلا يَخلُو ذَلِكَ مِنَ اللّمسَةِ الذَّاتِيَّة، وَحَقِيقَةُ هَذَا الأَمْر مَوْجُودَة فِي تَفْسِيرِ كِتَابِ اللهِ، فَالتَّفسِيرُ الفِقهِي فِيهِ الفَقِيه يُفَسِّرُ القُرآن حَسْبَ مَذهَبِهِ الفِقهِي وَيَنتَصِرُ لَهُ، وَالمذهَبِي فِي اِعْتِقَادِهِ يُفَسِّرُ القُرآن عَلَى حَسْبِ مَذْهَبِهِ كَتَفْسِيرِ الزَّمَخْشَرِي، وَالمُفَسِّر الأَدَبِي يَجذِبُهُ سِرُّ القُرآن الكَرِيم، فَيَعِيش فِي جَنَبَاتِهِ:" إِنَّ فِي القُرآنِ سِرًا خَاصًّا يَشعُرُ بِهِ كُل مَن يُوَاجِه نُصُوصَهُ اِبتِداءً قَبلَ أَن يَبحَثَ عَن مَوَاضِعِ الإعجَازِ فِيهَا، إِنَّهُ يَشعُر بِسُلطَانٍ خَاص فِي عِبَارَاتِ هَذَا القُرآن، يَشعُرُ أَنَّ هُنَاكَ شَيْئًا مَا وَرَاءَ المَعَانِي التي يُدرِكُهَا العَقل مِن التَّعبِير، وَأَنَّ هُنَاكَ عُنصرًا مَا يَنسَكِبُ فِي الحِسِّ بِمُجَرَّدِ الإستِمَاعِ لِهَذَا القُرآن"[3].

وَحَقِيقَةُ الأَمرِ فِي هَذِهِ المَسأَلَة أَنَّ الذَّوقَ لابُدَّ لَهُ مِن شُرُوطٍ وَضَوَابِط تَضبِطُهُ، فَالتَّذَوُّق قَد يَجُرُّ صَاحِبَهُ إِلَى مَعَانِي وأراء لَيسَ لَهَا صِلَة بِالمَنهَجِ العِلمِي، ولا تُوصِلُ إِلَى المَعَانِي الحَقِيقِيَّة.

ج ـ الإتِّبَاعُ

فِي الكَثِيرِ مِنَ المَسَائِلِ البَلاغِيَّة التي دَرَسَهَا محيي الدِّين الدرويش نَجِدُهُ قَد تَأَثَّرَ بِبَعضِ العُلَمَاءِ، فَكَانَ مُتَّبِعًا لَهُم مُقْتَفِيًا لأَثَرِهِم فِي جُمْلَةٍ مِنَ المَسَائِلِ، مِن هَؤُلاءِ العُلَمَاءِ نَجِدُ:

---

[1] . أبو تمام، ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي، تقديم: عبدالحميد يونس وعبد الفتاح مصطفى، دط. القاهرة: دت، مطبعة حجازي، ص9.

[2] . فهد بن سليمَان الرُّومِي، بُحُوث فِي أصُول التَّفْسِير ومَنَاهِجُهُ، ط4. الرياض: 1419هـ، مَكتبَةُ التَّوبَة، ص110.

[3] . سيد قطب، في ظلال القرآن، ط15. القاهرة: 1408هـ، دار الشروق، ج6، ص3399.

ـ الزَّمَخْشَرِي، وابن أبي الأصبع، المبرِّد، العكبرِي، القُرطُبِي، الطبرِي، ابن عطية، الجُرجَانِي، الرَّازِي...

وَهَذَا الإِتِّبَاع لا يَشمل الإعرَاب فَقَط، وإنَّمَا تَعَدَّاهُ إِلَى الآرَاءِ البَلاغِيَّة والنَّحوِيَّة والفِقهِيَّة والتَّفسِيريَّة.

د ـ الرَّأْي الغَالِب: وَفِي بَعضِ الأَحيَانِ نَجِدُ أَنَّ محيي الدين الدرويش يَتَّبِعُ فِي بَعضِ المَسَائِلِ البَلاغِيَّة رَأيَ الجُمهُورِ مِن عُلَمَاءِ البَلاغَةِ وَاللغَةِ، والمُلاحَظُ أَنَّهُ يَجمَعُ بَينَ الآراءِ المُختلِفَة سَواء كَانَت فِقْهِيَّة أو نحويَّة أو تَفسِيريَّة أو إعرَابِيَّة، وَقَد يَنحو بالرَّأيِ الغَالِب المَنهَج الوَسط فيَكُون رَأيه فِي بَعض المسَائل وسطًا يجمعُ الآراءَ الأخرَى.

ـ المَصَادِرُ:

اِعْتَمَدَ محيي الدِّين الدروِيش عَلَى جُملَةٍ مِن المَصَادِرِ، هَذِهِ المَصَادِر مِنهَا مَا هُو يَهْتَمُّ بِالجَانِبِ اللُّغَوِي وَمِنهَا مَا يَهتَمُّ بِالجَانِبِ البَلاغِي وَالبَيَانِي، وَمِنهَا مَا يَهتَمُّ بِالجَانِبِ التَّفسِيرِي، ومنهَا مَا هُو إعْرَابِي ونَحوِي، حتَّى أنَّ هُنَاكَ مَصَادِر فِكريَّة فلسَفيَّة وَمَصَادِر مُتنوِّعَة أُخرَى، ولكنَّ محيي الدِّين الدرويش لَم يَذكُرِ المَصَادِر التي اِعتمَدَ عَلَيهَا، وَمِن الأَدِلَّةِ فِي هَذَا البَاب لا يُوجَد تَهمِيش لِمَا نَقَلَهُ مِن أَرَاءٍ وأقوالٍ، ولَكِن مِن خِلالِ البَحثِ يُمْكِنُ أَن نَسْتَنتِجَ بَعضَ المَصَادِر التي اِعتَمَدَ عَلَيْهَا.

وَمِن جُمْلَةِ المَصَادِرِ المُعْتَمَدَة فِي كِتَابِهِ نَجِدُ:

ـ **تَارِيخُ الشُّعُوبِ الإِسْلامِيَّة**، المُستَشرِق الألمَانِي بروكلمَان.

ـ **نقْدُ الشِّعر** لمؤلفهِ: قُدامَة بن جَعْفَر

ـ **المثَلُ السَّائر فِي أدبِ الكَاتِب والشَّاعِرِ**، ضِيَاءُ الدِّين نَصْر الله بن أَبِي الكَرم مُحمَّد بن عبد الكريم ابن الأثير الجَزرِي.

ـ **شرحُ النَّهج**، لابن أبي حديد.

ـ **البيَانُ والتَّبيّين**، لأبي عثمَان الجَاحِظ.

ـ **مُغْنِي اللبيب عَن كُتبِ الأعاريب،** جَمَال الدين ابن هشَام الأنصَاري.

ـ **بديعُ القُرآنِ،** بن أبي الإصبع المِصرِي.

ـ **الكَشَّافُ عَن حَقَائِق غَوامض التَّنزيل وعيُون الأقَاوِيل في وجُوه التَّأويلِ،** الإمَام أبِي القَاسم جَارُ الله محمُود بن عمر بن مُحمَّد الزَّمَخشرِي.

ـ **الجَامِعُ لأحكَامِ القُرآن،** محمَّد بن أحمد الأنصَارِي القُرطبِي.

ـ **تحرير التحبير في صناعة الشِّعر والنَّثر وبيان إعجَاز القرآن،** عبد العظِيم بن عبد الوَاحد المعرُوف بابن أبِي الإصبع.

ـ **الإتقان في علوم القرآن،** جَلالُ الدِّين السيُوطِي.

ـ **نظمُ القُرآن،** لأبِي عثمَان عمرو بن الجَاحظ.

ـ **سرُّ الفصَاحَة،** عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي.

ـ **مفتاحُ العلوم،** لأبي يعقُوب السكاكِي.

ـ **الحيوان،** لأبي عثمَان بن عمرو بن بحر الجَاحظ.

ـ **الخَصَائِص،** ابن جني.

ـ **الدرُّ المَصُون في عِلْمِ الكتَابِ المَكْنُونِ،** السَّمِينُ الحَلَبِي.

ـ **الرَّوضَة،** أبي العبَّاس المبرِّد.

ـ **العمدةُ فِي محَاسنِ الشِّعر وآدابه ونقدهِ،** ابن رشيق القيروَاني.

وغير ذلك من أمهات الكتب في مجال اللغة والبلاغة والتفسير وغيرها.

ـ **مُصْطَلحَات محيي الدروِيش البَلاغِيَّة.**

محيي الدِّين الدرويش في كِتَابِهِ **(إعرَابُ القُرآنِ الكَرِيم وبَيَانه)** اِهتَمَّ اِهتِمَامًا بَالِغًا بِالمُصطَلحَاتِ، فَقَد عَدَّدَ المُصطَلَح الوَاحِد وَذَكَرَ مُصطَلحَاتٍ أُخرَى لهُ، وَبَعض المَرَّاتِ يُرَجِّحُ مُصطَلَح عَلَى مُصَطَلَح، وَمِن كَثرتِ اهتمَامِهِ بِالمُصطلحَات البَلاغِيَّة والأنواع البيَانيَّة نَجِدُهُ

كَثِيرًا مَا يُعِيد التَّعريفَات فِي مَوَاطِن مُختلِفَة وَمِن هَذِهِ المُصطلحات سواء في علمِ المعانِي أو البَيان أو البَديع نَجِد أنهُ:

ـ ذَكَرَ مُصطَلَح نَفي الشَّيءِ بِإيجَابِهِ وَذَكَرَ مُصطَلَح آخَر وَهُو عَكس الظَّاهِر قَالَ عَنهُ محيي الدِّين الدرويش" وَهُو مِن مُسْتَطرَفَاتِ عِلْمِ البَيَانِ"[1].

ـ مُصطَلَحُ (التَّمْكِينِ) وَهُو مِن البَدِيعِ من المحَسِّنَات البديعِيَّة حَيثُ قَالَ محيي الدِّينِ الدرويش" وَبَعْضُهُم يُسَمِّيهِ (الإرْصَاد) وَعَرَّفَهُ بقولِهِ:" أَنْ يُمَهِّدَ المُتَكَلِّمُ لِقَافِيَتِهِ أَو سَجعِهِ فقرَته تَمْهِيدًا تَأتِي القَافِية فِيهِ مُتَمَكِّنَة فِي مَكَانِهَا، مُسْتَقِرَّة فِي قَرَارِهَا، غَير نَافِرَةٍ، وَلا قَلِقَة"[2].

ـ رَدُّ العَجزِ عَلَى الصَّدرِ، وَهُو مِنَ البَدِيعِ مِنَ المُحَسِّنَاتِ اللَّفْظِيَّة، ذَكَرَ لَهُ محيي الدِّين مُصطَلَحًا آخَر حَيثُ قَالَ:" وَسَمَّاهُ المُتَأَخِّرُونَ: التَّصدِير، وَهُو أَخَفُّ عَلَى السَّمعِ، وَأَلْيَقُ بِالمَقَامِ"[3] ثُمَّ ذَكَرَ أَقْسَامَهُ كَمَا قَسَّمَهُ ابنُ المُعْتَزِّ إِلَى ثَلاثَةِ أَقسَامٍ:

ـ وقَد عَرَّفَ مُصطَلَح (التَّذْيِيلِ) بِقَولِهِ:" وَهُو أَنْ يُذَيِّلَ النَّاظِمُ والنَّاثِرُ كَلامَهُ بَعْدَ تَمَامِهِ، وَحَسُنَ السُّكُوت عَلَيهِ بِجُمْلَةٍ تُحَقِّقُ مَا قَبْلَهَا مِنَ الكَلامِ، وَتَزِيدُهُ تَوْكِيدًا، وَتَجرِي مِنهُ مَجْرَى المَثَل لِزِيَادَةِ التَّحقِيقِ"[4] وهُو مِنَ الإطنَابِ، ولِاهتِمَامِهِ بِالمُصطَلَحَاتِ فَقَد فَرَّقَ بَينَ مُصطَلَحِ التَّذيِيل والتَكْمِيلِ فَقَالَ" أَنَّ التكمِيل يَرِدُ عَلَى مَعنَى يَحتَاجُ إِلَى الكَمَالِ، وَالتذييل لَم يُفِد غَيرَ تَحقِيقِ الكَلامِ الأَوَّل وَتَوكِيدِهِ"[5].

ـ الفُنُونُ البَلاغِيَّة ومُصْطلَحَاتُهَا عِندَ محيي الدِّين الدرويش.

ـ فَنُّ التَّفْسِيرِ.

[1] . محيي الدِّين الدرويش، إعْرابُ القرآنِ الكريمِ وبيَانُهُ، ج4، ص102.

[2] ـ المصدر نفسه، ج4، ص374.

[3] . المصدر نفسه، ج4، ص401.

[4] ـ المصدر نفسه، ج4، ص400.

[5] ـ المصدر نفسه، ج4، ص400.

مِنَ الفُنُونِ التي اِصطَلَحَ عَلَيها محيي الدِّين الدرويش فَنُّ التفسِيرِ الذِي عَرَّفَهُ بِقَولِهِ:" وَهُو أَن تَذكُرَ أَشيَاءَ، ثُمَّ تُفَسِّرهَا بِمَا يُنَاسِبُهَا"[1]، وَفِي نَفسِ المَجَالِ هُنَاكَ مُصطَلَح آخَر ذَكَرَهُ محيي الدين وَهُو فَنُّ صِحَّةِ التَّفسِيرِ وَعَرَّفَهُ بِقَولِهِ:" أَنَّ يَأتِيَ المُتَكَلِّمُ فِي أَوَّلِ كَلامِهِ بِمَعنىً لا يَسْتَقِلُّ الفَهمُ بِمَعرِفَةِ فَحوَاه، إِمَّا أَن يَكُونَ مُجمَلا يَحتَاجُ إِلَى تَفصِيلٍ، أَو مُوَجَّهًا يَفْتَقِرُ إِلَى تَوجِيهٍ، أَو مُحْتَمَلا يَحتَاجُ المُرَادُ مِنهُ إِلَى تَرجِيحٍ لا يَحصُلُ إِلا بِتَفسِيرِهِ وَتَبيينِهِ"[2]، وهَذَا فِي القُرآنِ الكَرِيم قَد يَكُون مِن بَابِ تَفسِير القُرآن بالقُرآن، أو تَفسير القُرآن بالسُّنَّة أَو تَفسير القُرآن باللغَةِ وأقوال العُلمَاء.

ـ فَنُّ الشَّمَاتَةِ.

فَنُّ الشَّمَاتَةِ فَنٌ مِن فُنُونِ البَدِيعِ لَم يَظهَر عِندَ عُلَمَاءِ البَلاغَةِ الأَوَائِلِ، تَمَيَّزَ بِذِكرِهِ ابنُ أَبِي الأصبع، وذَكَرَهُ محيي الدِّين الدرويش وَعَرَّفَهُ بِقَولِهِ:" وَهُو ذكر مَا أَصَابَ عَدُوّكَ مِن آفاتٍ وَمِحَنٍ جَزَاءَ مَا اِقتَرَفَت يَدَاهُ، مَعَ المُبَالَغَةِ فِي تَصوِيرِ غَمَائِهِ، وَمَا يَتَخَبَّطُ بِهِ مِن أَهوَالٍ، وَإِظهَارِ اِغتِبَاطِكَ بِمَا أَصَابَهُ شَمَاتَةً بِهِ، وَتَشْفِّيًا مِنهُ"[3].

ـ فَنُّ الإِفْتِنَانِ[4]:

وَقَد عَرَّفَهُ محيي الدين الدرويش بقولِهِ:" أَن يُفتَنَ المُتَكَلِّمُ، فَيَأتِيَ فِي كَلامِهِ بِفَنَّينِ إِمَّا مُتَضَادَّينِ، أَو مُخْتَلِفَينِ، أَو مُتَّفِقَينِ"[5].

فَفِي قَوله تَعَالَى ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَٰلِ وَالإِكْرَامِ﴾[الرَّحمن:15]، فَقَد جَمَعَ بَينَ التَّعزِيَةِ وَالفَخرِ، فَقَد عَزَّى جَمِيعَ المَخلُوقَاتِ، وَتَفَرَّدَ بِالبَقَاءِ بَعدَ فَنَاءِ المَوجُودَاتِ وَقَد وَصَفَ نَفسَهُ بَعدَ فَنَاءِ المَخلُوقَاتِ بِالجَلالِ وَالإِكرَامِ.

وَنَظِيرُ هَذَا فِي الشِّعرِ مَوجُود فِي الشِّعرِ العَرَبِي كَقَولِ عنترة بن شداد[1]:

---

[1] . محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج5، ص647.

[2] ـ المصدر نفسه، ج7، ص39.

[3] ـ المصدر نفسه، ج6، ص126.

[4] ـ المصدر نفسه، ج7، ص375.

[5] . المصدر نفسه، ج7، ص376.

أُحِبُكَ يَا ظَلُومُ وَأَنتَ عِندِي مَكَانَ الرُّوحِ مِن جَسَدِ الجَبَانِ

وَلَو أَنِّي أَقُولُ مَكَانَ رُوحِي خَشِيتُ عَلَيكَ بَادِرَةَ الطِّعان

ـ فَنُّ التَّفْوِيفِ.

مِن المُصطَلَحَاتِ وَالفُنُونِ التي تَفَرَّدَ بِهَا محيي الدِّين الدرويش فَنُّ التَّفْوِيف وَالذِي عَرَّفَهُ بِقولِهِ:" هُو إِتْيَانُ المُتَكَلِّمُ بِمَعَانٍ شَتَّى مِنَ المَدحِ، وَالوَصفِ، والنَّسِيبِ، وَغَير ذَلِكَ مِنَ الفُنُونِ، كُلُّ فَنٍّ فِي جُمْلَةٍ مُنفَصِلَة مِن أُختِهَا بِالسَّجعِ غَالِبًا مَعَ تَسَاوِي الجُمَلِ فِي الرَّنَّةِ، وَيَكُونُ بِالجُمَلِ الطَّوِيلَة، والجُمَلِ المُتَوسِّطَة، وَالجُمَل القَصِيرَة"[2].

ـ فَنُّ التَّندِير.

مِنَ الفُنُونِ التي ذَكَرَهَا محيي الدِّين وَدَرَسَهَا فِي كِتَابِهِ فَنُّ التَّندِيرِ وَلَم يَطرُف بَابَ هَذَا الفَنِّ إلا اِثنَينِ هُمَا: صَاحِبُ نِهَايَةُ الأَرَبِ وابنُ أَبِي الإِصْبَعِ، وَقَد عَرَّفَهُ بقولِهِ:" أَنْ يَأْتِيَ المُتَكَلِّمُ بِنَادِرَةٍ حُلوَةٍ، أَو نُكْتَةٍ مُستَطرَفَة، وَهُو يَقَعُ فِي الجِدِّ وَالهَزلِ، فَهُو لا يَدخُلُ فِي نِطَاقٍ التَّهَكُّمِ، وَلا فِي نِطَاقِ فَنِّ الهَزلِ الذِي يُرَادُ بِهِ الجِد، وَيَجُوزُ أَن يَدخُلَ فِي نِطَاقِ بَابِ المُبَالَغَةِ"[3].

ـ فَنُّ إِرْسَالِ المَثَلِ.

مِنَ المُصطَلَحَاتِ التي ذَكَرَهَا محيي الدِّين الدرويش مَا سَمَّاهُ فَنُّ إِرسَالِ المثَال، وَهُنَاكَ مَن يُسَمِّيهِ فَنُّ المَثَل، وَهُنَاكَ مَن يُسَمِّيهِ التَّشبِيه التَّمْثِيلِي وَكُلُّهَا مُصطَلَحَات تَحتَ تَسمِيَةٍ وَاحِدَة وقَد دَرَس محيي الدِّين الدرويش المَثَلَ واستخرَجَ الكَثِير مِنَ الأَمثِلَة مِنَ القُرآنِ الكَرِيم.

ـ قَضِيَّةُ اللَّفْظِ والمَعْنَى عِندَ محيي الدِّين الدرويش.

يَرَى محيي الدِّين الدرويش أَنَّ العلاقَةَ بَينَ اللَّفظِ والمَعنَى علاقَةٌ مُتَكَامِلَة وَمُتَلازِمَة، فَاللَّفْظُ قُوَّتُهُ مِن قُوَّةِ المَعنَى، وَقَدِ اِتَّبَعَ ابنُ جِنِّي فِي هَذَا البَابِ وَمِن الأَمثِلَةِ:

---

[1] . عنترة بن شداد، ديوان عنترة بن شداد، اعتنى به وشرحه: حمدو طماس، ط2. بيروت: 1425هـ/2004، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ص54.

[2] ـ محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج5، ص 419.

[3] . المصدر نفسه، ج6، ص154.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ﴾ [الشُّعراء:101]

قَالَ محيي الدِّين الدَّرويش" فَإِنَّ الصَّدِيقَ المَوصُوف بِصِفَةِ حَمِيمٍ هُو الذِي يَفُوقُ القَرَابَةَ، وَيَرْبُو عَلَيْهِ، وَهُو أَن يَكُونَ حَمِيمًا، فَالحَمِيمُ مِن الاِحتِمَامِ، وَهُو الاِهتِمَامُ؛ أَي: يَهُمُّهُ أَمرُنَا، وَقِيلَ"[1].

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُنَ ﴾ [الشُّعَرَاء: 94].

فِي الآيَةِ لَفظ كُبْكِبُوا فَتَكْرِيرُ (الكُب) جَعَلَ التَّكْرِيرَ فِي اللَّفْظِ يُصَاحِبُهُ تَكْرِيرٌ فِي المَعْنَى، فَالمَعْنَى أَنَّهُ إِذَا أُلْقِي غَيٌّ جَهَنَّمَ فَإِنَّهُ يُكَبُّ مَرَّةً وَمَرَّة.

ويَرَى محيي الدين الدرويش أَنَّ نقْلَ اللفظِ مِن وزن إلى وَزن يَصْحَبهُ نقلٌ فِي المَعْنى أو زِيَادَة لأَنَّ" الألفَاظ أدلَّة على المَعَاني، وأمثلَة للإبانَةِ عَنها، فإذَا زِيدَ في الألفاظِ أوجبَت القِسْمَة زيادَة المَعَانِي، وهذا الضرب من الزيَادةِ لا يُستَعْمل إلَّا في مقامِ المُبالَغَةِ"[2] ومن الأمثلة في هذا الباب:

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿وَلَهُۥ مَن فِے اِلسَّمَٰوَٰتِ وَالَارْضِۖ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَۖ ﴾ [الأنبياء:19]

فَلَفْظ ﴿يَسْتَحْسِرُونَۖ﴾ عُدِلَ بِهِ مِن الثُّلاثِي (حسر) إِلَى السُّداسِي(استحسر) قَالَ محيي الدين الدرويش" وقَد كَانَ ظَاهِر الكَلام أن يُقَالَ: يحسرون، أَيْ: يكلُّون، ويتعبُون؛ لأَنَّ أَقَلَّ ملل مِنهُم، أَو كلال إِزَاء المَلائِكة، وإِزَاء عبادتِهم للهِ سبحَانه لا يتصورُ مِنهُم، ولكنَّه عدل عن ذلك لسرٍّ يَخْفَى عَلَى النَّظرَةِ السَّطحِيَّة الأولى، وهو: أَنَّ مَا هُم فِيهِ من انهمَاك بالعبادَة وانصرَاف بالكُلِيَّة لهَا يُوجِبُ غايةَ الحسُور، وأقصَاه"[3]، لِهَذَا فالزِّيادة فِي المبانِي يَصْحَبهُ زيادَة في المعَانِي.

[1] . محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج5، ص424.

[2] . المصدر نفسه، ج5، ص19.

[3] . المصدر نفسه، ج5، ص20

ـ التَّولِيدُ في المَعَانِي عند محيي الدين الدرويش.

يَرَى محيي الدِّين الدرويش أَنَّ التولِيدَ فِي المَعَانِي يُسْتَحسَنُ فِي الشِّعرِ بِخِلافِ التَّولِيد فِي الأَلفَاظِ فَهُو دُونَهُ فِي المَرتبَةِ، وَقَد يُسْتَحْسَنُ وَيَكُونُ عَذبًا فِي مَوَاقِعَ أُخرَى، وَمِن الأَمثِلَةِ فِي هَذَا البَابِ كَقَولِ أَبِي تَمَّام[1]:

لَهَا مَنظرٌ قَيدُ النواظر لَم يَزَل يَرُوحُ ويَغْدُو في خُفَارتِه الحُبُّ

أَخَذَ لَفْظَةَ ﴿قَيْدُ الأَوَابِدِ﴾ مِن بَيتِ اِمرِئِ القَيس فِي وَصفِ فَرَسٍ، وَنَقَلَهَا إِلَى الغَزَلِ، وَبَيت اِمرِئ القَيس[2]:

وَقَد أَغْتَدي والطيرُ في وُكُناتِهَا بِمُنجَرِدٍ قَيدِ الأَوَابِدِ هَيكَلِ"[3]

فَهَذَا الفَرَس مِن شِدَّةِ سُرعَتِهِ يَلْحَقُ الأَوَابِد التي هِي الوُحُوش، فَيَصِيرُ مِن شِدَّةِ السُّرعَةِ كَأَنَّهُ قَيَّدَهَا.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النمل:18]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة تَولِيد لِلمَعَانِي فَقَد وَرَدَ عَنِ الإِمَام السّيُوطِي فِي كِتَابِهِ **(الإِتْقَان في علوم القرآن)** أَنَّ هَذِهِ الآيَة اِشتَمَلَت عَلَى أَحَدَ عَشَرَ نَوعًا مِن أَنواعِ الفُنُونِ البَلاغِيَّة.

ـ الاعتمادُ عَلَى الشَّواهِدُ الشِّعريَّة فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.

بَينَ الشِّعرِ والتَّفسِير علاقَةٌ مُتَأَصِّلَة، فَالشِّعر موضح وَمَبِّين لِكَلامِ اللهِ تَعَالَى، قَالَ الخَطِيب البَغدَادِي[4] (ت463هـ):" فِي الشِّعرِ الحِكمَةُ النَّادِرَة، وَالأَمْثَالُ السَّائِرَة، وَشَوَاهِدُ التَّفسِيرِ،

---

[1] . أبو تمام، ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي، تقديم: عبدالحميد يونس وعبد الفتاح مصطفى، دط. القاهرة: دت، مطبعة حجازي، ص26.

[2] ـ امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، ضبطه الأستاذ: مصطفى عبد الشافي، ط5. بيروت: 2004، دار الكتب العلمية، ص118.

اغتدي: أخرج بفرسي في غدوة النهار، وكناتها: أوكارها، المنجرد: الفرس القصير، الهيكل: الفرس الطويل المتين.

[3] ـ محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج5، ص89.

[4] ـ الخَطيبُ البغدَادِي، هو أحمد بن علي بن ثابت، العلامَة الحَافِظ النَّاقد، والمُحدِّث في زمَانِهِ، من مؤلفاتِهِ: تاريخُ بغدَاد، وتقييّد العلم، توفى (ت463هـ)، وفيَّات الأعيَان، ج1، ص92.

وَدَلائِلُ التَّأوِيلِ، فَهُو دِيوَانُ العَرَبِ، وَالمُقَيِّد لِلُغَاتِهَا، وَوُجُوه خِطَابِهَا"[1]، وَقَد كَانَ أَهلُ اللُّغَةِ مِمَن فَسَّرُوا غَرِيبَ القُرآنِ وَمَعَانِيهِ وَمَجَازِهِ مِن الأَوَائِلِ الذِينَ اِستَعَانُوا بِالشِّعرِ فِي تَفسِيرِ الأَلفَاظِ القُرآنِيَّة.

لَقَد اِعتَمَدَ محيي الدِّين الدرويش فِي شَرحِهِ وتَفْسِيرِهِ لِبَعْضِ الكَلِمَاتِ وَشَرحِهَا عَلَى الشَّوَاهِد الشِّعرِيَّة المُتَنَوِّعَةُ مِن شَوَاهِد نحوِيَّة، وَبَلاغِيَّة، وَأَدَبِيَّة، من القَدِيمِ والحَدِيث، فَلا يَكَادُ يَخلُو بَاب أَو مَسأَلَة أَو بَحثٍ مِن بَعضِ الشَّوَاهِد، وَلَم يَعتَمِد عَلَى الشِّعرِ الجَاهِلِي فَقَط فِي اِستِشهَادِهِ وإنَّمَا اِسْتَدلَّ بِمَجْمُوعَة كَبِيرَة مِن الشُّعَرَاء وَمِن عُصُورٍ مُختلِفَة، مِن هَؤلاءِ الشُّعَرَاء نَجِد: المُتنَبّي، ابن الرُّومِي، ... هَذَا الاِستِشهَاد دَلِيل عَلَى أَنَّهُ كَانَ مولعًا بِروَائِعِ الشِّعرِ العَرَبِي، وَبِمَا يَحمِلُهُ فِي طَيَّاتِهِ مِن مَعَانِي سَامِية تَحمِلُ ثَقَافَة لُغَة أُمَّة، اِستعَان بِهَذِهِ الشَّوَاهِد لتَوضِيحِ مَعَانِي القُرآنَ الكَرِيم وَبَيَانِهِ.

وَمِن بَينِ مُمَيِّزَاتِ الاِستِشهَادِ بِالشِّعرِ عِندَ محيي الدِّين الدرويش أَنَّهُ فِي اِستِشهَادِهِ بِالأَبْيَاتِ الشِّعرِيَّة يَعمَلُ عَلَى شَرحِهَا وَتَحلِيلِهَا وَاستِخرَاجِ حَتَّى الظَّوَاهِر اللُّغَوِيَّة والبَلاغِيَّة المَوجُودَة فِي الشَّاهِدِ الشِّعرِي.

وَمِنَ المِيزَات التي تَمَيَّزَ بِهَا محيي الدِّين الدرويش فِي اِستِشهَادِهِ بِالشِّعر أَنَّهُ اِستَشهَد بِالقَدِيمِ وَالحَدِيث لَيْسَ هُنَاكَ زَمَن مُحَدِّد للاستِشهَاد، وإنَّمَا التَّذَوُّق والحَاجَة والوصُول إِلَى المَعنَى القُرآنِي هِي المِعيَار فِي الاستِشهَادِ.

وَمِنَ الشُّعَرَاء الذِينَ اِسْتَدَلَّ بِشِعرِهِم نَجِد:

- تَفسِيرُهُ وبَيَانُهُ لِكَلِمَةِ (الرَّحْمَن) فِي العَرَبِيَّةِ وَالمُعَرَّفَةُ بِالأَلِف واللَّام، و(الرَّحْمَن) لَم يُوصَف بِهَا إلا اللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وَقَد نَعَتَ العَرَبُ مُسَيلِمَة الكَذَّاب بِـ (رَحْمَان اليَمَامَة)؛ بِدُونِ الأَلِف وَاللَّام، وَاستَدَلَّ بشَاعِر اليَمَامَة يَمدَحُ مُسَيلِمَة الكَذَّاب بِقَولِهِ:

سَمَوتَ بِالمَجدِ يابن الأَكرمينَ أبًا وأنتَ غيثُ الورَى لا زلتَ **رَحْمَانا**

[1] ـ الخطيب البغدادِي، الجَامِع لأخلاقِ الرَّاوي وآداب السَّامِع، تح: محمود الطحان، دط. الرياض: دت، نشر مكتبة المعَارف، ج2، ص197.

و(الرَّحمَن) مُشتَقّة مِن الرَّحمَة فَهُو رَحمَانٌ بالنَّاسِ أَجمعِين مِن مُسلِمِين وكُفَّار وبهَائِم ومخلُوقَات فَهُو عَام مِن جِهَةِ المَعنَى، وأمَّا مِن جِهَةِ اللفظ فـ(الرَّحْمَن) لا تُطْلَقُ إلا عَلَى اللهِ عزَّوَجَلَّ فَهُو خَاص بِهِ سُبحَانَهُ وتَعَالَى، وَبَيْنَ (الرَّحمَن) و(الرَّحِيم) عمُومٌ وخُصُوص، فالأُولَى عامَّة بالنَّاسِ أجمعين والثَّانِية خَاصَّة بالمُؤمِنين، والأُولى أَكْثَر حُرُوفًا من الثَّانِية فزيَادَةُ المَبنَى يُصَاحِبُهَا زيَادَة فِي المَعنَى.

ـ فِي حَدِيثِهِ عَن مَا يَنُوب عَنِ المَصدَر.

اِستَدَلَّ بِـ (كَم) الإِستِفهَامِيَّة بِقَولِ المُتَنَبِّي[1]:

كَمْ قَد قُتِلْتُ وَكَمْ قَد مِتُّ عِندَكُم

ثُمَّ اِنْتَفَضت فَزَالَ القَبرُ وَالكَفَنُ

واسْتَدَلَّ بِـ(أَي) الكَمَالِيَّة بِقَولِ أَبِي العَتَاهِية:

إِنَّ الشَّبَابَ والفَرَاغَ والجِدَهْ

مَفْسَدَةٌ للمَرْءِ أَيَّ مفسدَه

ـ فِي شَرْحِهِ وَبَيَانِهِ لِكَلِمَةِ (النفْحَةُ)

ـ يَقُولُ تعالى ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾[الأنبياء46]

قَالَ محيي الدِّين فَالنفْحَة مَعْنَاهَا: القَلِيل، مَأْخُوذَةٌ مِنْ نَفَحَ المِسْكَ، قَالَهُ ابنُ كِيسَان، وَمِنهُ قولُ النُّعْمَانُ بن بَشِير[2]:

وعمرة من سروات النِّسَا ءِ تَنفَحُ بِالمِسْكِ أَرْدَانُهَا

ـ فِي شَرْحِهِ وَبَيَانِهِ لِكَلِمَةِ (الأَثْل).

[1] ـ المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي، ديوان المتنبي، دط. بيروت: 1983، دار بيروت للطباعة والنشر، ص472.

[2] ـ محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج5، ص174.

وَهَذَا مِن قَوْلِهِ تَعَالَى﴿فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: 16] قَالَ محيي الدِّين الأَثْلة[1]: السّمرة، وَوَقَعَت مَجَازًا فِي قَولِهِم: نَحَتَ أَثْلَتَهُ: إِذَا تَنَقَّصَهُ.

قَالَ الأَعشَى[2]:

أَلَستَ منتهيًا عَن نَحتِ أَثْلَتِنَا وَلَستَ ضَائِرَهَا مَا أطت الأبِلُ[3]

ـ فِي شَرْحِهِ وَبَيَانِهِ لِكَلِمَةِ ﴿مُقْرِنِينَ﴾.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ [الزّخرُف:13]

قَالَ: مُقرِنِينَ مُطِيقِينَ، يُقَالُ: أَقْرَنَ الشَّيءَ؛ إِذَا أَطَاقَهُ، قَالَ ابن هرمَةَ:

وَأَقرنت مَا حَملْتَنِي ولَقَلَّمَا يُطَاقُ اِحتِمَالُ الصَّدّ يا دَعدُ والهَجْرُ[4]

ـ فِي شَرْحِهِ وَبَيَانِهِ لِكَلِمَةِ ﴿أَوْزَارَهَا﴾

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد:4].

قَالَ محيي الدِّين الدرويش" آلاتُهَا وَأَثْقَالهَا التي لا تَقُومُ إلاَّ بِهَا كَالسِّلاحِ والكُرَاعِ[5]، قَالَ الأَعْشَى[6]:

---

[1] . الأثل: قَالَ الفَرَّاءُ وَهُو شَبِيه بِشَجَرِ الطرفَاء وَهُو رَأي الزَّمَخْشَرِي والقُرطُبي وغيرهمَا، إلا أَنَّهُ أَعْظَم منهُ طُولًا، مُفْرَدهُ أَثْلَة والجَمْع أثلاث، وذَكَرَ النحَّاسُ أَنَّهُ السّمُرُ كمَا ذَكَرَ الفرَّاءُ وهُو مَا ذَهَبَ إليهِ محيي الدِّين الدرويش، القرطبي، الجامِع لأحكَامِ القرْآن،ج13، ص211. بتَصرُّف

[2] . الأعشى، ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتحقيق: محمد حسين، دط. القاهرة: 2012، المطبعة النموذجية ص61.

[3] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعْرابُ القرآنِ الكَرِيمِ وبيَانُهُ، ج6، ص227.

[4] ـ المصدر نفسه، ج7، ص67.

[5] . المصدر نفسه، ج7، ص189.

[6] . الأعشى، ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتحقيق: محمد حسين، دط. القاهرة: 2012، المطبعة النموذجية ص23.

وَأَعْدَدتُ لِلحَربِ **أَوْزَارَهَا** رِمَاحًا طِوالاً وَخَيلا ذُكُورًا

ـ فِي شَرحِهِ وَبَيَانِهِ لِكَلِمَةِ ﴿عَسْعَسَ﴾.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴾ [التكوير:17]

قَالَ محيي الدين الدرويش:" عَسْعَسَ: أَقْبَلَ بِظَلامِهِ، أَو أَدْبَرَ، قَالَ العَجَّاجُ:

حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ لَهَا تَنَفَّسَا وانجَابَ عَنْهَا لَيْلُهَا وَعَسْعَسَا"[1]

ـ فِي شَرحِهِ وَبَيَانِهِ لِكَلِمَةِ ﴿ كَبَدٍ﴾

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلِانسَٰنَ فِے كَبَدٍ ﴾ [البلد:4]

يَرَى محيي الدِّين أَنَّ كَلِمَةَ كَبَدٍ لَهَا مَعنَى حَقِيقِي وَمَعنَى مَجَازٍ[2].

أَمَّا المَعنَى الحَقِيقِي فَهِيَ تَعنِي المَشَقَّةَ قَالَ الشَّاعِرُ لبيد بن ربيعة العامري[3]:

يَا عَيْنَ هَلا بَكَيتِ أَرْبَدَ إِذ قُمْنَا وَقَامَ الخُصُومُ فِي كَبَدِ

وَأَمَّا المَعْنَى المَجَازِي فَهِيَ كَقَولِكَ: أَكَبَّ عَلَى عَمَلِهِ، وَهُو مُكَبٌ عَلَيْهِ، لازِمٌ لَهُ لاَ يُفَارِقُهُ، قَالَ لَبِيدُ بن ربيعة[4]:

جُنُوحَ الهَالِكِي عَلَى يَدَيْهِ مكبًا يَجْتَلِي نُقَبَ النِّصَالِ

ـ فِي شَرْحِهِ وَبَيَانِهِ لِكَلِمَةِ ﴿ٱلِانسَٰنَ﴾

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ ٱلِانسَٰنَ لَفِے خُسْرٍ ﴾ [العصر:2]

يَرَى محيي الدين الدرويش فِي شَرْحِهِ وَبَيَانِهِ لِكَلِمَةِ إِنسَانٍ حَيْثُ قَالَ" لَفْظٌ يَقَعُ لِلذَكَرِ والأُنثَى مِن بَنِي آدَمَ، وَرُبَّمَا أَنَّثَتِ العَرَبُ فَقَالُوا: إِنسَانٌ، إِنسَانَة[5]، قَالَ:

إِنسَانَةٌ تَسْقِيكَ مِن إِنسَانِهَا خَمْرًا حَلالاً مُقْلتَاهَا عِنَبُهُ

ـ فِي شَرْحِهِ وبَيَانِهِ لِكَلِمَةِ ﴿مُّوصَدَةٌ﴾

---

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعْرابُ القرآنِ الكَرِيم وبيَانُهُ، ج8، ص235.

[2] ـ المصدر نفسه، ج8، ص315.

[3] . لبيد بن ربيعة العامري، ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دط. بيروت: دت، دار صادر، ص50.

[4] ـ المصدر نفسه، ص105.

[5] ـ محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج8، ص402.

ـ يقول تعالى﴿ أُلتِـي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِۖ ٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّوصَدَةٌ ﴾

يَرَى محيي الدين الدرويش أَنَّ كَلِمَةَ ﴿مُّوصَدَةٌ﴾ تَعْنِي: مُطْبَقَةٌ[1]، قَالَ الشَّاعِرُ:

تَحِنُّ جِبَالُ مَكَّةَ نَاقَتِي وَمِن دُونِهَا أَبوَابُ صَنعَاءَ مُؤْصَدَةٌ

ـ فِي شَرْحِهِ وبَيَانِهِ لِكَلِمَةِ ﴿ ٱلۡمَاعُونَۖ ﴾

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَۖ ﴾ وَالمَاعُون: اِسم جَامِع لِمَنَافِعِ البَيت، كَالقِدرِ، وَالفَأس، قَالَ الرَّاعِي عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل[2]:

قَومٌ عَلَى الإسلام لَمَّا يَمنعُوا مَاعُونَهُم ويُضيعُوا التهلِيلا

ـ تَأثرُهُ بِالشِّعْرِ وَخَصَائِصه.

محيي الدِّين الدَّروِيش بِصِفَتِهِ أَدِيب وَشَاعِر وَلُغَوِي، فَقَد تَأَثَّرَ بِالشِّعرِ وَخَصَائِصه حَتَّى أَصبَحَ يُطَبِّق هَذِهِ الخَصَائِص عَلَى القُرآنِ الكَرِيم فِي بَعْضِ العَنَاصِرِ، وَبِمُقَارَنَةٍ بَسِيطَة بَيْنَ القُرآنِ الكَرِيم والشِّعْرِ الجَاهِلِي نَجِدُ أَنَّ القُرآنَ الكَرِيم مُتَفَوِّق فَنِّيًا وأُسلُوبِيًا وَمَعْرِفِيًا وَمِن جَمِيعِ النَّواحِي عَلَى الشِّعرِ، وَالفرقُ بَينَ السُّورَةِ القُرآنِيَّة والقَصِيدَة الشِّعْرِيَّة كَالفَرقِ بَينِ السَّمَاءِ وَالأَرض، والفَرق بَينَ الآيَة القُرآنِيَّة والبَيت الشِّعرِي فَرق شَاسِع، كَمَا أَنَّ الفَرْقَ بَينَ تَرْكِيبِ الجُملَة القُرآنِيَّة والجُملَة فِي البَيْتِ الشِّعرِي فِي التَّركِيبِ وفِي مَوضِعِ الأَلفَاظِ واخْتِيَارِهَا فَرقٌ لا يُمْكِنُ حَصرُهُ وَلا عَدُّهُ، وَقد كَان للقرآنِ الكريمِ رأيٌ في الشِّعرِ والشُّعراء[3]، وَقَدْ تَكَلَّمَ محيي الدِّين الدرويش عَنِ الشِّعرِ وَفَضَائِلِهِ وَاستَدلَّ بِأَحَادِيثَ عَنِ النَّبِي ﷺ مِنهَا:

---

[1] ـ محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج8، ص407.

[2] . ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة،دط. القاهرة: دت، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ج3، ص179.

[3] ـ إِنَّ مُعَالَجَةَ قَضِيَّةَ القُرآن الكَرِيم والشِّعر يُنظَرُ لَهَا مِن زَوَايَا مُتَعَدِّدَة، فَالقُرآن الكَرِيم تَحَدَّثَ عَن الشِّعْرِ والشُّعرَاء غَيْرَ مُتَحَمِّسٍ لَهُمَا، يَقُولُ تعَالَى ﴿ وَالشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَۖ ﴾ [الشُّعرَاء:223]، وَنَفَي الشِّعْرَ عَن النَّبِي ﷺ فِيهِ دَلِيل وحُجَّة عَلَى قُرآنِيَّةِ القُرآن وَأَنَّهُ كَلامُ اللهِ، وَهَذَا حتَّى لا يُقَال بِأَنَّ النَّبِي ﷺ شَاعِر وهُو مَا بِشَاعِرٍ فَقَد قَالُوهَا حِينَ نُزُولِ الوَحِي، يَقُولُ تعَالَى ﴿ وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ﴾ [يس:68] ويقول تعالى ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُومِنُونَ﴾ [الحاقة:41]، وَيقُولُ تَعَالَى ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞۖ فَلۡيَاتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَۖ ﴾ [الأنبياء:5]، فَهَذِه الآيَات لا تُحَرِّم الشِّعْر مِن خِلالِ الأدلَّة السَّابقَة حتَّى أَنَّهُ سَمَّى سُورَة كَامِلَة باسْمِ الشُّعَرَاءِ.

ـ رَوَى البُخَارِي عَن أَبي بن كَعب: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ مِنَ الشِّعرِ حِكمَة"[1]، كَمَا رَوَى الإِمَام أحمد فِي مُسندِهِ وأَبُو دَاود وعن عبد الله بن عمر ـ رَضِيَ الله عنهُمَا ـ عَن النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ أَنَّهُ قَالَ:" إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحرا"[2].

ـ وَعَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا قَالَت: الشَّعرُ: كَلامٌ مِنهُ حَسَنٌ، وَمِنهُ قَبِيحٌ، فَخُذِ الحَسَنَ، وَدَعِ القَبِيحَ" رَوَاهُ أَبُو دَاوُود وهو قول عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

وَقَد سُئِلَ النَّبِيُّ ـ . ﷺ ـ عن الشِّعرِ فَقَالَ:" هُو كَلامٌ فَحَسَنُهُ حَسَنٌ وَقَبِيحُهُ قَبِيح" رُوِيَ عَن ابن ثَوبَان، السِّلسَلَة الصَّحِيحَة تحت رقْم: ج1: ص808.

وَمِنَ الأَمْثِلَة عَلَى ذَلِكَ:

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۖ﴾ [المائدة:120].

قَالَ محيي الدِّين الدرويش" فَنٌّ مِن فُنُونِ البَلاغَةِ، منقَطِعُ النَّظِير، صَعب الإِدرَاكِ، يَحْتَاجُ المُتَأَمِّل فِيهِ إِلَى الكَثِير مِن رهَافَةِ الحِس، وَشُفُوف الطَّبع، ويُسَمَّى فَنُّ التَّخيير"[3].

ثُمَّ عَرَّفَهُ بِقَولِهِ:" بِأَنْ يَأْتِيَ الشَّاعِرُ أَوْ النَّاثِرُ بِفَصْلٍ مِنَ الكَلامِ، أَوْ بَيْتٍ مِنَ الشِّعْرِ يَسُوغُ أَن يُقَفَّى بقَوَافٍ شَتَّى، فَيَتَخَيّر مِنْهَا قَافِيَة مُرَجَّحَة عَلَى سَائِرِهَا"[4].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالَاخْسَرِينَ أَعْمَٰلاً ٱلذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِے ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ۖ﴾ [الكهف:99].

فِي الآيَةِ قَارَنَ بَينَ مَا هُو مَوجُود فِي الآيَةِ وَبَينَ خَصَائِصِ الشِّعرِ، فَقَالَ فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ۖ﴾ أَنَّ الآيَةَ فِيهَا جِنَاسُ التَّصحِيف[1]، ثُمَّ ذَكَرَ بَيتًا للبُحتُرِي حَيْثُ قَالَ فِيهِ:

---

[1] ـ محمَّد بن أحمد بن سَالِم السفَارِينِي الحَنبَلِي، غِذَاءُ الألبَابِ فِي شَرحِ منظُومَةِ الآدَاب، تح: محمَّد عبد العَزيز الخَالَدِي، ط1. بيروت: 1996، دَارُ الكُتُبِ العِلمِيَّة، ج1، ص186.

[2] ـ البخاري، صحيح البخاري، رقم: 5146.

[3] ـ محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج2، ص215.

[4] ـ المصدر نفسه، ج2، ص321.

وَلَم يَكُن المُغْتر بِاللهِ إذ سَرَى ليعجز والمعتز بِاللهِ طَالبهُ[2]

وَمِن شِدَّةِ تَأثُّرِهِ بالشِّعر وَخَصائِصهِ فقَد عقد أبوابًا تكلَّم فيهَا عن بعضِ الخصَائِصِ التي يَتمَيَّز بِهَا الشِّعر، ومِن هَذِهِ الخَصائِص البيت وَالقَافِية وقارن بينها وبين القرآن الكريم.

ـ الشَّاهِدُ الشِّعرِي فِي كُتُبِ المَعَانِي وَأَعَارِيب القُرآن الكريم.

إنَّ الشَّاهِدَ الشِّعرِي عِندَ أَهْلِ البَلاغَةِ تَعَدَّى الحُدُود الزَّمَانِيَّة وَالمَكَانِيَّة فَهُو لَيسَ كَمَا هُو عِندَ أَهْلَ اللغَة والنَّحُو، فَقَد تَوَسَّعَت دَلالاتُهُ لِيَشْمَلَ جَانِبًا كَبِيرًا مِن كَلامِ العَرَبِ، فَكَلام المُولّدِين والمُحدَثِين لَيسَ لَهُ اِعتِبَار فِي مِيزَانِ النُّحَّاةِ واللُّغَوِيّينَ، أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لأَهلِ البَلاغَةِ فَيَعْتَدُّونَ بِالمُولّدِينَ وَالمُحدَثِينَ فِي الاِستِشهَادِ عِندَ تَوضِيحِ القَضَايَا البَلاغِيَّة، ويَعْتَبِرُونَ الجَانِبَ الفَنِّي والجَمَالِي هُو المُهِم، وَالغَرَض مِن هَذَا كُلِّهِ هُو تَتَبُّع الظَّوَاهِر البَلاغِيَّة، والوُصُول إلَى المَعنَى يَقُولُ محمد حَسَن جَبَل:" كَانَ مِنَ الإنصَافِ أَنْ نَذكَرَ بَعضَهُم كَالجَاحِظِ (ت255هـ)، وابن قُتَيْبَة(ت276هـ)، والمُبرّد(ت285هـ)، والجُرجَانِي(ت471هـ)، وابن رَشِيق(ت456هـ)، لَمْ تَأسرهُم فِكرَة التّفْضِيل المُطْلَق لِلْجَاهِلِيّينَ عَلَى المُولّدِين، بَل أَنَاطُوا التفضِيلَ بِالبَرَاعَةِ الفَنِّيَّة"[3].

يُعَدُّ القُرآن الكَرِيم الشَّاهِد الأَوَّل عَلَى تَفْسِيرِ القُرآنِ وَإيضَاحِهِ، كَمَا أَنَّ الشَّاهِد الشِّعْرِي فِيهِ أَغْرَاض مُتَعَدِّدَة تُسَاهِمُ فِي تَبْيّين وَتَوْضِيحِ المَعَانِي وَالدلالاتِ، وتَثْبِيتِ القَوَاعِدِ المُختلِفَة، يَقُولُ حَسَن خَمِيس الملخ:" ذَلِكَ أَنَّ النَّصَّ القُرآنِي المُنَزّل بِلِسَانِ العَرَبِ نَص فَصِيح مُعرَب مُعجِزٌ، فَاستِمدَادُ القَوَانِين النَّحوِيَّة وَالصَّرفِيَّة مِنَ النُّصُوصِ الجَاهِلِيَّة التي سَبقَت فِي الزَّمَنِ القُرآنِ الكَرِيم يَجعَلُ مِنهَا شَاهِدَةً شَهَادَةَ صِدقٍ عَلَى أَنَّ النُّحاةَ لَمْ يَتَصرَّفُوا فِي إعْرَابِ النَّصِّ القُرآنِي

---

[1] . وجِنَاسُ التَّصْحِيفِ عِندَ محيي الدِّين الدَّرويش هُو أَن يَكُونَ النُّقَط فيه فَارِقًا بَيْنَ الكَلِمَتَين، كَمَا هُو فِي بَيْتِ البُحْتري بَيْنَ كَلِمَتَي: المُعْتز/المُغتَر، والجِنَاس عِندَ محيي الدِّين الدَّرويش مُصطَلَحٌ وَاحِد مَعَ التَّجنِيس والمُجَانسَة والتَّجَانُس، وكُلُّهَا كُلمَات مُشْتَقَّة مِن الجِنسِ، والجِنَاس عِندَهُ أَقْسَام وَهِيَ: 1 ـ الجِنَاسُ المُرَكَّبُ، 2 ـ الجِنَاسُ المُلفَّق، 3 ـ الجِنَاسُ المَعْنوِي، 4 ـ الجِنَاسُ المُطرف، 5 ـ الجِنَاس المُحَرفُ، 6 ـ الجِنَاسُ اللفْظِي، 7 ـ الجِنَاس المُطْلَق، 8 ـ الجِنَاسُ المُذيَّل، 9 ـ الجِنَاس اللاحِق، 10 ـ الجِنَاس المُصَحَّف، 11 ـ الجنَاسُ التَّام.

[2] . البحتري، ديوان البحتري، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفي، ط3. مصر: دت، دار المعارف، ج4، ص57.

[3] ـ محمد حسن جبل، الاِحتجاجُ بالشِّعرِ في اللغَةِ، الوَاقع وَدَلالاتهُ، دط، القاهرة: 1986، دار الفِكر العَربِي، ص86.

وَإن تَعَدَّدَت قِرَاءَاتُهُ، لِهَذَا زَخرَت كُتُبُ التفْسِيرِ بِالشَّوَاهِدِ الشِّعْرِيَّة، لأَنَّ الشَّاهِدَ اللُّغَوِي الجَاهِلِي شَاهِد عَلَى أَمرَينِ مُتَلازِمَينِ:

الأَولُ: صِحَّةُ البِنيَة الإعرَابِية وَالصَّرفِية والدلالِيَّة، والصَّوتِية لِلنَّصِّ القُرآنِي.

الثَّانِي: صِحَّةُ القَاعِدَة النَّحوِيَّة وَالصَّرفِيَّة التي اِسْتنبَطَهَا النُّحاةُ من تَتَبُّعِ كَلامِ العَرَبِ فِي النُّصُوص اللغَوِيَّة الجَاهِلِيَّة"[1].

ومحيي الدِّين الدرويش مَهمَا كَانَ زمَانُ الشِّعرِ وَعَصرِهِ الذِي قِيلَ فِيهِ، يَستَدِل بِهِ إذَا وافَقَ مَا يَحتاجه من شَرحٍ للألفَاظ، أو وافقَ القَضَايا التي طرحَهَا.

ـ الإِعْتِمَادُ عَلَى النَّثر فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.

إنَّ مُعظَمَ المُفَسِّرِينَ وَالمُعرِبِينَ لكتابِ اللهِ، كَثِيرًا مَا يَعتَمِدُونَ عَلَى بَعضِهِم البَعض، وَمحيي الدِّين الدرويش مِن هَؤُلاءِ العُلمَاء الذِينَ اِعْتَمَدُوا عَلَى غَيرِهِم، وَمَحيي الدِّينِ لَم يُشِر وَلَم يَنسِب الأَقوَال إلَى أَصحَابِهَا مَعَ أَنَّهُ يَنسِبُ بَعضَ الآراء النَّحوِيَّة، والفقهيَّة والتفسِيرِيَّة والشُّرُوحَات اللغَوِيَّة، والآراء البَلاغِيَّة لأَصحَابِهَا، وَلَكِن دُونَ تَهمِيشٍ.

وَكذلك بالنِّسبةِ لِشَرحِهِ وتَعلِيقِهِ واستِخراجِهِ للقضَايَا البَلاغِيَّة، فَفِي الشَّرح كَثِيرًا مَا يَكُون هُنَاكَ تَشَابُه مع كتبِ التفسيرِ والبيانِ؛ كـ (الجَامعِ لأحكَامِ) القرآنِ للقرطُبي، و(التحريرُ التنوير) لابن عَاشُور، وتَفْسِيرُ الزَّمخشرِي(تَفْسِيرُ الكشَّاف عَن حَقَائق التَّنزيل وَعُيُون الأقَاوِيلِ في وجُوهِ التَّأوِيل).

وأَمَّا فِي تعلِيقِهِ عَلَى القَضَايَا البَلاغِيَّة مِنَ الجَانبِ اللغَوِي والبَلاغِي والنَّحوِي والصَّرفِي، فهُناكَ تَشَابُهٌ فِي التَّعلِيقِ بينهُ وبينَ محمُود صَافِي في كتابِهِ: (الجدولُ في إعرابِ القرآنِ الكريمِ وَصَرفه وبيَانه).

[1] ـ حسن خميس الملخ، الحِجَاجُ فِي الدرسِ النحوي، مقال ضمن مجلة عالم الفكر المجلد:5، عدد خاص: الحجاج، ص126.

ـ مَسَائِل نَحويَّة ورأي محيي الدِّين الدرويش فيها.

ـ إنَّ عِلمَ الإعرَاب مِن أَهَمِّ العُلُوم التي يَنبَغِي مَعرِفَتُهَا بِالنِّسبَة لِلعَالِمِ، وَالفَقِيهِ، وَالمُحَدِّث، واللغَوِي؛ وَهَذَا لأنَّ عِلمَ الإعرَابِ لَهُ تَأْثِيرٌ فِي تَغييرِ المَعنَى وَبِهِ يَتَحَدَّدُ، كَمَا أَنَّ المَعْنَى يَختَلِفُ بِاختِلافِهِ، قَالَ محيي الدِّين الدرويش:" ولَا يَخفَى أَنَّ جَانِبَ الإعرَابِ مِن أَهَمِّ الجَوَانِبِ التي يَجِبُ أَن يُلاحِظَهَا العَالِم، وَالفَقِيه، والمُحدِّث؛ لأنَّ المَعْنَى يَتَغَيَّر، وَيَختلِفُ بِاخْتِلافِ الإعرَاب، فَلا بُدَّ مِن اِعْتِبَارِهِ"[1]، فعِلمُ الإعرَاب واجِب عَلى العَالِم والفقِيهِ والمُفَسِّر لكتابِ اللهِ تعالى وللمُحَدِّث فهؤلاءِ علمُ الإعرَاب واجِب في حقِّهِم وهُو من باب مَا لا يتِمُّ الواجِبُ إلا بِهِ فهُو واجِب.

ـ ذِكرُهُ نَوع مِنَ التَّكرِيرِ لَم يَذْكُرْهُ عُلَمَاءُ البَلاغَةِ وَهوَ فِي قولِهِ تَعَالَى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَاۖ قُلِ اِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اَللَّهِۖ﴾[2]، نَوْعٌ مِنَ التكرِيرِ لَم يُدَوِّنهُ عُلَمَاءُ البَلاغَةِ فِي مَعرَضِ حَدِيثِهِم عَنِ التكرِيرِ، وَهُو أَنَّ الكَلامَ إِذَا بُنِيَ عَلَى مَقصدٍ مَا، وَاعتِرَاض فِي أَثنَائِهِ عَارِض، فَأُرِيدَ الرُّجُوعُ لِتَتمِيمِ المَقْصَد الأَوَّل، وَقَد بَعُدَ عَهْدُهُ، طَرِيٌّ بِذِكْرِ المَقْصَد الأَوَّل، لِتَتصِلَ نِهَايَتُهُ بِبِدَايتِهِ

ـ اِسمُ الشَّرط إِذَا وَقَعَ مُبْتدَأ فَالخَبَر هُو جُملَةُ فِعل الشّرطِ.

قَالَ محيي الدين الدرويش:" أَنَّ اِسْمَ الشَّرْطِ إِذَا وَقَعَ مُبْتدأ وَذَلِكَ إِذَا وَقَعَ بَعدَهُ فِعلٌ لازم، نحو: مَن يَذهَب أَذهَب مَعَهُ، أَو فِعل مُتَعَدٍّ اِسْتَوفَى مَفعُوله نحو قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ اِلْكِتَٰبِۗ مَنْ يَعْمَلْ سُوٓءاً يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ اِللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراًۗ﴾ [النِّساء:122] فَالخَبَر هُو جُمْلَةُ فِعل الشَّرط، وهُنَاكَ مِنَ النُّحَّاةِ مَن يَجعَل جُملَةَ الجَوَاب هِي الخَبَر، وَمِنْهُم مَن يَجعَل الخَبَر جُمْلَةَ فِعلِ الشَّرْط وجَوَابِهِ مَعًا، وَهَذَا مَا وَقَعَ اِختِيارنَا عَلَيْهِ"[3].

---

[1] ـ محيي الدين الدرويش، إعرابُ القرآن الكريم وبيانُهُ، ج1، ص7.

[2] ـ سورة الأعراف، الآية 187

[3] ـ محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج1، ص93.

ـ تَرجِيحُهُ فِي قَوله تَعَالَى ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[آل عمران:97]

فِي الآيَةِ السَّابِقَة رَجَّحَ محيي الدِّين الدرويش وَأَبدَى رَأيَهُ فِي الآيَةِ مِن خِلالِ التوْجِيهِ الإعرَابِي، قَالَ مَحيي الدِّين الدرويش" مَا اِرْتَأَيْنَاهُ مِن إعرَابِ ﴿ مَنِ﴾ بَدَلاً مِن ﴿ٱلنَّاسِ﴾، هُو المُختَار، وَقَالَ بَعض النُّحَاةِ: ﴿مَن﴾ فَاعِل حَجَّ؛ لأَنَّهُ مَصدَر يَعمَل عَمَلَ فِعلِهِ، وَالمَصدَر مُضَاف إِلَى مَفعُولِهِ. وَرَدَّ النُّحَاةُ عَلَيهِ بِأَنَّهُ يَجِبُ عَلَى النَّاسِ أَن يَحَجَّ مُستَطِيعِهِم، وَذَلِكَ بَاطِل"[1].

وَهَذَا بَعدَ مُنَاقَشَةِ أراء ابن جِنِّي وَجَلال الدِّين السيُوطِي والكسَائِي.

ـ رَدهُ عَلَى مُعرِبِي القُرآن الكَرِيم فِي إِعْرَابِ (لِكُلِّ وَاحِدٍ) بَدلاً.

قَالَ محيي الدِّين الدرويش فِي هَذِهِ المَسأَلَة" وَعَلَى هَذَا الإعرَاب نَظَر لابُدَّ مِن مُرَاعَاتِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَكُون عَلَى هَذَا التَّقدِير مِن بَدل الشَّيء مِن الشَّيء، وَهُمَا كَعَين وَاحِدَة، وَيَكُونُ أَصلُ الكَلامِ: وَالسُّدُس لأبَوَيهِ لِكُل وَاحِدٍ مِنهُمَا. وَمُقتَضَى الإقتِصَار عَلَى المُبْدَلِ مِنهُ التَّشرِيك بَينَهُمَا فِي السُّدُسِ، كَمَا قَالَ: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾[2] فَاقتَضَى اِشتِراكُهُمَا فِيهِ فَيَقْتَضِي البَدَل لَو قدر إهدَار الأَوَّل إفرَادَ كُلّ واحِدٍ مِنهُم بِالسُّدُسِ وَعَدَمُ التَّشرِيكِ، وَهَذَا يُنَاقِضُ حَقِيقَةَ هَذَا النَّوع مِنَ البَدَلِ؛ لأَنَّهُ يَلزَمُ فِي هَذَا النَّوع أَن يَكُونَ مُؤدى المُبدل والبَدل وَاحِدًا، وإنَّمَا فَائِدَتُهُ التَّأكِيد بِمَجمُوعِ الاِسْمَينِ لا غَير بِلا زِيَادَة مَعْنَى، فَإِذَا تَحَقَّقَ مَا بَيْنهُمَا مِنَ التبَاين تَعَذَّرَت البَدَلِيَّة المَذكُورَة، ولا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مِن بَدَلِ التَقسِيمِ أَيضًا عَلَى هَذَا الإعرَاب، وَإِلا لَزِمَ زِيَادَة مَعنَى فِي البَدَلِ"[3]، بَعدَمَا سَرَدَ التَّعْلِيلاَت ذَكَرَ تَقدِير الإعرَاب فِي هَذِهِ المَسأَلَة حَيثُ قَالَ:" فَالوَجهُ إِذَن أَن يُقَدّرَ مُبْتَدأ مَحذُوف، كَأَنَّهُ قِيلَ: ولأبَوَيهِ الثلُثُ، ثُمَّ لَمَّا ذَكَرَ نَصِيبَهَا

[1]ـ محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج1، ص490.

[2] ـ سورة النساء الآية 10.

[3] ـ محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج1، ص628.

مُجمَلا فَصلَهُ بِقَولِهِ: وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنهُمَا السُّدُسُ، وَسَاغَ حَذف المبتدأ لِدَلالَةِ التفضل عَلَيهِ ضَرُورَة، إذ يَلْزَمُ مِن استِحْقَاقِ كُلّ وَاحِدٍ مِنهُمَا للسُّدُسِ اِستِحقَاقِهِمَا مَعًا للثُّلثِ"[1].

ـ وَضعُ عِلم النَّحو وَالعَرُوض:

يَرَى محيي الدِّين الدرويش أَنَّ وَاضِعَ عِلمِ النَّحو هُو الخليل بن أحمد الفَرَاهِيدِي وأَبُو الأَسود الدؤلِي، وَهَذَا تَرجِيحًا لِقَولِ السُّيُوطِي فِي المزهر حَيثُ قَالَ:" إِنَّ العَرُوضَ والنَّحو كَانَا قَدِيمَينِ، وَأَتَت عَلَيهِمَا الأَيَّام فَقلَّا فِي أَيدِي النَّاس، فَجَدَّدَهُمَا الخَلِيل وأَبُو الأَسوَد. واسْتَدلَّ عَلَى قِدَمِ العُرُوضِ بِمَا بَسَطَهُ هُنَاكَ، وَعَلى قِدَمِ النَّحو بِمَا مِنهُ: كِتَابَةُ المُصحَف عَلَى الوَجهِ الذِي يُعَلِّلُهُ النُّحَّاةُ فِي ذَوَاتِ الوَاوَ واليَاء والهَمز وَالمَدِّ والقَصرِ، فَكَتَبُوا ذَوَات اليَاء بِاليَاء وَذوَات الوَاو بالألفِ"[2].

حَيثُ قَالَ:" وَنَحنُ نُؤيِّد هَذَا الرَّأيِ الطَّرِيف للسُّيُوطِي"[3].

ـ تَرجِيحُهُ فِي مَسألَةِ وُرُود اللفظ الأَعجَمِي فِي القُرآنِ الكَرِيم.

مِنَ المَسَائِلِ التي أَرَّقَتِ العُلمَاء مِن أَهْلِ اللغَةِ وَالتَّفسِيرِ المُخْتَصِّينَ فِي عُلُومِ القُرآنِ مَسْأَلَةُ الأَلفَاظ المُعْجَمِيَّة فِي القُرآنِ الكَرِيم، فَهُنَاكَ فَرِيق يُقِرُّ بِوُجُودِهَا، وَهُنَاكَ فَرِيقٌ يَنفِي ذَلِكَ عَنِ القُرآنِ الكَرِيم الذِي نَزَلَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، وَهُنَاكَ فَرِيق يَعدِلُ الأَمر بَينَ الفَرِيقَينِ فَيَرَى أَنَّ مَا جَرَى عَلَى اللِّسَانِ العَرَبِي فَهُو عَرَبِي.

وَقَد عَالَجَ محيي الدين هَذِهِ المَسأَلَة مِن خِلالِ تَرجِيحِ القَول الثَّالث، وَهَذِهِ الأَقوَال هِي[4]:

ـ القَولُ الأَول: الأَلفَاظُ المُعرَبَة مَوجُودَة فِي القُرآنِ الكَرِيم، وَذَهَبَ إِلَى هَذَا القَول جَمَاعَةٌ مِنَ الصّحَابَة وَالتَّابِعِينَ فَنَجِد مِنهُم: ابنُ عَبَّاس، وَوَهَب بن مُنبّه، والضَّحّاك، والسدي، وأَبُو عمرَان، والجُوَينِي، وأَبُو مُوسَى الأَشعَرِي، والزَّمَخشَرِي، وابنُ الحَاجِبِ، والسُّيُوطِي، وَغَيْرُهُم.

---

[1] ـ محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج1، ص628.

[2] ـ المصدر نفسه، ج3، ص180.

[3] ـ المصدر نفسه، ج3، ص180.

[4] ـ المصدر نفسه، ج3، ص180.

ـ القَولُ الثانِي: القُرآنُ الكَرِيم لا يَحتَوِي إلا عَلَى الألفَاظ العَرَبِية، وَهَذَا مَذهَبُ الكَثِير مِنَ العُلمَاء مِنهُم: الإمَامُ الشَّافِعِي، وأبُو عبيدَة، وابنُ فَارِس، وابنُ جَرِير الطبَرَي، والبَاقِلانِي، والرَّازِي، وَغَيْرُهُم.

القَولُ الثالِث: إنَّ الرَّأيَ الثَّالِث فِي أَصَالَتِهِ يَعْتَمِدُ عَلَى دِرَاسَاتِ المُتَأَخِّرِينَ مُعْتَمِدِينَ عَلَى القُدَامَى، فَقَدِ اِعتَمَدَ المُتَأَخِّرُونَ عَلَى قَوْلِ أبِي عُبَيدَة القَاسِم بن سَلّام، قَالَ محيي الدِّين الدرويش" وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الحُرُوف بِغَيرِ لِسَانِ العَرب فِي الأَصل، فَقَالَ أُولَئِكَ عَلَى الأَصلِ، ثُمَّ لَفَظَت بِهِ العَرَبُ بِأَلسِنتهَا، فَعَرَّبْتُهُ فَصَارَ عَرَبِيًا، فَهِي عَرَبِيَّة فِي هَذَا الحَالِ، أَعْجَمِيَّةُ الأَصلِ، فَهَذَا القَول يَصدُقُ عَلَى الفَرِيقَينِ جَمِيعًا.

وَقَد أَورَدَ هَذِهِ الرِّوَايَة الجَوَاليقِي بَعْدَ أَن أَورَدَ قَول أبِي عُبَيدَة بن سَلام: مَن زَعَمَ أَنَّ فِي القُرآنِ لِسَانًا سِوَى العَرَبِيَّة، فَقَد أَعظَم عَلَى اللهِ القَولَ، وَاحْتَجَّ بِقَولِهِ تَعَالَى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[الزخرف:2]

وَقَدِ اِعْتَمَدَ الكَثِير مِنَ العُلَمَاءِ عَلَى هَذِهِ الرِّوَايَة وَمِنْهُم السُّيُوطِي، وَيَبْدُوا هَذَا هُو الرَّأي الأَقْرَب الذي يَتَوَافَق وَمَا وَرَدَ فِي القُرآنِ الكَرِيمِ، وَالبَحث العِلمِي المُعَاصِر وهُو القَولُ الرَّاجِحُ.

ـ كَانَ وإمَّا وَأَحوَالهُمَا فِي القُرآنِ الكَرِيمِ.

يَرَى محيي الدِّين الدرويش أَنَّ (كَانَ) فِي القُرآنِ الكَرِيمِ لا تَخلُو أَن تَكُونَ إلا عَلَى خَمْسَةِ أَوْجُهٍ، وَ(إمَّا) كَذَلِكَ لا تَكُون إلا عَلَى خَمْسَةِ مَعَانٍ.

أَمَّا (كَانَ) فَتَكُون:

ـ بِمَعْنَى الأَوَّل وَالأَبَد، نَحو: قَولِهِ تَعَالَى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾[1].

ـ بِمَعنَى المُضِي المُنقَطِع، نَحو: قَوله تَعَالَى ﴿ وَكَانَ فِے ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِے ٱلَارْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾[2].

[1] ـ سورة النساء الآية 11.

[2] ـ سورة النمل الآية 48.

2 ـ بِمَعنَى الحَال، نَحو: قوله تَعَالَى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1]

4. ـ بِمَعنَى الاِستِقْبَال، نَحو: قَوله تَعَالَى ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾[2].

5 ـ بِمَعْنَى صَارَ، نَحو: قوله تَعَالَى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اُسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَٰفِرِينَ﴾[3].

أَمَّا (إمَّا) مِن مَعَانِيهَا:

ـ **الشَّكُّ**، نَحو: جَاءَنِي زَيد وإِمَّا عُمَرُ، إِذَا لَم تَعْلَم الجَائِي مِنهُمَا.

ـ **الإِبهَامُ**، نَحو: قَوله تَعَالَى ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[4] **أَي:** أَنَّ اللهَ تَعَالَى عَالِمٌ بِحَقِيقَةِ حَالِهِم، وقَصد الإبهَام عَلَى السَّامِعِ.

ـ **التَّخْيِير**، نحو: قوله تَعَالَى ﴿ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً﴾[5] وَلا يَكُونُ إلا بَعْدَ الطلَب، فَيقدر فِي الآيَةِ، وَالأَصل: يَا ذَا القرْنَينِ اِفعَل، فَإِمَّا أَن تُعَذبَ.

ـ **الإِبَاحَةُ**: نَحو: تَعَلَّم إِمَّا فِقهًا وَإِمَّا نَحوًا.

ـ **التفضِيلُ**: نَحو: قوله تَعَالَى ﴿ اِنَّا هَدَيْنَٰهُ اُلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾[6]

ـ التَّنكِيرُ يُفِيدُ العُمُومَ فِي حَالِ النَّفِي والإثبَات وَسِيَاق الشَّرْط.

مِن المَسَائِلِ التي يَخْتَلِفُ فِيهَا عُلَمَاءُ اللغَةِ، مَسأَلَة التَّنكِيرِ، هَلِ التَّنكِير يُفِيدُ العُمُوم أَمِ الخُصُوص؟

فَهُنَاكَ مِنَ العُلَمَاءِ مَن يَرَى أَنَّ النَّكِرَة تُفِيدُ العُمُومَ إِذَا كَانَت فِي سِيَاقِ النَّفِي، إلا أَنَّ محيي الدِّين الدرويش يَرَى أَنَّهَا تُفِيدُ العُمُومَ فِي حَالَتَي النَّفِي والإِثْبَات، وَيَرَى كَذَلِكَ" أَنَّ النَّكِرَةَ إِذَا

---

[1] ـ سورة آل عمران 110.

[2] ـ سورة الإنسان، الآية 7.

[3] ـ سورة البقرة، الآية 33.

[4] ـ سورة التوبة، الآية 107.

[5] ـ سورة الكهف ،الآية 84.

[6] ـ سورة الإنسان، الآية3.

وَقَعَت فِي سِيَاقِ الشَّرطِ، وَسِيَاقُ الشَّرطِ كَسِيَاق النَّكِرَة فِي أَنَّ النَّكِرَة للعُمُومِ إِذَا وَقَعَت فِي كُلٍّ مِنْهُمَا"[1].

وَاستَدلَّ بِقَولِهِ تَعالى ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير:14]

فَكَلِمَةُ ﴿نَفْسٌ﴾ وَرَدَت فِي الآيَةِ نَكِرَةً وَأَفَادَتِ العُمُوم، مَعَ أَنَّهَا وَقَعَت فِي صِيغَةِ الإِثبَاتِ، كَمَا أَنَّهَا وَقَعَت فِي صِيغَةِ الشَّرطِ.

مِنَ القَوَاعِدِ المُتَّبَعَة عِندَ عُلمَاءِ التَّفسِيرِ أَنَّهُ" إِذَا وَقَعَتِ النَّكِرَةُ فِي سِيَاقِ النَّفِي أَو النَّهِي أَو الشَّرط أو الاِستِفهَام دَلَّتِ عَلَى العُمُومِ"[2]، وَمِن الأمثلَة الوَارِدَة فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَالْاَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الإنفطار:19].

فِي الآيَةِ ورَدَت كَلِمَةُ ﴿نَفْسٌ﴾ نَكِرَةً وَهِيَ تُفِيدُ العُمُوم فَهِي تَشمَلُ كُلَّ نَفْسٍ مَهمَا كَانَت، وَأَنَّ هَذِهِ النَّفس لا تَمْلِكُ شَيئًا وَإِنَّمَا الأَمر والتَّصرُّفُ بِيَدِ اللهِ تَعَالَى.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النّحل:53]

فَكَلِمَةُ﴿ نِّعْمَةٍ﴾ وَرَدَت نَكِرَة وَقَد أَفَادَت العُمُوم وَهِيَ تَشمَلُ كُلَّ خَيرٍ يَتَمَتَّعُ بِهِ العَبدُ أَوْ يُصِيبُهُ.

20 ـ نقدُهُ للعُلَمَاءِ فِي المَسَائِلِ البَلاغِيَّة

ـ نَقدُهُ لابنِ الأَثِير فِي قَضِيةِ نَفي الشَّيءِ بِإِيجَابِهِ.

قَالَ محيي الدِّين الدرويش" وَزَعَمَ ابنُ الأَثِير فِي كِتَابِهِ (المَثَلُ السَّائِر) أَنَّهُ قَلِيل فِي الشِّعرِ وَأَنَّهُ لَم يَسْمَع مِنهُ غَيرَ بَيتٍ وَاحِدٍ لامرئِ القَيس، وَهُو قوله:

عَلَى لاحبٍ لا يُهْتدَى بِمَنَارِهِ إِذَا سَاقَهُ العُودُ الديافي جرجَرَا[3]

فَقَوْلُهُ:" لا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ" يُوهِمُ أَنَّ لَهُ مَنَارًا، إِلَّا أَنَّهُ لا يُهْتَدَى بِهِ، وَلَيسَ المُرَادُ ذَلِكَ بَلِ المُرَادُ أَن لا مَنَارًا لَهُ يُهْتَدَى، وَقَد نَسِيَ ابنُ الأَثِير قَول مسلِم الوَلِيد المُلَقَّب بِصَرِيع الغَوانِي:

---

[1] . محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج3، ص180.

[2] ـ عبد الرَّحمن بن ناصِر بن عبد الله السَّعْدي، شَرْحُ القَواعد الحِسَان، ط1. القاهرة:2012، دارُ الآثار للنَّشر والتوزيع، ص14.

[3] . امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، ضبطه الأستاذ: مصطفى عبد الشافي، ط5. بيروت: 2004، دار الكتب العلمية، ص64.

تَرَاهُ فِي الأَمْنِ فِي دِرْعٍ مُضَاعَفَة لا يَأْمَن الدهْر أَن يُدْعَى عَلَى عَجَل

لا يَعْبَق الطيبُ خَديْهِ وَمفرقه ولا يَمْسَح عَيْنَيْهِ مِنَ الكُحَل

فَإِنَّ ظَاهِرَ الكَلامِ نَفِي عَبَقَ الطّيبِ وَمَسْحَ الكُحل، وَالمُرَاد نَفِي الطّيب والكُحل مُطْلَقًا، لِانهِمَاكِهِ فِي قِيَادَةِ الجُيُوشِ، وَحِفْظ الثُّغُور، والحِرَاسَة عَلَى خُطُوطِ القِتَالِ"[1].

ـ بَينَ مَدرَسَتي الكُوفَة والبَصرَة:

ـ فِي تَفسِيرِهِ سُورَة الفَاتِحَة كَلِمَةُ **(اِسم)** اِخْتَلَف عُلَمَاءُ اللغَةِ في اشْتِقَاقِهَا، فَذَهَبَ البَصرِيُونَ إِلَى أَنَّهُ مِنَ السّموّ، والعُلوّ، وَذَهَبَ الكُوفِيُّونَ إِلَى أَنَّهُ مُشتقٌ مِن السِّمَة، وهي العَلامَة.

يَرَى محيي الدرويش أَنَّ كِلاهُمَا صَحِيح وَهَذَا مِن جِهَةِ المَعنَى، قَالَ:" وَكِلاهُمَا صَحِيح مِن جِهَةِ المَعنَى. وَفِيهِ خَمسُ لُغَاتٍ: اِسم بِكَسرِ الهَمْزَة، واُسم بِضَمِّهَا، وسِم بِكَسرِ السِّينِ، وَسُم بِضَمِّهَا، وَسُمَى بِوَزنِ هُدَى"[2]، وَبِهَذَا فَقَد جَمَعَ محيي الدِّين الدَّرويش بَينَ المَدرَسَتَينِ، كَمَا اِعتَمَدَ جِهَةَ الإِعرَابِ لِتَحدِيدِ المَعَانِي المُختَلِفَة لِهَذِهِ الكَلِمَة.

ـ تَرجِيحُهُ لِلمَذهَب الكُوفِي عَلَى المَذهَب البَصرِي فِي قولِهِ تَعَالَى ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾ [آل عمران:109].

لَقَد اِختَلَفَ العَرَبُ فِي تَكرِيرِ اِسم ﴿ٱللَّهِ﴾ تَعَالَى مَعَ قَوْلِهِ ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ ظَاهِرًا وَقَد تقسم اسمه ظَاهِرًا فِي قَولِهِ ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾.

فَأَمَّا البَصرِيُّونَ فَقَالُوا إِنَّ نَظِيرَ هَذَا فِي كَلامِ العَرَبِ، كَقَوْلِهِم: وَأَمَّا زَيدُ فَذَهَبَ زَيدُ، وَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ عدي بن زيد[3]:

لا أَرَى المَوتَ يَسْبِقُ المَوتَ شَيء نَغص المَوت ذَا الغِنَى وَالفَقِيرا

فَأَظْهَر فِي مَوضِعِ الإِضمَار.

[1] ـ محيي الدين الدرويش، إعرابُ القرآنِ الكريمِ وبيَانُهُ، ج1، ص367.

[2] ـ المصدر نفسه، ج1، ص23.

[3] . سيبويه، ج1، ص30، الخصائص، ج3، ص53.

وَأَمَّا بَعض نَحوِيي الكُوفَة فَيَقُولُون:" لَيسَ ذَلِكَ نَظِير هَذَا البَيت؛ لأَنَّ مَوضِعَ المَوت فِي البَيتِ مَوضِع كِنَايَة، أَي: ضَمِير، وَلَيسَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فِي الآيَةِ؛ لأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ خَبَر، لَيْسَ مِن قَولِهِ: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ فِي شيءٍ، وَذَلِكَ لأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ القِصَّتَينِ يَخْتَلِفُ مَعنَاهَا عَنِ الأُخرَى.

وَمِنهُ فَقَد رَجَّحَ محيي الدِّين الدرويش الرَّأي الثَّانِي بِقَولِهِ:" وَهَذَا القَول الثَّانِي عِندَنَا أَولى بِالأَرجَحِيَّة؛ لأَنَّ كِتَابَ اللهِ عَزَّوجَلَّ لا تُوَجه مَعَانِيهِ، وَمَا فِيهِ مِنَ البَيَانِ إلى الشَّواذ مِنَ الكَلامِ وَالمَعَانِي، وَلَهُ فِي الفَصِيح مِن المَنطِق وَالظَّاهِر مِنَ المَعَانِي وَجه صَحِيح مَوجُود"[1].

ـ مَسأَلَةُ مَجِيء المَصْدَر حَالا:

يَرَى النُّحَّاةُ أَنَّ المَصدَر المَنصُوب فِيهِ ثَلاثَةُ أقوالٍ:

1 ـ مَذهَبُ سِيبَوَيهِ: أَنَّ المَصدَر هُو الحَال، وَهُو الأَصل.

2 ـ مَذْهَبُ المُبَرِد والأَخْفَش: أَنَّهُ مَفْعُول مُطلَق غَير مَنصُوب بِالعَامِلِ قَبْلَهُ، وَإِنَّمَا هُو مَنصُوب بِالعَامِلِ المَحْذُوف مِن لَفظِهِ، ذَلِكَ المَحذُوف هُو الحَال، وَهُو قَوْل جَمِيل كَمَا نَرَى.

3 ـ مَذهَبُ الكُوفِيّينَ: أَنَّهُ مَفعُول مُطْلَق مَنصُوب بِالعَامِلِ قَبْلَهُ، وَلَيسَ فِي مَوضِعِ الحَال.

وَمحيي الدِّين الدرويش يَرَى الأَقوَال الثَّلاثَة وَلَكِن حَسبَ مَوقِعِهَا فِي الجُملَةِ وَتَأدِيَتِهَا لِلمَعنَى وَمِنَ المِثَال عَلَى ذَلِكَ قَوله فِي إعرَابِ "**أَسَفًا**" من قَول أَبِي الطيب[2]:

أَبْلَى الهَوَى أَسَفًا يومَ النوَى بَدَنِي

وَفَرَّقَ الهَجْرُ بَيْنَ الجَفْنِ والوَسَن

رُوحٌ تَرَددُ فِي مِثْلِ الخِلاَلِ إِذَا

أَطَارَتِ الريحُ عَنْهُ الثوْبَ لَم يَبِنِ

كَفَى بجسمي نُحُولا أَنني رَجُل

لَولا مُخاطَبَتي إياكَ لم تَرَنِي

---

[1] ـ محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج1، ص502.

[2] ـ المتنبي، ديوان المتنبي، دط. بيروت: 1983، دار بيروت للطباعة والنشر، ص7.

فَالحَال هُنَا غَير وَارِدَةٍ؛ لأَنَّ المَعنَى يَأبَاهَا، وَالمَفعُول لأَجلِهِ لا يَصِحُّ لِاخْتِلافِ الفَاعِلِ، فَلَم يَبقَ إلا المَفعُولِية المُطْلَقَة، والتَّقدِير: أَسِفت أَسَفًا"[1]، فَفِي إعرَابِ كَلِمَة (أَسَفًا) اتَّبَعَ محيي الدين رَأي مَدرَسَة الكُوفَة مَعَ أَن محيي الدِّين يَمِيل فِي هَذِهِ المَسأَلَة إِلَى رَأيِ المُبَرّد والأَخفَش.

ـ تَأثُّرُهُ بِالزَّمَخشرِي:

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاٗ وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلاٰيَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران:118]

اِخْتَلَفَ علَمَاءُ اللغَةِ فِي إعرَابِ الجُمَلِ الوَاقِعَة مَا بَعدَ ﴿بطانة﴾ مُشَارِب مُخْتَلِفَة، وَجَعَلَهَا محيي الدين الدرويش مُسْتَأنَفَات وَهُو رَأي الزمَخشَرِي حَيثُ قَالَ:" وَقَد أَجَزنَا أَن تَكُونَ مُسْتَأنفَات عَلَى وَجهِ التعلِيلِ للنهِي عَن اتخَاذِهِم بِطَانَة مِن دُونِ جِنسِكُم وَأبنَاءِ قَومِكُم، وَعَلَيهِ جَرَى الزمَخشَرِي فَقَالَ: الأَحسَن والأَبلَغ أَن تَكُونَ مُستَأنفَاتٍ"[2].

ومن تَأثُّرِ محيي الدِّين الدرويش بالإمَام الزَّمخشري نجدُ أَنَّهُ ينقلُ الكَثيرَ مِنَ الأرآءِ والتّفسِيرَات عنه دُونَ أن يَنسِبَهَا لَهُ لِكَثرَتِهَا.

ـ تَأثُّرُهُ بِالشَّيخ زَكِي الدِّين بن أَبِي الإصبَع.

إِنَّ القَارِئَ لِكِتَابِ محيي الدِّين الدرويش يَجِد أَنَّهُ يَتَبَنى الكَثِيرَ مِن الآراء البَلاغِيَّة واللغَوِيَّة للشَّيخ زَكِي الدِّين بن أبي الإصبع، مِنهَا:

ـ عِندَمَا تَكَلم مَحْيي الدين الدرويش عَن رَدِّ العَجز عَلَى الصَّدر، ذَكَرَ أقسَام ابن المُعْتَز الثَّلاثة للتصدِير الذِي هُو رَدُّ العَجز عَلَى الصَّدر، ثُمَّ ذَكَرَ تَقسِيم الشَّيخ زَكِي الدِّين ابن أَبِي الإصْبَع" وَالذِي يَحسُن أَن يُسَمَّى القِسم الأَوَّل: تَصدِير التقْفِيَة، وَالثَّانِي: تَصدِيرُ الطَّرَفَينِ، والثَّالِثُ: تَصدِيرُ الحَشُو"[3]،

---

[1] ـ محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج5، ص35.

[2] ـ المصدر نفسه، ج1، ص517.

[3] ـ المصدر نفسه، ج4، ص693.

ـ مُوَافَقَتُهُ لأَبي الإصبع فِي بَعضِ الفُنُونِ البَدِيعِيَّة مِنهَا: فَنُّ الشَّمَاتَة الذِي تَفَرَّدَ بِذِكرِهِ دُونَ غَيْرِهِ مِن عُلُمَاء البَلاغَة، قَالَ محيي الدِّين الدرويش" فَنٌ مِن فُنُونِ البَدِيعِ لَم يَذكُرهُ أَحَدٌ مِنَ الذِينَ كَتَبُوا فِي فُنُونِ البَدِيعِ مَا عَدَا ابن أَبي الأصبع"[1]، كَذَلِكَ بِالنِّسبَة لِفَنِّ (التَّدبِيرِ) الذِي تَفَرَّدَ بِهِ صَاحِبُ نِهَايَةُ الأَرَب وابن أَبِي الإصبع.

21 ـ أَرَاءُهُ التفْسِيرِيَّة للقُرآنِ الكَرِيم.

لَقَد تَطَرَّقَ محيي الدِّين الدرويش إِلَى تَفسِيرِ بَعض الآيَات القُرآنِيَّة، وَقَدْ كَانَ تَفسِيرُهُ لِهَذِهِ الآيَاتِ مُعْتَمِدًا عَلَى القُرآنِ أَوِ الحَدِيثِ أَوِ اللغَة أَو نَقْل الأَرَآء التَّفْسِيرِيَّة الأُخرَى مِنهَا.

ـ يَقُول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِے ٱلَامْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِے شَےْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُومِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلَاخِرِۖ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَاوِيلاًۖ ﴾ [النِّساء:59]

فِي تَفْسِيرِ محيي الدِّين الدرويش لِهَذِهِ الآيَة تَفسِير تَمَيَّزَ بِهِ عَن غَيرِهِ حَيثُ قَالَ:" فِي هَذِهِ الآيَة إلمَاع إِلَى الدلالَة الفِقهِيَّة الأَربَعَة فَقوله: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ إِشَارَة إِلَى الكِتَابِ، وَقوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ إِشَارَة إِلَى السُّنَّةِ، وَقَوله: ﴿وَأُوْلِے ٱلَامْرِ مِنكُمْۖ﴾ إِشَارَة إِلَى الإِجْمَاعِ، وَقوله: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِے شَےْءٍ ﴾ إِشَارَة إِلَى القِيَاسِ"[2].

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ قَالَ قَدْ اُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسِىٰٓ ٣٥ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً اُخْرِىٰٓ﴾ [طه 35 ـ36]

يَرَى مَحْيي الدِّين أَنَّ التَّفْسِيرَ بَعْدَ الإِيهَامِ يُؤْتَى بِهِ لِتَفْخِيمِ أَمرِ المُبهَمِ وإِعْظَامِهِ؛ لأَنَّهُ يَطرُقُ السَّمعَ بَعدَ أَن كَانَ مُتَعلِّقًا بِشَيءٍ مُبهَمٍ فَتَتَرنحُ الجَوَارِحُ، وَيَذهَب بِلُبِّ السَّامِعِ كُلَّ مَذهبٍ، قَالَ محيي الدِّين فِي الآيَةِ السَّابِقَة:" أُبهِمَ الكَلام، وَأَتَى بِهِ مُجمَلاً لِيَتَعَلَّق الذِّهن، وَيَتَطلَّع مَا عَسَى أَن يَكُونَ السُّؤَالُ؟ وَمَا هِيَ المِنَّةُ الأُخرَى؟ وَمَا عَسَى أَن يَردِفَهَا مِن مِنَنٍ وَآلاءٍ؟ إِنَّهُ يَتَشَوَّف لِلمَعرِفَةِ، وَيُحَاوِلُ اِكْتِنَاهَ الحَقِيقَة، فَيَأتِي قوله بَعدَ ذَلِكَ مُفَسِّرًا مَا أُبهِمَ، فيَقُولُ: ﴿ إِذَ اَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ

[1]ـ محيي الدين الدرويش، إعرابُ القرآنِ الكريمِ وبيَانُهُ ، ج6، ص126.

[2] ـ المصدر نفسه، ج2، ص46.

أُمِّكَ مَا يُوحِىٰٓ ٣٧ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَاخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى [1] ﴾"[2].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَالطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: 26]

قَالَ محيي الدِّين الدرويش فِي هَذِهِ الآية" يُحْتَمَلُ أَن يُرَادَ بِالخَبِيثَات: النِّسَاء، وَبِالخَبِيثِينَ: الرِّجَال، فَيَكُون الكَلامُ جَارِيًا عَلَى حَقِيقَتِهِ، وَيَجُوزُ أَن يُرَادَ: الكَلِمَات التي صِيغَ مِنْهَا الإِفْك، فَيَكُون الكَلام مَجَازً بِالاِسْتِعَارَة التَّصرِيحِيَّة"[3]، وقَد يَكُونُ فِي الآيَةِ إِشَارَةٌ إِلَى الأَقوالِ والأفعَالِ، فَالطَّيِّبُونَ فِي الأقوَالِ والأفعَالِ للطّيبَاتِ، والخَبِيثُونَ فِي الأقوَالِ والأفعَالِ للخَبِيثِينَ والعَكْس فِي الحَالتَينِ صَحِيح.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾ [الإنسان:26]

رَدَّ محيي الدِّين الدرويش عَلَى بَعضِ المُفَسِّرِينَ لِهَذِهِ الآيَة حَيثُ قَالَ:" هَذِهِ الآيَة رَد عَلَى مَا قَالَهُ أَهلُ المَعَانِي وَالبَيَان: إِنَّ الجَمْعَ بَينَ الحَاءِ وَالهَاءِ مَثَلاً، يُخْرِجُ الكَلِمَة مِن فَصَاحَتِهَا، وَجَعَلُوا مِن ذَلِكَ قَول أَبِي تَمام:

كَرِيمٌ مَتَى أمدَحه وَالوَرَى مَعِي وَإِذَا مَا لُمْتُهُ لمتُه وَحْدِي

وَهَذَا خَطَأٌ مِنَ النَّاقِدِ؛ الذِي ظَنَّ أَنَّهُ يُبَرئُ القُرآنَ الكَرِيمَ مِنَ العُيُوبِ المُخِلَّة بِالفَصَاحَةِ بِشَجْبِهِ لِمَا قَرَّرَهُ عُلَمَاءُ البَلاغَة، وَقِيَاسٌ فِي غَيْرِ مَحَلّهِ، فَالفَرْقُ وَاضِحٌ بَيْنَ الآيَةِ وَالشِّعْر، وَهُو أَنَّ تِكْرَار أمدَحه هُو الذِي أَخْرَجَهُ عَن مَهِيعِ الفَصَاحَة، لاَ مُجَرّد اِجْتِمَاع الحَاء وَالهَاء، وَإِذًا فالآيَةُ سَلِيمَةٌ مِن تَنَافُرِ الحُرُوفِ، قَالَ الشَّيخُ مَخلُوف المِينَاوِي فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى شَرحِ الشَّيخِ أَحمد الدمَنهُورِي لِمَتْنِ الإِمَام الأخضَرِي: فَإِنَّ مَنشَأَ الثقَل هُو تِكرَار أَمدَحه، دُونَ مُجَرّد الجَمْعِ لِوُقُوعِهِ بَيْنَ الحَاءِ وَالهَاءِ فِي التّنزِيلِ، نَحُو: فَسَبحه"[4].

---

[1] ـ سورة طه[37 ـ38]

[2] ـ محيي الدين الدرويش، إعْرابُ القرآن الكريمِ وبيَانُهُ، ج4، ص681.

[3] ـ المصدر نفسه، ج5، ص263.

[4] ـ المصدر نفسه، ج8، ص176.

22 ـ طَبَعَات الكِتَاب:

صَدَرَ هَذَا الكِتَاب أَوَّلَ مَرَّةٍ بَعَدَدِ أَجزَاءِ القُرآن الكَرِيم، وَطُبِعَ طبعَة غير مَذكُورة المصدر من حيث دار النشر وسنة الطبع وبلد الطبع، ثُمَّ جُمِعَ فِي عَشرِ مُجَلَّدات، ثُم صَدَرَ فِي الطبعَة الثَّانِية عَشَر فِي تِسعِ مُجَلدَات، وَهِي الطبعَة التي صَدَرَت فِي سَنَةِ 2014م/1435هـ.

هَذِهِ الطبعَة الصَّادِرَة عَن دَارِ ابن كَثِير للطباعة والنَّشر والتوزيع، دمشق ـ سوريا

ودار اليمَامَة للطبَاعَة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت ـ لبنان.

ومنهُ يمكِنُ القولُ في هذا الفصلِ أنَّنا قمنَا بدراسةِ أعاريب القرآن الكريم المعَاصرة ودراسَة منهجها في الكتَاب، كمَا درسنَا منهج محيي الدين الدرويش في كتابه والذي كان منهجه منضبط من حيث عناصر الدراسة، كما أنَّ قضايا العقيدة لَه أثرها في توجيهِ المعنى القرآني وما ظهرت بعض التيارات الفكرية والدينية إلا من خلال التأويل.

الفَصلُ الثَّانِـي

عِلمُ المَعَانِي وَتَوجِيهُ المَعنَى القُرآنِي فِي كِتَابِ محيي الدِّين الدروِيش

المبحث الأَوَّل: عِلم المَعَانِي وَدَلالاتُهُ فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.

1ـ التَّقدِيمُ وَالتَّأخِيرُ وَأَثَرُهُ فِي تَوجِيهِ دَلالَةِ المَعْنَى القُرآنِي.

2 ـ الذِّكرُ والحَذفُ ودلالاتهُمَا فِي تَوجيهِ المعْنَى القُرآنِي.

أ ـ الحَذفُ مِن الجَانبِ البَلاغِي.

ب ـ الحَذفُ مِن الوِجهَةِ النَّحوِيَّة.

3 ـ التَّعريفُ والتَّنكِيرُ ودلالتهُمَا فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.

4 ـ الخَبَرُ والإنشَاء وَدَلالتهُمَا فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.

5 ـ الإيجَازُ والإطنَابُ ودلالتهمَا فِي تَوجيهِ المَعنَى القُرآنِي.

6 ـ القَصرُ والحَصر ودلالتهُمَا فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.

المبحث الأول: علمُ المعانِي وتوجيهُ المعنَى القُرآني عِندَ محيي الدِّين الدرويش.

1 ـ عِلمُ المَعَانِي وَالتَّفسِيرِ القُرآنِي

لَقَد فَتَحَ القُرآنُ الكَرِيم آفَاقَهُ الوَاسِعَة عَلَى المَعَانِي مُنذُ نُزُوله عَلَى الحَبِيبِ المُصطفَى ﷺ فَكَانَ الدَّارِس الأَوَّل لِمَعَانِيهِ المُفَسِّر لأَلفَاظِهِ وَمَبَانِيهِ، وَكَانَ عَبدُ اللهِ عَبَّاس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. يَدرُسُ المَعَانِي القُرآنِيَّة وَيَسْتَمِدُّهَا مِنَ الشِّعرِ الجَاهِلِي، وَكَانَ بَارِعًا فِي التَّأْوِيلِ وَتَوَالَت دِرَاسَة مَعَانِي القُرآن لِوَقتِنَا الحَالِي، فَكَانَ لِتَفسِيرِ القُرآنِ الكَرِيمِ نَصِيب مِن هَذَا العِلمِ. وَأَهَم مَا يُمَيِّز عِلْم المَعَانِي اِرتِبَاطهُ بِنَظمِ النَّحو وَمَعَانِيهِ، وَقَد طَرق بَابَهُ الكَثِير مِن العُلَمَاءِ مِنْهُم: الجَاحِظ والجُرجَانِي وَغَيْرُهُم كَثِير.

2 ـ علم المَعَانِي لُغَةً وَاصطِلاحًا:

أ ـ المَعَانِي لُغَةً: قَالَ الزَّمَخشَرِي: عُنِيَ بِكَذَا وَاعْتَنِيَ بِهِ، وَهُو مَعْنِي بِهِ ...وَهم بِبَيَانِهِ أَعْنَى، وَعَنَيْتُ بِكَلامِي كَذَا، أَي: أَرَدتُهُ وَقَصَدتُهُ، وَمِنهُ: المَعنِيُّ"[1].

ب ـ عِلمُ المَعَانِي اِصطِلاحًا: عَرَّفَهُ القَزوِينِي بِقَولِهِ:" هُو عِلم يُعرَفُ بِهِ أَحوَال اللَّفظ التي بِهَا يُطَابِقُ مُقْتَضَى الحَالِ"[2]. وَأَحوَال اللَّفظ هِيَ تِلكَ الخَصَائِصُ التي تَطرَأُ عَلَى التَّركِيبِ مِن تَقْدِيمٍ وَتَأْخِيرٍ وَقَصرٍ وَحَصرٍ وَحَذفٍ وَذِكرٍ وَتَعرِيفٍ وَتَنكِيرٍ وَخَبَرٍ وإنشَاءٍ وَفَصلٍ وَوَصلٍ وَغَيْرِهَا.

وَعَرَّفَهُ السَّكَّاكِي فِي مِفتَاحِ العُلُومِ بِقَولِهِ:" هُو تَتَبُّع خَوَاص تَرَاكِيب الكَلام فِي الإِفَادَةِ وَمَا يَتَّصلُ بِهَا مِن الاِستِحسَان وَغَيرِهِ بِالوُقُوفِ عَلَيْهَا مِنَ الخَطَإِ فِي تَطبِيقِ الكَلامِ عَلَى مَا يَقتَضِي الحَال ذِكرُهُ"[3].

---

[1] ـ الزَّمَخشري، محمُود بن عمرُو، أسَاسُ البَلاغَة مادة (ع ن ي)، تح: محمد باسل عيُون السُّود، ط1. بيروت: 1419ه/1998، دَارُ الكُتُبِ العِلميَّة، ج1، ص682.

[2] ـ القزوينِي، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، الإيضَاح فِي عُلُومِ البَلاغَةِ، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، ط3.بيروت: دت، دارُ الجِيل، ج1، ص52.

[3] ـ السكَّاكِي، محمَّد بن علي السَّكاكِي، مفتاحُ العلُوم، ضَبَطَهُ: نَعِيم زَرْزُور، ط2، لبنان: 1407ه/1987م، دارُ الكُتُب العِلميَّة، ص161.

فَعِلمُ المَعَانِي هُو العِلم الذِي يَبحَثُ فِي خَصَائِصِ التَّرْكِيبِ مِن تَقدِيمٍ وتَأخِيرٍ وتَعرِيفٍ وتَنكِيرٍ وذِكرٍ وَحَذفٍ وَخَبَرٍ وإنشَاءٍ وإيجَازٍ وإطنَابٍ، وقَصرٍ وَحَصرٍ وفَصلٍ وَوَصلٍ وإيجَازٍ وإطنَابٍ.

وَقَد اِجتهَدَ محيي الدِّين الدرويش فِي دِرَاسَةِ الأَوجُه الإِعرَابِيَّة وَتَحصِيل المَعَانِي مِنهَا، أَو تَصوِير كُلَّ وَجهٍ إِعرَابِي وَمَا يَحمِلُهُ مِن خَبَايَا دَلالِيَّة، وَهَذَا مِنَ الأُمُورِ الصَّعبَة؛ لأَنَّ الآيَات التي تَحْمِلُ ثِقَلاً بَلاغِيًا تَتَزَاحَمُ فِيهَا المَعَانِي وَتَتَفَاوت دَرَجَاتُهَا، وَفِي هَذِهِ الحَالَة مِنَ الصَّعبِ الرَّبط بَينَ المَعَانِي وَالأَوجه الإِعرَابِيَّة، فَالإِعرَاب هُو بَيَان لِعلاقَاتِ الكَلام، فَإِذَا اِختَلَفَت تِلكَ العلاقَات اِخْتَلَفَت المَعَانِي، وَفِي ذِكرِ قَضَايَا عِلم المَعَانِي عِندَ محيي الدِّين الدَّروِيش نَجِدُهَا مُتَنَاثِرة فِي كِتَابِهِ، كَمَا أَنَّ بَعضَ العَنَاصِر والقَضَايَا خَفِيَّةٌ غَير ظَاهِرَةٍ مِن حَيثُ الدِرَاسَةِ.

أولا ـ التَّقدِيمُ والتَّأخِير وَأَثَرُهُ فِي تَوجِيهِ دَلالَة المَعْنَى القُرآنِي.

1 ـ التَّقدِيمُ وَالتَّأخِير اللفظِي وَأَثَرُهُ فِي المَعْنَى.

يُعَدُّ التَّقدِيمُ والتَّأخِيرُ مِنَ الظَّوَاهِرِ البَلاغِيَّة التي تَتَمَيَّزُ بِهَا لُغَة العَرَبِ، وَمِن سُنَنِهَا اللِّسَانِيَّة والبيَانِيَّة الأُولَى، كَمَا أَنَّهُ سِمَة بَارِزَة فِي لُغَةِ القُرآنِ الكَرِيمِ، وَمِن أَسَالِيبِهِ المُمَيّزَة لَهُ، فَالقُرآن الكَرِيم لَم يُقَدِّم الأَلفَاظ أَو يُؤخِّرهَا إِلا لِلاهتِمَامِ بِهَا وَبِغَرَضِ تَأدِيَةِ غَرَضٍ مُعَيَّنٍ، فَلَم يَكُن التَّقدِيم وَالتَّأخِير مِن أَجلِ الوَزنِ المُوسِيقِي أَوِ السَّجع أَوِ الفَاصِلَة، كَمَا أَنَّهُ يُعَدُّ مِنَ الأَبوَابِ المُشتَرَكَة بَينَ البَلاغَةِ وَالنَّحو فَإِذَا" كَانَ النَّحو يَسعَى إِلَى تَحْصِيلِ العَمَلِيَّة الإِعرَابِيَّة وَكَمَالِ الفَائِدَةِ فِي الجُملَةِ؛ فَإِنَّ عِلمَ المَعَانِي يَنظُرُ فِي الدَّلالاتِ الخَاصَّة التي تَقِفُ وَرَاءَ هَذِهِ القَضَايَا"[1] وَهِيَ مَرتَبَةُ مَعَانِي النَّحو التي بِهَا يَتَزَيَّن النَّظم.

وَيُقصَدُ بِالتَّقدِيمِ وَالتَّأخِير فِي هَذَا المَجَالِ؛ وهُو تَقدِيمُ لَفظٍ أَصلُهُ التَّأخِيرُ، أَو تَأخِيرُ لَفظٍ أَصلُهُ التَّقدِيمُ، ولا يَكُونُ ذَلِكَ إِلا لِسَبَبٍ مِنَ الأسبَابِ، أَو بِغَرَضِ تَأدِيَةِ مَعنى مُعَيّن، فَالتَّقدِيم والتَّأخِير هُو مَسْأَلَةُ رُتَبٍ مُتَعلّقَة بِالمَكَانَة التي يُمْكِنُ أَن يَكُونَ فِيهَا كُلُّ جُزءٍ مِن أَجزَاءِ التَّركِيبِ، وَقَد

[1] ـ مسعُود بُودوخة، عنَاصِر الوظيفَة الجَمَاليَّة في البَلاغةِ العربيَّة، ط1. الأردن: 2001، عالم الكتاب الحَدِيث، ص38.

اِهْتَمَّ بِهِ محيي الدِّين الدرويش فِي كِتَابِهِ(إعرَابُ القُرآنِ الكَرِيم وَبَيَانُهُ) وهُو مَبْثُوثٌ فِي ثَنَايَا كِتَابِهِ مِن خِلالِ إعرَابِهِ للقُرآن الكَرِيم، وقد استنبطنَا القَضَايَا التي فِيهَا تَقدِيم وَتَأخِير.

وَتُعَدُّ ظَاهِرَةُ التَّقْدِيم وَالتَّأخِير مِنَ الظوَاهِرِ التي دَرَسَهَا النُّحَاةُ المُتَقَدِّمُونَ، فَكَانَ سِيبَوَيهِ(ت180ه) أَوَّلَ مَنِ اِعْتَنَى بِالتَّقدِيم وَالتَّأخِير وَفِي ثَنَايَا كِتَابِهِ (الكِتَاب) أَشَارَ إِلَى دَلالاتٍ بَلاغِيَّة؛ كَتَقدِيمِ الفَاعِلِ والمَفْعُول للعِنَايَةِ والإهتِمَامِ.

وَاستَمَرَّ النُّحَاةُ فِي دِرَاسَتِهِم للتَّقدِيمِ وَالتَّأخِيرِ بَعدَ سِيبَوِيهِ، فَكَانَت هُنَاكَ أَرَاء للمُبَرِّد(ت285ه) وابن جِنّي(ت392ه)، وَالفَرَّاء (ت207ه) والأَخْفَش(ت215ه)، إِلَى أَن وَصَلَ البَحث فِي مَجَالِ التَّقدِيم وَالتَّأخِير إِلَى عَبدِ القَاهر الجُرجَانِي(ت471ه) الذِي دَرَسَ هَذِهِ القَضِية دِرَاسَة دَقِيقَة، ووفقَ مَنهَجٍ عِلمِيّ حَيْثُ وَصَفَ التَّقدِيم وَالتَّأخِير بِقَولِهِ:" هُو بَابٌ كَثِيرُ الفَوَائِدِ، جَمُّ المَحَاسِنِ، وَاسِعُ التَّصَرُّفِ، بَعِيد الغَايَة، لا يَزَالُ يفتر لَكَ عَن بَدِيعِهِ، وَيُفضِي بِكَ إِلَى لَطِيفَة، ولا تَزالُ تَرَى شِعْرًا يَرُوقُكَ مَسْمَعُهُ، وَيلطفُ لَدَيك مَوقِعهُ، ثُم تَنظُر فَتَجِد سَبَب أَن رَاقَكَ وَلَطُفَ عِندَكَ أَن قُدّمَ فِيهِ شَيءٌ، وَحُوّلَ اللَّفظُ عَن مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ"[1]، كَمَا أَنَّهُ اِستِفَادَ مِن سِيبَوِيهِ، ثُمَّ تَوَالَت الدرَاسَات البَلاغِيَّة لِقَضِيَّة التَّقدِيم وَالتَّأخِير، فَكَانَ الزَّركَشِي(ت794ه) فِي كِتَابِهِ (البُرهَانُ فِي عُلُومِ القُرآنِ)، والسيوطِي(ت911ه) فِي كِتَابِهِ (الإتقَانُ فِي عُلُومِ القُرآنِ)، وَقد تَطَرَّقَا إِلَى هَذِهِ الظَّاهِرَة بَيَانًا وتَفصِيلا.

2 ـ التَّقدِيمُ وَالتَّأخِيرُ وأثرُهُ فِي توجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.

إِنَّ التَّقدِيمَ وَالتَّأخِيرَ لَهُ أَثَر فِي تَوجِيهِ المَعنَى، وَبِخَاصَّةٍ المَعنَى القُرآنِي، فَلا يَكُونُ التَّقدِيم وَالتَّأخِير إِلا مِن أَجلِ تَأدِيَةِ غَرَضٍ مُعين، يُسَاهِمُ فِي تَوجِيهِ المَعنَى، أَو تَحدِيد غَرَضٍ بِعَينِهِ أَوْ تَثبِيتِ حُكمٍ أَو لَفت انتِبَاهٍ لأَمرٍ مِن الأُمُورِ.

[1] ـ عبد القَاهر الجرجَانِي، دلائلُ الإعجَاز، قرأهُ وعلَّقَ عَليهِ: علي محمد زينُو، ط1. بيروت: 2005، مؤسَّسةُ الرِّسَالَة ناشرون، ، ص94.

يُعَدُّ التَّقدِيمُ وَالتَّأخِيرِ فِي الشَّرِيعَةِ مِنَ الأُمُورِ التي لَهَا مَقَاصِد مُتَعَدِّدَة، نَجِد فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّة مِن أَحَادِيثِ النَّبِي ﷺ بَعضَ الأحَادِيثِ التي فِيهَا تَقدِيم وَتَأخِير لِبَعضِ الألفَاظِ، كَمَا أَنَّ القُرآنَ الكَرِيم لا يَخلُو مِنَ التَّقدِيمِ وَالتَّأخِيرِ اللَّفظِي أَو المَعنَوِي، وَقَد جَاءَتِ الدرَاسَات القُرآنِيَّة وَالبَلاغِيَّة تَبحَثُ فِي أَسرَارِ التَّقدِيمِ والتَّأخِيرِ وَأَثَر ذَلِكَ فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.

ولأهَمِّيةِ التقدِيم والتَّأخير مَا رُوِي عن ابن عُمر ـ رضيَ اللهُ عنهمَا ـ من حَديثِ أركَان الإسلام فقَالَ:" بُنِيَّ الإسلام علَى خَمسٍ، شَهَادة الله أن لا إلَهَ إلَّا الله، وأنَّ محمدًا رسُولُ اللهِ، وإقَام الصَّلاة، وإيتَاءِ الزَّكَاة، وصَوم شَهرِ رَمَضَان، وَحَج البَيتِ، فقَالَ رجُل مُستَفهمًا: الحَج وَصِيَام رمَضَان؟ قَال: لا، صيَام رَمَضَان والحَج، هكَذَا سمِعتُهُ مِن رسُولِ اللهِ ﷺ فَقَد رَفَضَ ابن عُمَر مجَرَّد التَّقدِيم والتَّأخِير فِي الأَلفَاظِ"[1]، وقَد وَرَدَ الحَدِيث فِي روايَةِ أُخرَى قَدم فِيهَا الحَجَّ على الصَّومِ، فقَد رُوِيَ عن ابن عمر ـ رضِيَ الله عَنهُمَا ـ قَالَ: قَال رسولُ اللهِ ﷺ:(بُنِي الإسلام على خَمسٍ، شَهَادة أن لا إلَهَ إلا اللهُ، وأنَّ مُحمدًا رسُولُ اللهِ، وإقَام الصَّلاة، وإيتَاءِ الزَّكَاة، والحَج، وصَوم رَمَضَان)[2].

ويَرَى محيي الدِّين الدرويش أَنَّ فَنَّ التَّقدِيم والتَّأخِير يَنقَسِمُ إلَى قِسمَينِ:

أ ـ قِسم يَختَصُّ بِدَلالَةِ الألفَاظِ عَلَى المَعَانِي.

ب ـ قِسم يَختصُّ بِدَرَجَةِ التقدِيم فِي الذِّكرِ.

وَفِي دِرَاسَةِ محيي الدِّين للتَّقدِيمِ وَالتَّأخِير فَقَد ذَكَرَ بَعض الأسبَاب التي يَكُون مِن أَجلِهَا التَّقدِيم وَالتَّأخِير وَالتي مِن بَينِهَا:

ـ الإعتِنَاءُ بِالأَهَمِّ، فَهُم يُقَدِّمُونَ مَا هُو أَولَى بِالعِنَايَةِ وَأَجدَر بِأَن يَقرَعَ السَّمعَ.

ـ التَرَقِّي مِنَ الأدنَى إلَى الأَعلَى.

---

[1] . متولِّي، ثامر محمد محمُود، منهجُ الشَّيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، ط1. دمشق:2004، دار ماجد عسيري، ص148.

[2] . البخاري، محمَّد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفِي، الجامعُ المُسند المختصر من أمُور رسُول اللهِ ﷺ وسننه وأيَّامِه، تح: محمد زهير، ط1. دمشق: 2002، دار طوق النجاة، ج2، ص49.

3 ـ التَّقدِيمُ والتَّأخِير فِي كِتَابِ محيي الدِّين الدروِيش وَحَالاته:

وَمِن الأمثِلَةِ فِي هَذَا المَجَال والتي ذكرَهَا محيي الدِّين الدرويش وقُمنَا بتَحلِيلِهَا نَجِد:

أ ـ تَقْدِيمُ الضَّمِير.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فِي هَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة تَقديم للضَّميرِ فَقَد" قَدَّمَ الضَّمِير لِحَصرِ العِبَادَة والاِسْتِعَانَة بِاللهِ وَحدَهُ، وَقُدِّمَت العِبَادَة عَلَى الاِسْتِعَانَة؛ لأَنَّ الاِستِعَانَة ثَمْرَتُهَا وَإِعَادَةُ إِيَّاكَ مَعَ الفِعلِ الثَّانِي تُفِيدُ أَنَّ كُلا مِنَ العِبَادَةِ والاِستِعَانَة مَقصُود بِالذَّاتِ، فَلا يَسْتَلزِم كُلّ مِنهُمَا الآخَر"[1]، وَالأَصل أَنَّ الاِسْتِعَانَةَ مُقَدَّمَة عَلَى العِبَادَةِ؛ لأَنَّ العَبدَ يَستَعِينُ اللهَ عَلَى العِبَادَةِ وَمِنهُ يَكُونُ العَونُ عَليهَا، والاِسْتِعَانَة هِيَ ثَمرةُ العِبَادَةِ.

فَالعِبَادَةُ لا تَكُون إِلا لِلهِ وَحدَهُ فَهُو المُختَص بِالعِبَادَةِ، وَالاِستِعَانَة وهِي طلب العونِ مِنَ اللهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وَقَد ذَكَرَ كُلا مِنَ العِبَادَةِ وَالاِسْتِعَانَة بِصِيغَةِ الفِعلِ دُونَ وُجُودِ مَفعُولٍ بِهِ، وَهَذَا لأَغرَاضٍ مِنهَا: لِيَتَنَاوَلَ كُل مَعبُودٍ مَهمَا كَان، وَكُل مُستَعَانٍ مَهمَا عَظُمَ.

وَكَرَّرَ اللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى﴿إِيَّاكَ﴾ وَالتي جَاءَت تَوكِيدًا لأَنَّهُ" لَوْ حَذَفَهُ فِي الثَّانِي لفَاتَت فَائِدَةُ التَّقدِيمِ وَهِيَ قَطعُ الاِشتِرَاكِ بَينَ العَامِلِينَ إِذْ لَو قَالَ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ نَسْتَعِينُ﴾ لَم يَظهَر أَنَّ التَّقدِير إِيَّاكَ نَعبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ أَو إِيَّاكَ نَعْبُدُ ونَسْتَعِينُكَ، وَإِنَّهُ لَم يَقُل نَسْتَعِينُكَ مَعَ أَنَّهُ مُفِيدٌ لِقَطْعِ الاِشْتِرَاكِ بَينَ العَامِلِينَ وذَلِكَ لِكَي يُفِيدَ الحَصْرَ بَيْنَ العَامِلِينَ"[2].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبٓ فِيهِ هُدىً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:2]

تَقْدِيم ﴿رَيْبٓ﴾ على الجَار والمَجرُور، قَالَ محيي الدين الدرويش" لأَنَّهُ أَوْلَى بِالذِّكرِ اِستِعدَادًا لِصُورَتِهِ حَتَّى تَتَجَسَّد أَمَام السَّامِع"[3]، وتَقْدِيم ﴿رَيْبٓ﴾ عَلَى الجَار والمَجرُورِ؛ لأَنَّهُ أَولَى بِالذِّكرِ، فَإِذَا كَانَ القَولُ ﴿لَا رَيْبٓ فِيهِ﴾ يُبْعِدُنَا عَنِ المَعنَى المُرَادِ وَالمَقصُود اِسْتِفَاؤُهُ مِنَ الآيَةِ،

---

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القرآنِ الكَرِيمِ وبيانُهُ، ج1، ص31.

[2] . مَحمُود صَافِي، الجَدْوَلُ فِي إِعْرابِ القُرآنِ وَصَرفِهِ وبيَانه مَع فَوائِد نَحْويَّة هَامَّة، ط3. بيرُوت:1995، مؤسَّسةُ الإيمَان، ج1، ص27.

[3] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القرآنِ الكَرِيمِ وبيانُهُ، ج1، ص40

وَتَقْدِيمُ ﴿رَيْبٌ﴾ للدلالَةِ عَلَى أَنَّ هَذَا الكِتَاب لا رَيبَ فِيهِ ولَا شَكَّ، فَهُو بِخِلافِ غَيرِهِ مِنَ الكُتُبِ.

وأمَّا كلِمةُ ﴿هُدىً﴾ والتي جَاءَت مَصدرًا وَ"وضْعُ المَصدرِ ﴿هُدىً﴾ مَوضِعَ الوصفِ المُشتقِّ الذِي هُو هَاد، وذَلِكَ أوغَل فِي التعبِيرِ عن ديمُومَتِهِ واستمرارِهِ"[1].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:142].

فِي هَذِهِ الآيَة تَقدِيم وَتَأخِير لَهُ تَأثِير فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي، قَالَ محيي الدِّين الدرويش" فَقَد قَدَّمَ ﴿شُهَدَآءَ﴾ عَلَى صِلَتِهِ وَهِي ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، وَأَخَّرَ ﴿شَهِيداً﴾ عَن صِلَتِهِ وَهِي ﴿عَلَيْكُمْ﴾ لأَنَّ المِنَّةَ عَلَيهِم فِي الجَانِبَينِ فَفِي الأَوَّل بِثُبُوتِ كَوْنِهِم شُهَدَاء، وَفِي الثَّانِي بِثُبُوتِ كَوْنِهِم مَشْهُودًا لَهُم بِالتَّزكِية، والمُقَدّم دَائِمًا هُو الأَهَم"[2]، وَالمُلاحَظُ فِي الآيَةِ أَنَّ القِلَّةَ تَشهَدُ عَلَى الكَثْرَة، فَالأُولَى فِي قولِهِ ﴿شُهَدَآءَ﴾ تَشْهَدُ أُمَّة محمَّد ﷺ عَلَى الأُمَمِ الأُخرَى، وَفِي الثَّانِيَةِ فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿شَهِيدًا﴾ يَشهَدُ الرَّسُول ﷺ عَلَى أُمَّتِهِ، وَفِي الحَالَتَينِ مِنَّة وَكَرم مِنَ اللهِ تَعَالَى عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّد ﷺ كَونهُم شُهَدَاءَ فِي الأُولَى، وَكَونُهُم مَشهُود عَليهِم مِن بَابِ التَّزكِيَةِ.

وَجَعَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ المِيزَة لأُمَّةِ المُصْطَفَى ﷺ أَنَّهَا أُمَّة وَسَطِيَّةٌ فِي كُلِّ شَيءٍ، فَلا غُلُوَّ كَغُلُوِّ النَّصَارَى وَاليَهُود، وَقَد جَاءَتِ الآيَة مُتَوَسِّطَةً سُورَةَ البَقَرَة وَالتي كَانَ رَقمُهَا(143)، وَعَدَد آيَاتِ سُورَة البقَرَة (286) ففِي ذلكَ دلالَة على وسطِيَّة القرآن الكريم بينَ الكُتُب التي سَبقتهُ، ووسَطيَةُ أمَّة النَّبي محمَّد ﷺ.

[1] . محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القرآنِ الكَرِيم وبيانُهُ، ج1، ص40.

[2]ـ المصدر نفسه، ج1، ص69.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِے سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا تَجْمَعُونَ ١٥٧ وَلَئِن مِّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران:158]

فِي هَذِهِ الآيَة ذُكِرَ ﴿القَتل﴾ مَرَّتَينِ وَذَكَرَ المَوتَ مَرَّتَين، وَقَدَّمَ ﴿القَتل﴾ عَلَى ﴿الموت﴾ فِي الأُولَى، وَقَدَّمَ ﴿الموت﴾ عَلَى ﴿القَتل﴾ فِي الثَّانِية، ودَلالاتُهُ فِي المَعنَى القُرآنِي تَتَجَلَّى حتَّى فِي الحُكْم الشَّرعِي، فَكُلُّ قَتلٍ مَوت وَلَيسَ كُلُّ مَوتٍ قَتل.

فَفِي الثَّانِية بَدَأَ بِالعَام عَلَى الخَاص، فالنَّاس كُلُّهُم يَمُوتُون، وَلَكِن القَلِيل مَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ.

ب ـ تَقدِيمُ الجَارِ والمَجرُور عَلَى الفِعلِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْارْضُ ٱلْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَاكُلُونَ﴾ [يس:33].

فَي الآيةِ القُرآنِيَّة تَقْدِيمُ الجَار وَالمَجرُور عَلَى الفِعلِ فِي هَذِهِ الآيَةِ لَهُ دَلالاتُهُ فِي المَعنَى القُرآنِي، فَهُو دَلِيل عَلَى أَنَّ عَيشَ الإنسَانِ مُتَعَلِّق بِالحبِّ مِمَّا تُنبِتُهُ الأَرضُ، فَإِذَا كَانَ القَحطُ وَقَعَ الضَّرَرُ فِي مَعَايِشِ النَّاسِ.

ـ يَقُولُ تعَالى ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية:26]

في الآيَةِ الكَرِيمَة جَاءَ تَقدِيمُ الجَار والمَجرُور والذي لَهُ دلالاتُهُ في توجيهِ المَعنى القرآني، والسِّرُّ فِيهِ:" التَّشدِيدُ بِالوَعِيدِ، وَأَنَّ إيَّابَهُم لَيسَ إلا عَلَى الجَبَّارِ المُقتَدِر عَلَى الاِنتِقَامِ، وأَنَّ حِسَابَهُم لَيسَ إلا عَلَيهِ، وَفِي العَطفِ بـ (ثُمَّ) للدلالَةِ عَلَى التَرَاخِي فِي الرُّتبَة لا فِي الزَّمَانِ أَي أَنَّه قَد يَكون مباشرة بَعد الإيابِ، ولكِن التفاوتَ بين المَوقِفَينِ أمر لا تَكتنه أهواله ولا يَدرِي أَحَد مداه ولا يتَصوره العقلُ على الإطلاقِ ولا يَخْفَى أنَّ الخَبَرَ جاءَ مُؤكدًا فَإن أَتَى طلبيًا كأنَّهُم، وقد تَرَدَّدُوا، بحاجَة إلى تأكيد هَذَا الأمر الذِي أشَاحُوا عنهُ ولم يتدبرُوهُ "[1]، فَالذِي لَهُ الحَقّ فِي الحِسَابِ دُونَ غَيرِهِ هُو اللهُ تَعَالَى، لِهَذَا يَقُولُ تَعَالَى﴿ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّے لَوْ تَشْعُرُونَ ١١٣ وَمَآ أَنَا بِطَارِدِ ٱلْمُومِنِينَ ﴾ [الشُّعَرَاء:113]

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وبَيَانُهُ، ج8، ص298.

4 ـ التَّقدِيمُ والتَّأخِيرُ وعلاقتُهُ بِالسِّياقِ القُرآنِي.

إنَّ التَّقدِيمَ وَالتَّأخِيرَ لا يَشمَلُ اللَّفظَ فَقَط مِن تَقْدِيمِ الخَبَرِ عَلَى المُبتَدإِ، أَو تَقدِيم المَفعُول بِهِ عَلَى فِعلِهِ، أَو تَقدِيم الحَال عَلَى فَاعِلِهِ وَغَيرِهَا.

فَالتَّقدِيم والتَّأخِير فِي القُرآنِ الكَرِيمِ لَهُ علاقَة بِالسِّيَاقِ، فَكُلُّ لَفظَةٍ فِي القُرآنِ تَستَدعِي أُختهَا لِتَرتَبِطَ بِهَا لِيَتشَكَّلَ الفَهم المُرَاد، وَهَذا النَّوع مِنَ التَّقدِيم قَد دَرَسَهُ المُتقَدِّمُونَ مِنَ العُلمَاءِ كَالزَّركِشِي والسُّيُوطِي، وَقَد ذَكَرَهُ السُّيُوطِي تَحتَ عنوَان (مَا قُدِّمَ والمَعنَى عَلَيهِ)، ومحيي الدين الدرويش لَم يَذكُر هذا التقدِيم مُباشرَة، وَمِن هَذِهِ الأَغرَاض التي يَكُونُ فِيهَا التَّقدِيم وَالتَّأخِير نَجِدُ:

4 ـ 1 ـ التَّقدِيمُ لِلأَهَمِّيَّةِ والقِيمَة والأثر.

ـ يقُولُ تَعَالَى ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النُّور16]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة وَرَدَ تَقدِيم وتَأخِير فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم﴾ فَقَد قَدَّمَ الظَّرف لِفَائِدَةٍ مَرجُوَّة مِن هَذَا التَّقدِيم وذَلِكَ" بَيَان أَنَّهُ مِنَ الوَاجِبِ أَن يَتَفَادوا أَوَّلَ مَا سَمِعُوا بِالإِفكِ عَنِ التَّكَلُّم بِهِ، فَلَمَّا كَانَ ذِكرُ الوَقتِ أَهَمُّ وَجَبَ التَّقْدِيم"[1]، فَالسَّمَاع إذَا كَانَ يَخلُو مِن المُشَاهَدةِ لا يُعَدُّ حُجَّةً فِي الحُكمِ عَلَى النَّاسِ، وَبِخَاصَّةٍ مَا تَعَلَّقَ بِالأَعرَاضِ وَالأَشخَاصِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسِىٰ ﴾ [طه:70]

فِي الآيَةِ قُدِّمَ هَارُون عَلَى مُوسَى ـ عليهمَا السَّلام ـ، وَلَكِنَّ ـ مُوسَى ـ عليه السلام ـ أَحَقُّ بِالتَّقدِيمِ، وجَاءَ هَذَا التَّقدِيم بِغَرَضِ تَأدِيَةِ مَعنَى وَتَوصِيلِهِ، وَمِن عَادَةِ العَرَبِ أَنَّهَا إِذَا أَخبَرَت عَن مُخبرٍ أَنَّهَا تُقَدِّمُ الأَهَمِّ فَالأَهَم، وَجَاءَ العَطفُ بِالوَاوِ حتَّى نَعْلَمَ أَنَّ هَارُونَ ـ عليْهِ السَّلام ـ مُشْتَرِك فِي الرِّسَالَةِ مَعَ مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القرآنِ الكَرِيمِ وبيانُهُ، ج5، ص259.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [التغَابُن:12].

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة جَاءَ تَقدِيمُ طَاعَة اللهِ عَلَى طَاعَةِ الرَّسُولِ لأَهَمِّيَتِهَا وَهِيَ الأَصلُ والأَولَى بِالتَّقْدِيمِ، كَمَا أَنَّ طَاعَةَ الرَّسُولِ ﷺ لا تَستَقِيم دُونَ طَاعَةِ اللهِ، وَقَد رُوِيَ عن ابن عَبَّاس ـ رضِيَ الله عَنهُمَا ـ كَمَا جاءَ في الأثَرِ أنَّ هُنَاكَ ثَلاثُ آياتٍ مَقرُونَاتٍ بثَلاثٍ لا تُقبَلُ واحِدَةٌ بغَيرِ قَرِينَتِهَا:

ـ مَن أَطَاعَ اللهَ ولَم يُطِعِ الرَّسُولَ لَم يُقبل منه، وَهي قولهُ تَعَالى ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ [التغَابُن:12].

ـ مَن أَقَامَ الصَّلاةَ ولَم يُؤتِ الزَّكَاة لَمْ يُقبَل مِنهُ، وهِيَ قولهُ تعالَى﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [المزّمّل:18].

ـ مَن شَكَرَ اللهَ وَلَم يَشكُر لِوَالِديهِ لم يُقبل مِنهُ، وَهِيَ قولهُ تَعَالَى﴿ أَنُ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لُقمَان:14]

4 ـ 2 ـ التَّقدِيمُ للتَفضِيلِ والتَّشرِيف والمَكَانَة.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ وَإِذَ اَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقاً غَلِيظاً ﴾ [الأحزاب:7]

في الآيةِ الكَريمَة جَاءَ تَفضِيلُ هؤلاءِ الأنبِيَاء عَلَى غَيْرِهِم؛ لأَنَّهُم أَفْضَل الأَنبِيَاءِ وهُم أُولُوا العَزمِ وَهُم: مُحَمَّد ونُوح وإبرَاهِيم وَمُوسَى وعِيسَى، ومِصْدَاقُ ذَلِكَ قول اللهِ تَعَالَى﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنَ اٰمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة:251]

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿أَمَنْ هُوَ قَٰنِتٌ اٰنَآءَ ٱلَيْلِ سَاجِداً وَقَآئِماً يَحْذَرُ ٱلَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِے ٱلذِينَ يَعْلَمُونَ وَالذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلَالْبَٰبِ﴾ [الزمَر:10]

في الآية ذكر الذِينَ يَعلَمُونَ وَهُم أَهلُ العِلمِ ثُمَّ ذَكَرَ الذِينَ لا يَعلَمُونَ، وذَكَرَ العِلمَ تَشرِيفًا وتَفضِيلا لَهُ عَلَى الجَهلِ فقدَّمَهُ عَلَيهِ، كَمَا أنَّ مَكَانَة أهل العِلم أعلَى مكانةً مِن أهلِ الجَهْلِ.

وفِي دلالةِ الآيَة قَالَ محيي الدِّين الدرويش" والذِين لا يَعلَمُون: عطفٌ على الذينَ يعلمُون، وفي هذهِ الآيَة تنزيلُ المُتعدِّي منزلةَ القَاصر، ولا يُقَدَّر المَفْعُول في قوله يَعلَمُون؛ لأنَّ المقدَّر كالمَوجُود، أي: هَل يستوِي من ثَبَتت لهُ حقيقة العِلمِ وَمَن لَم تثْبُت لهُ، والاستِفهَام إنكَارِي، أي: لا يستويَانِ؛ لأنَّ المقصُود بيان ثبُوت الفعلِ للفاعلِ لا بيانَ وقُوعهِ على المفعُول وإيضَاح الفرْق بَيْن المنزل وغيرِه: أنَّ قولكَ: فُلانٌ يُعطِي لبيَان كَونه مُعطيًا، فيكُون كَلامًا مَعَ مَن جهلَ أَصْلَ الإعطاءِ، وقَولكَ: فلانٌ يُعطِي الدنانِير لبيَانِ جِنس مَا يَتناوله الإعطَاء لا لبيَان كَونه معطيًا ويكُون كلامًا مع من ثبت له أصلُ الإعطاءِ، لا مع جُهل إعطاؤهُ"[1].

ـ يَقُولُ تَعالَى ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصَّافَّات:47].

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة وَصف لِخَمرِ أَهلِ الجَنَّة، فخمر أَهْل الجَنَّة تَخْتَلِفُ عَن خَمرِ أَهلِ الدُّنيَا، قَالَ محيي الدِّين الدرويش" فَقَد جَمَعَت هَاتَانِ الكَلِمَتَانِ جَمِيع عُيُوب خَمر أَهل الدنيَا التي حُرِّمَت بِسَبَبِهَا مِن مغصٍ أو صُدَاعٍ أَو خمَار أَو عَربدَةٍ أَو لَغوٍ أو تَأثِيمٍ أو غَير ذَلِكَ"[2].

فَتَقدِيمُ الجَار والمَجرُور فِي قَولِهِ ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى نَفي الغَولِ عَن خَمرِ الجَنَّة وَفِي المُقَابِل إِثْبَاتُهُ لِخَمرِ الدنيَا، فَمِيزَةُ خَمرِ الدنيَا أَنَّهَا تُفسِدُ العُقُولَ وَتُسكِرُ صَاحِبَهَا، وأَمَّا خَمر الجَنَّةِ فَمُنزَّهَةٌ عَن هَذِهِ المِيزَة.

4 ـ 3 ـ التَّقدِيمُ بِسبَبِ العِنَايَةِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ اَمَّا اَلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِے اِلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنَ اَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَاخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً ﴾ [الكهف: 78]

[1] . محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وبَيَانُهُ، ج6، ص497.

[2] . المصدر نفسه، ج6، ص386.

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة وردَ تَقدِيم وَتَأخِير، ويَظْهَر هَذَا مِن ظَاهِرِ الآيَة فَيَقْتَضِي تَأخِير﴿ فَأَرَدتُّ أَنَ اَعِيبَهَا ﴾ عَن قولِهِ ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَاخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباًۖ﴾ قَالَ محيي الدين الدرويش" لأَنَّ إِرَادَةَ العَيب مُسَبِّبَة عَن خَوفِ الغَصبِ عَلَيهِ فَكَانَ حَقُّهُ أَن يَتَأَخَّرَ عَن السَّبَبِ، وَالجَوَاب عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ سُبحَانَهُ قَدَّمَ المُسَبِّب عَلَى السَّبَبِ للعِنَايَةِ بِهِ، وَلأَنَّ خَوف الغَصب لَيْسَ هُو السَّبَب وَحدَهُ، ولَكِن مَعَ كَوْنِهَا للمسَاكِين"[1] فلإظهَار الأمر أو العنايَة بهِ يكُون التقدِيم والتأْخِير.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿اَرَءَيْتَ مَنِ إِتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوٰيهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاًۖ﴾ [الفرقان:43]

فِي الآيَةِ الكَرِيمَة جَاءَ تَقدِيمُ المَفعُول الثَّانِي وَهَذَا لِلعِنَايَة بِهِ وَالاِهتِمَام، وَتَقدِير الكَلام: اِتَّخَذَ الهَوَى إِلَهًا، وَهَذَا كَقَولِكَ: ظَنَنتُ مُنطَلَقًا زَيدًا؛ إِذَا كَانَت عِنَايَتُكَ بِالمُنطَلَقِ"[2].

وَيَرَى بَعضُ العُلَمَاءِ أَنَّهُ لا تَقدِيم وَلَا تَأخِير فِي الآيَةِ والعِلَّة فِي ذَلِكَ اِستِوَائِهِمَا فِي التَّعرِيفِ ولَكِن عِلَّة مَحيي الدين الدروِيش أَنَّ هَؤلاءِ العُلَمَاء غَابَ عَنهُم كَونُ المَفعُول الثَّانِي هُو المُتَلَبّس بِالحَالَة الحَادِثَة، وَمِنهُ التقدِير يَكُون: أَرَأَيت مَن جَعَلَ هَوَاه إِلهًا لِنَفسِهِ.

4 ـ 4 ـ التَّقدِيمُ للسَّبقِ في الوجُودِ وغيره.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ وَهُوَ اَلذِےٓ أَرْسَلَ اَلرِّيَٰحَ نُشُراَۢ بَيْنَ يَدَےْ رَحْمَتِهِۦٓۖ وَأَنزَلْنَا مِنَ اَلسَّمَآءِ مَآءً طَهُوراًۖ﴾ [الفرقان:48].

فِي الآيَةِ الكريمة قَدَّمَ اللهُ تَعَالَى" حَيَاةَ الأَرضِ وَإِسقَاءَ الأنعَامِ عَلَى إِسقَاءِ النَّاسِ، وإِن كَانُوا أَشْرَفَ مَحَلا؛ لأَنَّ حَيَاةَ الأَرض هِي سَبَبٌ لِحَيَاةِ الأنعَامِ والنَّاسِ، فَلَمَّا كَانَت بِهَذِهِ المَثَابَة جُعِلَت مُقَدَّمَةً فِي الذِّكرِ، وَلَمَّا كَانَتِ الأنعَام مِن أَسبَابِ التعَيُّش والحَيَاة للنَّاس قَدَّمَهَا فِي الذِّكْرِ عَلَى النَّاسِ؛ لأَنَّ حَيَاةَ النَّاسِ بِحَيَاةِ أَرضِهِم وأنعَامِهِم، فَقَد قَدَّمَ سقيَ مَا هُو سَبَبُ نَمَائِهِم

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وبَيَانُهُ، ج4، ص536.

[2] . المصدر نفسه، ج5، ص358.

وَمَعَاشِهِم عَلَى سَقْيِهِم"[1] فَالتقدِيم جَاء هُنَا ليرسم لنَا سِلسلة التعَايش مِن نزُول المَاء من السَّماء إلى الأرض إلى الأنعَام إلى الإنسَان فَهِي مُرَتَّبة فهي دورةُ حياةٍ مُرتَّبَة.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿هُوَ ٱلذِے خَلَقَ لَكُم مَّا فِے ٱلَارْضِ جَمِيعاً ثُمَّ ٱسْتَوىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوّيٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَےْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:28]

فَاللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الأَرْضَ ثُمَّ بَعدَهَا خَلَقَ السَّمَاوَات، فَالأَرض لَهَا السَّبقُ فِي الوُجُودِ عَنِ السَّمَاءِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ وَمَا تَكُونُ فِے شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِے ٱلَارْضِ وَلَا فِے ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِے كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس:61]

فِي الآيَةِ تَقدِيمُ الأَرضِ فِي الذِّكرِ عَلَى السَّمَاءِ، مَعَ أَنَّ الأَرضَ جُزء مِنَ السَّمَاءِ وَمَا فِيهَا مِن نَجُوم وَمَا يُسَبِّحُ فِيهَا مِن أَجرَامٍ وغَيرهَا، ولَكِن قَدَّمَ الأَرض عَلَى السَّمَاءِ، لأَنَّهُ كَانَ يَتَحَدَّث عَن الأَرض وَأَهلهَا ومَا فِيهَا مِن مَعَايِش، وَتَحَدَّثَ عَن أَحوَالِ أَهل الأَرض وأعمَالِهِم، وَمَا يَنبَغِي أَن يَكُونُوا عَلَيهِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ قُل لِّلْمُومِنِينَ يَغُضُّواْ مِنَ اَبْصٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكىٰ لَهُمْ إِنَّ اَللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النُّور:30]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة جَاءَ تَقدِيمُ غَضِّ البَصَر عَلَى حِفظِ الفَرَج، ولِهَذَا التَّقدِيم أَسبَابُهُ، فَالبَصَرُ كَمَا يَقُولُ العُلَمَاءُ هُو بَرِيدُ الزِّنا، وَقَد تَكَلَّمَ الكَثِير مِنَ الشُّعَرَاءِ عَنِ النَّظَرِ وَرَسَائِلِهِ مِنهُم: ابن زَيدُون، وابن الرُّومِي وَغَيرهُم.

والبصَرُ أظهَرُ وأوسَعُ بخلافِ الفَرَج قَالَ محيي الدِّين الدرويش" مِن الأسرَارِ التي تدقُّ على الأفهامِ دخُول مِن الجَارَّةِ على غَضِّ الأبصَار دُونَ الفُرُوج فِي قوله تَعَالَى﴿ قُل لِّلْمُومِنِينَ يَغُضُّواْ مِنَ اَبْصٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾ والسِّرُّ فِي ذلكَ أنَّ أمرَ النَّظرِ واسِعٌ، لا يَني يسرَحُ

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وبَيَانُهُ ، ج5، ص363.

فِي مراتِعِ الجَمَالِ، ومَوَاطنِ الفِتنةِ، قَال الزَّمَخشَرِي بهَذا الصَّددِ: أَلا تَرَى أنَّ المَحارِم لا بَأسَ بالنَّظرِ إلى شعُورهنَّ، وصُدورهنَّ، وثديهنَّ، وأعضَادهن، وسُوقهنَّ، وأقدامِهنَّ، وكذلكَ الجَوارِي المُستعرضَات للبيعِ، وأمَّا أمرَ الفُروجِ فمضيّق"[1].

ـ يَقُولُ تَعَالى ﴿ فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِۖ﴾ [الشُّعَراء: 126].

وَرَدَ فِي الآيَةِ تَقدِيمُ أَمر التَّقوَى عَلَى الطَّاعَةِ مَعَ أَنَّ التَّقوى تَكُون نَتِيجَة الطَّاعَةِ، قال محيي الدين الدروِيش" قَدَّمَ الأمرَ بتَقوَى اللهِ علَى الأمر بِطَاعَتِهِ؛ لأنَّ تقوَى اللهِ عِلَّة لطَاعَتِهِ"[2] فَكَثْرَةُ الطاعَة ينتُجُ عَنهَا التقوَى، فكلّما كَان المُؤمن تقيًا كان أكثرَ وأحرصَ لفِعْلِ الطَّاعَةِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْۖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ [الحجرات: 7]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة جَاءَ تَقدِيمُ خَبَر إنَّ عَلَى اِسمِهَا فِي قوله ﴿وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ وَالغَرَض مِن هَذَا التَّقدِيم وَالقَصد مِنهُ؛ تَوبِيخُ بَعض المُؤمِنِين اِستِهجَانًا لبعضِ الأَعمَالِ التي قَامُوا بِهَا وكَذَلِكَ" التَّشَدُّدُ عَلَى بَعضِ المُؤمِنِينَ؛ لِتَحَاشِي مَا اِسْتَهجَنَهُ اللهُ مِن مُحَاوَلَتِهِم اِتِّبَاعُ رَأي رَسُول الله ـ صلى الله عليهِ وسلَّم ـ لآرَائِهِم"[3] فَالتَّعبِير القرآنِي جَاء معبِّرًا عَن أمرٍ أرادَ تَبْيِينهُ للنَّاسِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞۖ ﴾ [التغابن:1]

---

[1] . محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وبَيَانُهُ، ج5، ص 270.

[2] . المصدر نفسه، ج5، ص428.

[3] ـ المصدر نفسه، ج7، ص249.

فِي الآيَةِ القرآنية وردَ الخَبَر مقدمًا عَلَى المُبْتَدإ فِي قوله ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ وَالغَرض مِن هَذَا التَّقدِيم هُو تَبْيِيّن أَن هَذِهِ الصِّفَات خَاصَّة بِاللهِ تَعَالَى، قال محيي الدين الدرويش" فقَد قدَّم الخبَر فيهمَا؛ للدلالةِ على اختصَاصِ الأمرينِ بِهِ"[1].

وهَذَا التَّقدِيم يَدُلُّ عَلَى اِختِصاصِ المُلك والحَمد بِاللهِ تَعَالَى" حيثُ قدَّم الظَّرفَان، لِيدُلَّ بتقديمِهما على معنَى اختصاص المُلك والحَمد باللهِ عزَّوجل، وذلكَ لأَنَّ المُلكَ عَلَى الحقيقَةِ لَهُ لأنَّهُ مبدئُ كُل شيء ومبدعه، والقائِم به والمُهَيمن عليهِ، وكَذِلكَ الحَمدُ، لأَنَّ أصُولَ النِّعم وفروعهَا مِنهُ، وأمَّا ملك غيره فتسلِيط منهُ واسترعَاء، وحمده اعتِدَاد بأنَّ نعمةَ اللهِ جرَت على يَدِهِ"[2].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ اِللَّهُ يَصْطَفِے مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌۖ﴾ [الحج:73]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة تَقدِيمُ المَلائِكَةِ عَلَى النَّاسِ لأَنَّ؛ المَلائِكَةَ أسْبَقُ فِي الوُجُودِ مِن النَّاسِ؛ لأنَّ اللهَ سُبحانهُ وتعَالى لمَّا خلقَ آدمَ بيَدِهِ أَمَرَ المَلائكَة بالسُّجودِ لَهُ، وقَد صوَّر القُرآن الكَريم الحِوَار الذِي جرَى بين الله تعَالى وملائكَته.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَۚ ﴾ [الأَعْرَاف:24]

فِي الآيَةِ الكَرِيمَة تَقدِيم الحَيَاةِ عَلَى المَوتِ، لأَنَّ الحَيَاةَ أَسبَقُ، تَكُونُ الحَيَاةُ ثُمَّ المَوتُ هَكَذا يكُونُ التَّرتِيبُ، وَفِي نَفسِ المَعنَى قوله تَعَالَى﴿ قُلِ اِنَّ صَلَاتِے وَنُسُكِے وَمَحْيَاےْ وَمَمَاتِيَ لِلهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعَام:164]

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿هُوَ ٱلذِے يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ [الرَّعْدُ:12] فِي الآيَةِ القرآنية ورد تقديمُ الأولى فِي السَّبقِ والذِّكرِ فقَدَّم الخَوف على الطَّمَعِ، قَالَ محيي الدِّين الدرويش:" وهَذَا الأَمر هُو تَقدِيمُ مَا هُو أَولَى بِالذِّكرِ، وأَجدرُ بِالتَّقدِيمِ، وَفِي الآيةِ قدَّمَ الخَوف على الطَّمعِ إذ كَانَت الصَّواعِق يَجُوزُ وُقُوعهَا مِن أَوَّلِ برقة، ولا يَحصُل المطرُ إلا بَعدَ تَوَاتُرِ

[1] . محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وبَيَانُهُ، ج7، ص534.

[2] . مَحمُود صَافِي، الجَدْوَلُ فِي إعرابِ القُرآنِ وَصَرفِهِ وبيَانه مَع فَوائِد نَحْويَّة هَامَّة، ط3. بيرُوت:1995، مؤسَّسةُ الإيمَان، ج14، ص263.

الإبرَاقِ؛ لأَنَّ تَوَاترهُ لا يكَاد يخلفُ، ولِهَذَا كانتِ العَربُ تَعدُّ سَبعِينَ برقَةً وتَتتَجِعُ فَلا تُخطِيءُ الغَيْثَ والكَلأُ"[1].

ثانيا ـ الذِّكرُ وَالحَذفُ ودَلالاتُهُ فِي تَوجِيهِ المَعنى القُرآنِي.

وَصَفَهُ عَبدُ القَاهِر الجُرجَانِي بِقَولِهِ:" هُو ملحَظ نحوِي دَقِيقُ المَسلَكِ لَهُ سِمَاتُهُ المُتَفَرِّدَة التي تَجْعَلُهُ شَبِيهًا بِالسِّحرِ"[2]، لِهَذَا فَهُو مِن مَبَاحِثِ النَّحو التي اِكتَشَفَهَا أَهلُ البَلاغَةِ، فَالنُّحاةُ هُم الأَوَائِل الذِينَ طَرَقُوا بَابَ الذِّكرِ وَالحَذفِ، وَمِن هُنَا بَدَأَ البَحثُ فِي التَّوجِيهِ الدلالِي للذِّكرِ والحَذفِ وَدَلالاتُهُ الأُسلُوبِيَّة وَالفَنِّيَّة والتَّوجِيهِيَّة، فَقَد كَانَت" عِنَايَتُهُم الفَائِقَة بِدِرَاسَةِ الكَلامِ العَرَبِي وَالوُقُوف عَلَى أَسَالِيبِ التَّعبِيرِ بِهِ، وَالبَحث فِيمَا يُعرَضُ لَهَا عَن تَعرِيفٍ وَتَنكِيرٍ، وتَقدِيمٍ وتَأخِيرٍ، وإِضمَارٍ وإظهَارٍ، وِفقَ مَا تَقتضِيهِ مَعَانِي الكَلام وَظُرُوف القَول ومُنَاسَبَاتِهِ"[3]، فَالذِّكر والحَذف مِنَ الظَّوَاهِرِ اللغَوِيَّة التي يُسْتَعَانُ بِهَا عَلَى كَشفِ مَكنُونَاتِ القُرآنِ الكَرِيمِ ومَعَانِيهِ وَتَوجِيهَات الألفَاظ للمَعَانِي.

1 ـ الذِّكرُ وَدَلالاتُهُ فِي التَّوجِيهِ القرآني.

1 ـ 1 ـ الذِّكرُ اصطلاحا: هُو "وُجُود كَلِمَة عَلَى جِهَةِ التَّذكِير بِالمَعْنَى"[4].

1 ـ 2 ـ الذِّكر وتَوجِيه المَعنى القُرآنِي عِندَ محيي الدِّين الدرويش.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴾ [الأنبيَاء: 21]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة ذَكَرَ الضَّمِير ﴿هُمْ﴾ وَكَانَ يُمكِنُ أَن يَقتَصِرَ عَلَى ﴿ يُنشِرُونَ﴾ لَكِن ذِكرهَا لَهُ دَلالَة فِي تَوجِيهِ مَعنَى الآيَة، وَفِي هَذِهِ الآيَة ذكر الضَّمِير لَهُ دَلالاتُهُ مِنهَا" الخُصُوصِيَّة أَوَّلا، كَأَنَّهُم قَالُوا: لَيسَ هُنَا مَن يَقدِر عَلَى الإنشَارِ غيرهُم، **وثَانِيًا:** لِتَسجِيلِ إِلزَامِهِم ادِّعَاء

---

[1] . محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وبَيَانُهُ، ج4، ص79.

[2] . عبد القَاهر الجُرجَاني، دلائِلُ الإعجَازِ، ص146.

[3] . ابن جني، الخصائص، ج2، ص360.

[4] . عقيد خالِد حمُّودِي محيي الدين العزَّاوِي، النَّظْم القُرآنِي فِي تَفْسِيرِ الدرِّ المَصُون في علُومِ الكتَابِ المَكْنُونِ، ط1. دمشق: 2012، دار العَصْمَاء، ص63.

صِفَاتِ الأُلُوهِيَّة لآلِهَتِهِم، وَهَذَا الادِّعَاء قَد أَبطَلَهُ اللهُ فِي الآيَةِ التالِية لِهَذِهِ الآيَة، بِدَلِيلِ التمَانُع المُعْتَرَف مِن بَحر هَذِهِ الآيَة، وَهِيَ: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ اِلَّا اَللَّهُ لَفَسَدَتَاۖ ﴾"[1].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاًۖ﴾ [الأحزاب:42]

فِي الآيةِ القُرآنِيَّة فَقَد خَصَّ بِالذِّكرِ البُكرَة والأَصِيل لِتَبيِيّنِ فَضلهما دُونَ أَجزَاءِ النَّهَارِ الأُخرَى، فَذَكَرَ التَّسبِيحَ فِي البُكرَةِ والأَصِيل، والغَرَض مِنهُ حَتَّى يَكُونَ التَّسبِيحُ فِي بِدَايَةِ النَّهَارِ وَآخِره، فَيَكُونُ شَامِلا لِيَومِ الإنسَانِ حَيثُ يَبدَأ يَومَهُ بِالتَّسبِيحِ وَيُنهِيهِ بِالتَّسبِيحِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ فَإِنَّ مَعَ اَلْعُسْرِ يُسْراً ٥ اِنَّ مَعَ اَلْعُسْرِ يُسْراۖ﴾ [الشَّرح:5-6]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة ذَكَر اللهُ تَعَالَى العُسرَ مَرَّتَينِ وَذَكَرَ اليُسرَ مَرَّتَينِ، الفرق بَينَ الكَلِمَتَينِ أَنَّ كَلِمَةَ ﴿اَلْعُسْرِ﴾ جَاءَت مَعرِفَة وَأَمَّا كَلِمَةُ ﴿يُسْراً﴾ جَاءَت نَكِرَةً، وَالدلالَةُ النَّحوِيَّة لِهَذَا الذِّكرِ أَنَّ الكَلِمَةَ إِذَا جَاءَت مَعرِفَةً ثُمَّ أُعِيدَ ذِكرُهَا فَإِنَّهَا تُعَدُّ مَرَّة واحِدَة، وَأَمَّا الكَلِمَةُ إِذَا جَاءَت نَكِرَةً وأُعِيدَ ذِكرُهَا فَإِنَّهَا تُعَدُّ مَرَّتَينِ أَي: تَتَعَدَّدُ، فَالعُسر جَاءَ مُعَرَّفًا، وأَمَّا كَلِمَةُ اليُسرِ فَجَاءَت نَكِرَةً؛ فَالعُسرُ وَاحِد وَاليُسرُ مُتَعَدِّدٌ؛ لِهَذَا وَرَدَ فِي الأَثَرِ(لَن يَغلِبَ عُسْرٌ يُسرَينِ)[2].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ اِهْدِنَا اَلصِّرَٰطَ اَلْمُسْتَقِيمَ ٥ صِرَٰطَ اَلذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ٦ غَيْرِ اَلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا اَلضَّآلِّينَۖ﴾ [الفَاتِحَة:5 -7]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة جَاءَ ذكر ﴿اَلصِّرَٰطَ﴾ مَرَّتَينِ الأُولَى مَعرِفَة والثَّانِيَة نَكِرَة، لَكِنَّ اللَّفْظَينِ مُخْتَلِفَينِ فِي المَعنَى، فَجَاءَ ذِكرُ ﴿اَلصِّرَٰطَ﴾ الأُولَى مَعرِفَةً وَجَاءَت صِفَتُهُ أَنَّهُ مُسْتَقِيم، أَمَّا الثَّانِية ﴿صِرَٰطَ﴾ فَجَاءَت نَكِرَة دُونَ صِفَةٍ، فَالصِّرَاط الأُولَى هِيَ الطَّرِيقُ المَعلُومَة والمَنهَج القَوِيم الذِي رَسَمَهُ اللهُ تَعَالَى، وَهِيَ طَرِيق وَاحِدَة وَهِيَ طَرِيقُ الحَقِّ، أَمَّا الصِّرَاطُ الثَّانِيَة فَهِيَ الصِّرَاطُ البَعِيدَةُ عَنِ المَنهَجِ وَهِيَ الطَّرِيق التي سَلَكَهَا اليَهُودُ وَالنَّصَارَى وغيرهُم ممن ابتعدَ عَن سَواءِ السَّبِيلِ وَهِيَ طَرِيق مُتَعَدِّدَةُ الطُّرُقِ.

---

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وبَيَانُهُ، ج5، ص21.

[2] . أَخْرَجَهُ ابنُ أَبِي شَيْبَةَ، ج4، ص222، والحاكم رقم:3176، والبيهقي في الشُّعَبِ، البُرهَانُ فِي عُلُومِ القُرآن، الزَّركَشِي، ص977.

2 ـ الحَذفُ ودَلالاتُهُ فِي توجِيه المعنى القرآني

2 ـ 2 ـ الحَذفُ لُغَةً: " هُو إِسقَاطُ سَبَبٍ خَفِيفٍ"[1].

2 ـ 3 ـ الحَذفُ اِصطِلاحًا: عَرَّفَهُ الزَّركَشِي بِقوله:" إِسقَاطُ جُزءِ الكَلامِ أَو كُلِّه لِدَلِيل"[2].

إِنَّ الذِّكَرَ وَالحَذف مِن المَسَالِكِ البَلاغِيَّة الدَّقِيقَة كَمَا وَصَفَ الجُرجَانِي ذَلِكَ بِقَولِهِ فِي الحَذفِ:" وَهُو بَابٌ دَقِيقُ المَسْلَكِ، لَطِيفُ المَأخَذِ، عَجِيب الأَمرِ، شَبِيهٌ بِالسِّحرِ، فَإِنَّكَ تَرَى بِهِ تَركَ الذِّكرِ، أَفْصَحَ مِنَ الذِّكرِ، وَالصَّمْت عَنِ الإِفَادَةِ، أَزْيَد لِلإِفَادَةِ، وَتَجِدُكَ أَنطَقَ مَا تَكُون إِذَا لَم تَنطق، وأَتَمَّ مَا تَكُون بَيَانًا إِذَا لَم تُبن"[3]، وَلَكِن يُعَدُّ النحاة هُم أَوَّلُ مَن تَطَرَّقَ إِلَى هَذَا البَاب، فَسِيبَوَيهِ فِي كِتَابِهِ (الكِتَاب) تَطَرَّقَ إِلَى الذِّكرِ والحَذفِ مُبَيِّنًا أَنوَاعَهُ.

وَقَد ذَكَرَ محيي الدين الدرويش فَائِدَةَ الحَذفِ بِقَولِهِ:" وَفَائِدَتُهُ أَنَّ النَّفسَ تَذهَبُ فِي تَقدِيرِ المَحذُوف كُلَّ مَذهَبٍ، وَالخَيَال يَتَّسِعُ للتقدِيرِ"[4]، وَجَمَعَهَا الإِمَامُ الزَّركَشِي فِي مَجمُوعَة مِنَ العَنَاصِرِ وَهِيَ:

ـ التَّفخِيمُ والإِعظَام لِمَا فِيهِ مِن الإِبهَامِ، لِذَهَابِ الذِّهنِ فِي كُلِّ مَذهَبٍ وَتَشُوفهُ إِلَى مَا هُو المُرَاد، فَيَرجِعُ قَاصِرًا عَن إِدرَاكِهِ فَعِندَ ذَلِكَ يَعْظُمُ شَأْنُهُ، وَيَعلُو فِي النَّفسِ مَكَانهُ، أَلا تَرَى أَنَّ المَحذُوف إِذَا ظَهَرَ فِي اللَّفظِ زَالَ مَا كَانَ يَخْتَلِجُ فِي الوَهمِ مِنَ المُرَادِ وَخَلُصَ لِلمَذكُورِ.

ـ زِيَادَةُ لَذَّةٍ بِسَبَبِ اِسْتِنبَاطِ الذِّهْنِ لِلمَحذُوفِ، وكُلَّمَا كَانَ الشُّعُورُ بِالمَحذُوفِ أَعسَرُ كَانَ الاِلتِذَاذ بِهِ أَشَدُّ وَأَحسَن.

---

[1] ـ الشَّرِيفُ الجُرجَانِي، علي بن محمد السيّد الشَّرِيفُ الجُرجَانِي، مُعْجَمُ التَّعريفَات، ط1. بيروت: 1983، دار الكتب العلمية،

[2] ـ الزَّركشِي، بَدْر الدِّين محمد بن عبد الله الزَّركَشِي، البُرهَان في عُلُومِ القُرآن، تح: أَبُو الفضل الدميَاطِي، دط. القاهرة: 1427/2006هـ، دارَ الحَديثِ، ص685.

[3] ـ عبد القَاهر الجُرجَانِي، دَلائِل الإِعجَاز، اعتنى بِهِ: علي محمد زينُو، ط1. بيروت: 2005، مؤسَّسة الرِّسَالة ناشِرُون، ص120.

[4] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وبَيَانُهُ، ج2، ص349.

ـ زِيَادَةُ الأَجرِ بِسَبَبِ الاِجْتِهَاد فِي ذَلِكَ، بِخِلافِ غير المَحذُوفِ كَمَا تَقُولُ فِي العِلَّةِ المُسْتَنبَطَة والمَنصُوصَة.

ـ طَلَبُ الإِيجَازِ والاِختِصَار، وتَحصِيلُ المَعنَى الكَثِير فِي اللَّفظِ القَلِيلِ.

ـ التَّشجِيعُ عَلَى الكَلامِ، وَمِن ثَمَّ سَمَّاهُ ابنُ جِنِّي "شَجَاعَةُ العَرَبِيَّة"[1].

ـ مَوقِعُهُ فِي النَّفسِ فِي مَوقِعِهِ عَلَى الذِّكرِ[2]، وَلِهَذَا قَالَ عَبدُ القَاهِر الجُرجَانِي، مَا مِن اِسمٍ حُذِفَ فِي الحَالَةِ التي يَنبَغِي أَن يُحذَفَ فِيهَا إلا وَحَذفُهُ أَحسَن مِن ذِكرِهِ، وَللهِ دَرُّ القَائِلِ:

إِذَا نَطَقَت جَاءَت بِكُلِّ مَلِيحَةٍ وَإِن سَكَتَت جَاءَت بِكُلِّ مَلِيحِ[3]

الحَذف يَجمَعُ بَينَ النَّحو والبَلاغَةِ فَهُنَاكَ مِن عُلَمَاءِ اللغَةِ مَن يَعُدُّهُ مِنَ النَّحو، وَهُنَاكَ مَن يَعُدّهُ مِنَ المجازِ، مِنَ اللغَوِيِّينَ نَجِدُ سِيبَوَيه وابن عَطِيَّة يَعتَبِرَانِهِ مِنَ المَجَازِ، وَلَيسَ كُلُّ حَذفٍ مَجَاز، وَحَقِيقَة الأَمر يُعَدُّ الحَذفُ مِنَ العَنَاصِرِ المُشتَرَكَة بَينَ النَّحو وَالبَلاغَةِ.

3 ـ أَقسَامُ الحَذفِ مِنَ الوِجهَةِ البَلاغِيَّة:

إِنَّ مِن العلماءِ الذِين اهتمُّوا بِالحَذفِ مِن الوِجهَةِ البلاغِيَّة الإمام الزَّركَشِي، فَقَد جَعَلَ لَهُ أَقسَامًا والتي من ضِمنِهَا.

3 ـ 1 ـ الإِقتِطَاعُ مِنَ الكَلِمَةِ:

عَرَّفَهُ الزَّركَشِي بِقَولِهِ:" ذِكرُ حَرفٍ مِنَ الكَلِمَةِ وإِسقَاطُ البَاقِي"[4].

عَلَى هَذَا المِنوَالِ قَولُ لَبِيد بن رَبِيعَة العَامِرِي[5]:

دَرَسَ المَنَا بِمَتَالِعٍ فَأَبَانَ وتقَادَمَتْ بِالحبسِ فَالسُّوبَانِ

---

[1] ـ ابن جنّي، الخَصَائص، ج2، ص360.

[2] ـ الزَّركشِي، بدر الدِّين محمَّد بن عبد الله الزَّركشي، البُرهَان في علُومِ القُرآن، تح: أبي الفضْل الدمياطِي، دط. القاهرة: 1427/2006هـ، دار الحديث، ص687

[3] . ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دط. بيروت: دت، دار الكتب العلمية، ص67.

[4] ـ الزَّركشِي، بدر الدِّين مُحمَّد بن عبد الله الزَّركشِي، البُرهَانُ فِي علُوم القرآنِ، تح: أبي الفَضل الدميَاطِي، دط. القاهرة: 2006م/1427هـ، دَارُ الحَدِيث، ص696.

[5] ـ لبيد بن ربيعة العامري، ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دط. بيروت: دت، دار صادر ، ص206.

أَي المَنَا: المَنَازِل.

وَوُرُود هَذَا النَّوع فِي القُرآنِ الكَرِيمِ مِن عَدَمِهِ مُتَعَلِّقٌ بِرَأيِ عُلَمَاء اللغَةِ فِي ذَلِكَ، فَفِي هَذِهِ المَسأَلَة هُنَاكَ رَأيَانَ:

أ ـ هُنَاكَ مِنَ العُلَمَاءِ مَن يُنكِر وُجُودَه فِي القُرآنِ الكَرِيم وعَلى رَأسِهِم المُبَرِّد.

ب ـ وَهُنَاكَ مِنَ العُلمَاءِ مَن يُقِرُّ بِوُجُودِهِ فِي القُرآنِ الكَرِيم، يَشمَلُ فِي هَذَا فَوَاتِحِ السُّورِ، وَمِنَ الأَمثِلَةِ عَلَى ذَلِكَ: ﴿الٓمٓ﴾ رُوِي عَن ابن عبَّاس أَنَّ مَعنَاهَا" أَنَا اللهُ أَعلَمُ وَأَرَى"[1] ﴿الٓمٓصٓ﴾ أَنَا أَعْلَمُ وأُفَصِّلُ"[2].

يَرَى محيي الدين الدروِيش أنَّ الحُروف المقطَّعة التي وردَت في بدايَةِ السُّور والتي قَد ورَدَت في تسعٍ وعِشرِينَ سُورة؛ أنَّ هذِهِ الحُرُوف هِي أسمَاء للسُّورِ المبتدأ بهَا حَيثُ قَالَ" الحُرُوف التي ابتُدِئ بِهَا كثير مِن السُّورِ هِي على الأرجحِ أسمَاء للسُّورِ المُبتدَأ بهَا"[3]، كما أنَّهُ يَرَى أَنَّ هَذِهِ الحُرُوف هُنَاك حِكمَة مِن وَرَاءِهَا، وهُناكَ اتِّجَاهَانِ في هَذَا المَجَال:

أ ـ أنَّهَا من المُتشَابه بهِ الذِي نُفَوِّضُ الأَمرَ فِيهِ إلى اللهِ، ويَسَعُنَا فِي ذلِكَ مَا وَسِعَ صَحَابَة رسُول اللهِ ﷺ.

ب ـ أنَّهَا كَغَيرِهَا مِن الكَلامِ الوَارِدِ فِي القُرآن، فَيَجِبُ أن نَتَكلّمَ بهَا، ونسبر أغوارهَا، ونَكتته المعانِي المُندَرِجَة فِي مَطَاويهَا، عَمَلا بقوله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[4].

وعلَى هَذَا فإنَّ محيي الدين الدرويش مَع الرَّأي الثَّانِي وهُو الرَّاجِح عِندَهُ، ويَرَى أَنَّ هَذِهِ الحُرُوف مَعنَاهَا التحدِّي والإرهَاص للعَربِ، فهي بالحرُوف العربية وعلَى نَسَقِ أشعَارهِم.

---

[1] ـ البَغَوِي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، ج1، ص 58. وذكره ابن جَرِير، ج1، ص128.

[2] . الزَّركشِي، بدر الدِّين مُحمَّد بن عبد الله الزَّركشِي، البُرهَانُ فِي علُوم القرآنِ، تح: أبي الفَضل الدميَاطِي، دط. القاهرة: 2006م/1427هـ، دَارُ الحَدِيث، ص695.

[3] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وبيَانُهُ، ج1، ص36.

[4] ـ المصدر نفسه، ج1، ص37، بتصرّف.

وَفِي المُقَابِل هُنَاكَ نَوع آخَر مِنَ الحَذفِ الذِي يَكُونُ فِي الكَلِمَةِ الوَاحِدَة، بِحَيث تَكُون لَهُ دلالَة فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي، وَمِنَ الأَمثِلَةِ فِي هَذَا البَابِ قوله تَعَالَى﴿ فَمَا ٱسۡطَٰعُواْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾ [الكهف:93]، فَقَد جَاءَ حذف التَّاءِ فِي قولِهِ ﴿ ٱسۡطَٰعُواْ﴾ حَيثُ قال محيي الدين الدرويش" وأنَّ التاءَ حُذِفَت تَخفِيفًا، وفُتِحَت همزةُ الوَصلِ وقُطِعَت، وهُو قَول الفَرَّاءِ، وفي استطَاع لُغَات: اِسطَاع يَستطِيعُ بفتحِ الهَمزَة فِي المَاضِي وضَمّ حرف المُضَارعة، فهُو من أطَاع يُطِيع، وأَصلُهُ يطوع بقلبِ الفَتحَة مِنَ الوَاوِ إلَى الطاءِ فِي أَطوَع إعلالا لهُ حملا عَلَى المَاضِي، فصَار أطَاع، ثمَّ دخلَت السِّين كالعوض من عين الفعلِ، هذا مَذهَبُ سيبويه، واللغة الثَّانية: استطَاع يستطيعُ بِكَسر الهَمزةِ في المَاضِي، وَوَصلِهَا، وفتح حَرف المُضَارعة، وهو استفعَل، نحو: استقَام واستَعَان"[1].

3 ـ 2 ـ الضَّمِيرُ والتَّمثِيل: وَمَعنَاهُ:" أَن يُضمِرَ مِنَ القَولِ المُجَاوِر بِهِ لِبَيَانِ أَحَد جُزأَيهِ؛ كَقَولِ الفَقِيهِ: النَّبِيذ مُسكِر فَهُو حَرَام، فَإِنَّهُ أَضمَرَ" وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَام"[2]، ويَكُونُ فِي القِيَاس الاِستِثْنَائِي كَقَولِهِ: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَۖ ﴾ [الأَنبِيَاء:22]، وأَهل الكَلام هَذَا مَذهَبُهُم فِي إقَامَةِ الحُجَّة، قال محيي الدين الدرويش" والمَذهَبُ الكلامِي هُو: احتجَاج المُتكلّم على ما يُريدُ إثباتَه بحجّة تقطَع المعانِد لَهُ، على طريقةِ أربَاب الكلَام، ولهُ طُرُق مُتَعَدّدَة، وقد أوصَلَهَا الرمَّانِي فِي تَفسِيرِهِ المُسَمَّى(النُّكت فِي إعجَاز القُرآن) إلَى خمسَةِ ضُرُوبٍ"[3]، ومِنهُ تكُون الطريقَة لإثباتِ مَا جَاء فِي الآيةِ هُو" إخراجُ الكَلام مَخرَج الشَّك للمُبَالَغَةِ فِي العَدلِ، فَملزُوم قوله ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ أنَّهُما ما فَسَدتَا، فليسَ فيهمَا آلهة إلا الله، وإيضَاح ذلكَ: أنَّ دليل التمَانع هو أنَّهُ لَو وجد معَ اللهِ إله آخر ربما قالُوا: لو فَرَضنَا وُجُود إلهَينِ، فإمَّا أن يَكُونَا جَمِيعًا موصُوفين

[1] . محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وبيَانُهُ، ج4، ص548.

[2] . الزَّركشِي، بدر الدِّين مُحمَّد بن عبد الله الزَّركشِي، البُرهَانُ فِي علُوم القرآنِ، تح: أبي الفَضل الدميَاطِي، دط. القاهرة: 2006م/1427هـ، دَارُ الحَدِيث، ص699.

[3] . محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وبيَانُهُ، ج5، ص20.

بصفَاتِ الكَمَال؛ اللاتِي يَندَرِجُ فِيهَا القُدرة على إحيَاءِ المَوتَى، وإنشَارِهم، وغَير ذلكَ من الممكنَات، أو لا يتَّصف بهَا واحِد منهُما، أو أحدهمَا دُون الآخَر، وعندئذٍ تفسد الرعيَّة بتدبيرِ الملكَينِ؛ لمَا يحدث بينهمَا من التغَالب، والتَّنَاكر والاختِلاف"[1].

وكَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِے ٱلْاَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَۖ﴾ [آل عمران:159]، فِي الآيَةِ نَفي الغِلظَةِ عَن قَلبِ النّبِي ﷺ.

3 ـ 3 ـ الإستِدلالُ بِالفِعلِ لِشَيئَينِ المَعنَى لأحدهمَا والاضمَار للآخَرِ:

والإستِدلالُ بِالفِعلِ لِشَيْئَينِ وَهُو لأَحَدِهِمَا في دلالتِهِ ومَعنَاه، وَيَكُونُ الإضمَارُ للآخَرِ بِفِعلٍ يُنَاسِبُهُ،من الأمثلة في هذا الباب كَقَولِهِ تَعَالَى ﴿ وَالذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَالإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِے صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُوثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۖ وَمَنْ يُّوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَۖ﴾ [الحَشْرُ:9] أَي: واعتقَدُوا الإيمَانَ"[2].

يَرَى محيي الدِّين الدرويش أنَّ في الآية إيجَاز حيثُ قالَ" وهُو هَاهنا نَوع تُختَصَرُ فيهِ الألفَاظ ويأتِي كله بلفظِ الحقِيقَة، لكِنَّ اختِصَارَهُ مِن اختصار ألفَاظ المَجاز، وبعضُهم يُسمِّيه: اختِصَار الاِتِّبَاع، فإنَّ التقدِير كَمَا قدَّمنا في بابِ: الإعرَاب: تَبَوَّؤُو الدارَ، وأخلصُوا الإيمَان[3]، كَما قَال ذُو الرُّمّة:

لمَّا حَطَطت الرَّحل عَنهَا واروا علفتهَا تبنًا ومَاءً بَارِدًا[4].

5 ـ الحَذفُ مِنَ الوِجهَة النَّحوِيَّة: مِنَ الأَمثِلَةِ فِي هَذَا البَاب نَجِد:

5 ـ 1 ـ حَذْفُ المُبتَدإِ.

---

[1] . محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وبيَانُهُ، ج5، ص20.

[2] . الزَّركشِي، بدر الدِّين مُحمَّد بن عبد الله الزَّركشِي، البُرهَانُ فِي علُوم القرآنِ، تح: أبي الفَضل الدميَاطِي، دط. القاهرة: 2006م/1427هـ، دَارُ الحَدِيث، ص699.

[3] . محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وبيَانُهُ، ج7، ص480.

[4] . ذُو الرمّة، ديوان ذي الرمّة، قدم له وشرحه: أحمد حسن سبج، ط1. بيروت: 1995م/1415هـ، دار الكتب العلمية، ص58.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِے ٱلْقُبُورِ﴾ [الحَج:7]

فِي الآية القرآنية من قولِهِ تَعَالى ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ فِي بِدَايَةِ الآيَة وأَنَّ السَّاعَةَ خَبر لِمُبتَدَإٍ مَحذُوف وَتَقدِيرُ الكَلامِ:" وَالأَمر أَنَّ السَّاعَةَ، وَأَنَّ وَاسمهَا، وآتِيَةٌ خَبَرُهَا، وَلا نافِية لِلجِنسِ، وَرَيب اِسمُهَا، وَفِيهَا خَبَرُهَا، وَالجُملَة حَالِية، أَو خَبَر ثَانٍ لأَنَّ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِے ٱلْقُبُورِ﴾ عُطِفَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ، وَأَنَّ واسمُهَا، وَجُمْلَة يَبعَث خَبَرُهَا، وَمَن مَفعُول بِهِ، وَفِي القُبُورِ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحذُوفِ صِلَةِ مَن"[1].

5 ـ 2 ـ حَذفُ الفَاعِل:

مِنَ الأمثلَةِ فِي حذفِ الفَاعلِ نَجِد:

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الصَّافَّات:7].

فِي الآيَةِ يُوجَدُ حذف لِلفَاعِلِ فِي قولِهِ تَعَالَى ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ جَاءَ فِعل مَاضٍ، والهَاءُ ضَمِير مُتَّصِل فِي مَحَل نَصبِ مَفعُولِ بِهِ، وَالمِيمُ للجَمعِ والفاعل محذوف تقديرهُ هم.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴾ [الصَّافَّات:153]

اِصطَفَى: فعل مَاضٍ، والفَاعِل ضَمِيرٌ مُستَتِر تَقدِيرُهُ: هُو يَعُودُ عَلَى اِسمِ الجَلالَةِ.

5 ـ 3 ـ حَذفُ المُضَافِ

وَحَذفُ المُضَافِ وَإِقَامَةُ المَضَافُ إِلَيهِ مَكَانَهُ مَوجُود بِكَثرَة فِي القُرآنِ الكَرِيم، قَالَ ابنُ جِنِّي" وَفِي القُرآنِ منه زُهَاءَ أَلفَ مَوضِع"[2].

يَقُولُ تَعَالَى﴿ وَلَوَ اَنَّهُمُ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرِىٰةَ وَالِانجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمُ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة:68]

---

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعرابُ القُرآنِ الكريمِ وَبَيَانُهُ، ج5، ص102.

[2] ـ الزَّرَكَشِي، بدر الدِّين محمَّد بن عبد الله الزَّركشي، البرهَان في علُوم القُرآن، تح: أبي الفضْل الدميَاطِي، دط. القاهرة: 1427/2006هـ، دار الحديث، ص713.

في الآية القرآنيَّة حذف المُضَاف فِي قَوله ﴿أَقَامُواْ ٱلتَّوْرِىٰةَ وَالإنجِيلَ﴾ قَالَ محيي الدين الدرويش" والمُرَادُ أَحكَامُ التورَاةِ والإنجِيل وَحُدُودهمَا، وَمَا انطَوَى تَحتَهُمَا مِن أَحكَامٍ بِالِغَةٍ، وَعِبَر شَائِعَة"[1].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يُجَٰدِلُ فِے ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحَج:3]

قَالَ محيي الدِّين الدرويش" وَفِي اللهِ مُتَعَلِّقَانِ بِـ يُجَادِلُ علَى حَذفِ مُضَافٍ أَي: قُدرَته، وَصِفَاته وَدِينَهُ"[2].

5 ـ 4 ـ حَذفُ الصّفةِ:

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿وَصِيَّةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [النِّسَاء:12]

الجَارُ والمَجرُور فِي الآيَةِ مُتَعَلِّقَانِ بِحَذفِ صِفَة، قَالَ محيي الدِّين الدرويش:" وَمِنَ اللهِ جَارٌ ومَجرُور متَعَلِّقَانِ بِمَحذُوفِ صِفَة لِوَصِيَّةٍ"[3].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَاكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِالْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةٌ عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾ [النساء:29]

الجار والمجرور ﴿ عَن تَرَاضٍ ﴾ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحذُوفِ صِفَةٍ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِے ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصَّافَّات:79]

قَالَ محيي الدِّين الدروِيش:" سَلامٌ: مُبتدَأ، وسُوِّغَ الاِبتدَاءُ بِهِ مَا فِيهِ مِن مَعنَى الدعَاء، وعَلَى نُوحٍ: خَبَر مُتَعَلِّق بِمَحذُوف صِفَة لِسَلام"[4]، وَهُنَاكَ أوجُه أُخرَى مِنهَا أَنَّ عَلَى نُوحٍ جَار وَمَجرُور مُتعَلِّق بِخَبَرِ سَلام.

5 ـ 5 ـ حَذفُ المَفعُولِ بِهِ.

---

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وَبَيَانُهُ، ج2، ص266.

[2] ـ المصدر نفسه، ج5، ص95.

[3] . المصدر نفسه، ج1، ص630.

[4] . المصدر نفسه، ج6، ص399.

حَذفُ المَفعُول لَهُ أَغرَاض مُتَعَدِّدَة سَوَاء فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَل أَو عِندَ النَّاسِ، وَفِيهِ لَطَائِفٌ نحويَّة قَالَ مَحيي الدين الدرويش" وَلِحَذفِ المَفعُولِ بِهِ لَطَائِف هِيَ أَكثَرُ مِن أَن تُذكَرَ، ذَلِكَ أَنَّ أَغرَاضَ النَّاسِ تَختَلِفُ فِي ذِكرِ الأَفعَالِ المُتَعَدِّيَة، فَتَارَةً يَذكُرُونَهَا وَيُرِيدُونَ أَن يَقتَصِرُوا عَلَى إِثبَاتِ المَعَانِي التي اِشتقت مِنهَا للفَاعِلِينَ، مِن غَيرِ أَن يَتَعَرَّضُوا لِذِكرِ المَفعُولِينِ"[1].

وَقَد يَكُونُ للفِعلِ مَفعُول مَقصُود؛ وَقَد يُحذَفُ مِنَ اللَّفظِ لِدَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيهِ، وَفِي هَذَا المَجَال قَد يَكُونُ دَالا عَلَيهِ بِوُضُوحٍ فِي الجُمْلَةِ نَحو قَولِكَ: تَكَلَّمتُ مَعَهُ أَي: بِلِسَانِي.

إِنَّ حَذفَ المَفعُولِ بِهِ لَهُ أَغرَاض مُتَعَدِّدَة، وَقَد ذَكَرَ محيي الدين الدروِيش بَعض فَوَائد حَذفِ المَفعُولِ بِهِ فَقَالَ:" يَجُوزُ حَذف المَفعُولِ بِهِ لِغَرَضٍ: إِمَّا لَفظِي كَتَنَاسُبِ الفَوَاصِلِ، أَي: رؤوس الآي، وَذَلِكَ فِي نَحو قوله تَعَالَى ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ وَالأَصل: وَمَا قَلاكَ، فَحَذَفَ المَفعُولَ لِيُنَاسِبَ قوله ﴿وَالضُّحَىٰ ١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ وكَالإِيجَازِ فِي نحو قوله تَعَالَى﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ والأَصلُ: فَإِن لَم تَفعَلُوهُ، وَلَن تَفعَلُوهُ، أَي: الإِتيَان بِسُورَةٍ مِن مِثلِهِ.

وَإِمَّا مَعنَوِي كَاحتِقَارِهِنَّ نحو: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِيٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أَي: لأَغلِبَنَّ الكَافِرِينَ، فَحذف المَفعُولَ زِيَادَة فِي اِمتِهَانِهِ وَاحتِقَارِهِ، أَو لِاستِهجَانِهِ، واستِقبَاح التَّصرِيح"[2].

وَمِنَ الأَمثلَةِ فِي بَابِ حَذفِ المَفعُولِ بِهِ نَجِدُ:

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ وَلَوَ اَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرِيٰةَ وَالاِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٌ مُّقۡتَصِدَةٌۖ وَكَثِيرٌ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَۖ ﴾ [المائدة:68]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة المَفعُول بِهِ مُحذُوف فِي قولِهِ ﴿ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡۚ﴾ قَالَ محيي الدين الدرويش" فَمَفعُولُ ﴿أَكَلُواْ﴾ مَحذُوف لِقَصدِ التَّعْمِيم أَو للقَصد إِلَى نَفسِ الفِعل"[3].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَالنُّورَ١ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَۖ ﴾ [الأنعام:1]

---

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وبيَانُهُ، ج4، ص243.

[2] ـ المصدر نفسه، ص8، ص298.

[3] ـ المصدر نفسه، ج2، ص266.

وقد حذف المَفعُولِ بِهِ فِي قوله ﴿يَعْدِلُونَ﴾ وَتَقدِيرُ الكَلامِ ﴿يَعْدِلُونَ به﴾، قَالَ محيي الدين الدرويش أَي:" يُسَوُّونَ بِرَبِّهِم غَيْرَهُ مِمَّا لَا يَقدِر عَلَيهِ، وَهَذِهِ نِهَايَةُ الحُمق، وَغَايَة الرقَاعَة"[1].

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرا﴾ [الفرقان: 36]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة حَذف جَوَاب الأَمر مِن قولِهِ ﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرا﴾ وَتَقدِيرُهُ:" فَقُلنَا اِذهَبَا إِلَى القَومِ الذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا، فَذَهَبَا إِليهِم، فَكَذَّبُوهُمَا، فَدَمَّرنَاهُم تَدمِيرا"[2].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى:5]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة حذف المَفعُول الثَّانِي لِلفِعلِ يُعطِيكَ وَهَذَا تَعظِيمًا للنَّبِي الكَرِيم، قَالَ محيي الدين الدرويش" فَقَد حذف مفعُول يُعطِيك الثَّاني تَهوِيلا لأَمرِهِ، واستِعظامًا لشَأنِهِ، وإِنَّ هذه المعطيَات أَجَلُّ مِن أَن تُذكَر، وأَكبر مِن أَن تُدرج، أي: الشَّيء الكَثِير مِن توارِدِ الوَحِي عَلَيك بِمَا فِيهِ من إرشَادٍ لكَ، ولقومكَ، ومِن ظُهُور دينك، وعُلو كَلمتك، وإسعَاد قَومكَ بمَا تشرع لهُم، وإعلائك على الأُمَم في الدنيَا والآخِرَة"[3].

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات:1]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة حَذف لِمَفعُولِ ﴿تُقَدِّمُواْ﴾ وَهُو" شَبِيه كقولِهِ يُحيِي وَيُمِيتُ وَقولهم: هُو يُعطِي وَيَمنَع"[4].

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [الرَّحمن:2]

فِي الآيَةِ القرآنية حَذف للمَفعُول الأَوَّل لِلفِعلِ ﴿عَلَّمَ﴾ للدَلالَةِ " فَقَد حَذَفَ المَفْعُولَ الأَوَّل لِدلالَة المَعنَى عَلَيهِ؛ لأَنَّ النِّعمَة فِي التَّعلِيم لا فِي تَعلِيمِ شَخصٍ دُونَ شَخصٍ"[5].

---

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وبيَانُهُ، ج2، ص327.

[2] ـ المصدر نفسه، ج5، ص356.

[3] . المصدر نفسه، ج8، ص346.

[4] ـ المصدر نفسه، ج7، ص246.

[5] ـ المصدر نفسه، ج7، ص371.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ ٢٢ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِے حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌۖ﴾ [القَصَصُ:22 ـ23]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة حذف مَفعُول الفِعل (يَسْقُونَ) وَتَقدِيرُهُ: يَسقُونَ أَغْنَامَهُم وَمَوَاشِيهِم أَو إِبِلهُم، والغَرَضُ مِن هَذَا الحَذف لَيْسَ تَبْيِّينُ السَّقي وَطَبِيعَتَهُ؛ لأَنَّ الفِعلَ يَكفِي فِي التَّعبِيرِ عَن وُجُودِ السَّقِي حتَّى يَعلَمَهُ النَّاسُ أَنَّ هَذَا الحَدَثَ كَانَ فِي وَقتِ السَّقي، وإِنَّمَا الغَرَض فِي الآيَةِ هُو التَّرْكِيز عَلَى مُوسَى ـ عَلَيهِ السَّلام ـ وابنَتَا شُعَيب.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ وَقَالَ ٱلذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَےْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَےْءٍۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُۖ ﴾ [النَّحل:35]

فِي الآيَةِ حَذَفَ مَفعُول ﴿شَآءَ﴾ فِي قَوله ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ﴾ وَتَقدِيرُ الكَلامِ: لَو شَاءَ هِدَايَتَنَا.

وَفِي حَذفِ المَفعُول بَعدَ المَشِيئَةِ لَطَائِف وَدَلائِل بَيَانِيَّة وَقَد أَشَارَ عَبدَ القَاهِر الجُرجَانِي إِلَى ذَلِكَ.

6 ـ الحَذفُ وأشكَالُهُ.

الحَذفُ وَأَشْكَالُهُ

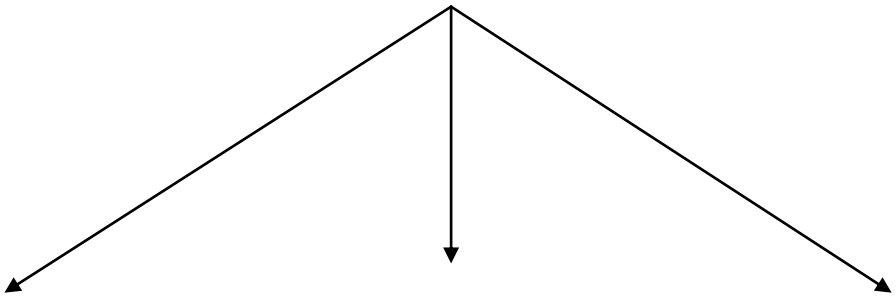

الحَذفُ مِنَ الوِجهَة البَلاغِيَّة الحَذفُ من الوِجهَة النَّحوِيَّة الحَذفُ مِنَ الوِجهَة اللُّغَوِيَّة

6 ـ 1 ـ الحَذفُ مِنَ الوِجهَة البَلاغِيَّة: إنَّ الحَذفَ عِندَ أَهلِ البَلاغَةِ لَهُ طُرُق وَأبوَاب مُتَعَدِّدَة كَالمَجَازِ، ونَجِدُهُ أَكثر فِي الإعجَازِ القُرآنِي، فَالذِّكرُ لَهُ دَورُهُ وَدَلالَتُهُ، والحَذف لَهُ دَورُهُ وَدلالَتُهُ فِي تَوجِيهِ المَعنَى، وقَد وضَعَ عُلَمَاء البَلاغَةِ شُرُوطًا تَتَعَلَّقُ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِن العَنَاصِرِ السَّابِقَة فَالذِّكر لَهُ شُرُوط وَقَوَاعِد تَختَلِفُ عَنِ الحَذفِ.

6 ـ 2 ـ الحَذفُ مِنَ الوِجهَة النَّحوِيَّة: لَقَد دَرَسَ النُّحَّاةُ الحَذفَ وَجَعَلُوا لَهُ أَبوابًا خَاصَّة بِهِ، وَمِن هَذِهِ الأَبوَاب نَجِد: حَذفُ المُبتدَإِ، حَذف الخَبَر، حَذفُ الفَاعِلِ، حَذفُ المَفعُولِ بِهِ، حَذفُ الصِّفَة، حَذفُ المَوْصُوف....

وَمِن الجَوَانِبِ التي يَهتَمُّ النَّحو بِهَا الذِّكرِ والحَذف فِي الحُرُوفِ، وَخَاصَّةً حُرُوف المَعَانِي، وَنَجِد هَذَا فِي القُرآنِ الكَرِيمِ، كَمَا نَجِد ذِكر الضَّمِيرِ وَحَذفه الذِي لَهُ دَلالاتُهُ.

لِهَذَا نَجِد كُتُبُ إعرَاب القُرآنِ فِي إعرَابِهِم للقُرآنِ الكَرِيم يَتَكلَّمُون عَن الحَذفِ، فيقُول مَثَلا: خَبَر لِمُبتدإ مَحذُوف تَقدِيرهُ: هُو، ويقُولُون: والفَاعِل ضَمِير مُستَتِر تَقدِيرُهُ: هِي، وغَيرهَا.

6 ـ 3 ـ الحَذفُ مِنَ الوِجهَة اللغَوِيَّة: لَقَد دَرَسَ أَهلُ اللغَةِ الذِّكرَ وَالحَذف مِن جَانِب اللغَةِ مِن وِجهَاتٍ عِدَّةٍ تتَعَلَّق بِالمَعنَى، مِن هَذَا المَعنَى كَتَقدِيمِ أَسمَاءِ بَعض الأنبِيَاء عَلَى بَعضٍ وَكتَقدِيمِ الأَرضِ علَى السَّمَاءِ، ومَا يَكُون فِي القَصَصِ القُرآنِي مِن خِلالِ اِستِبدَال بَعض الكَلِمَات بِبَعض، كَمَا فِي قِصَّةِ مُوسَى ـ عَليهِ السَّلام ـ كَاستِعمَال لَفظِ (الحَيَّة) وَ(الثعبان).

ثالثاـ التَّعرِيفُ وَالتَّنكِيرُ وَدَلالاتهِمَا فِي تَوجِيهِ المَعْنَى القُرآنِي.

إنَّ التَّعرِيفَ وَالتَّنكِير لِكُل وَاحِدٍ مِنهُمَا خَصَائِص يَتَمَيَّزُ بِهَا عَنِ الآخَر، قَالَ السُّيُوطِي" اِعلَم أَنَّ لِكُل مِنهُمَا مَقَامًا لا يَلِيقُ بِالآخَرِ"[1].

فَالاِسم إِمَّا أَن يَكُونَ مَعرَفَةً وإِمَّا أَن يَكُونَ نَكِرَة، وَالنَّكِرَة أَصل وَالمَعرِفَة فَرع، والنَّكِرَة هِيَ كُلُّ اِسم لا يَختَصُّ بِوَاحِدٍ.

[1] ـ السيُوطِي، أبو الفضل جَلال الدِّين عبد الرَّحمن أبو بكر السيُوطِي، الإتقان فِي علُومِ القُرآنِ، ط3. بيروت:1995، دارُ الكتُبُ العلميَّة، ج2، ص403.

المعرفةُ وأقسَامهَا.

المَعْرِفةُ خَمسَةُ أشيَاءٍ: الإِسم المُضمَر نحو: أنا وأنت، والاسم العلم، نحو: زيدٌ ومكَّة، والاسم المُبْهَم، نحو: هَذَا وهذهِ وهؤلاء، والاسْم الذِي فِيهِ الألف واللام، نحو: الرَّجُل، والغُلام، ومَا أُضِيفَ إِلَى وَاحِد مِن هَذِهِ الأَربَعَة.

الإِسمُ ينقسمُ إلى قِسمَينِ: **الأَوَّل:** النَّكِرَة **والثَّانِي:** المَعرِفَة.

1 ـ المعرفة.

المَعرِفَةُ هِيَ: اللَّفظُ الذِي يَدُلُّ عَلَى مُعيَّن، واقسَامهَا خَمسَة[1]:

القِسْمُ الأَوَّل: المُضْمَر أو الضَّمِير: وهو مَا دَلَّ عَلَى متكَلِّمٍ، نحو: أنَا، أو مُخَاطب نحو: أنت أو غَائِبٍ نحو: هو ومِن هُنَا فالضَّمِير ثَلاثَةُ أَنوَاعٍ.

1 ـ مَا وُضِعَ للدلالة عَلَى المُتكَلِّمِينَ وَهُو كَلِمَتَانِ.

2 ـ مَا وُضِعَ للدلالةِ على المُخَاطَبِ وهو خَمسَةُ ألفَاظٍ.

3 ـ مَا وُضِعَ للدلالةِ على الغَائبِ، وهُو خمسةُ ألفاظٍ.

القسمُ الثَّانِي من المَعرِفَة: العَلَمُ: هو ما يَدلُّ على مُعَيَّن بدونِ اِحتيَاجٍ إِلَى قرينة تَكلم أو خِطَاب أو غيرِهِمَا، وهُو نوعَانِ: مُذَكَّر نحو: مُحَمد و يُوسُف وَمُؤنَّث نَحو: مَريم وصفيَّة.

القِسمُ الثَّالِث: الاسمُ المُبهَم: وهُو نوعَانِ: اسمُ الإِشَارةِ، والإِسم المَوصُول.

فأَمَّا اِسْمُ الإِشَارةِ: فهُو مَا وضِعَ لِيَدل عَلَى مُعَيَّنٍ بواسِطَة إِشَارَة حِسِّيَّة أو مَعْنَوِيَّة، ولَهُ ألفاظٌ مُعَيَّنَة، وَهِيَ: هَذا للمُذكَّر، وهذه للمُؤنَّث، وهَذانِ أَو هَذينِ للمثَنَى المُذكَّر، وهَاتَان أَو هَاتَينِ للمثَنَّى المُؤنَّث، وهَؤلاءِ للجَمْعِ مُطلقًا.

وأَمَّا الإِسم المَوصُول فَهُو: مَا يَدُلُّ عَلَى مُعَيَّنٍ بواسِطَة جُملَة أَو شَبِهها تُذْكَرُ بَعدَهُ البَتَّةَ، وتُسَمَّى صِلَة، وَتَكُون مُشْتَمِلَةً علَى ضَمِيرٍ يُطَابِقُ المَوصُول ويُسَمَّى عَائِدًا، ولَهُ أَلفَاظ مُعَيَّنة

[1] . محمد محيي الدين عبد الحميد، التحفَة السَّنيَّة شرح المقدمَة الآجرومية، ط1. الجزائر: 2018، دارُ التأصِيل للنَّشر والتوزيع، ص92.

أَيْضًا، وَهِيَ: الذي للمفردِ المُذَكَّر، والتي للمُفردِ المُؤَنَّث، و اللذَان أو اللذين للمثَنَّى المُذَكَّر، واللتَان أَو اللتَينِ للمثَنَّى المُؤنَّثِ، والذِينَ لِجَمعِ الذُّكُور، واللائِي لِجَمعِ الإنَاثِ.

القِسمُ الرَّابِعُ: المحلَّى بِالألفِ واللَّام، وهُو كُلُّ اِسمٍ اقترَنَت بِهِ "ال" فَأَفَادَتهُ التَّعرِيف نحو: الرَّجُل، الكِتَاب، الغُلام، البَاب...

القِسْمُ الخَامِسُ: الإسم الذِي أُضِيفَ إِلَى وَاحِدٍ مِنَ الأربَعَةِ المُتَقدِّمَة، فَاكْتَسَبَ التَّعرِيفَ مِن المُضَافِ إِلَيهِ، نحو: غُلامُكَ، غُلام مُحمَّد، غُلامُ هَذَا الرَّجُل، غُلام الذِي زارَنَا أَمس، وَغُلامُ الأستَاذِ.

وأَعْرَفُ هَذِهِ المَعَارِف بَعْدَ لَفْظِ الجَلالَةِ، الضَّمِير، ثُمَّ العَلَم، ثُمَّ اِسمُ الإشَارَة، ثُمَّ الاِسم المَوصُول، ثُمَّ المُحلَّى بِـ"أل"، ثُمَّ المُضَاف إليهَا، وَالمُضَاف إليهِ فِي رُتبَةِ المُضَاف إِلَيهِ.

النَّكِرةُ هِيَ كُلُّ اسمٍ وضِعَ لا لِيَخُصَّ وَاحدًا بِعَينِهِ مِن بَينِ أفرادِ جِنسِهِ، بَل لِيَصِحَّ إِطلاقُهُ عَلَى كُلِّ واحِدٍ على سبيلِ البَدلِ، رَجُل اِمرَأَة؛ فَإِنَّ الأوَّل يَصِحُّ إطلاقُهُ علَى كُلِّ ذَكَرٍ بالغٍ مِن بني آدَم، والثَّانِي يَصِحُّ إطلاقُهُ على كُلِّ أنثَى بالغَةٍ من بنِي آدَمَ.

وَعَلامَةُ النَّكِرَة تَصلُحَ لأَن تَدخُلَ عَلَيهَا "أل" وتُؤثِّر فِيهَا التَّعْرِيف، نحو: رَجُل، فإِنَّهُ يَصِحُّ دُخُول "أَل" عَلَيهِ، وتُؤثِّر فِي التَّعرِيفِ؛ فتقُول: الرَّجُل، وكَذَلِكَ نحو قَولِكَ: غُلام، معلِّم، فتاةٌ.... فتَقُولُ: الغُلامُ، المُعلِّمُ، الفَتَاةُ.

وَدِرَاسَةُ التَّعرِيف وَالتَّنكِير فِي هَذَا يَشمَل كُل مَا يَتَعَلَّق بِتَحدِيدِ الدَّلالات والتَّوجِيهَات القُرآنِيَّة، فَالتَّعرِيف يَشمَل مَجمُوعَة مِن القَوَاعِدِ التي بِهَا يَكُون تَحدِيدُ المَعنَى القُرآنِي، وَكَذَلِكَ الأَمرُ بِالنِّسبَةِ لِلتَّنكِيرِ.

ـ التَّعرِيفُ وَدَلالاتُهُ فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.

التَّعرِيفُ[1] مِمَّا يَتَمَيَّز بِهِ أَنَّهُ يَدخُلُ عَلَى المُسنَدِ إِلَيهِ؛ الذِي الأَصل فِيهِ أَن يَكُونَ مَعرِفَةً؛ لأَنَّهُ المَحكُوم عَلَيهِ.

[1] . قَالَ ابنُ مَالِك فِي أَلفِيَتِهِ:

وَأَمَّا أَقسَام المَعرِفَةِ فَهِيَ سِتَّةُ: الأَلِف واللاَّم، والعِلْمِيَّة، والمَوصُولِيَّة، والإشَارَة، والإضَافَة، والإضمَار، قَالَ السُّيُوطِي" وأَمَّا التَّعْرِيفُ فَلَهُ أَسْبَاب فَبِالإضمَارِ؛ لأَنَّ المَقَامَ مَقَام المُتَكَلِّم أَو الخطاب أوالغيبة، أَو بِالعِلمِيَّة لإحضَارِهِ بِعَينِهِ فِي ذِهنِ السَّامِعِ اِبتِدَاءً أَو لِتَعظِيمٍ أَو إِهَانَةٍ أَوِ الإشَارَة لِتَمييزِهِ أكل تَمَيُّزٍ بِإحضَارِهِ فِي ذِهنِ السَّامِعِ حِسًّا"[1].

وَفِي الغَالِبِ مَا يَنظُرُ أَهل التفسِير وَالبَلاغَة إِلَى المَقَامِ فِي تَفسِيرِهِم لِدَورِ أَدَاةِ التَّعرِيفِ فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي، وَفِي هَذَا المَجَالِ كَمَا فَسَّرَ الزَّمَخشرِي قوله تَعَالَى ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ حَيثُ يَرَى الزَّمَخشرِي أَنَّ اللام لِلعَهدِ، وَأَنَّ الذِينَ كَفَرُوا هُم أُنَاس بِعَينِهِم كَأَبِي لَهَب وَأَبِي جَهلٍ وَالوَلِيد بن المُغِيرَة، أَو تَكون دَالَّة لِلجِنسِ تَضُمُّ كُلَّ مَن كَانَ مُصَمِّم عَلَى كُفرِهِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:1]

" فِي تَعرِيفِ الكِتَابِ بِالأَلِفِ واللام تَفخِيمًا لأَمرِهِ، وَهُو فِي الأَصلِ مَصدَر؛ قَالَ تَعَالَى ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [النِّسَاء:24]"[2]، وَقَد يُرَادُ بِهِ المَكتُوب قَالَ[3]:

بشرتُ عِيَالِي إِذَا رَأَيت صَحِيفَةً أَتَتْكَ مِنَ الحَجَّاجِ يُتَلَى كِتَابه

وَغَيْرُهُ مَعْرِفَةٌ: كَهُم، وَذِي، وَهند، وابنِي، والغُلامِ، وَالذِي

فَمَا لِذِي غَيْبَةٍ أَو حُضُورٍ ـ كأَنتَ ، وهُو ـ سَمِّ بِالضَّمِيرِ

فَالمَعرِفَةُ سِتَّةُ أقسَامٍ وَهِيَ: المُضْمَرُ كَهُم، واسمُ الإشَارَةِ كَذِي، وَالعَلَمُ كَهند، والمُحَلَّى بِالأَلفِ واللَّام كَالغُلامِ، والمَوصُول كَالذِي، وَمَا أُضِيفَ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهَا كَابنِي. محمد محيي الدين عبد الحميد، شَرحُ ابنُ عقِيل عَلَى ألفيةِ ابن مَالِك، دط. القاهرة: 1999، مكتبَةُ دَار التراث، ص45.

وأَمَّا التَّوجِيهُ القُرآنِي فَمِنَ القَوَاعِد الضَّابِطَة للمَعنَى القُرآنِي نَجِد:" الأَلف واللام الدَّاخِلَةُ عَلَى الأَوصَافِ وأَسمَاء الأَجنَاس تُفِيدُ الاستغراق بِحَسبِ مَا دَخَلَت عَلَيهِ"، وَالحُكمُ عَلَى الأَوْصَافِ يَزِيدُ وينقُصُ بِحَسْبِ حَالِ المَوْصُوفِ نحو قَوْلِكَ: إِنَّ المُؤْمِنَ لَهُ أَجرٌ عَظِيمٌ، فكُلَّما قَوِيَ الإيمَان قوِي الأَجْرُ، والمُحَلَّى بِـ "أل" يعمُّ سَوَاءٌ دَخَلَ عَلَى وَصفٍ أَو دَخَلَ عَلَى اِسمِ جِنسٍ. عبد الرَّحمَن بن نَاصِر بن عَبدِ الله السَّعدِي، شَرْحُ القَوَاعِد الحِسَان لتَفْسِيرِ القُرآن، اعتنَى بِهِ: محمَّد بن عبد الله المِصرِي، ط1. القاهرة: 2012، دارُ الآثار للنَّشرِ والتَّوزِيع، ص10.

[1] . محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القرآنِ الكريمِ وبيَانُهُ، ج2، ص405.

[2] . المصدر نفسه، ج5، ص42.

[3] . السَّمينُ الحلبِي، شهابُ الدِّين أبِي العبَّاس بن يوسُف ابن محمَّد بن إبراهيم، الدرُّ المصُون فِي علُومِ الكتَاب المَكنُون، تح: الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عَادل أحمد عبد الموجُود، د. جاد مخَاوِف جَاد، د. زكريا عبد المجيد النوتي، ط1.بيروت:1993، دار الكتُب العلميَّة، ج1، ص13.

وَأَصْلُ كَلِمَة ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ الدلالَةُ عَلَى الجَمعِ، وَفِي الآيَةِ المَقصُود بِهِ القُرآن الكَرِيم الذِي يَجمَع بَينَ دَفَّاتِهِ سُوَر القُرآن، وَالقُرآن مِنَ القُرءِ الذِي هُو بِمَعنَى الجَمعِ، وَمِنهُ قَولك: كَتِيبَةُ الجَيش فِيهِ دَلالة على الجَمعِ.

﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء:24].

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نِسْياً مَّنسِيّاً﴾ [مريم: 23]

فِي تَعْرِيفِ كَلِمَةِ ﴿ٱلنَّخْلَةِ﴾ التي كَانَ مَخَاض مَريَم ـ عليها السلام ـ عِندَهَا، هَذَا التَّعرِيف لا يَخلُو أَن يَكُونَ:

ـ أَنَّ هَذِهِ النَّخلَة كَالمَعْلَمِ مُتَعَارَفٌ عَلَيهَا عِندَ النَّاسِ.

ـ أَنَّ تَعْرِيفَ كَلِمَة ﴿ٱلنَّخْلَةِ﴾ كَتَعرِيفِ المَعَالِمِ الأُخْرَى كَالنَّجمِ والشَّمس وَالقَمَر والسَّمَاء والأَرْض.

ـ أَنَّ تَعرِيفَ كَلِمَةُ ﴿ٱلنَّخْلَةِ﴾ لِذِكْرِ أَهَمِّيَّةِ التَّمر فِي وَقتِ المَخَاض، وَهَذَا مَا أَثْبَتَهُ العِلمُ الحَدِيث أَنَّ التَّمرَ غَنِي بِالطَّاقَةِ؛ وَمِنهَا المَنغَنِيز وَالنُّحَاس والكِبرِيت وَالحَدِيد وَغَيرِهَا مِن المَعَادِنِ التي لا تَقِلُّ عَن خَمسَة عَشَر مَعدَن؛ بِالإِضَافَة إِلَى الأَلَيَافِ ومَجمُوعَة مِنَ الفِيتَامِينَاتِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلَاوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [ق:15]

فِي الآيَةِ القرآنية وَرَدَ تَعرِيف لِلَفظِ ﴿الخَلْقِ﴾ ثُمَّ وَرَدَ بَعدَ ذَلِكَ فِي حَالَةِ تَنكِيرٍ، فَجَاءَ الأَوَّلُ مُعَرَّفًا لأَنَّ الخَلقَ الأَوَّل مُشَاهَد وَمَعْلُوم وَهُو الأَسَاسُ وَالأَصلُ، وَجَاءَ الثَّانِي نَكِرَةً لأَنَّهُ يَكُونُ يَومَ البَعثِ مِن إِعَادَةِ خَلقِ العِبَادِ، وَفِي هَذَا تَوبِيخ عَلَى مُنكِرِي يَوم البَعثِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً وَمِمَّا تُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [ق:17]

فِي الآيَةِ وَرَدَ تَعرِيف لَفظ ﴿ٱلسَّيْلُ﴾ لأنَّهُ:" قَد فُهِمَ مِنَ الفِعلِ قَبلَهُ، وَهُو قَوله تَعَالَى﴿ فَسَالَتَ﴾ وَهُو لَو ذُكِّرَ لَكَانَ نَكِرَةً، فَلَمَّا أُعِيدَ أُعِيدَ مَعرِفَةً نحو: رَأَيْتُ رَجُلاً فَأَكْرَمتُ الرَّجُلَ، وَهَكَذَا تُطْرَدُ القَاعِدَةُ فِي النَّكِرَة إِذَا أُعِيدَت"[1].

ـ يقُول تعالَى﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ اِنَّكَ أَنتَ ٱلَاعْلَىٰٓ﴾ [طه:67]

في الآيةِ جَاءَ تعرِيف لكلمةِ ﴿ٱلَاعْلَىٰٓ﴾ والتي لهَا دلالتهَا وتَوجِيهها فِي الآيةِ، قال محيي الدين الدرويش" ولم يقُل أعلَى أو عَالٍ؛ لأنَّهُ لو قال ذلك لكانَ قد نكَّره، وكانَ صالحًا لكلّ واحدٍ من جنسِهِ، كقولكَ: رجُل، فإنَّه يصلحُ أن يقعَ على كلِّ واحدٍ مِن الرِّجالِ، وإذا قلتَ: الرَّجُلَ، فقَد خَصَّصتُهُ من بينِ الرِّجالِ بالتَّعريفِ، وجعلتهُ علما فيهِم، وكَذَلكَ جَاء قوله ﴿ اِنَّكَ أَنتَ ٱلَاعْلَىٰٓ ﴾ أي: دُون غَيركَ"[2].

ـ التَّنكِيرُ وَدَلَالَاتُهُ فِي تَوجِيهِ المَعْنَى القُرآنِي.

التَّنكِيرُ[3] يَكُونُ فِي المُسنَدِ كَمَا يَكُونُ فِي المُسنَدِ إِلَيهِ، إلا إِنَّهُ فِي كِلَا الحَالَتَينِ يَتَمَيَّزُ بِأَغرَاضٍ بَلاغِيَّة، فَالتَّنكِيرُ فِي المُسنَدِ إِلَيهِ لَهُ أَغرَاض بَلاغِيَّة ذَكَرَهَا أَهل البَلاغَة في كتبهم.

فَائِدَتُهُ: قَالَ محيي الدِّين الدروِيش وَفَائِدَتُهُ:" إِفَادَةُ التَّبعِيض، والتَّقلِيل، أَو إِفَادَةُ التَّعْظِيمِ، وَالتَّكثِير"[4].

---

[1] . محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القرآنِ الكريمِ وبيَانُهُ، ج4، ص89.

[2] . المصدر نفسه، ج4، ص700.

[3] . قَالَ صَاحِبُ الأَلْفِيَّة ابنُ مَالِك فِي سَردِهِ للنَّكِرَةِ وأَحوالهَا:

نَكِرَةٌ: قَابِلُ أَلْ ، مُؤَثِّرَا أَوْ وَاقِعٌ مَوْقِعَ مَا قُدْ ذُكِرَا

فَالنَّكِرَةُ هِيَ التي تَقْبَلُ(أَلْ) وتُؤَثِّر فِيهِ، والنَّكِرَةُ هِيَ كَذلِكَ مَا تَقَعُ مَوقِعَ الذِي يَقْبَلُ (أَل) نحو قولك: قلمٌ فتقُول: القَلَمُ. محمد محيي الدين عبد الحميد، شرح ابن عقيل على ألفيةِ ابن مالك، دط. القاهرة: 1999، مكتبةُ دَارِ التراث، ص45.

مِنَ التَّوجِيهَات القُرآنِيَّة الكَاشِفَة عَنِ المَعَانِي القُرآنِية هُنَاكَ قَاعِدَة لِعُلَمَاءِ اللغَة والتَّفْسِير تُفِيدُ أَنَّه:" إِذَا وقَعَتِ النَّكِرَة فِي سِيَاقِ النَّفِي أَو النَّهِي أَوِ الشَّرط أَو الاِستِفهَام دَلَّت عَلَى العُمُومِ" نحو قوله تَعَالَى﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَالْاَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلّٰهِ﴾ [الإنفطَار:19]، فَكَلِمَةُ ﴿ نَفْسٌ﴾ جَاءَتْ نَكِرَةً فِي سِيَاقِ النَّهِي وَبِالتي هِيَ تَعْنِي كُل نَفسٍ وأَنَّهَا لا تَملِكُ شيئًا.

[4] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القرآنِ الكريمِ وبيَانُهُ، ج5، ص492.

وَقَد تَعَرَّضَ محيي الدِّين الدروِيش إِلَى مَجمُوعَةٍ مِنَ الألفَاظِ وَرَدَت فِي القُرآن الكَرِيمِ نَكِرَةً وَمِنهَا:

ـ يَقُولُ تَعَالَى:﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٞۖ﴾ [البقرة:6].

فِي الآيَة القُرآنيَّة وَرَدَت كَلِمَةُ(عَذَاب) نَكِرَةً، هَذا التَّنكِير يُبيِّنُ لَنَا أَنَّ هَذَا العَذَاب مَجهُول الكَيْف والمُدَّة، وأَنَّهُ مُتنوِّع، وفي ذلكَ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" تَنكِيرُ العَذَابِ هُنَا فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ نَوعٌ مِنهُ مَجهُولُ الكَمِّ وَالكَيفِ، وَوَصَفَهُ بِعَظِيمٍ لِدَفعِ الايهَامِ بِقِلَّتِهِ وَنُدرَتِهِ، والتَّأكِيد بِأَنَّهُ بَالِغ حَدَّ العَظَمَةِ"[1].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍۛ وَمِنَ ٱلذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٖۖ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرْۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَۖ﴾ [البَقَرَة:96].

فِي الآيةِ الكَرِيمَة جَاءَ تَنكِيرُ لَفظِ ﴿حَيَوٰةٍۛ﴾ فِيهِ دَلالَة عَلَى تَوجِيهِ مَعنَى الآيَةِ، فَالحَرِيصُ هُو الذِي يَحرِصُ عَلَى الحَيَاةِ المُستَقْبَلِيَّة وَلَيسَتِ الحَيَاة المَاضِيَة أَو الآنِيَّة، وَفِيهِ دَلالَة عَلَى أَنَّ حِرْصَهُم عَلَى حَيَاةٍ دُونَ حَيَاةٍ، فَهُم يَحرِصُونَ عَلَى الحَيَاةِ الدنيَا دُونَ الحَيَاةِ الآخِرَةِ، كَاليُهُودِ والمُشرِكِينَ الذِينَ لا يُومِنُونَ بِالمِيعَادِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَلَكُمْ فِے ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِے ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَۖ﴾ [البقرة:178]

هَذِهِ الآيَةِ القُرآنِيَّة تُعَدُّ مِنَ الكَلامِ البَلِيغِ الوَجِيزِ الغَنِي بِالمَعَانِي والأَحكَام، وقَاعِدَة مِن القَوَاعِدِ التي تُبنَى عَلَيهَا الحَيَاةُ الاِجْتمَاعِيَّة، وَقَد جَاءَ تَنكِير لَفْظ ﴿حَيَوٰةٞ﴾ فِي هَذِهِ الآيَة لَهُ دَلالات فِي المَعنَى القُرآنِي، قَالَ محيي الدين الدرويش:" أَنَّهُ كَانَ لَكُم فِي هَذَا الجِنس من القِصَاص حَيَاةٌ عَظِيمَة لاَ تُدرِكُونَ كُنْهَهَا؛ لأَنَّ القَاتِلَ يَرتَدِعُ عَنِ القَتلِ فَتُصَانُ بِذَلِكَ حَيَاة الأَبرِيَاء، وَيَزدَجِرُ البُغَاةُ، وَمَن رَكَّزت فِي نُفُوسِهِم طَبِيعَة الإِجرَام"[2]، فَالحَيَاة تَزهُو بالعَدلِ والقِصَاص.

[1] ـ محيي الدين الدرويش، إِعْرَابُ القُرآنِ الكَرِيم وبيانُهُ، ج1، ص43.

[2] ـ المصدر نفسه، ج1، ص230.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍۖ﴾ [آل عِمْرَان:37].

في الآيَةِ القُرآنيَّة جاء لَفظُ ﴿رِزْقاۖ﴾ نَكِرَةً وَهَذَا" لإِفَادَةِ الشُّيُوع وَالكَثْرَة، وَأَنَّهُ لَيسَ مِن جِنس وَاحِدٍ، بَل هُو مِن أَجنَاسٍ مُخْتلِفَة"[1]، فَتَنكِيرُ لَفْظ ﴿رِزْقاۖ﴾ دَلِيلٌ عَلَى تَنَوُّعِ الرِّزقِ، وأَنَّهُ شَاهَدَ أَنوَاعًا مُختَلِفَة مِنَ الرِّزقِ لَم يَعهَد رُؤيَتَهَا، أَو أَنَّهُ وَجَدَ فَاكِهَةَ الصَّيفِ فِي فَصلِ الشِّتَاءِ، أَو وَجَدَ فَاكِهَةَ الشِّتَاءِ فِي فَصلِ الصَّيفِ ففي ذلك اختِلاف وتنوّع لمَا هُو معهُود عليهِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَلَا يُحْزِنكَ ٱلذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِے ٱلْكُفْرِۚ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۖ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِے ٱلَاخِرَةِۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌۖ﴾ [آل عمران:176].

فِي هَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة نَجِدُ تَنكِيرِ كَلِمَة ﴿شَيْـًٔاۖ﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" فَإِنَّ التَّنوِينَ يَزِيدُ النَّكِرَةَ شِيَاعًا، وَتَنكِيرًا، وَقِلَّةً، وَحَقَارَةً، وَذَلِكَ لِتَأْكِيدِ مَا هُم عَلَيهِ مِنَ القِلَّةِ، وَالحَقَارَةِ، وضَآلَةِ الشَّأْن"[2]، وَفِي هَذَا اِحتِقَار للكُفَّارِ أَي: عِبَادَتُهُم لا تُنقِصُ مِن مُلكِ اللهِ وَسُلطَانِهِ شَيئًا.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولاًۖ﴾ [النِّسَاء:47]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة جَاءَ تَنكِير ﴿وُجُوهاً﴾ قَالَ محيي الدين درويش" فِي تَنكِيرِ الوُجُوهِ، تَلَطُّفًا بِالمُخَاطبِينَ وَتَهوِيلا لِلأَمرِ العَظِيم الذِي يُثِيرُ الخَوفَ، وَقَد اِختَلَفُوا فِي مَعنَى التَّهدِيد وَمَا المُرَاد بِهِ فِي الآيَةِ، هَل هُو حَقِيقَة فَيَجعَل الوَجهَ كَالقَفَا، وَيذهب الأَنف والحَاجِب وَالعَين والأُذُن، وَتِلكَ ظُلُمَات بَعضُهَا فَوقَ بَعضٍ"[3].

---

[1]. محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وبيَانُهُ، ج1، ص230.

[2] ـ المصدر نفسه، ج1، ص580.

[3]. المصدر نفسه، ج3، ص37.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿هُوَ ٱلَّذِے خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضىٰٓ أَجَلاۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام:2]

وَرَدَ في الآية القرآنِيَّة تَنكِير لِكَلِمَةِ ﴿أَجَلاً﴾ قَالَ محيي الدّين الدرويش" وَلَكِن الذِي أَوجَبَ تَقدِيمَ النَّكِرَة تَعظِيم شَأن الأَجَل المَضرُوب عِندَهُ سُبحَانَهُ، وَالمُرَادُ بِهِ السَّاعَة وَتَهوِيل أَمرِهَا"[1] وَجَاء تَنكِيرُ كلمَة ﴿أَجَلاً﴾ لأَنَّهُ مَعلُوم عِندَ اللهِ وغَيرَ مَعلُومٍ عِندَ النَّاسِ، فَهُو لَيسَ مُخصَّصًا بِيَومٍ مَعلُومٍ عِندَ النَّاسِ، وَإِنَّمَا هُو لِوَقتٍ مَعلُومٍ عِندَ اللهِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأَعْرَاف:131]

فِي الآيَةِ الكَرِيمَة تَنكِير ﴿سَيِّئَةٌ﴾ مَعَ أَنَّ الحَسَنَةَ جَاءَت معرفةً فالحسنَة مهمَا كانَ نوعُها فهي معرُوفٌ وهي معلُومةُ المَصدرِ فَهِي مِنَ اللهِ تَعَالَى، قَالَ محيي الدين الدرويش" فَقَد عَرَّفَ الحَسَنَةَ وَذَكَرَهَا مَعَ أَدَاةِ التَّحقِيقِ لِكَثرَةِ وُقُوعِهَا وَتَعَلق الإِرَادَة بِأَحدَاثِهَا، وَنَكَّرَ السَّيِّئَةَ وَأَتَى بِهَا مَعَ حَرفِ الشَّكِّ لِنُدُورَتِهَا، وَلِعَدَمِ القَصد إليهَا، إلا بِالتبعِ"[2] وَوَردَت ﴿سَيِّئَةٌ﴾ نَكِرَةً لأَنَّ الحَالَةَ لا تَدُومُ، قال الطَّاهر بن عَاشُور:" ونُكِّرَت ﴿سَيِّئَةٌ﴾ لِنُدْرَةِ وقُوعِهَا عَلَيهِم، ولأَنَّهَا شَيء غير مَألُوف حُلُولهُ بِهِم، أَي: وَإِن تُصِبهُم آيَة سَيِّئَة...."[3].

وَذَكَرَ ابنُ عَاشُور الفَرقَ بَينَ تَعرِيفِ الجِنس والتَّنكِير حَيثُ قَالَ:" وَاعلَم أَنَّ التَّفرِقَةَ بَينَ تَعرِيفِ الجِنسِ وَالتَّنكِير مِن لِطَائِفِ الإِستِعمَال البَلاغِي، كَمَا أَشَرْنَا إليهِ فِي قَولِهِ تَعَالَى الحَمد للهِ فِي سُورَةِ الفَاتحَة، وأَمَّا مِن جِهَة مَفَاد اللفظ، فَالمُعَرَّف بِلامِ الجِنس والنَّكِرَة سَوَاء، فَلا تَظُن أَن اللام للعَهْدِ لِحَسَنَة مَعهُودَة، وَوقُوع المُعَرَّف بِلامِ الجِنس والمُنكَّر فِي سِيَاقِ الشَّرطِ فِي هَذِهِ الآيَة يَعُمُّ كُلّ حَسَنَة وَكُل سَيِّئَةٍ"[4].

---

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وبيَانُهُ، ج2، 327.

[2] ـ المصدر نفسه، ج3، ص30.

[3] . الطَّاهر بن عاشُور: التحرير والتنوير، ج9، ص67.

[4] . المَصدر نفسه،ج9، ص68.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:108].

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة جَاءَ تَنكِيرِ ﴿ظُلْماً﴾ وَقَد وَرَدَ فِي سِيَاقِ النَّفِي وَهَذَا الظُّلم يَضُمُّ جَمِيعَ أَنوَاعِ الظُّلم.

واللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى لا يُرِيدُ ظُلمًا للنَّاسِ أَجمعينَ، فَهُو لَم يُحَدِّد أُمَّةً دُونَ أُمَّةٍ، وإنَّمَا هُو شَامِل للنَّاسِ، ولو شَاءَ اللهُ لآمَنَ النَّاسُ كُلُّهُم ولَكِن حِكْمَةَ اللهِ فِي خَلقِهِ، وَقَد نَفَى اللهُ تَعَالَى الظُّلْمَ لِعِبَادِهِ فَقَال تَعَالَى ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحاً فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝﴾ [فُصِّلَت:46] فَالنَّاس فِي هَذِهِ الدنيَا كُلُّهُم عبَادٌ للهِ تَعَالى؛ سَواءٌ كَانُوا مُؤمِنِينَ أَم كَافِرِينَ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَاكُلُوهَآ إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَنْ يَكْبَرُواْ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَاكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيباً﴾ [النّساء:6]

فِي الآيَةِ القرآنية وَرَدَ لَفظ ﴿رُشْداً﴾ نَكِرَةً فِيهِ دَلالَة علَى التَّنوِيعِ فِي الرُّشدِ، وأَنَّهُ لَيسَ رُشدًا واحِدًا، وَجَاءَ نَكِرَةً لِكَونِهِ إِضَافَة إِلَى الرُّشدِ الجَسَدِي، هُنَاكَ إِضَافَة أُخرَى وَهِيَ الرُّشد العَقلِي حَتَّى يَكُونَ لَهُم حَقّ التَّصَرُّف فِي المَالِ، فَفِيهِ إِشَارَةٌ وَهِيَ إِن رَأَوا مِنهُم رُشدًا فِي الدِّينِ والعَقلِ بَعدَ البُلوغِ الذي هُو الرُّشد الجَسَدِي، تُعطَى لَهُم أموَالهُم وَيكُونُ لَهُم حَقُّ التَّصَرُّفِ فِيهَا.

ـ يَقُولُ تَعالى ﴿ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَاسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً ۚ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝﴾ [النَّحل:69]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة تَنكِيرٌ لِكَلِمَةِ ﴿شِفَآءٌ﴾، فَلَم تَأتِ مَعرِفَة أَي لَم يُقُل: فِي الشِّفَاءِ للنَّاسِ، قَالَ محيي الدين الدرويش" فَيُلاحَظُ أَنَّ النَّكِرَةَ فِي سِيَاقِ الإِثبَاتِ لا تُفِيدُ العُمُومَ"[1].

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعْرابُ القرآنِ الكريمِ وبيَانُهُ، ج4، ص281.

وَجَاءَ هَذَا التَّكِيرُ لِيُبيِّنَ أَنَّ العَسَلَ فِيهِ بَعضُ الشِّفَاءِ، فَالتَّكِير فِي هَذِهِ اللفظَة لا يُفِيدُ العُمُوم وبِالتَّالِي العَسَل لَيسَ شِفَاء لكُلِّ الأَمراضِ، لأَنَّ اللهَ تَعَالَى لم يَقُل شِفَاء لكُلِّ دَاءٍ وإِنَّمَا قَالَ شِفَاء للنَّاسِ، لِهَذا فالعَسَل يَدخُلُ فِي تَركِيبِ العَدِيدِ مِنَ المَأكُولاتِ وَالأَدوِيَة.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النَّحل:94]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة تَنكِيرٌ فِي قَولِهِ﴿ قَدَمُۢ﴾ كَمَا أَنَّهُ أَفرَدَهَا، و﴿قَدَمُۢ﴾ وَرَدَت بِصِيغَةِ الجَمعِ فِي سُورَتَينِ مِنَ القُرآنِ الكَرِيمِ؛ فِي سُورَةِ الأنفَالِ فِي قولِهِ تَعَالَى ﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ﴾ وَفِي سُورَةِ الرَّحمَن فِي حَدِيثِهِ عَنِ المُجرِمِينَ فِي قولِهِ تَعَالَى ﴿ يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤخَذُ بِالنَّوَٰصِي وَالۡأَقۡدَامِ﴾.

فَالثَّبَات يَكُون بِالقَدَمَينِ مَعًا، وَالبُعدُ عَنِ الطَّرِيقِ الحَق وَلَو بِالشَّيءِ القَلِيل يبدأ بالقَدمِ الوَاحِدَة، فَإِنَّ صَاحِبَهُ يَبْتَعِدُ عَنِ اللهِ وَعَنِ الطَّرِيقِ الصَّحِيح، فَإِذَا زَلَّتِ القَدَمُ الأُولَى تَبِعَتهَا أُخْتهَا.

وَقَد وَرَدَت كَلِمَةُ ﴿قَدَمُۢ﴾ نَكِرَةً لِتَدُلَّ عَلَى أَنَّ القَلِيلَ مِنَ النَّاس مَن يَفهَم ذَلِكَ، قَالَ محيي الدين الدرويش" وفِيهِ تَقلِيل لِلوَاعِي مِنَ النَّاسِ لَمَّا يَقضِي بِسَدَادِ الرَّأيِ، وَاسْتِقَامَتِهِ"[1]، وَفِي تَنكِيرِ القَدَمِ وَإِفرادِهَا إِشَارَةٌ إِلَى عَظَمَةِ طَرِيقِ الحَقِّ، وقِيمَة الثَّبات عليهِ، وفي المقابل خَطَر أن تَزِلَّ هَذِهِ القَدم بَعدَ الثَّبَاتِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الإسراء:1].

وَرَدَ فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة تَنكِير لِكَلِمَةِ ﴿ لَيۡلٗا﴾ هَذَا مِمَّا لَهُ دَلالَة عَلَى مَعنَى الآيَةِ، فالتنكِير والتنوِين يُنقصَان من مَعنى الكلِمَة، بمَعنَى أَنَّ هَذَا الليل لَيس كُل الليلِ.

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج4، ص298.

قَالَ محيي الدين الدرويش" الإشَارَة بِتَنكِيرِ الليلِ إلَى تَقْلِيلِ مُدَّتِهِ، لأَنَّ التَّنكِيرَ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى مَعْنَى البَعْضِيَّة، وَهَذَا بِخِلافِ مَا لو قِيلَ: أَسرى بِعَبدِهِ الليلَ، فَإِنَّ التركِيبَ مَعَ التَّعرِيفِ يُفِيدُ اِستِغرَاقَ السَّيرَ لِجَمِيعِ أَجزَاءِ الليلِ"[1].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ [طه:27]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة تَنكِيرٌ لِكَلِمَةِ ﴿عُقْدَةً﴾ وهَذهِ العُقدَة غَير مُحَدَّدة فَهِي مِن جُملةِ مجمُوعَة عُقَدِ، قَالَ محيي الدين" دَلالَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَسأَلهُ حَلَّ جَمِيعَ عُقَد لِسَانِهِ، بَل حَلِّ بَعضِهَا الذِي يَمْنَعُ الإفْهَامَ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى:﴿يَفْقَهُواْ قَوْلِي﴾"[2]، هَذَا دَلِيل مِن أَنَّ هُنَاكَ عِدَّةُ عُقَدٍ تُصِيبُ اللِّسَانَ، فَدَعَا اللهَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى أَن يَحُلَّ لَهُ العُقدَة المَسؤُولَة عَنِ الإفهَامِ فَهُو لَم يُحَدِّدهَا وَإِنَّمَا ذَكَرَ العُقدَةَ التي لَهَا علاقَةٌ بِالكَلامِ وَالإفهَامِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ٣٨ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه:38 ـ39].

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة تَنكِيرٌ لِكَلِمَةِ ﴿مَحَبَّةً﴾ وَقَد أَسنَدَ اللهُ سُبحَانَهُ هَذِهِ المَحَبَّة إلَى نَفسِهِ، قَالَ محيي الدين الدرويش" وَأَسنَدَهَا إلَيهِ سُبحَانَهُ، لأَمرَينِ هَامَّينِ:

1 ـ مَا فِي التَّنكِيرِ مِنَ الفَخَامَةِ الذَّاتِيَّة، كَأَنَّهَا مَحَبَّةٌ تَعلُو عَلَى الحُبِّ المُتَعَارَف المُتَبَادَل بَينَ المَخلُوقَاتِ.

2 ـ مَا فِي إسنَادِهَا إلَيهِ مِنَ الفَخَامَةِ الإضَافِيَّة، أَي: مَحَبَّة عَظِيمَة مِنِّي، قَد زَرَعتهَا فِي القُلُوبِ، وَرَكَّزْتُهَا فِي السَّرَائِرِ وَمَنطوِيات الضَّمَائِرِ، فَسُبحَانَهُ المُتَكَلِّم بِهَذَا الكَلام"[3]، فَكَانَت مَحَبَّةً مِنَ اللهِ تَعَالَى إلَى مُوسَى وَهِيَ مَحَبَّةُ حِمَايَةٍ وَرعَايَةٍ وَرِسَالَةٍ.

ـ يَقُولُ تعَالَى ﴿ اَللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وبيَانُهُ، ج4، ص225.

[2] ـ المصدر نفسه، ج4، ص677.

[3] ـ المصدر نفسه، ج4، ص672.

زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۖ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَّشَآءُۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ [النور:35]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة تَنكِير قوله ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۖ﴾[1] فَهُو تَنكِيرٌ فِيهِ" ضَرب مِنَ الفَخَامَةِ والمُبَالَغَةِ لا أَرشَق، وَلا أَجمَلَ مِنهُ، فَلَيْسَ هُو نُورًا وَاحِدًا مُعَيَّنًا، أَوْ غَيْرَ مُعَيَّنٍ فَوْقَ نُورٍ آخَرَ مِثْلَهُ، وَلَيْسَ هُو مَجمُوعُ نُورَيْنِ اِثْنَينِ فَقَط، بَل هُو عِبَارَة عَن نُورٍ مُتَضَاعِف مِن غَيرِ تَحدِيدٍ لِتضَاعفهِ بِحَدٍ مُعَيَّن"[2]، وهَذَا القَولُ ذَكَرهُ الكَثِير مِن عُلمَاء البلاغَةِ منهم: مَحمُود الصَّافِي فِي كِتَابِهِ الجَدولُ فِي إِعرَابِ القُرآنِ.

هذهِ الآيَة القُرآنِيَّة لم تُحَدِّد النُّور، فَجاءَ التعبيرُ القُرآنِي أنَّ اللهَ نُور.

وَقَد اِقْتَبَسَ الشُّعَرَاءُ مِن مَعِينِ هَذَا النُّور، الذِي كَانَ نُورًا عَلَى نُورٍ، وَصَوَّرُوا هَذِهِ الصُّورَة فِي شِعْرِهِم:

قَالَ أَبُو الطيِّب المُتَنَبِّي[3] فِي مَدحِهِ أَبَا المُنتَصِر شُجَاع بن مُحمَّد بن أَوس بن معن بن الرَّضِي الأُزدِي:

أَرَقٌ عَلَى أَرَقٍ وَمِثْلِي يَأْرُقُ وَجوى يَزِيدُ وَعبرة تَتَرَقْرَقُ

وَقَالَ أبُوتَمَّام[4]:

أَخَمسَةُ أَعْوَامٍ مَضَت لِمَغِيبِهِ وَشَهرَانِ بَل يَومَانِ ثكل عَلَى ثكل

وَفِي العَصرِ الحَدِيثِ قَالَ شَوقِي فِي رِثَائِهِ لأَحَدِ أعلامِ دِمَشق:

---

[1] . مَنَابِعُ النُّورِ فِي الدنيَا ثلاثةٌ وقدْ جَاءَتْ فِي القرآنِ الكريمِ كُلُّهَا نَكِرَة، **المَنبَعُ الأَوَّل ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى:** فَكُلَّمَا أَكْثَرتَ مِن ذِكرِ اللهِ تَعَالَى أَمَدَّكَ اللهُ بنُورِه؛ لأنَّ اللهَ تعَالى يَقُولُ في كتَابِهِ العَزِيز ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ [النُّور:35]، **المنبَعُ الثَّانِي هُو القرآن الكريم:** فكُلمَّا أكثرْتَ مِن تِلاوَتِهِ بخُشُوعٍ وتدبُّر أمدَّكَ اللهُ بنُور القُرآنِ الكَريم لأنَّ الله تعالى يقُولُ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النّساء:174]، **المنبعُ الثَّالث هو النبي** ﷺ: فَكُلمَّا أَكْثَرْتَ مِن الصَّلاةِ عليْهِ، واتَّبَعْتَ سنَّتهُ ظَاهرًا وباطنًا، أمدَّكَ اللهُ بنُورٍ؛ لأنَّ اللهَ تعَالَى يقُولُ ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة:15]

[2] . محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج5، ص282.

[3] . المُتنبِّي، ديوانُ المتنبي، دط. بيروت: 1983، دار بيروت للطباعَةِ والنَّشر، ص28.

[4] ـ أبو تمام، ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي، تقديم: عبدالحميد يونس وعبد الفتاح مصطفى، دط. القاهرة: دت، مطبعة حجازي، ص3.

جُرْحٌ عَلَى جُرحٍ حَنَانكِ جَلَّق حمِّلت مَا يُوهِي الجِبَالَ وَيُزهِقُ[1]

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُّ فِے جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾ [الزُّمر:53]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة تَنكِيرٌ لِكَلِمَةِ ﴿نَفْسٌ﴾ لَهُ دَلالاتُهُ فِي الآيَةِ، فَمِن دَلالاتِ هَذَا التَّنكِير التَّقْلِيل؛ أَي: أَنَّ المُرَادَ بِهَذِهِ الأَنفُس القَلِيلَة هِيَ نَفسُ الكَافِر، وَقَد يُرَادُ بِهَا الكَثْرَة.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ فَمِنْهُم مَّنْ يَّمْشِے عَلَىٰ بَطْنِهِۦۖ وَمِنْهُم مَّنْ يَّمْشِے عَلَىٰ رِجْلَيْنِۖ وَمِنْهُم مَّنْ يَّمْشِے عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۖ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۖ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَےْءٍ قَدِيرٌۖ ﴾ [النُّور:43]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة تَنكِير فِي قوله تَعَالَى ﴿مَّآءٍۖ﴾ فَتَنكِيرُ لَفظ مَاءٍ مَعَ أَنَّهُ جَاءَ مُعَرَّفًا فِي آيَةٍ أُخْرَى عِندَ الحَدِيثِ عَنِ الخَلقِ، قَالَ تَعَالَى ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالَارْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَےْءٍ حَيٍّۖ اَفَلَا يُومِنُونَۖ﴾ [الأَنبِيَاء:30] هَذِهِ الآيَة التي هِيَ مِن الآيَاتِ العَظِيمَة فِي القُرآنِ الكَرِيم، بَحَثَ فِيهَا المُستَشرِق الدكتُور غَارِي مُلَير[2] الذِي اِستَوقَفَ عِندَ هَذِهِ الآيَة وبحث فيها، وفي علاقة الخلق بالماء فقد أَثْبَتَ العلم الحديث مُؤخَّرًا أَنَّ الخَلِيَّة الحَيَّة تَتَكَوَّنُ مِن السِّيتُوبَلازَم الذِي يُمَثِّلُ 80 مِنهَا والسِّيتُوبَلازَم مُكَوَّن بِشَكل أَسَاسِي مِن المَاءِ، وَهَذَا دلِيل على إعجَاز القُرآن الكَرِيم.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَالذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنَ اَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماًۖ ﴾ [الفرقان:74]

---

[1] . أحمد شوقي، الشوقيات، دط. مصر: 2012، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص713.

[2] ـ غَارِي مليز: هُو مِن المُستَشْرِقِينَ وهُو أستَاذ الرّياضِيَات والمَنطِق بجَامِعَة تُورنتُو، كَانَ غَزِير العِلم عَالم بِالكِتَاب المُقَدّس، كَانَ يُحِبُّ المَنطِق، دَرَسَ القُرآنَ الكَرِيم بِغَرض البَحث عَن أَخطَاءٍ فِيهِ، لَكِنَّهُ وَجَدَ غَيرَ ذَلِكَ، فَاعْتَنَقَ الإسلام وأصبحَ يُحَاضِر فِي كُلِّ أرجَاءِ العَالم ويُنَاظِر لَهُ.

فِي الآيَةِ الكريمة ورد تَنكِيرٌ لكَلِمَةِ ﴿قُرَّةَ﴾ هَذَا التنكِير لَهُ دَلالاتُهُ فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي وَتَنكِير المُضَاف لا يَكُون إلا بِتَنكِير المُضَاف إِلَيهِ وَهَذَا لِيَكُونَ" السُّرُور غَير مُتَنَاهٍ وَلا مَحدُود، وإنَّمَا قَلَّلَ الأَعيُن، أَي: جَمْعَ القِلَّةِ؛ لأَنَّ أَعْيُنَ المُتَّقِينَ قِلَّة بِالإِضَافَة إِلَى غَيرِهِم"[1].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖۙ﴾ [النَّمل:1]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة جاء تَنكِير كلمة ﴿كِتَابٖ﴾ وَأَمَّا الغَرَض مِنهُ:" لِيُبْهَمَ بِالتَّنكِير فَيَكُون أَفخَم لَهُ، وَأَمَّا عطفه عَلَى القُرآنِ مَعَ أَنَّهُ هُو القُرآن نَفسهُ، فَهُو مِن قَبِيلِ عَطف إِحدَى الصّفَتَينِ عَلَى الأُخرَى"[2]،

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النَّمل:15]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة تَنكِير لِكَلمَةِ ﴿عِلۡمٗا﴾ والغَرَض مِن هَذَا التَّنكِير هُو إِفَادَةُ التَّعظِيم، فَهذه النِّعمَة التي أعطَاهَا لِنَبِيِّهِ حَيْثُ أَتَاهُ اللهُ مِن عِلْمِ مَنطق الطَّير وَسَائِر الحَيَوَانَات وَغيرهَا، فَهُو بِالنِّسبَةِ إِلَى عِلْمِ اللهِ قَلِيل.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗاۖ فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُۖ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [العنكبوت:17]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة وَرَدَ التَّنكِيرُ فِي قولِهِ تَعَالَى ﴿رِزۡقٗاۖ﴾ ثُمَّ جَاءَ بَعْدَهَا مُعَرَّفًا﴿ٱلرِّزۡقَ﴾، فَالأَوَّل جَاءَ نَكِرَة لأَنَّهُم قَلِيل، وَالثَّانِي جَاءَ مَعرِفَةً لأَنَّهُ مِن رِزقِ اللهِ وَرِزقُهُ كَثِير وَفِي كُلِّ وَقتٍ وَحِينٍ، وَكَذَلِكَ لأَنَّ" الأَوَّل مَقصُور عَلَيهِم، فَاسْتَوجَبَ أَن يَكُونَ ضَئِيلا قَلِيلا، فَنَكَّرَهُ تَدلِيلا عَلَى قِلَّتِهِ وَضَآلَتِهِ، وَلَمَّا كَانَ الثَّانِي مُبتَغَى عِندَ اللهِ اِستَوجَبَ أَن يَكُونَ كَثِيرًا؛ لأَنَّهُ كُلُّهُ عِندَ اللهِ، فَعَرَّفَهُ تَدلِيلا عَلَى كَثْرَتِهِ وَجَسَامَتِهِ"[3].

---

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج5، ص385.

[2] . المصدر نفسه، ج5، ص478.

[3] ـ المصدر نفسه، ج5، ص684.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلتِے بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرىً ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً ءَامِنِينَ﴾ [سبأ: 18].

فِي الآيَةِ الكَرِيمة تَنكِير لَفظَي لَيَالِي وأيَّام فِي قَولِهِ﴿ لَيَالِيَ وَأَيَّاماً ءَامِنِينَ﴾ وَهَذَا التَّنكِير لَهُ دَلالاتُهُ فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي، وَهَذَا التَّنكِير" إلمَاع إلَى قَصرِ أَسفَارِهِم، فَقَد كَانَت قَصِيرَة؛ لأَنَّهُم يَرتَعُونَ فِي بَحبُوحَةٍ مِنَ العَيشِ، وَرَغَدٍ مِنهُ، لا يَحتَاجُونَ إِلَى مُوَاصَلَةِ الكَد، وتَجشمِ عناء الأسفَارِ لِلحُصُولِ عَلَى مَا يرفه عَيشهم"[1].

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ قُل لِّلذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [الجاثية:13]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة تَنكِير ﴿قَوْماً﴾ والمَقصُود بِهِ المُؤمِنُونَ وَهُم مَعَارِف، والغَرَضُ مِن هَذَا التَّنكِير هُو تَعظِيمُ شَأن هَؤلاءِ القَوم، وَمَدحهم والثَّنَاء عَليهِم، فَهُم قَوم مَخصُوصِينَ بِمَا عَمِلُوا مِن أَعمَالٍ فِي الدنيَا، ولِصَبرِهِم عَلَى الأَذَى والمَكرُوهِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ اَقْفَالُهَآ﴾ [محمّد:25]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة وَرَدَ تَنكِير للفظَةِ ﴿ قُلُوبٍ﴾ وَهَذَا التَّنكِير لَهُ دلالات وَتَوجِيهَات للمَعنَى القُرآنِي، وَمِن دلالات التَّنكِير لِكَلِمَةِ ﴿قُلُوبٍ﴾ أَنَّ مَفَاتِيحَ القُلُوبِ تَختلِف مِثْل الأَقْفَال، فَكُلُّ قَلبٍ ولَهُ مَا يُؤثِّر فِيهِ، فَالنَّاس لِطَبِيعَةِ تَكوِينِهِم وَفَهْمِهِم، فَكُلُّ وَاحَدٍ ولَهُ السَّبَب الذِي يَهْتَدِي بِهِ إِلَى خَالِقِهِ، وَالتَّدَبُّرِ يَكُونُ بِالعَقْلِ والبَصَر، وَأَصل الرُّؤيَةِ للمُؤمنِ أَنَّهَا بِالقَلبِ، فالمُؤمِنُ يَرَى بِقَلْبِهِ لا بِبَصرِهِ، وحَتَّى غَير المُؤمِن يَرَى بِقَلبِهِ، فَالعَمَى كَمَا يُنسَبُ للأبصَار يُنسَبُ للقُلُوبِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَالطُّورِ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ [الطُّور:2]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة وَرَدَ تَنكِير لِكَلِمَةِ ﴿كِتَٰبٍ﴾، وَوَرَدَ نَكِرَةً لأَنَّهُ كِتَاب مَخصُوص مِن دُونِ جِنسِ الكُتُبِ الأُخرَى، وأَنَّهُ يَتمَيَّزُ عَنْهَا بِمِيزَاتٍ ليسَت فِيهَا، والمقصود بهذا الكتاب هو القرآن الكريم مَكتُوب ومَحْفُوظ وَمَقرُوء وتَعَهَّدَ اللهُ بِحِفْظِهِ.

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وبيَانُهُ، ج6، ص230.

وَيَرَى الفَرَّاءُ كَمَا نَقَلَ القُرطُبِي ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ، أَنَّ المَقصُودَ مِن ﴿كِتَٰبِ﴾ هُو صَحَائِفُ الأَعمَالِ، فَمَن آخِذ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَمَن آخِذ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ، وَنَظِيرُهُ قوله تَعَالَى﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِے عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسْرَاءُ:13]، ومِنهُ قول المُتلَمِّسِ[1]:

فَكَأَنَّمَا هِيَ مِن تَقَادُمِ عَهدِهَا رَقٌّ أُتِيحَ كِتَابُهَا مَسْطُورُ

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم:42]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة تَنكِير كَلِمَة ﴿سَاقٍ﴾ وَقَد جَاءَت نَكِرَة للمُبَالغَةِ عَلَى أَنَّ الأَمرَ مُهِم وَمُبهَم وَخَارِج عَنِ المَألُوفِ عِندَ النَّاسِ.

وَمِن دَلالاتِ هَذَا التَّنكِير أَنَّهُ جَاءَ للدلالةِ عَلَى أَمرٍ مُبهَمٍ فِي الشِّدَّةِ، وَهَذَا الأَمْر خَارِج المَأْلُوف وَالمُعْتَاد الذِي يُشَاهِدُهُ النَّاس، وَهَذِهِ الشِّدَّة هِيَ التي تَكُون يَومَ القِيَامَةِ وَهُو يَوم عَصِيب لِمَا فِيهِ مِنَ الأَهوالِ، فِيهِ يَشِيبُ الوِلدَان منه وَتَرَى النَّاسَ يَتَمَايَلُونَ مِن شِدَّتِهِ ومن هولِهِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتَ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا تُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِے ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِے ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الجَاثِيَة:14]

وَرَدَ فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة تَنكِيرٌ ﴿أَوْدِيَةُۢ﴾ والغَرَض مِن هَذَا التَّنكِير لأَنَّ" المَطَرَ لا يَأتِي إلا عَلَى طَرِيقِ التَّنَاوُب بَينَ البِقَاع"[2] فَيَسِيلُ فِي بَعضِ أودِيَةِ الأرضِ دُونَ بَعضٍ.

فَالأَودِيَةُ تَقَعُ فِي المُنخَفَضَاتِ والمَاء يَنزِلُ مِنَ الجِبَالِ والتِّلالِ لِيَسْتَقِرَّ فِي الأَودِيَةِ بِقَدَرِهَا.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ [المُرسَلاتِ:26]

[1] . القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص163.

[2] . محيي الدِّين الدرويش، إعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ،ج4، ص89.

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة تَنكِير لِكَلِمَتَي أَحيَاء وَأَموَات، وَهَذَا التَّنكِير لَهُ دَلالاتُهُ فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة، وَالغَرَض مِن هَذَا التَّفخِيم" كَأَنَّهُ قِيلَ: أَحيَاءٌ لا يُعَدُّونَ، وأَموَاتًا لا يُحصَونَ، عَلَى أَنَّ أَحيَاءَ الإِنسِ وأَموَاتهم لَيسُوا بَجِمِيع الأَحيَاء وَالأَموَات"[1].

رابِعًا- الخَبَرُ والإنشَاءُ وَدَلالاتُهُما فِي تَوْجِيهِ المَعْنَى القُرآنِي.

الكَلام فِي اللغَةِ العَرَبِيَّة إِمَّا أَنَّ يَكُونَ خَبَرًا أَو إِنشَاءً، والخَبَر هُو كُلُّ كَلامٍ يَحْتَمِلُ التَّصدِيق والتَّكذيب، وَلَهُ ثَلاثَةُ أَنوَاع كَمَا لَهُ مَقَاصِد بَلاغِيَّة مُتَعَدِّدَة فِي القُرآنِ الكَرِيم.

وَأَمَّا الإِنشَاء فَهُو كُلُّ كَلامٍ لا يَحْتَمِل التَّصدِيق والتَّكذِيب، وَلَهُ أَنوَاع وأغرَاض بَلاغِيَّة.

1 ـ الخَبَرُ وَدَلالاتُهُ.

الخَبَرُ لُغَةً واصْطِلاحًا:

أ ـ الخَبَرُ لُغَةً: خُبِرْتُ بِالأَمرِ أَي عَلِمْتُهُ، وَخَبِرْتُ الأَمرَ أَخْبُرُهُ إِذَا عَرفته عَلَى حَقِيقَتِهِ، وَالخَبَر: مَا أَتَاكَ مِن نَبَإِ عَمن تَستَخبِر، وَالخَبَرُ: النَّبَأُ، وَخَبَرُهُ بِكَذَا وأَخْبَرَهُ: نَبَّأَهُ"[2].

ب ـ الخَبَرُ اِصطِلاحًا: عَرَّفَهُ المُبَرّد بِقَولِهِ:" الخَبَرُ مَا عَلَى قَائِلِهِ التَّصْدِيقُ والتَّكذِيب"[3].

مِنَ النَّحَّاةِ عَرَّفَهُ المُبَرِّدُ (285هـ) بِقولِهِ:" الخَبَرُ مَا جَازَ عَلَى قَائِلِهِ التَّصدِيق والتَّكذِيب"[4].

ج ـ الخَبَرُ بَينَ النُّحَّاةِ والبَلاغِيِّينَ.

يَقُولُ ابنُ فَارِس" وَأَمَّا أَهلَ اللغَةِ؛ فَلا يَقُولُونَ فِي الخَبَرِ أَكثَر مِن أَنَّهُ إِعلامُ ... وَالخَبَرُ هُو العِلمُ. وأَهلُ النَّظَر يَقُولُونَ: الخَبَرُ مَا جَازَ تَصدِيقُ قَائِلِهِ أَو تكذِيبه، وَهُو إِفَادَةُ المُخَاطَب أَمرًا فِي مَاضٍ مِن زَمَان أَو مُستقبل دَائِم"[5]، قَالَ صَاحِبُ الإِيضَاحِ" اِختَلَفَ النَّاسُ فِي اِنحِصَارِ الخَبَر فِي الصَّادِق وَالكَاذِب، فَذَهَبَ الجُمهُور إِلَى أَنَّهُ مُنحصر فِيهِمَا، ثُمَّ اِختَلَفُوا فَقَالَ الأَكثَر

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وبيَانُهُ، ج8، ص185.

[2] ـ ابن منظُور: لِسَانُ العَرَب، مَادة (خَبَر)، ط1، بيروت: دت، دَار صَادر، جé، ص73..

[3] ـ أَبُو العبَّاس، المُبَرِّد، المُقْتَضَب، تح: مُحَمَّد عبد الخَالق عظيمة، ط1. بيروت: 1963، عَالم الكتُب، ج3، ص89.

[4] ـ المصدر نفسه، ج3، ص89.

[5] ـ ابن فَارِس، الصَّاحِبِي فِي فِقْهِ اللغَةِ، تح: أحمد صَقر، دط. القاهرة: 1977، مطبعة عيسى البابِي الحلبِي وشُرَكَاهُ، ص179.

مِنهُم: صِدْقُهُ مُطَابَقَة حُكمِهِ للواقِعِ، وَكَذِبُهُ عَدَمُ مُطَابَقة حُكمه لَهُ، هَذَا هُو المَشهُور وَعَلَيهِ التَّعوِيلُ"[1].

وَقَد دَرَسَ عُلَمَاءُ البَلاغَةِ أُسلُوبَ الكَلامِ فَوَجَدُوا أَنَّ لِلخَبَرِ ثَلاثَةَ أنوَاعٍ وَهِيَ:

1 ـ الخَبَرُ الإبتِدَائِي: وَهُو الخَبَرُ الذِي يَكُونُ خَالِيًا مِن المُؤَكِّدَات.

2 ـ الخَبَرُ الطَّلَبِي: وَهُو الخَبَرُ الذِي يَتَرَدَّدُ فِيهِ المُخَاطِب، فَهُو لا يعرف مَدى صِحَّتِهِ.

3 ـ الخَبَرُ الإنكَارِي: وَهُو الخَبَرُ الذِي يُنكِرُهُ المُخَاطَب إنكِارًا يَحتَاجُ إِلَى أَن يُؤَكَّد بِأَكْثَرَ مِن مُؤَكَّدٍ كقولِهِ تَعَالَى ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً اَصْحٰبَ اَلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا اَلْمُرْسَلُونَ ١٢ إِذَ اَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ اُثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ١٣ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ اَلرَّحْمٰنُ مِن شَىْءٍ اِنَ اَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ١٤ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس:13،16].

فَقَد تَأَكَّدَ الخَبَرُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى﴿إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ بِمُؤكَّدَينِ هُمَا (إنَّ) و(اللام المُزحلقَة)

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ اَلذَّكَرُ كَالُانثَىٰ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيَ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ اَلشَّيْطَٰنِ اِلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران:36]

فِي قولِهِ تَعَالَى﴿ وَلَيْسَ اَلذَّكَرُ كَالُانثَىٰ﴾ خَبَرٌ المُرَادُ مِنهُ نَفِي الإعتِقَاد السَّائِد بَينَ النَّاس، وَفِيهِ اِعتِرَاض غَرَضُهُ التَّعظِيمُ وَهِيَ قوله تَعَالَى﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ وَالتي جَاءَت لِتَعظِيمِ المَولُود الذِي وَضَعَتهُ.

قَالَ المُتَنَبِّي[2]:

وَلَو كَانَ النِّسَاءُ كَمَن فَقَدْنَا لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ

وَمَا التَّأنِيث لاسْمِ الشَّمس عَيْبٌ وَلَا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ للهِلالِ

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنَ اَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدَ اَنْعَمَ اَللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمَ اَكُن مَّعَهُمْ شَهِيداً ﴾ [النِّسَاء:71]

---

[1] ـ الخطيب القزويني، جلال الدبن أبو عبد الله محمد، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دط. لبنان: دت، دار الكتب العلمية، ص13.

[2] المتنبي، ديوان المتنبي، دط. بيروت: 1983، دار بيروت للطباعة والنشر، ص267.

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة ورَدَ خَبَر إنكَارِي فِي قَولِهِ ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ قَالَ محيي الدين الدرويش" فَقَد جَاءَ التَّأكِيد بِإن وبِـ لامِ التَّأكِيدِ التي يُسَمِّيهَا النُّحَّاةُ المُزحلقة ونُونُ التَّوكِيد الثَّقِيلَة، وَفِي اِستِعمَالِ الفِعلُ المُضعف، وزِيَادُ الحُرُوفِ زِيَادَةٌ فِي المَعنَى. وَفِي مَجمُوعِ هَذِه المُؤَكِّدَات تَخوِيف رَهِيب لِمَن ثبَّطَ نفسهُ، أَو ثَبَّطَ غَيره"[1].

وَالتَّبطِئَةُ هِيَ التَّأَخُّرُ وكَانَ هَذَا مِن عَمَلِ المُنَافِقِينَ، فَقَد كَانُوا يَقعُدُونَ عَن الخُرُوجِ وَيُقعِدُونَ غَيرَهُم، وَيُبطِئُونَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِهِم.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَاصْنَعِ اْلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَآ وَلَا تُخَٰطِبْنِے فِے اْلذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [هود:37]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة وردَ خَبَر إنكَارِي فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾، فَقَد جَاءَ الخَبَرُ مُؤكَّدًا بِإِنَّ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ وَءَاتِيكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اَللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ اْلِانسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم:34]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة تَأكِيد جَعَلَ الخَبَرَ إنكَارِي، قَالَ محيي الدِّين الدرويش" اِشتَمَلَت هَذِهِ الآيَة عَلَى أَربَعَةِ تَأكِيدَاتٍ **أَوَّلُهَا:** إِنَّ، **وَثَانِيهَا:** اللَّام المُزَحلِقَة، أَو لامُ التَّأكِيد، وَصِيغَةُ ظَلُوم، وصِيغَةَ كَفَّار"[2].

ـ يَقُولُ تَعَالى﴿إِذَ اَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ اْثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ [يس:13]

اِشْتَمَلت هَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة ﴿إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ عَلَى مُؤكَّدِينَ وَهُمَا: إِنَّ، واسمية الجُملَة، فَأَورَدَ الكَلامَ طَلَبِيًا، وَفِي بِدَايَةِ الآيَة كَانَ الخَبَرُ ابتِدَائِي فِي قولِهِ ﴿إِذَ اَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ اْثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾

[1] ـ محيي الدين الدرويش، إعْرَابُ القُرآنِ الكَرِيم وبيانُهُ، ج2، ص58.

[2] ـ المصدر نفسه، ج4، ص157.

لِيَأتِي التَّأكِيدُ بَعد بِثَلاثَةِ تَأكِيدَاتٍ فِي قَوْلِهِ﴿إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ وَهَذِهِ التَّأكِيدَات: إِنَّ، اللَّام، واسمِيةُ الجُمْلَة.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البُرُوج:12]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة وَرَدَ الخَبَرُ مُؤكَّدًا بِمُؤكَّدَينِ بِإِنَّ واللام، وهَذِهِ اللام هِي المُزحلِقَة جَاءت للتَّوكِيدِ، وَهذَا الخَبَرُ خَبَر إنكَارِي وَفِيهِ تَأكِيد الكَلام للمُنكِرِ لَهُ.

2 ـ الإنشَاءُ وَدَلالاتُهُ.

أ ـ لُغَةً: هُو الإبتِدَاء أَو الخَلق، أَو الإبتِدَاعُ"[1].

اِصْطِلاحًا: فالإنشَاءُ هُو كُلُّ كَلامٍ لا يَحتَمِلُ الصِّدقَ وَالكَذِب؛ لأَنَّهُ نَابِع مِنَ الشُّعُورِ والإحسَاسِ الدَّاخِلِي لِلإنسَانِ، وَيَعتَمِدُ عَلَى أمُور شُعُورِيَّة لا يُمكِنُ تكذِيبهَا، وَقَد عَلَّلَ البَلاغِيُّونَ عَدم اِحتِمَال التَّكذِيب وَالتَّصدِيق فِي الإنشَاءِ؛ لأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى حَدَثٍ لَم يَقع مِن قَبلُ. وَفَرَّقُوا بَينَ الخَبَرِ والإنشَاء اِعْتِمَادًا عَلَى ذَلِكَ، فَالقَزوِينِي يَقُولُ:" وَوَجهُ الحَصرِ أَنَّ الكَلامَ إِمَّا خَبَرٌ أَو إِنشَاء لأَنَّهُ إِمَّا أَن يَكُونَ لِنِسبَتِهِ خَارِج تَطَابقهُ أَو لا تَطابقه أَو لا يَكُون لَهَا خَارِجَ. الأَوَّل: الخَبَر، وَالثَّانِي: الإنشَاء"[2].

والإنشَاءُ يَنقَسِمُ إِلَى قِسْمَينِ: طَلَبِي وَغَير طَلَبِي.

أـ الإنشَاءُ الطَّلَبِي: "هُو مَا يَستَدعِي مَطْلُوبًا غير حَاصِل وقت الطَّلَبِ، نَحو اعمَل خَيرًا"[1].

ب ـ الإنشَاءُ غَيْر الطَّلَبِي: هُو مَا لا يَستَدعِي مَطلُوبًا نَحو، ذَهَبَت، رَجَعَت، كَمَا أَنَّ لِلإنشَاءِ غَير الطَّلَبِي صِيَغ كَثِيرَة، كَأَفعَالِ المَدح وَالذَّمِّ كَنِعمَ وَبِئسَ، وكَأَفعَالِ المُقَارَبَة: عَسَى وَاخلَولَقَ وَكَصِيَغِ العُقُود، اِشْتَرَيتُ وَبِعتُ، وَهَذِهِ الأَخِيرَة اِستَبعَدَهَا البَلاغِيُّون مِن مَبَاحِثِ عِلم المَعَانِي، قَالَ التفتَازَانِي:" فَالإنشَاء إِن لَم يَكُن طَلَبًا كَأَفعَالِ المُقَارَبَة وَأفعَال المَدح والذَّم وَصِيَغ العُقُود

[1] ـ ابن منظُور: لسَانُ العربِ، مادَّة نشَأَ.

[2] ـ الخطيب القزويني، جلال الدبن أبو عبد الله محمد، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دط. لبنان: دت، دار الكتب العلمية، ج1، ص85.

وَالقَسَم وَرُبَّ وَنَحو ذَلِكَ، فَلَا يَبحَث عَنهَا هَهُنَا، لِقِلَّةِ المَبَاحِث البَيَانِيَّة المُتَعَلِّقَة بِهَا أَو لأَنَّ أَكثرهَا فِي الأَصلِ إِخبَار نقلت إِلَى مَعنَى الإِنشَاء"[2].

خَامِسًا- الإِيجَازُ والإِطنَابُ ودَلالاتُهُ فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.

1 ـ الإيجازُ وتوجيه المعنى القرآني

عَرَّفَ محيي الدِّين الدروِيش الإِيجَازَ بِقولِهِ:" هُو جمع المَعَانِي الكَثِيرَة تَحتَ اللَّفظِ القَلِيلِ مَعَ الإِبَانَةِ والإِفصَاحِ"[3].

2 ـ أنواع الإيجاز عند محيي الدين الدرويش.

وَيَرَى محيي الدين الدرويش أَنَّ هُنَاكَ إِيجَازُ حَذفٍ وَإِيجَازُ تَقدِير.

وَأَمَّا إِيجَاز التَّقدِيرُ فَهُو قِسمَانِ[4]:

أَحَدُهُمَا: مَا سَاوَى لَفظه مَعنَاه.

ـ ثَانِيهِمَا: مَا زَادَ مَعنَاهُ عَلَى لَفْظِهِ ويُسَمَّى القَصر؛ إِذ يَدُلُّ لَفظُهُ عَلَى مُحتَمَلات عَدِيدَة، وَمُشتملات كَثِيرَة.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾، في الآية القرآنية إِيجَازُ حَذفٍ، وَإِيجَازُ الحَذفِ يَكُونُ بِـ" حَذفُ كَلِمَةٍ أَو جُملَةٍ أَو أَكْثَر مَعَ قَرِينَة تُعِينُ المَحذُوفَ"[5].

وَمِنه" مَنِ اتَّقَى النَّارَ عَصَمَ نَفسَهُ عَن جَمِيعِ المُوبِقَات التي يَطُولُ تِعدَادُهَا، وَترك المُكَابَرَة وَالمُعَانَدَة"[6].

---

[1] ـ العزاوي، عقيد خالد حمودي محيي العزاوي، النظم القرآني في تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط1. دمشق:2013، دار العصماء، ص53

[2] ـ التفتازان، مَسْعُود بن عمر بن عبد الله سعد الدّين التفتازاني، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، تَهْذيبُ السَّعْد ترتيب لكتاب مختصر المعاني، ط3. مصر: 1950، مطبعة حجازي، ج3، ص29.

[3] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج1، ص69.

[4] ـ المصدر نفسه، ج4، ص195.

[5] ـ المصدر نفسه، ج1، ص69

[6] ـ المصدر نفسه، ج1، ص69

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَمَثَلُ ٱلذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلذِے يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۖ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۖ﴾ [البقرة:170].

فِي هَذِهِ الآيَةِ القُرآنِيَّة إيجَاز فِي حَذفِ المُضَاف تَقْدِيرُهُ" مِثْلَ دَاعِي الذِينَ كَفُرُوا، وَلَم يُصَرِّح بِالدَّاعِي وَهُو الرَّسُولُ تَمَشِّيًا مَعَ الأَدَبِ الرَّفِيعِ فِي حُسنِ التلطُّفِ بِالخِطَابِ"[1].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ٱلذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِے خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِ ۖ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلاً سُبْحَٰنَكَ ۖ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۖ﴾ [آل عمران:171]

فِي هَذِهِ الآيَةِ إِيجَازُ فِي قَوْلِهِ ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِے خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِ ۖ﴾

فَالتَّفَكُّرُ عِبَادَة وَاستغفَار، فَالتَّفَكُّر والتَّأَمُّل ذِكر لِلهِ تَعَالَى لَهُ ثَوَابُهُ عِندَ اللهِ، يَشمَلُ أشيَاء كَثِيرَة فِي السَّمَاوَاتِ السَّبعِ وَفِي الأَرضِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيَ ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنَ اَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلاَخَرِ ۖ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۖ﴾ [المَائِدَة:27]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة إيجَاز فِي قولِهِ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۖ﴾ وَهِيَ كَلام جَامِع مَانِع، فَقَد شملَت هَذِهِ الجُملَة الكَثِير مِنَ المَعَانِي وَالأَحكَام، وَالمُتَّقِينَ هُمُ الذِينَ يَبتَعِدُونَ عَنِ الرَّذَائِلِ والخَطَايَا وَهِيَ كَثِيرَة، قِيلَ لأَبِي هُرِيرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنهُ ـ: مَا التَّقوَى؟

فَقَالَ:" أَجِزتَ فِي أَرْضٍ فِيهَا شوكٌ؟...فَقَالَ: نَعَم... فَقَالَ: كَيْفَ كُنتَ تَصنَع؟ فَقَالَ: كُنتُ أَتَوَقَّى. قَالَ: فَتَوَقَّ الخَطَايَا"[2].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَواْ ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۖ﴾ [هُود:112]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة إيجَاز فِي قولِهِ ﴿فَاسْتَقِمْ﴾ قَالَ محيي الدين الدرويش" ذَلِكَ لأَنَّ الاِستِقَامَةَ هِيَ الاِستِمرَار فِي جِهَةٍ وَاحِدَةٍ، وَأَلا يَعدِلَ يَمِينًا أَو شمَالا، وَمَعرُوف أَنَّ الخَطَّ المُستَقِيم هُو

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وبيَانُهُ، ج1، ص218.

[2] . إنصِافُ الجنانِ، إليهِ يصْعدُ الكلِم الطيّب مُعِينُ الخَطِيب من الذِّكر الحَكِيم وأقوال المُصطفى الحبيب وصحبِهِ والعلمَاء والحُكمَاء ونثرِ الأدِيب، تقديم: الدكتور محمد راتِب النَّابلسِي، دارُ الوعِي للنَّشرِ والتوزيع، ج1، ص16.

أَقْصَر بُعد بَينَ نُقطَتَينِ، فَأَقَلُّ انحِرَافٍ يُخرجه عَن اِستِقَامَتِهِ، وإِذَن فَقَد انتَظَمَ فِي كَلِمَةِ الاستقامَةِ جَمِيع مَكَارِم الأَخْلاقِ، وَمَحَاسِن الأَحكَامِ الأَصلِيَّة والفَرعِيَّة والكَمَالات، التي يُنشِدُهَا العَارِفُونَ وَالمُقَرَّبُونَ"[1]، فَالاِستِقَامَة هِيَ لُزُومُ الطَّاعَةِ لله تَعَالَى، والطَّاعَةُ لَيْسَت مَحصُورةً فِي بَابٍ بِعَينِهِ وإِنَّمَا هِي اسم جَامِعٌ يَتَعَلَّقُ بِكُلِّ مَا يقُومُ بِهِ الإِنسَان.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [الحِجر:41]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة إِيجَازُ تَقدِيرٍ فِي قَوله ﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ فِي هَذَا الإِيجَازِ دَلالات فَقَد جَاءَ التَّعبِير بِـ ﴿هَٰذَا﴾ للدلالَةِ عَلَى القُربِ، قَرِيب إلى اللهِ وإِلَى الفِطرَةِ وإِلَى القَلبِ، ثُمَّ جَاءَ التَّعبِيرُ بِـ ﴿صِرَٰطٌ﴾ فِيهِ دَلالَة عَلَى أَنَّ هَذَا الصِّرَاطَ أَو هَذِهِ الطَّرِيق مَسلُوكَة فَقَد سَلَكَهَا من قَبْله الأنبيَاءُ فَهِيَ طَرِيقُ إِبرَاهِيم وَنُوح وإدرِيس وَمُوسَى وَعِيسَى، ثُمَّ جَاءَ التَّعبِيرُ بِـ ﴿عَلَيَّ﴾ فَهِي ضَمَان وَعَهد مِنَ اللهِ عَلَى أَنَّهَا الطَّرِيق الحَق التي تُوجِبُ الجَنَّة لِصَاحِبِهَا ثُمَّ جَاءَ التَّعبِيرُ بِقَولِهِ ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ هُو طَرِيق لَيس فِيهِ اِعوِجَاج فِي أَحكَامِهِ وَشَرِيعَتِهِ، فَهُو صَالِح للعِبَادِ فِي كُلِّ زمَانٍ وَفِي أَيِّ مَكَانٍ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النَّحْل:6]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة إِيجَاز فِي قولِهِ ﴿حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ فَفِي كَلِمَتَي ﴿تُرِيحُونَ﴾ و ﴿تَسْرَحُونَ﴾ مَعَانِي مُتَعَدِّدَة وَصُور عَدِيدَة فهي غنية بالمعاني والأحْداث، فَكَلِمَةُ ﴿تُرِيحُونَ﴾ تَصحَبُهَا أَحدَاث مُختَلِفَة، وَحِينَ يَسرَحُونَ كَذَلِكَ تَكُونُ أَحدَاثٌ فِي الرَّعِي مِن وُجُودِ الصِّبيانِ يَلعَبُونَ وَالطُّيُور المُخْتلِفَة الأَلوَان وَالأَشكَال وَالمُرُور عَلَى البيُوتِ والمَرَاعِي المُعشَوشَبَة، وتَحَرُّك المَاشِيَة.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِے اِلرِّزْقِ فَمَا اَلذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّے رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتَ اَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ اَفَبِنِعْمَةِ اِللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [النَّحل:71]

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج3، ص490.

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة إيجَاز فِي قولِهِ تَعَالَى ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ قَالَ محيي الدين الدرويش" إيجَاز بَلِيغ، وَإِشَارَة إِلَى أَرفَعِ النُّظُم التي يَتَحَتَّمُ عَلَى البَشَرِ سُلُوكهَا فِي دُنيَاهِم، لِتَستَقِيمَ أُمُورُهُم، وَتَزُول أَسبَاب العَدَاوَةِ وَالخِصَام فِي قُلُوبِهِم، وَلِيَسُودَ السَّلام بَينَهُم، فَقَد أَخبَرَ اللهُ أَنَّهُ جَعَلَهُم مُتَفَاوتين فِي الرِّزقِ، وَلَكِن هَذَا التَّفَاوُت لا يَعنِي تَفضِيلهُم عَلَيهِم فِي الإنسَانِيَّةِ، أَو كَأَنَّهُ يُشِير إلا أَنَّ الوَاجِبَ يُحَتِّمُ عَلَيكُم أَن تردوا فضل ما رزقتمُوهُ عَلَيهِم، حتَّى تَتَسَاوَوا فِي المَلابِسِ وَالمَطَاعِم"[1].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَامُرُ بِالْعَدْلِ وَالِاحْسَٰنِ وَإِيتَآءِ ذِے ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النّحل:90]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة إيجَازُ مُتراكِم المَعَانِي والأَحكَام، ففي قولِهِ تَعَالَى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَامُرُ بِالْعَدْلِ وَالِاحْسَٰنِ﴾ هَذِهِ الآيَةِ اِتَّفَقَ عُلَمَاءُ البَلاغَةِ والتَّفسِير وَالشَّرْع أَنَّهَا أَجمَع آيَةٍ فِي القُرآنِ الكَرِيم للخَيرِ وَالشَّر، ولا أَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ خَطِيبٍ يُنهي خُطبَته بِهَذِهِ الآيَة التي تَجمَعُ خَيرَي الدنيَا وَالآخِرَة، وَهَذَا تَأَسِّيًا بِالخَلِيفَةِ عُمَرُ بن عبد العزيز ـ رَضِيَ اللهُ عَنهُ ـ فكانت ردًا علَى من يَسُبُّون الصَّحابَة ـ رضيَ اللهُ عنهُم أَجمعِين ـ

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿قَالَتَ اَنّىٰ يَكُونُ لِے غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِے بَشَرٌ وَلَمَ اَكُ بَغِيًّا﴾ [مَرْيَم:19]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة إيجَازٌ لهُ دلالاتهُ وَمَعانِيهِ مِنهَا أَنَّ رَحمَتَ الله قَرِيبَة من كلِّ داعٍ، ففي قَولِهِ تَعَالَى ﴿اَنّىٰ يَكُونُ لِے غُلَٰمٌ﴾ فَفِي الآيَةِ جَاءَ الكَلامُ مُوجَزًا فَتَقدِيرُ هَذَا الإيجَازِ" هَل تُعَادُ لنَا قُوَّتُنا وشَبَابنَا فَنُرزَق بِغُلامٍ؟ أَو هَل يَكُون الوَلَد لِغَيرِ الزَّوجَة العَاقِر؟ وَإِذَن فَالمُستبعَد هُو مَجِيءُ الوَلَد مِنهُمَا، وَلَكِن الجَوَاب أَزَالَ الإشْكَال، قِيلَ لَهُ سَيَكُونُ لَكُمَا الوَلَدُ وَأَنتُمَا بِحَالِكُمَا"[2] هَذَا الإيجَاز فِيهِ تَعَجُّب بِمَا بَشَّرَهَا بِهِ جِبرِيل ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ؛ لأَنَّهُ مِن العَادَة لا تَكُون الوِلادَة

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج4، ص275.

[2] ـ المصدر نفسه، ج4، ص580.

إلا مِن وُجُودِ الرَّجُل، والقُدرَة الإلهِيَّة أَنَّهُ قَادِر عَلَى خَلقِ الوَلدِ ابتِدَاءً، كَيف لا وهُو الذِي خَلق آدَم ـ عَليهِ السَّلام ـ

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه:49].

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة إيجَاز بَلِيغ يبيِّن أنَّ اللهَ خلقَ كل المخلوقَات فهداهَا، فَهَدَى الإنسَان لمَعرِفَةِ ربِّه، وهَدَى الحيوَانات لمرَاعِيهَا، ففي قَولِهِ تَعَالَى ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ هَذَا الإيجَاز فِيهِ مِن الجُمَلِ المَحذُوفَة مَا فِيهِ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الآية فِيهَا مِنَ الإختِصَارِ وَالحَقِّ والإنصَافِ للعبَادِ مَا فِيهَا.

وفَائِدَةُ الإيجَازِ فِي هَذِهِ الآيَة أَنَّ" فِرعَونَ أَرَادَ أَن يَصرِفَ مُوسَى ـ عَلَيهِ السَّلام ـ بَعدَ أَن أَوشَكَ أَن يَفضَحَهُ، وَيُبطِل خُرَافَاتِهِ، إِلَى مَا لا يَعنِيهِ مِنَ الأُمُورِ التي لا تَعَلُّقَ لَهَا بِالرِّسَالَةِ مِنَ الحِكَايَاتِ وَالأَسَاطِيرِ، فَأَجَابَهُ مُوسَى بِأَنَّ ذَلِكَ لَيسَ مِن خَصَائِصِ الرِّسَالَةِ، وإنَّمَا عِلمه عِندَ رَبِّي، فَلَمَّا سَأَلَهُ عَن رَبِّهِ أَوجَزَ الكَلامَ عَلَى هَذَا الشَّكلِ البَدِيعِ"[1].

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِى نَفۡسِى﴾ [طه: 94]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة إيجَازُ حَذفٍ فِي قولِهِ تَعَالَى ﴿فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ فَقَد حَذَفَ المُضَافَ وَتَقْدِيرُ الكَلامِ" مِن أَثَرِ حَافِرِ الرَّسُولِ"[2] وَالأَثَرُ فِي حَقِيقَتِهِ مَا يَترِكُهُ المَاشِي مِن صُورَة قَدَمه فِي الرَّملِ أَو التُّرَابِ، والمُرَاد بِالرَّسُولِ فِي الآيَةِ هُو جِبرِيل ـ عَليهِ السَّلام ـ والأَثَرُ هُو التُّراب الذِي تَحتَ حَافر فَرسِهِ، فَقَبِضَ مِنهَا قَبضَةً بِيَدِهِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلذِى يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [الأَنبِيَاء: 36]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة إيجَازُ حَذفٍ فِي قولهِ تَعَالَى ﴿أَهَٰذَا ٱلذِى يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ وَالذِّكر قَد يَكُون بِالخَيرِ أَو الشَّرِّ، فَالذِّكر إِن كَانَ لأَهلِ الخَيرِ فَهُو خَير، وَإِن كَانَ لأَهلِ الشَّر فَهُو شَر.

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وبيَانُهُ، ج4، ص688.

[2] ـ المصدر نفسه، ج4، ص719.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ اٰذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۖ وَإِنَ اَدْرِےٓ أَقَرِيبٌ اَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَۖ ﴾ [الأنبياء 108].

فِي الآيَةِ القرآنيَّة إيجَاز فِي قَوله تَعَالَى ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ اٰذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۖ﴾ وَهَذَا الإيجَازُ هُو إيجَازُ قَصْرٍ، وَمِنهُ فَإِن تَوَلَّوا وَأَعْرَضُوا واتَّخَذُوا الأَندَادَ والشُّرَكَاءَ يَكُونُونَ بِذَلِكَ قَد أَعْلَنُوا الحَرب عن اللهِ تعالى.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّنْ يَّنصُرَهُ اُللَّهُ فِے اِلدُّنْيا وَالَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ اِلَى اُلسَّمَآءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُۖ﴾ [الحج: 15].

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة إيجَاز مفَادهُ أنَّ اللهَ يَنصر مَنِ اتَّبَعَهُ وَلَو بَعدَ حِينٍ، قَالَ محيي الدِّين الدرويش" فأَمَّا الإيجَازُ فَلأَنَّ مَعنَاه مَن كَانَ يَظُنُّ مِن حَاسِدِي مُحَمَّدٍ وَمُبغِضِيه أَنَّ اللهَ لَن يَنصُرَهُ، وَأَنَّهُ يَفعَل شَيْئًا مُغَايِر للنَّصر، وَمَن كَانَ يُغِيظُهُ أَنَّ مُحَمدًا يَظْفَر بِمَطلُوبِهِ"[1] مَن كَانَ يَظُنُّ أَنَّ مُحَمدًا لَن يَنصُرَهُ اللهُ فِي الدنيَا والآخِرةِ، فَإِنَّ ظَنَّهُ هَذَا مَردُود عَلَيهِ، فَقَد نَصَرَ اللهُ نَبِيَّهُ فِي مَوَاطِن كَثِيرَةٍ وسَيَنصُرُهُ فِي الآخِرَةِ كَمَا نَصَرَهُ فِي الدنيَا.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿سُورَةٌ اَنزَلْنٰهَا وَفَرَضْنٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايٰتٍۭ بَيِّنٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَّكَّرُونَۖ﴾ [النُّور: 1]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة إيجَازُ حَذفٍ له دلالاتُهُ في مَعنى الآيةِ القُرآنيَّة وغَرَضهُ التوجِيهِي، فَفِي قولِهِ تَعَالَى ﴿سُورَةٌ اَنزَلْنٰهَا﴾ المَقصُود بِالسُّورَةِ المُنزَّلَة هِيَ ذِكرُ أَحكَامِ العَفَاف وَالسِّتر، لِهَذَا فَقَد كَتَبَ عُمَر بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ إِلَى أَهلِ الكُوفَةِ: عَلِّمُوا نِسَاءَكُم سُورَةَ النُّورِ"[2].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَالَامْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِے مَاذَا تَامُرِينَۖ﴾ [النَّمل:33]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة إيجَازٌ اِشْتَمَلَ عَلَى مَجمُوعَة مِن القَضَايَا فَهُو" **أَوَّلا:** يَدُلُّ عَلَى تَعظِيمِ المَشُورَة، وَتَعظِيم بِلقيس أَمر المُستَشَار، وَهُو **ثَانِيًا:** يَدُلُّ عَلَى تَعظِيمِهِم أَمرهَا، وَطَاعتهَا"[3].

---

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وبيَانُهُ، ج5، ص112.

[2] . القرطبي،أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصَارِي القُرطبي، الجَامِع لأَحكَام القُرآن تفسِير القُرطبي، خرج أحاديثه: احمد بن شعبان بن أحمد، محمد بن عيادي بن عبد الحليم، ط1. القاهرة:2005، مكتبة الصفَا، ج13، ص67

[3] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج5، ص511.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ قَالَ إِنِّيَ أُرِيدُ أَنُ انكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَاجُرَنِے ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنَ اَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنَ اَشُقَّ عَلَيْكَۖ سَتَجِدُنِيَ إِن شَآءَ اَللَّهُ مِنَ اَلصَّٰلِحِينَۖ﴾ [القَصَص:27]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة إِيجَاز لهُ أثَرهُ توجيه مَعنى الآية القُرآنِيَّة فِي قوله ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنَ اَشُقَّ عَلَيْكَۖ﴾ وَشَقَّ عَلَيهِ الأَمر أَي: هُو بَينَ أَمرَينِ بَينَ اليَأسِ وَالرَّجَاءِ عَلَى تَحصِيلِهِ، وَفِي الآيَةِ لا يُرِيدُ أَن يَشُقَّ عَلَيهِ فِي مُدَّةِ الرَّعِي، ولأَنَّهُ صَاحِبُ رِسَالَةٍ لَم يُكَلِّفه مَا لايُطِيق.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿هُدىً وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ [لقمَان:3]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة إيجَازٌ فِي قَولِهِ ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ "أَي: الذِينَ يَعمَلُونَ الحَسَنَات، وَهِي لا تُحصَى، وَلَكِنَّهُ خَصَّ مِنهَا هَذِهِ الثَّلاث"[1]، والمُحسِنِينَ هُم الذِينَ وَصَلُوا إِلَى أَعلى مَرَاتِبِ الدِّينِ، وَمِنهُ الإحسَان أنْ تَعبدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِن لَم تكُن تَرَاهُ فإِنَّهُ يَرَاكَ، وَهِيَ أَحسَنُ الدِّينِ يَقُولُ تَعَالَى﴿وَمَنَ اَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنَ اَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفاًۖ وَاتَّخَذَ اَللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلاًۖ ﴾ [النّساء:125]

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿إِذَ اَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَۖ﴾ [يس:14]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة إيجَاز بِالحذفِ فِي قَولِهِ ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ وذَلِكَ لأَنَّهُ" حَذَفَ مَفعُولِ عَزَّزْنَا، والتَّقدِير: وإِنَّمَا جَنَحَ إِلَى هَذَا الحَذف لِانصِبَابِ الغَرَض عَلَى المُعَزِزِ بِهِ الثَّالِث، وَإِذَا الغَرَض هُو المُرَادُ، وَكَانَ الكَلامُ مُنصَبا عَلَيهِ؛ كَانَ مَا سِوَاهُ مَطرُوحًا"[2]، والتَّعزِيزُ بِالثَّالثِ مِن بَابِ التَّقويَةِ وَهِيَ نُصرَة الحَقِّ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ فَوَٰكِهُۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ [الصَّافَّات:42]

---

[1] . محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وبيَانُهُ، ج6، ص79.

[2] ـ المصدر نفسه، ص6، ص315.

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة إيجَازُ قَصرٍ فِي قولِهِ ﴿ فَوَٰكِهُۖ﴾ وَهِيَ إبدَال مِن كلمَة رزق فَهُو دَالٌ عَلَى" أنَّهُم بَلَغُوا غَايَةَ مَا يَتَمَنَّاهُ المُتَمَنِّي، وَيَغْتبط بِهِ المُغْتبِط، فَالفَوَاكِه مُسَاوِيَةٌ للرِّزقِ، فَهِي تُشبِهُ الخُبْزَ، واللَّحمَ؛ لأَنَّ أَكلَهُم لا لإِقَامَةِ الصِّحَّةِ وَحِفظِهَا، وإِنَّمَا هُو لِلْتَلَذُّذ والتَّفَكُّه، فَأَجسَامُهُم هُناكَ مُحْكَمَة لا يَعْتَوِرُهَا وَهَنٌ، ولا يَتَطَرَّق إلَيْهَا ضعف، أَو فُتُور"[1].

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴾ [الصَّافَّات:101]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة إيجَازُ قَصرٍ، وَقَد دَلَّت هَذِهِ الآيَة عَلَى دَلالاتٍ وتوجيهات مِنهَا:

1 ـ أَنَّ فِيهَا بُشرَى وَهِيَ أَنَّ اللهَ سَيَرزُقُهُ الذُّرِّيَّةَ.

2 ـ أَنَّ الوَلَدَ سَيَكُونُ ذَكرًا.

3 ـ أَنَّ هَذَا الوَلَدَ سَوفَ يَبْلُغُ الحُلُم.

4 ـ أَنَّ هَذَا الوَلَد سَيَكُونُ حَلِيمًا.

فَالبُشرَى كَانَت مِن دُعَائِهِ بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، وَالبُشرَى بِالغُلامِ الذَّكَر بِقولِهِ ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ﴾ وَالحِلم لا أَصدَق مِن أَن يَعرِضَ عَلَيْهِ الرُّؤْيَا مِن أَنَّهُ سَوفَ يُضَحِّي بِهِ وَيَقْبَل ويَصبِر هُو وَيَستَسلِم لِأَمرِ اللهِ ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُومَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَۖ﴾ [فُصِّلَت:30]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة إيجَازٌ بَلِيغ فِي قولِهِ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ فَكَلِمَةُ الاِسْتِقَامَة فِي الآيَة هِيَ كَلِمَة شَامِلَة لِكُلِّ شَيءٍ فِيهِ طَاعَة، فهي اِتِّبَاعُ الطرِيق المُسْتقِيم والمَنهَج القَوِيم.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَۖ﴾ [الزُّخرُفُ:68]

اِشْتَمَلَت هَذِهِ الآيَة الكريمَة عَلَى إيجَازٍ يَضُمُّ بَينَ طيَّاتِهِ توجيهات دلالية منها:

ـ خِطَاب لِعِبَادِهِ المُؤمِنِينَ.

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وبيَانُهُ، ج6، ص385.

ـ نَفيُ الخَوف عَنْهُم يومَ القِيَامَةِ يَومَ يَخَاف النَّاس.

ـ نَفِي الحُزن عَنْهُم.

ـ لَهُم البُشرَى بِمَا يَسَرُّهُم وَتَقِرُّ أَعيُنَهُم بِهِ.

ـ يَقُولُ تعَالَى ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ اَلْانفُسُ وَتَلَذُّ اُلْاعْيُنُۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَۖ﴾ [الزُّخرُف:71]

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ اَلْانفُسُ وَتَلَذُّ اُلْاعْيُنُۖ﴾ فَهَذِهِ الآيَة القرآنية حَصَرَتْ جَمِيع النِّعَم التي يَلْقَاهَا المُؤمِنُ فِي الجَنَّةِ، وَهَذِهِ النِّعَم إِمَّا" مُشْتَهَاةٌ فِي القُلُوبِ، وإِمَّا مُسْتَلَذَّةٌ فِي العُيُونِ"[1].

ـ يَقُولُ تعَالَى ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزَفُونَ﴾ [الوَاقِعَةُ:22]

فِي الآيَةِ القرآنية إِيجَاز فَقَد" جَمَعَ فِي هَاتَينِ الكَلِمَتَينِ جَمِيع عُيُوب الخَمر فِي الدُّنيَا"[2] وَقَد "رَوَى الضَّحَّاكُ عَن ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا قَالَ: فِي الخَمرِ أَربَع خِصَالٍ: السُّكْرُ والصُّدَاعُ والقَيءُ والبولُ، وقَد ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى خَمرَ الجَنَّةِ فَنَزَّهَهَا عَن هَذِهِ الخِصَالِ.

2 ـ الإطنَابُ وَدَلالاتُهُ.

الإطنَابُ لُغَةً: عَرَّفَهُ محيي الدين الدرويش بِقولِهِ:" الإطنَابُ مَأخُوذ فِي الأَصلِ مِن أَطنَبَ فِي الشَّيءِ إِذَا بَالَغَ فِيهِ، يُقَالُ: أَطْنَبَتِ الرِّيح إِذَا اِشْتَدَّت فِي هُبُوبِهَا، وأَطنَبَ فِي السَّيرِ إِذَا اِشْتَدَّت فِيهِ"[3]

عَرَّفَهُ محيي الدِّين الدرويش بِقولِهِ:" وَهُو زِيَادَةُ اللَّفظِ عَلَى المَعنَى لِفَائِدَةٍ"[4].

وَفَائِدَةُ الإِطنَاب وَمَزِيَّتُهُ أَنَّهَا" تَزِيدُ فِي اللفظِ عَنِ المَعْنَى لِفَائِدَةٍ مَقصُودَة، أَو غَايَةٍ مُتَوَخَّاة، فَإِذَا لَمْ تَكُنْ ثَمَّةَ فَائِدَة فِي زِيَادَة اللفظ؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ تَطْوِيلاً مُمِلاً، بَادِي الغَثَاثَةَ، ظَاهِر الرَّكَاكَة"[5].

---

[1] ـ محيي الدين الدرويش، إعرَابُ القُرآنِ الكَرِيم وبيانُهُ، ج7، ص103.

[2] ـ المصدر نفسه، ج7، ص397.

[3] ـ المصدر نفسه، ج4، ص358.

[4] ـ المصدر نفسه، ج1، ص598.

[5] ـ المصدر نفسه، ج5، ص418.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۖ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة:196]

فِي قولِهِ ﴿يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ إطنَاب، فأصحَاب القلُوب الرَّاجِحَة فهُم بكُلِّ طَاعَة قائِمُون، ولكلِّ خيرٍ فَاعِلُون، قَالَ محيي الدِّين الدرويش" فَإِنَّ الأَمرَ بِالتَّقْوَى لَيسَ خَاصًا بِأُولِي الأَلبَابِ وَحْدَهُم، لأَنَّ كُلَّ إِنسَانٍ مَأْمُورٍ بِالتَّقْوَى"[1] وَمِن بَابِ أَولَى أَن يَكُونَ أُولُوا الألبَابِ مِنَ المُتَّقِينَ.

ـ يَقُولُ تَعَالى﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ۖ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ۖ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران:36]

فِي قَوْلِهِ ﴿وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ إطنَاب فِيهِ أَغرَاض مُتَعَدِّدَة مِن خِلاَلِ الآيَةِ القرآنية، قَالَ محيي الدين الدرويش" وَالغَرض مِنهُ التَّصرِيح بِالتَّسمِية التَّقَرُّب إِلَى اللهِ والاِزْدِلاف إِلَيْهِ بِخِدمَةِ بَيت المَقدِس أَوَّلاً، وَرَجَاءَ عِصمَتِهَا ثَانِيًا، وَإِظهَاراً لِعَزمِهَا عَلَى الوَفَاءِ بِوَعدِهَا ثَالِثًا"[2].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرِىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ۚ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۚ ﴾ [المائدة:44].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام:7]

فِي الآيَةِ القرآنية إطنَاب فِي قولِهِ ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" وإِنَّمَا ذَكَرَ الأَيدِي وَاللَّمس لا يَكُونُ إِلا بِهَا حَتَّى يَجتَمِعَ لَهُم إِدرَاكُ الحَاسَّتَينِ: حَاسَّةُ البَصَر وَحَاسَّةُ اللَّمْس"[3].

---

[1] محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وبيَانُهُ، ج1، ص262.

[2] ـ المصدر نفسه، ج1، ص430.

[3] . المصدر نفسه، ج2، ص 332.

فَالقِرْطَاس هُو مَا يُكْتَبُ فِيهِ، وَبِالتالِي هَؤُلاءِ لَو أنزل عَلَيهِم كِتَاب وقرؤهُ وَلَمِسُوهُ بِأَيدِيهِم مَا ءَامَنُوا بِهِ، وَهَذَا لَيسَ عَجْزًا فِي تَبْلِيغِ النَّبِي الكَرِيم للرِّسَالَةِ، وَإِنَّمَا هُو عِنَاد واسْتِكبَار مُتَأَصِّل فِيهِم.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِے حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰناً فَلَا يُسْرِف فِّے ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُوراً ۞ ﴾ [الإسراء:33].

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة إطنَاب وَهُو تفسِير لِقولِهِ تَعَالَى ﴿ وَلَكُمْ فِے ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِے ٱلَالْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞﴾ التي هِيَ إيجَاز وَهِي تَفْسِيرٌ لِلآيَةِ الأُولَى وَمُتَضَمِّنَةً فِيهَا.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ۞﴾ [الشُّعراء:74]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة إطنَابٌ وَمُقْتَضَى الإجَابَة عَنِ السُّؤَالِ المَطرُوح فِي قولِهِ تَعَالَى﴿مَا تَعْبُدُونَ ۞﴾ أَن تَكُونَ الإجَابَةُ: أَصنَامًا، فَهُو سُؤَال عَنِ المَعبُودِ، فَهَذِهِ الإجَابَة، نَعْبُدُ أَصنَامًا فِيهَا دَلِيل عَلَى إظْهَارِ اِفْتِخَارِهِم وَاعْتِزَازِهِم بِهَذِهِ الأَصنَام التي يَضَلُّونَ لَهَا عَاكِفِينَ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ وَجَآءَ مِنَ اَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعِےٰ قَالَ يَٰقَوْمِ إِتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٩ إِتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْراً وَهُم مُّهْتَدُونَ ۞﴾ [يس 20.21]

فِي الآيَةِ إطْنَاب، فَقَد خَتَمَ اللهُ تَعَالَى الآيَةَ بِقولِهِ ﴿ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۞﴾ مَعَ تَمَامِ الآيَة بِدُونِهَا، وَهَذَا بِغَرَضِ الحَثِّ عَلَى الإتِّبَاعِ.

سَادسًا ـ القَصرُ وَالحَصرُ وَدَلالاتُهُما فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.

1 ـ القَصرُ ودَلالاتُهُ:

أ ـ القَصرُ لُغَةً: الحَبسُ وَالإلتِزَام، نَقُولُ: قَصَرتُ نَفسِي عَلَى الشَّيءِ إذَا حَبَستَهَا[1].

وَقَصَرَ عَن الشَّيءِ عَجز عَنهُ ولَم يَبلغهُ وبَابهُ دَخَل[2].

[1] . ابنُ منظُور، لِسَانُ العَرَب، مَادَّة (قصر).

[2] . المصدر نفسه، مادة (قصر).

ب ـ القَصرُ اِصطِلاحًا: عَرَّفَهُ محيي الدِّين الدروِيش بِقَولِهِ:" تَخصِيصُ أَحَد الأَمرَينِ عَلَى الآخَرِ وَنَفيِهِ عَما عَدَاه، وَهُو يَقَعُ للمَوصُوفِ عَلَى الصفَةِ وَبِالعَكسِ"[1].

وَالقَصرُ تَوكِيد، وَلَهُ أَدَوَات يَقُومُ عَلَيْهَا وَهِيَ النفيُ والاِستِثناءُ، وَالقَصر مِن مَبَاحَثِ عِلمِ المَعَانِي، وَالغَرَض الذِي يُؤديهِ القَصر لَيسَ جَمَالِيًا وَإِنمَا قَد يَتَغَيرُ مَعنَى الجُملَةِ كُليًا فِي حَالِ التَّقْدِيم أَوِ التَّأْخِير.

وَيَنقَسِمُ القَصر إِلَى قِسمَينِ: قَصرٌ حَقِيقِي وقَصرٌ إِضَافِي.

فَالقَصر الحَقِيقِي هُو" مَا الاِختِصَاص فِيهِ بِحَسبِ الوَاقِع والحَقِيقَة، لا بِحَسْبِ الإِضَافَة إِلَى شَيْءٍ آخَرَ"[2]، وَمِثَالُ القَصْر الحَقِيقِي كَقَولِكَ: لاَ عَالِمَ فِي المَدِينَةِ إلا عَبد النُّور.

وأَمَّا قَصرُ الإِضَافَةِ فَهُو مَا يكون فيه الاِختِصَاص بِحَسبِ ما يضاف إِلَى أشياء معينة، وَمِثَالُ قَصر الإِضَافَة كَقَولِكَ: مَا مُحَمَّدُ إلا رَسُولٌ.

وَالقَصرُ لَهُ أَدَوَات وَطُرُق، ومِن آلِيَاتِهِ نَجِدُ:

أ ـ النَّفِي والاِستِثنَاء نَحو قَولِكَ: لا يَفُوزُ إِلا المُجْتَهِدُ

ب ـ بِاستِعمَالِ (إِنَّمَا) وَذَلِكَ نَحو قَولكَ: إِنَّمَا العِلمُ اِجتِهَاد.

ج ـ العَطفُ بِـ (لا) و(بَل) أَو (لَكِن).

د ـ تَقدِيمُ مَا حَقُّهُ التَّأْخِير، وَفِي هَذِهِ الحَالَة يَكُون المَقصُور عَلَيْهِ هُو المُقدم، نَحو قَولِكَ: عَلَى الصَّالِحِينَ المُخلِصِينَ نَحكِي.

وَقَد ذَكَرَ محيي الدِّين طُرُق أُخرَى للقَصر غَير الطُّرق السَّابِقَة:" ضَمِيرُ الفَصل، نحو: عَلي هُو الشُّجَاع، ومِنهَا: التَّصرِيحُ بِلَفظِ "وحده" الحَالِيَّة، أَو لَيْسَ غَيرَ، نَحو: أَكرَمتُ عَلِيا وَحدَهُ، ولَكِنّهَا لا تُعَدُّ مِن طُرُقِهِ الاِصطِلاحِيَّة"[3].

مِن الأمثلَة في هَذا البَاب:

---

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القرآنِ الكريمِ وبيَانُهُ، ج1، ص538.

[2] ـ المصدر نفسه، ج4، ص426.

[3] . المصدر نفسه، ج4، ص427.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ اِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ اِلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ اِنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَنْ يَّنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَّضُرَّ اَللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِے اِللَّهُ اُلشَّٰكِرِينَۚ ﴾ [آل عمران:144]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة قَصْر فِي قَوْلِهِ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ اِلَّا رَسُولٌ﴾ قَالَ محيي الدِّين" أَي: أَنَّ مُحَمدًا ﷺ مَقصُور عَلَى الرِّسَالَةِ لا يَتَعَدَّاهَا إِلَى البُعد عَنِ الهَلاكِ بِنَاءً عَلَى استِعظَامِ الصَّحَابَة أَلا يَبْقَى رَسُول اللهِ ﷺ لَهُمْ، فَكَأَنَّهُم أَثْبَتُوا لَهُ وَصفَينِ: الرِّسَالَة وَعَدَم الهَلاك، فَخَصَّصَ بِقصرِهِ عَلَى الرِّسَالَةِ، فَهُو مِن إِخرَاجِ الكَلامِ لا عَلَى مُقْتَضَى الظَّاهِر، وَهُو قَصر إِفرَادٍ"[1]، وَفِي الحَقِيقَةِ هَذَا القَصرُ قَلبِي؛ لأَنَّهُم انقَلَبُوا عَلَى أَعقَابِهِم فَقَد كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ الرَّسُولَ مُحَمَّد ﷺ لَيْسَ كَالرُّسُل، أَنَّهُ لايَهلَك ولا يَمُوت، كَمَا يَدَّعُونَ بِقَولِهِم كَمَا وَصَفَهُم اللهُ بِقَولِهِ: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا اَلرَّسُولِ يَاكُلُ اُلطَّعَامَ وَيَمْشِے فِے اِلَاسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيراً ۝ اَوْ يُلْقِىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ اَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَاكُلُ مِنْهَاۚ وَقَالَ اَلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَّسْحُوراًۚ﴾ [الفرقان:8]، وَلَكِنَّ اللهَ عَزَّوَجَل رَد عَلَيهِم بِقَولِهِ ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ اِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ اِلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ اِنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَنْ يَّنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَّضُرَّ اَللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِے اِللَّهُ اُلشَّٰكِرِينَۚ ﴾ فَهُو رَسُولٌ كَبَقِيَّةِ الرُّسُلِ وَأَنَّهُ يَهْلَك كَمَا هَلَكُوا كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزُّمر:30]

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿قُلِ اِنَّمَا يُوحِىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَهَلَ اَنتُم مُّسْلِمُونَۖ﴾ [الأَنبِيَاء: 108]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة قَصر فَقَد قَصَرَ الوَحيَ عَلَى الوِحدَانِيَّة، وَفِي ذَلِكَ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" إِنَّ فِي هَذِهِ الآيَة قَصرَينِ:

الأوَّل: قَصر الصِّفَة عَلَى المَوصُوفِ، وَذَلِكَ فِي قَصرِ الوَحي عَلَى الوِحدَانِيَّة، وَالمَعنَى: لا يُوحَى إِلَيَّ إلا اِختصَاص الإِله بِالوِحدَانِيَّة، لا لأَنَّهُ لَم يُوحَ إِلَيهِ بِشَيءٍ غَيرهَا، وَلَكِنَّهَا الأَصل الرَّئِيسِي فِي كُلِّ عِبَادَةٍ وَعَمَلٍ، وَهِيَ المَطلُوبَة أَوَّلا، وقَبلَ كُل شَيءٍ، حَتَّى كَأَنَّ مَا عَدَاهَا غَير مَنظُور إِلَيهِ، أَو غَيرَ جَدِيرٍ بِالذِّكرِ.

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكريمِ وبيَانُهُ، ج1، ص539.

الثَّانِي: قَصرُ المَوصُوف عَلَى الصِّفَةِ، وَذَلِكَ فِي قَصرِ اللهِ عَلَى الوِحدَانِيَّة، وَهُو ظَاهِر"[1].

وفِي هَذَا دليلٌ على أنَّ مدارَ القرآن الكريمِ كلِّهِ على وحدانيَةِ اللهِ تعالى، وهِيَ لا إلَهَ إلا اللهُ، وحتَّى الشَّرائِع السَّابِقَة، فالدِّين الإسلامي مكمّلٌ لَهَا وأسَاسهُ التوحِيد والوحدانية.

ومِنهُ فِي هَذَا الفَصْل يُمكِن أَنْ نقُول أنَّ عِلم المَعَانِي مِن خِلال خَصَائِص الدلالَة التركيبِيَّة من تقديمٍ وتأخيرٍ وذكرٍ وحذفٍ وتعريفٍ وتنكيرٍ وخبرٍ إنشاءٍ، هذه العنَاصِر كانَ لهَا أثرهَا في توجيهِ المعنَى القرآنِي، وَمِن خِلالِ دِرَاسَة مَا وردَ عِندَ محيي الدين الدرويش اتَّضَح ذلكَ وخاصَّة التقدِيم والتأخِير والتعريف والتنكِير والذِّكر والحَذْف، تبين أن لها أثر في تحديد مفَاهِيم الآيَات القُرآنِيَّة وتوجيه معناها.

[1] . محيي الدِّين الدرويش، إعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج5، ص85.

الفَصلُ الثَّالِث

عِلمُ البَيَانِ وَتَوجِيه المَعنَى القُرآنِي عِندَ محيي الدِّين الدروِيش

عِلمُ البيَانِ وَتَوجِيه المعنى القرآني

- أولا: عِلمُ البَيَانِ القُرآنِي.

أ ـ البَيَانُ لُغَةً.

ب ـ البَيَانُ اِصطَلاحًا.

المبحثُ الأوَّل: التَّشبِيهُ البيَانِي ودلالاتُهُ في التَّوجِيهِ القُرآنِي.

1 ـ التَّشبيهُ لُغَةً واصطِلاحًا

أ ـ التَّشبِيهُ لغةً.

ب ـ التشبيهُ اصطلاحًا.

2 ـ التَّشبِيهُ عِندَ محيي الدين الدروِيش.

3 ـ التَّشبِيهُ التَّمثِيلِي وتَوجِيه المَعْنَى القُرآنِي.

المَبحثُ الثَّانِي: المَجَازُ ودلالاتُهُ فِي تَوجِيهِ المَعْنَى القُرآنِي.

ج ـ أقسَامُ المجازِ عِندَ محيي الدين الدرويش.

1 ـ المَجَازُ المُرسَلُ وَدَلالاتُهُ فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.

2 ـ المَجَازُ العَقلِي وَدَلالاتُهُ في توجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.

المَبحَثُ الثَّالِث: الكِنَايَة.

أ ـ الكِنَايَةُ لُغَةً.

ب ـ الكِنَايَةُ اِصطِلاحًا.

عِلمُ البيَانِ وَتَوجِيه المَعنَى القُرآنِي

1 ـ عِلمُ البيَانِ القُرآنِي:

البَيَانُ القُرآنِي هُو بَيَان مُتَجَدِّد، يَحوِي بَينَ طَيَّاتِهِ أسَالِيب ومَعَانِي القرآن الكريم فهُو يكشِفُ عَن مَعَانِ القُرآنِ الكَرِيم وفق آليَاتِه، وَيُعَدُّ أَبُوعبَيدَة مَعمَر بن المُثَنَّى(208هـ) في كتَابِهِ (مَجَازُ القُرآنِ) مِنَ الأوَائِل الذِين طَرَقُوا بَابَهُ.

قَالَ عبد الرَّحمَن بن خلدُون" إنَّ عِلمَ البيَانِ عِلم حَادِث فِي المِلَّةِ بعد علم العربية واللغة، وهو من العلُوم اللِّسَانِيَّة، لأنَّهُ متعلِّق بِالألفَاظ ومَا تفِيدُهُ، ويُقصدُ بِهَا الدلالَة عليهِ مِنَ المَعَانِي"[1] فَقَد نَشَأَ فِي حَرَكَةِ التأليف، وَهَذَا بِغَرضِ الكَشفِ عَن خبَايَا القُرآن الكَرِيم وإعجَازه، وفي الردِّ علَى التيَّارات التي ظَهرَت فِي العَصرِ العَبَّاسِي الذِي نَشَأَ فِي عَصرِهِ.

أ ـ البَيَانُ لُغَةً:

عَنِيَت المَعَاجِمُ العَرَبيَّة القَدِيمَة والحَدِيثَة بِتَحدِيدِ مَفهُوم كلمَة (بَيَان)، والبَحث فِي دلالتِهَا ومَا تَرمِي إليهِ قدِيمًا وحدِيثًا، جَاءَ فِي أسَاسِ البَلاغَةِ:" تَبَينَ: بِمَعنَى ظَهَرَ، ورَجُل بَيِّن، فَصِيح ذُو بَيَانٍ"[2]، وأمَّا عبد القَاهر الجُرجَاني فالبَيَان عندهُ مُرادِفًا للفَصَاحَةِ.

وأمَّا البَيَانُ القُرآنِي فَقَد وردَت كَلِمَةُ البَيَان فِي القُرآنِ الكريمِ فِي قولِهِ تَعَالَى ﴿عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرَّحْمَن:4]، وقولِهِ تَعَالَى ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامَة:19].

وهَنَاكَ فرق بَينَ بَيَانِ وَنَظمِ الخَالِق، وبَيَانِ ونَظمِ المَخلُوقِ.

ب ـ البيَانُ اصطِلاحًا: عَرَّفَهُ السكاكِي بِقولِهِ:" هُو إيرَادُ المَعنى الوَاحِد بِطُرُقٍ مُختَلِفَة بالزِّيَادَةِ فِي وُضُوحِ الدلالة عَلَيهِ والنُّقصَان لِيَحتَرِز بالوقُوفِ عَلَى ذَلِكَ عَن الخَطَإِ فِي مُطَابقَةِ الكَلام

---

[1] ـ ابن خلدُون، عبد الرَّحمن بن خلدون، مقدِّمة العلامَة ابن خلدون المسمَّاة: دِيوَان المُبتدأ والخَبر في تاريخِ العَربِ والبربَر وَمن عَاصَرهم من ذوي الشَّأن الأَكْبر، ط1. بيروت: 2006، دار الفكر، ص603.

[2] ـ الزَّمَخشرِي، محمُود بن عمرُو، أسَاسُ البَلاغَة، تح: محمد باسل عيُون السُّود، ط1. بيروت: 1419هـ/1998، دَارُ الكُتُبِ العِلميَّة، ص194.

لتمَامِ المُرادِ مِنهُ"[1]، فالسَّكاكِي هُو من قَسَّم علُوم البَلاغَة إلى علمِ المَعَانِي والبَيَان وإلَى مُحَسِّنَات لفظيَّة ومَعنَوِيَّة.

وَعَرَّفَهُ القزوِينِي بقَولِهِ:" هُو عِلمٌ يُعرَفُ بِهِ إيرَادُ المَعنَى الوَاحِد بِطُرُقٍ مُختلِفَة فِي وُضُوحِ الدلالَةِ عليه"[2].

فَعِلمُ البيَانِ يُسَاهِمُ فِي تَوجِيهِ المَعْنَى القُرآنِي وَتَرجِيح المَعنَى المُرَاد للآية القرآنية، كمَا يُسَاهِم فِي إيجَادِ مَعَانِي مُختلِفَة للآيَةِ الوَاحِدَة.

[1] ـ السكاكِي، محمَّد بن علِي السكاكِي، مفتاحُ العُلُوم، ضبطه: نعيم زرزور، ط2. بيروت: 1987، دار الكتب العلمية، ص77.

[2] ـ القزويني، جلال الدِّين القزويني الإيضَاح في علُومِ البَلاغة، تح: محمد عبد المنعِم خفَّاجِي، ط3. بيروت: دت، دار الجيل، ج1، ص123.

المَبحَثُ الأوَّل: التَّشبِيهُ البَيَانِي وَدَلالاتُهُ فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.

1 ـ التَّشبِيهُ لُغَة واصطلاحا:

أ ـ لُغَة: وَرَدَ فِي لِسَانِ العَرَبِ لابن مَنظُور:" الشّبه والشّبَه والشَّبِيه: المثل. وأَشْبَهَ الشَّيءُ الشَّيءَ: مَاثَلَهُ، والتَّشبِيه: التَّمْثِيل"[1].

ب ـ اِصْطَلاحًا: عَرَّفَهُ القَزوِينِي بقَوْلِهِ:" التَّشبِيه الدلالة عَلَى مُشَارَكَةِ أَمرٍ لأَمرٍ فِي مَعنَى"[2].

2 ـ التَّشبِيهُ عِندَ محيي الدِّين الدرويش.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَإِذَ اَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ ۖ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ ۖ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ۖ وَأُشْرِبُواْ فِے قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِيسَمَا يَامُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّومِنِينَ ۖ ﴾ [البقرة:93].

فِي هَذِهِ الآيَة القُرآنِيَّة تَشبِيه بَلِيغ يُبَيّنُ مَعنَى الآيَة مِن خِلالِ الأَلفَاظ المُسْتَعملَةُ فِي التَّشبِيهِ فَقَد اِسْتَعْمَلَ لَفْظ (الشُّرب) دُونَ (الأَكل)؛ لأَنَّ (الشُّربَ) أَو المَاء يَتَغَلغَلُ إِلَى جَمِيعِ الأَعْضَاء وَيَصِلُ إِلَى بَاطِنِهَا، وَهَذَا خِلاف الأَكل، كَمَا أَنَّ الشُّرب أَسرَعُ وُصُولا إِلَى الأَعْضَاءِ مِن أَيِّ مَادَّةٍ، وَوَجهُ الشَّبَهِ هُو شِدَّةُ الاتِّصَالِ وَالسَّرَيَان، فالمُسلِم عِندَ إِفطَارِهِ أَوَّل مَا يَتَنَاول بَعدَ التَّمر المَاء؛ لأَنَّهُ سَرِيع التَّغَلْغُل إِلَى جَمِيعِ الجَسَدِ، وَهَذَا أَكْثَر مِنَ المَوَادِ الأُخرَى، قَالَ المتنبي[3]:

جَرَى حُبّهَا مَجْرَى دَمِي فِي مَفَاصِلِي فَأَصْبَحَ لِي عَن كُلِّ شُغْلٍ بِهَا شغل

فَكَمَا يَتَغْلَغَل المَاء إِلَى جَمِيعِ الجَسَدِ بِسُرْعَةٍ، تَغَلْغلَ حُبِّ العِجْلِ فِي نُفُوسِهِم فَشَرِبَت قُلُوبُهُم حُبَّهُ وَرَسَخَ فِيهِم، وَهَذَا لِحِرْصِهِم الشَّدِيد عَلَى عِبَادَتِهِ فَأَصْبَحَ هَذَا الحُبُّ مُخْتَلِطًا بِهِم لَا يَنفَكُّ.

قَالَ زُهَير بن أَبِي سُلمَى:

فَصَحَوتُ عَنْهَا بَعْدَ حُبٍ دَاخِلٍ والحُبُّ تُشْرِبُهُ فُؤادَكَ دَاءُ[4]

---

[1] ـ ابن مَنظُور، لسَانُ العَرَبِ، ج1، ص 226.

[2] ـ القزويني، جَلال الدِّين القزويني الإيضَاح في علُومِ البَلاغة، تح: محمَّد عبد المُنعِم خَفَّاجِي، ط3. بيرُوت: دت، دَارُ الجيل، ج2، ص212.

[3] ـ المُتنبِّي، ديوَان المُتنبِّي، دط. بيروت: 1983، دار بيروت للطباعة والنشر، ص44.

[4] ـ زهير بن أبي سلمى، ديوان زهير بن أبي سلمى، ط1. بيروت: 1988، دار الكتب العلمية، ص21.

وَقَالَ عبيد الله بن مَسعُود الهُذَلِي[1]:

تَغَلْغَلَ حُبُّ عَثْمَةَ فِي فُؤَادِي فَبَادِيهِ مَعَ الخَافِي يَسِيرُ

تَغَلغَلَ حَيثُ لَم يَبلُغ شَرَاب ولا حزن وَلَم يَبْلُغ سُرُورٌ

والتغلغل هو التمكُّن من الشَّيء، بمعنى أن الحُبَّ تمكَّن منهُ، فكذلك حبُّ العجلِ تمكَّن مِنهُم فأَسَرَ قلوبَهم.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَقَدْ نُزِّلَ عَلَيْكُمْ فِے اِلْكِتَٰبِ أَنِ اِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ اِللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِے حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ إِنَّ اَللَّهَ جَامِعُ اُلْمُنَٰفِقِينَ وَالْكَٰفِرِينَ فِے جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾ [النِّسَاء:140]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة تَشبِيه المُتَّصفِين بصفَات المُنافِقينَ أَنَّهُم مِثل المُنافقين والكُفَّار فِي الوِزر والمكانَة، فِي قَولِهِ ﴿إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ إِنَّ اَللَّهَ جَامِعُ اُلْمُنَٰفِقِينَ وَالْكَٰفِرِينَ﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" والمِثْلِيَّة بَينَ الكَافِرِينَ والمُنَافِقِينَ تَظهَر فِي الآيَةِ بَينَ القَاعِدِينَ وَالمَقعُودِ مَعهُم، فإِنَّ الذِينَ يُشَايِعُونَ الكَفَرَة، وَيُوَالُونَهُم، وَيَمدُّون أيدي الاستخذاء والذُّلِّ إليْهِم مَعَ قُدرَتِهِم عَلَى الصُّمُودِ والتَّحَدِّي هُم مِثل الكَفَرَة، وإِن لَم يَكُونُوا مِنهُم، بَل إِنَّ شَرَّهُم أَشَدُّ والخَطَر مِنهُم أَجدَر بِالحَذَرِ؛ لأَنَّهُم إِذَا لَم يُنكِرُوا عَلَيهم كَانُوا رَاضِينَ، وَالرَّاضِي بِالكُفرِ كَافِر"[2] وهَذِهِ المُمَاثَلَة لَيسَت فِي جَمِيعِ الصِّفَاتِ؛ ولَكِنَّهُ إِلزَام شُبِّهَ بِحُكمِ الظَّاهر مِن المُقَارَنَةِ؛ وهَذَا المَعنَى كَقَولِ الشَّاعِر طَرفَة بن العَبد:

عَنِ المَرءِ لا تَسأَل وسَل عَن قَرِينِهِ فَكُلّ قَرِينٍ بِالمقَارن يَقْتَدِي[3]

---

[1] ـ الطَّاهر بن عَاشُور: التَّحْرِير والتَّنوِير،ج1، ص611، والأَبْيَات هِي للشَّاعِرِ: عُبَيد الله بن مَسعُود الهُذَلِي، غيْر أَنَّ هُنَاكَ مَن يَستَعْمِل لَفْظ (عَثْمَة) وهنَاكَ مَن يَسْتَعْمِل لفْظ (عَزَّة)، وقَد ذكَرَ القُرْطُبِي أنَّ هذه الأبيَات لأَحَدِ النَّابِغَتَيْنِ: النَابِغَة الذبيَانِي، أَو النَّابِغَة الجَعْدِي فِي زَوْجتِهِ عَثْمَةَ كَانَ عَتَبَ عَلَيْهَا فِي بَعْضِ الأَمْرِ فَطَلَّقَهَا وَكَانَ مُحِبًا لَهَا.

[2] ـ مَحْيِي الدِّين الدرويش، إِعْرَابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وَبيَانُهُ، ج2، ص134.

[3] ـ طرفة بن العبد، طرفة بن العبد الأعلم الشنتمري، ديوان طرفة بن العبد، تح: درية الخطيب ولطفي الصقال، دط. بيروت: دت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص 43.

وَمِن تَوجِيهَات الآيَة القُرآنِيَّة أَنَّ هَذِهِ المُمَاثَلَة هِي بِمَثَابَة تَهدِيد وتَخوِيف وَفِيهَا نَهي للمُؤمِنِينَ بِعَدَمِ القُعُود مَعَ المُنَافِقِينَ؛ لأَنَّهُم إِذَا قَعَدُوا مَعَهُم يَكُونُونَ مِثلَهُم فِي الاِستِخفَافِ بِآيَاتِ اللهِ تَعَالَى، وَفِيهَا مُمَاثَلَة فِي المَعصِيَةِ وَهِيَ أَنَّهُم سَوَاء فِي عَدَاوَةِ المُؤمِنِينَ.

ـ يقُولُ تَعَالَى ﴿ فَالِقُ ٱلِاصۡبَاحِ وَجَٰعِلُ ٱلَّيۡلِ سَكَنٗاۖ وَالشَّمۡسَ وَالۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِۖ ﴾ [الأنعَام:96]

فِي الآيَة القُرآنِيَّة تَشبِيه الليل فِي قولِهِ ﴿وَجَٰعِلُ ٱلَّيۡلِ سَكَنٗاۖ﴾ وَقَد وَرَدَ لَفظ السَّكَن فِي القُرآنِ الكَرِيم 52 مرَّة، وَفِي الآيَةِ إِعْجَازٌ بَيَانِي فَلَفظ ﴿سَكَنٗاۖ﴾ نُلاحِظ فِيهَا تَوَالِي الفتحَات على حُرُوفِهَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى ثَبَاتِهَا؛ هَذَا الثُّبُوت الذِي تَصحَبُهُ الطُّمَأْنِينَة وَالسَّكِينَة.

وَعَبَّر عَن الليلِ بِالسَّكَنِ لأَنَّهُ مَحَل السَّكَن الذِي يَطمَئِن فِيهِ الإنسَان وَيَستَرِيح مِن تَعَبِ العَمَل، ولأَنَّهُم يَسْكنُونَ عَن الحَرَكَةِ فِي اللَّيْلِ مِن كَدِّ النَّهَارِ وَتَعَبِهِ، فَاللَّيل فِيهِ الظُّلمَة التي تَصحَبُهَا السَّكِينَة، والنَّهَار بِخِلافِ ذَلِكَ فَهُو لِلْحَرَكَةِ ولِطَلَبِ المَعَاش قَالَ تَعَالَى ﴿هُوَ ٱلذِے جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبۡصِرٗاۚ اِنَّ فِے ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَۖ﴾ [يونس:67] وقَال تَعَالَى ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ﴾ [النَّبَأ:10،11].

ولَفظُ السَّكَنِ قَد يُستَعْمَلُ مَجَازًا فيقَالُ: الزَّوجَةُ سَكَنٌ، والبَيْت سَكَن لأَنَّ الإنسَانَ يَسْكُنُ إليهِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ اِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًاۖ اِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞۖ﴾ [يُوسُف: 31]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة تَشبِيه بَلِيغ فِي قَوْلِهِ ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًاۖ اِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞۖ﴾ قَالَ محيي الدِّين" فَقَد شبّهنَ يُوسف بِالمَلك دُونَ ذِكرِ الأَدَاةِ، وَهَذَا وَاضِحٌ"[1]، فَقَوْلُهُ ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًاۖ﴾ مُبَالَغَة فِي أَنَّ صِفَات حُسنِهِ فَاقَت صِفَات حُسنَ البَشَرِ حتَّى قُلنَا فِيهِ ﴿اِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞۖ﴾ فَشَبَّهنَهُ بِالمَلائِكَةِ فَكَانَ تَشبِيهًا بَلِيغًا، والتَّشبِيهُ بِالمَلَكِ هُو تَشبِيه بِالمُستَعظَمَاتِ وَهُنَا هَذِهِ المُستَعظَمَات

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعرَابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وَبيَانُهُ، ج3، ص528.

لا تُرَى وَهِيَ المَلائِكَة، فَلَمَّا رَأَينَهُ أَكبرنَهُ أَي: أَعظَمنَهُ لِحُسنِهِ وَجَمَالِهِ؛ فَقَطَّعْنَ أَيدِيهُنَّ بِسَبَبِ هَذَا الحُسنِ والجَمَال، وَلِهَذَا فَقَد أُعطِيَ يُوسُف مِن الجمَالِ مَا كَانَ آيةً للنَّاظِرِينَ.

ـ يقُولُ تَعَالَى ﴿أَفَمَنْ يَّخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۗ أَفَلَا تَذَّكَّرُونَۗ﴾ [النَّحل:17]

فِي الآيةِ القُرآنِيَّة تَشبِيه فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿أَفَمَنْ يَّخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۗ﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" إذ مُقتضَى الظَّاهِر عَكسهُ؛ لأنَّ الخِطَاب لِعُبَّادِ الأَوْثَانِ حَيثُ سَمَّوهَا آلِهَةً تَشبِيهًا بِهِ تَعَالَى فَجَعلُوا غَيرَ الخَالِقِ كَالخَالِقِ، فَجَاءَت المُخَالَفَة فِي الخِطَابِ كَأَنَّهُم لِمُبالغَتِهِم فِي عِبَادَتِهَا"[1].

وهَذَا التَّشبيه هُو تَشبِيه مَقلُوب، هَذَا التَّشبِيه هُو فِي حقيقةِ الأمر جَاء عِبَارَة عَن سُؤَال، والسُّؤَال يَقْتَضِي لَهُ جَوَاب وَفِي تَوجِيهِ الآيَةِ أَخبَرَ اللهُ تَعَالَى بَعدَمَا سَرَدَ لَنَا الدلائِل عَلَى انفِرَادِهِ بِالخَلقِ أَوَّلا وَابتِدَاءً؛ فَالإِبتِدَاء مِنهُ سُبحَانَهُ وتَعَالَى أَنَّ هَذِهِ الأَوثَان التي لا تَنفَع ولا تَضُر فَمَا بَالكُم بِالخَلقِ.

ـ يقُولُ تَعَالَى ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُومِنْ وَّمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَاراً اَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۗ وَإِنْ يَّسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِے ٱلْوُجُوهَۚ بِيسَ ٱلشَّرَابُۗ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقاًۗ ﴾ [الكهف: 29]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة تَشبِيه مُؤكَّد وقَد حُذِفَت منهُ الأَدَاةُ فِي قَولِهِ﴿ نَاراً اَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۗ﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" فَقَد شَبَّهَ النَّار المُحِيطَة بِهِم بِالسُّرَادِقِ المَضْرُوب عَلَى مَن يَحتَوِيهِم، وأُضِيفَ السُّرَادِق إِلَى النَّارِ"[2] وَهُو تَشبِيه مُؤَكَّد وَهُو أَن يُضَافَ المُشَبَّهُ إِلَى المُشَبَّهِ بِهِ، وَهُو تَشبِيهُ النَّارِ بِالدَّارِ المُغلَقَة وَهُو أَنَّ النَّارَ تُحِيطُ بِهِم مِن كُلِّ جَانِبٍ، فَلا يُسمَعُ لَهُم اِستِغَاثَة، وَدلالاتُهُ أَنَّ اللهَ أَعَدَّ للظَّالِمِينَ والجَاحِدِينَ نَارًا تَشمَلُهُم وتُحِيطُ بِهِم فَلا يَجِدُونَ مَخرجًا، قَالَ الشَّاعِرُ سَلامة بن جَندل[3]:

---

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرَابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وَبيَانُهُ، ج4، ص229.

[2] . المصدر نفسه، ج4، 234.

[3] . ذَكَرَ هذا البيت في قصيدة بعنوان" لمَن طلل مِثْل الكتَاب المنمَّق"

هُو المُدْخِلُ النُّعْمَانَ بَيْتًا سَمَاؤُه صُدُورُ الفيولِ بَعْدَ بَيتٍ مُسَرْدَقِ

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالَارْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾ [الكهف: 51]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة تَشبِيه بَلِيغ فِي قولِهِ تَعَالَى ﴿ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ﴾ فَقَد شَبَّهَ المُضِلِّينَ بِالعَضُدِ الذِي يتَقوَّى بِهِ الجِسم ويَعتمِد عليهِ، والعَضُدُ هُو مِنَ المِرفَقِ إِلَى الكَتِف وَهُو قِوَامُ اليَدِ، وَمِنهُ قوله تَعَالَى ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰناً فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [القصص: 35] أي: سَنُعِينُكَ وَسَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ حتَّى تكُون أكثرَ قُوَّةً.

وَلَفْظ ﴿عَضُداً﴾ قُرِئَ بِضَمِّ العَينِ وَسُكُونِ الضَّادِ، وَبِفَتحِ وَسُكُونِ الضَّادِ لُغَة تَمِيم، وبِضَمَّتَيْنِ وَكَذَلِكَ بِفَتحَتَينِ عَلى أَنَّهُ جَمعُ عَاضِدٍ، وَأَمَّا بِفَتحِ العَينِ وَضَمِّ الضَّادِ فَهِيَ قِرَاءَةُ الجُمهُورِ، وَقَد ذَكَرَ الإِمَامُ القُرْطُبِي أَنَّ فِيهَا ثَمَانِيَةُ أَوجُهٍ. وَمِن دَلالاتِ وَتَوجِيهِ الآيَة:

ـ العِبرَةُ بِعُمُومِ الألفَاظِ لا بِخُصُوصِ الأسبَابِ.

ـ فِي الآيَةِ وضع الظَّاهِر فِي مَحَلِّ المُضمَرِ، والمَحَل هُو ذَمُّهُ لَهُم حيثُ وَوَصَفَهُم بِالضَّلالِ.

وَعَضُد الرَّجُل هُم أَنصَارُهُ الذِينَ يَدعُمُونَهُ وأَعوَانهُ الذِينَ يَحمُونَهُ، وَقَد وَرَدَ فِي الشِّعرِ العَرَبِي قَولُ عَمرُو بن الحَبِيب الثَّقَفِي[1]:

مَن كَانَ ذَا عَضُدٍ يُدْرِك ظَلامَتَهُ إِنَّ الذَّلِيلَ الذِي لَيسَت لَهُ عَضُدُ

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: 2].

فِي الآيَةِ القرآنية تَشبِيه بَلِيغ فِي قوله تَعَالَى ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ فَهُو تَشبِيهٌ لحالة الناس وهولهم يوم القيامة، فَقَد شَبَّهَ اللهُ حَالَةَ النَّاسِ فِي ذَلِكَ اليَومِ العَصِيبِ الذِي

[1] . ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، عيُونُ الأخبارِ، دط. بيروت: 1418هـ، دار الكتب العلميَّة ج3، ص5.

يَشِيبُ فِيهِ الوِلْدَانُ مِن شِدَّةِ الهَولِ، بِحَالَةِ الإِنسَان الذِي فَقَدَ وَعيَهُ وأَصبَحَ لا يُمَيِّز، وَفَقَد رُشدَهُ مِن كَثرَةِ شُربِهِ للخَمرِ فَأَصْبَحَ سَكرانًا، ثُمَّ نَفَى اللهُ عَنهُم السُّكرَ الحَقِيقِي، ولكنَّهُ الهَمُّ والمَوقِف الذِي هُم فِيهِ هوَ الذِي جَعَلَهُم كَالسُّكَارَى.

قَالَ محيي الدِّين الدرويش" وكَذلِكَ الآيَة بَعدَ أَن أَثْبَتَت السُّكر المجَازِي نَفَتِ الحَقِيقَة أَبلَغ نَفيٍ مُؤَكَّد بِالبَاءِ، والسِّر فِي تَأْكِيدِهِ التَّنبِيه، علَى أَنَّ هَذَا السَّكَر الذِي هُو بِهِم فِي تِلكَ الحَالَة لَيسَ مِن المَعهُودِ فِي شَيءٍ، وإِنَّمَا هُو أَمر لَم يعهدُوا قَبلَهُ مِثْلَهُ، والاِستِدرَاك بِقَولِهِ:" ﴿ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ رَاجِعٌ إِلَى قَولِهِ ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ وَكَأَنَّهُ تَعلِيل لإِثبَاتِ السُّكر المَجَازِي، كَأَنَّهُ قِيلَ: إِذَا لَم يَكُونُوا سُكَارَى مِن الخَمرِ، وهُو السُّكرُ المَعهُود، فمَا هَذَا السُّكر الغَرِيب؟ ومَا سَبَبُهُ؟ فَقِيلَ: شِدَّةُ عَذَابِ اللهِ تَعَالَى"[1] وَمِن تَوجِيهَاتِ الآيَةِ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى أَثبَتَ لَهُم السُّكرَ مَجَازًا ﴿ وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ ثُمَّ نَفَاهُ حَقِيقَةً ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ وَفِي هَذَا تَصوِير لِشِدَّةِ عَذَابِ اللهِ لَهُم، الذِي أَذهَلَ وَأَذهَبَ عُقُولَهُم.

وَمِن تَوجِيهَاتِ الآيَةِ فَإِنَّ اللهَ سُبحَانَهُ وتَعَالَى أَثْبَتَ لَهُم السُّكرَ مَجَازًا ﴿ وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ ثُمَّ نَفَاهُ حَقِيقَةً ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ وَفِي هَذَا تَصوِيرٌ لِشِدَّةِ عَذَابِ اللهِ لَهُم الذِي أَذهَلَ وَأَذهَبَ عُقُولَهُم.

ـ يقُولُ تَعَالَى ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحرٖ لُّجِّيّٖ يَغْشَىٰهُ مَوْجٞ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٞ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٞۖ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍۚ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النُّور:39].

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة مَا سَمَّاهُ محيي الدِّين الدرويش بِالمُبَالَغَة فِي التَّشبِيهِ فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَاۗ ﴾ وَقَالَ" وَيَكَادُ الإِجمَاع يَنعَقِد عَلَى أَنَّ المَعنَى أَنَّهُ لا يَرَى يَدَهُ، فَعَلَى هَذَا فِي التَّقدِيرِ ثَلاثة أَوجُهٍ:

أَحَدهَا: إِنَّ التَّقْدِيرَ لَمْ يَرَهَا وَلَمْ يَكَد، وَهَذَا غَير وَاضِح؛ لأَنَّهُ نَفيٌ للرُّؤيَةِ، ثُمَّ إِثبَاتٌ لَهَا.

[1] . محيي الدِّين الدرويش، إِعْرَابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وَبيَانُهُ، ج5، ص96.

وَوَجْهٌ ثَانٍ: وَهُو أَنَّ (كَادَ) زائِدَة، ولا مُسَاغَ لَهُ فِي القُرآنِ الكَرِيم، فَالوَجه إذا أَنَّهُ لَمِ يَقُرُب أن يَرَاهَا فَضلا عَن أن يَرَاهَا، ومثلهُ قول ذِي الرُّمَّةِ[1]:

إذَا غَيَّرَ النَّأيُ المُحِبِّينَ لَم يَكَد رسيسُ الهَوَى مِن حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَح

أي: لَم يَقرُب مِنَ البرَاحِ، والنَّأْيُ: البُعْدُ، وَيُقَالُ: رس وأرس؛ إذَا لَزِمَ، وَالرَّسِيسُ: بَقِيَّةُ المَرَضِ"[2].

إلا أَنَّ توجِيهَ دلالة الآيَةِ مِنَ الجَانِبِ النَّحوِي يَخْتَلِفُ عَن مَا قَالَهُ محيي الدين الدرويش، وَمِنهُ فَالنَّفي مَعَ يَكَادُ هُو إِثْبَات، فَهُو لَم يَكَد يَرَاهَا لكنَّهُ رآهَا بِصُعُوبَة مِن شِدَّةِ الظُّلْمَةِ.

وَمِن تَوجِيهَاتِ الآيَةِ أَنَّ الذِي لَا يَتَّبِعِ الله وَدِينَهُ وَنَبِيَّهُ فليس لَهُ نُورٌ يومَ القِيَامَةِ، فَالأَنْوَار يَومَ القِيَامَة بِقَدرِ الأَعمَالِ والطَّاعَةِ والثَّوَابِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَاناً اَعْجَمِيّاً لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتَ اٰيَٰتُهُۥٓ ءَاَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلذِينَ ءَامَنُواْ هُدىً وَشِفَآءٌ وَالذِينَ لَا يُومِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمىً اُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصِّلَت:44]

فِي الآيةِ القرآنيَّة تَشبِيه بَلِيغ فِي قَولِهِ تَعَالَى﴿قُلْ هُوَ لِلذِينَ ءَامَنُواْ هُدىً وَشِفَآءٌ﴾، وَهَذَا التَّشبِيه وَجهُ الشَّبَهِ فِيهِ هُو عَدَمُ الاِنتِفَاعِ بِهِ، وَهَذَا عَلَى الرَّغمِ مِن سَمَاعِ أَلفَاظِهِ، وَرُؤيَةِ آيَاتِهِ.

فَقَد شَبَّهَ القُرآنَ الكَرِيم بِالهُدَى والشِّفَاء؛ بِالهُدَى الذِي يَهْتَدِي النَّاسُ بِهِ طَرِيقَ الحَقِّ، وبِالشِّفَاءِ الذِي يَشفِي أَمرَاض القُلُوبِ والعُقُولِ، والأَروَاحِ والأبدَانِ.

ونَظِيرُ هَذهِ الآيَة فِي القُرآنِ الكَرِيمِ ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ اَلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُومِنِينَ وَلَا يَزِيدُ اُلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَاراً﴾ [الإسْرَاء:82]

---

[1] . ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، قدم له وشرحه: أحمد حسن سبج، ط1. بيروت: 1995م/1415هـ، دار الكتب العلمية، ص43.

[2] . محيي الدِّين الدرويش، إعْرَابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وَبيَانُهُ، ج5، ص289.

فَالقُرآن الكَرِيم لِلذِينَ ءَامَنُوا هُدىً وَشِفَاء، فَمَوعِظَتُهُ تَهدِي إِلَى الطَّرِيقِ القَوِيمِ، وَاتِّبَاعُهُ يَهدِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَهُو شِفَاءٌ ظَاهِرِي وَبَاطِنِي، مَعنَوِي وَبَدَنِي، قَولِي بِهِ تَستَقِيم الأَقوَال بِاللِّسَانِ وَتذهبُ الأَسقَام، وَفِعلِي بِهِ تَستَقِيمُ الأَبْدَان.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ [المَعَارِج:8]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة تَشبِيه فَقَد شَبَّهَ السَّمَاءَ بِالشَّيءِ الذِي يَتلَوَّن، وهو تَشبِيه مُجْمَل، وَفِي قوله تَعَالى كَذَلِكَ ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ وَوَجهُ الشَّبَهِ فِي الآيَةِ التَّنَاثُر والتَّطَايُر، وَقَد اِستِعَار أَبُو العَلاءِ هَذِهِ الصُّورَة فَجَسَّدَهَا فِي شِعرِهِ فِي قَولِهِ[1]:

فَيَالَيْتَ شِعْرِي هَل يخف وَقَاره إِذَا صَارَ أَحَد فِي القِيَامَةِ كَالعِهْنِ؟

فيَوم القيامَة يوم عَصِيب، تُسوَّى فيه الجبَال ويكُون النَّاس في صعيدٍ واحدٍ فَيُصعقُون، ولكِن من المتفرِّد بالبَقَاء؟ هُو اللهُ الواحِد الأَحَد.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ٤٩ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المُدَثِّر:51]

فِي الآيَةِ القُرآنِية تَشبِيه مُفَصَّلٌ فَقَد شَبَّهَهُم اللهُ تَعَالَى بِالحُمُر المُستنفرة "وَفِي ذَلِكَ مَذَمَّةٌ ظَاهِرَة، وَتَهجِين لِحَالِهِم، وَشَهَادَةٌ عَلَيهِم بِالبَلَهِ، وَقِلَّة العَقلِ، ولا تَرَى مثل نفار حُمُر الوَحْش، وَاطرادهَا فِي العَدُوِّ إِذَا رَابَهَا رَائِبٌ"[2]، وفي ذلك قال الفرَّاء[3]:

أَمسِك حِمَارَكَ إِنَّهُ مُسْتَنفِرٌ فِي إِثْرِ أَحْمِرَةٍ عَمدن لغرب

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ٣٢ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴾ [المُرسَلات:32 -33]

فَقَدْ شَبَّهَ اللهُ الشرر بِالقَصْرِ فِي عِظَمِهِ، ثُمَّ شَبَّهَهُ بِالجِمَالَة الصُّفْرِ فِي الهَيْئَةِ، وعلى هذا المِنوَالِ قَالَ أَبُو العَلاءِ[4]:

حَمْرَاءُ سَاطِعَةُ الذوَائِبِ فِي الدُّجَى تَرْمِي بِكلِّ شَرَارَةٍ كَطِرَافِ

---

[1] . أبو العلاء المعري، أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي، ديوان أبو العلاء المعري، ص89.

[2] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعْرَابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وَبيَانُهُ، ج8، ص142.

[3] . السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخراط، ، ص557.

[4] . أبو العلاء المعري، أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي، ديوان أبو العلاء المعري، ص36.

قَالَ عُمرَان بن حطان الخَارِجِي[1]:

دَعَتهُم بِأَعلَى صَوتِهَا وَرَمَتهُم بِمِثْلِ الجِمَالِ الصُّفْرِ نَزَّاعَةُ الشَّوَى

- يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاساً﴾ [النَّبَأ:10]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة تَشبِيه بَلِيغ" وَوَجهُ الشَّبَهِ السِّتْر لأَنَّ كلا مِن اللِّبَاسِ، والليل يَسْتُر المُتَلبِّس بِهِ، أَي: يَسْتُرُكُم مِنَ العُيُونِ إِذَا أَرَدْتُمُ النَّجَاةَ بأنفُسِكُم مِن عَدُوٍّ يُلاحِقُكُم، أو بَيَاتًا لهُ إِذَا أَرَدْتُمُ إنزَالَ الوَقِيعَة بِهِ فِي مَنأَى عَن العُيُونِ، أَو يُعينكم علَى إِخفَاءِ مَا لا تَرغَبُونَ فِي أن يطَّلِعَ علَيْهِ أَحَد، وَقَد رمق أَبُو الطيب هَذِهِ السَّمَاء العَالِية كَعَادتِهِ، فَقَالَ:

وَكَم لِظَلامِ الليلِ عِندَكَ مِن يَدٍ تُخَبِرُ أَن المانويَّة تَكْذِبُ

وَقَاكَ رَدَى الأعداءِ تَسْرِي إليهم وزَارِكَ فيه ذُو الدلالِ المُحَجَّبُ[2]

فِي الآيَةِ القرآنية تَوجِيهٌ أَنَّ الليلَ يَصحَبُهُ السُّكُون والطُّمَأْنِينَة وَالسِّتر وَهُدُوء الأَعصَاب مِن عَمَلِ النَّهَارِ وَمَشَقَّة العَمَل، هَذَا السُّكُون هُو مُقَدِّمَةٌ للنَّومِ واسْتِعدَادًا لِلرَّاحَةِ.

- يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً﴾ [النبأ20]

فِي الآيَةِ القُرآنية تَشبِيهٌ بَلِيغ فَقَد حُذِفَت فِيهِ الأَدَاة وَوَجهُ الشَّبهِ، وَالجِبَال يَوْمَ القِيَامَة يَنسِفُهَا اللهُ نَسْفًا فَتُزَالُ مِن مَكَانِهَا، فَتُصْبِح الحَصَى المُكَوِّنَة لَهَا كَالصُّوفِ المُلَوَّن المُتَناثِر، وَلَكِن النَّاس مِن شِدَّةِ هَولِ يَوم القِيَامَة يَحسبُهَا سَرَابًا وَهِيَ حَقِيقَة زَالَت وتَلاشَت بِقُدرَتِهِ، فَأَصبَحَت هَبَاءً مَنثُورًا.

- يَقُولُ تَعَالَى ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَالْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ٣ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾[القارعة:3 .4]

فِي الآيَةِ القُرآنِيّة تَشبِيهٌ مُرْسَل مُجْمَل، فَالجِبَال يَجْعَلُهَا اللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى يَومَ القِيَامَة كَالصُّوفِ المَصْبُوغ بِالأَلوَانِ المُخْتَلِفَة، فَكَذَلِكَ الجِبَالُ متَكَوِّنَة مِن حِجَارةٍ فِيهَا أَلوَان، وَيَوم

[1] . القُرطُبِي، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد الأنصَارِي القُرطُبي، الجَامِع لأحكَام القُرآن، القُرطُبِي، ط1. القاهرة: 2005، مكتبة الصَّفا، ج16، ص211.

[2] . المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، بيروت: 1983، دار بيروت للطباعة والنشر، ص 426. من قصيدة" كل مكان ينبت العز طيب".

القيَامَة يَنسِفهَا الله يوم القيامَة قالَ تعَالَى﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفاً﴾ [طه:105]، تَتَلَوَّنُ بِأَلوَانِ الحِجَارَة المُكَوِّنَة لَهَا وَمِنهُ قولِهِ تَعَالَى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فَاطر:27].

قَالَ جَرِيرُ[1]:

أَبلِغ بَنِي وقبان أَنَّ حُلُومَهُم خَفَّتْ فَمَا يَزِنُونَ حَبَّةَ خَرْدَلِ

أَرْرَى بحلمكم الغباش فَأنتُم مِثْلَ الفَرَاشِ غشين نَارَ المُصْطَلِي

وقَالَ أَبُو العَلاءِ المَعَرِّي فِي رثَاءِ والدِهِ[2]:

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَل يَخِفُّ وَقَارهُ إِذَا صَارَ أَحَد فِي القِيَامَةِ كَالعِهْنِ

وَهَلْ يَرِدُ الحَوضَ الرَّوي مُبَادِرًا مَعَ النَّاسِ أَم يَأْبَى الزحام فيستأني

بَعْدَ نَسفِ الجِبَال وتطاير الحَصَى المُخْتلِفَة، تَتَطَايَر الصّحف فمنهُم من يأخُذ كِتَابه بيمِينهِ ومِنهُم مَن يَأْخُذ كتابَهُ بشِمَالِهِ.

3 ـ التَّشبِيهُ التَّمثِيلِي وتَوجِيهُ المَعنى القُرآنِي.

يُعَدُّ التَّمثِيلُ مِن أَرقَى أَبوَابِ البَيَانِ، فَهُو الأَقرَب إِلَى العَقلِ والأَطرَق لِلسَّمعِ والأَسرَع وُصُولا لِلنَّفسِ، فَالتَّمثِيل مَوجُود فِي كَلامِ العَرَبِ وَفِي القُرآنِ الكَرِيمِ والحَدِيثِ النَّبَوِي الشَّرِيف، فَهُو وَاضِح خَال مِنَ الغُمُوضِ، وَالتَّمْثِيل مِنَ القَضَايا البَلاغِيَّة التي اِعْتَنَى بِهَا القُرآن الكَرِيم فَالتَّمثِيل أَهَمِّيَتُهُ أَنَّهُ يَحمِلُ مَعَانِي سَامِية، وَيُقَرِّبُ الأَفهَامَ إِلَى الأَذهَانِ، وَيُصَوِّر الصُّورَة فِي جَانِبٍ حِسِّي يُسَهِّلُ عَلَى العُقُولِ تَقَبُّلَهَا، وَيُعَدُّ التَّمثِيلُ مِن أَسَالِيبِ القُرآنِ الكَرِيم، فَقَد اِهتمَّ بِهِ الكَثِير مِن العُلَمَاءِ حتَّى أَنَّ هُنَاكَ مَنْ أفرَدَ كِتَابًا خَاصًا بِهِ، وَمِنهُم مَن عَقَدَ بَابًا فِي كِتَابِهِ،

[1] ـ جرير، ديوان جرير، دط. بيروت: 1986، دار دار بيروت للطباعة والنشر، ص365.

[2] . أبو العلاء المعري، أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي، ديوان أبو العلاء المعري، ص173.

وَمِنَ الذِّينَ أفرَدُوا لَهُ التَّأليف أَبُو الحَسَن المَاوردِي[1]، وأَمَّا السُّيُوطِي فَقَد وَضَعَ لَهُ بَابًا فِي الإتقَان[2]، وابن القيِّم الجَوزيَّة في كِتَابهِ أَعلام المُوقِّعِينَ، حَيثُ تَتَبَّعَ الأمثَال المَوجُودة فِي القُرآنِ الكَرِيمِ وتَتَبَّع النَّظِير فِيهَا، وَدَرَسَ أَكثَرَ مِن مِثَالٍ.

والأَمثَال فِي القُرآنِ الكَرِيمِ ثَلاثَةُ أَنوَاعٍ[3]:

1 ـ الأَمثالُ المُصَرَّحَة.

2 ـ الأَمثَالُ الكَامِنَة.

3 ـ الأَمْثَالُ المُرسَلَة.

فَالأَمثَالُ المُصَرَّحَة هِيَ الأَمْثَال التي صُرِّحَ فِيهَا بِلَفظِ المَثَل أَو مَا يَدُلُّ عَلَى التَّشبِيهِ، وأَمَّا الأَمثَالُ الكَامِنَة هِي التي لَم يُصَرَّح فيهَا بِلَفظِ التَّمثِيلِ وَلَكِن فِيهَا دَلالَة عَلَى الإيجَازِ، ولَهَا وَقَعَ فِي النَّفَسِ، وأَمَّا الأَمثَال المُرسَلَة فِي الأَمثَالِ التي أُرسِلَت مِن ذِكرِ لَفظِ التَّشبِيه، فَهِيَ فِي ذِكرِهَا جَارِيَة مَجرَى الأَمثَال.

اِصطَلاحًا: عَرَّفَهُ السكَّاكِي بِقَولِهِ:" وَاعلَم إِنَّ التَّشبِيه مَتَى كَانَ وَجهُهُ غَيْرَ حَقِيقِي وَكَانَ مُنتَزَعًا مِن عِدَّةِ أُمُورٍ خُصَّ بِاسمِ التَّمثِيلِ"[4]

وَقَد تَتَبَّعَ محيي الدِّين الدروِيش التَّشبِيه التَّمثِيلِي فِي الآيَاتِ القُرآنِيَّة، وَدَرَسَ جملَةً مِنهَا، وَمِن ضِمْنِ ذَلِكَ:

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِے هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ اَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۖ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَلَٰكِنَ اَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۚ ﴾ [آل عِمْرَان:117].

---

[1] ـ هُو أَبُو الحَسَنُ علي بن حبيب الشَّافِعِي، صَاحِبُ كتاب (أدبُ الدنيا والدِّين) وكتابُ (الأحكَام السُّلطَانِيَّة) تَوَفَّى سنَةَ 450هـ.

[2] ـ السيُّوطِي، جلال الدِّين السيُوطِي، الإتقَان فِي عُلُومِ القُرآن، ج2، ص131.

[3] ـ منَّاع القطان، مَبَاحِثٌ فِي علُومِ القُرآنِ، ط3. الرياض: 2000، مكتبة المعَارِف للنَّشرِ والتَّوزِيعِ، ص293.

[4] ـ السكَّاكِي، محمَّد بن علي السكَّاكِي، مِفتَاحُ العلُومِ، ضبطهُ: نَعِيم زَرزُور، ط2. بيرُوت: 1987، دَارُ الكُتُبِ العِلْمِيَّة، ص163.

فِي هَذِهِ الآيَة تَشبِيهٌ تَمثِيلِي فَقَد شَبَّهَ اللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى مَا يُنفِقُهُ الكَافِرُ فِي هَذِهِ الحَيَاة فِي عَدَمِ فَائِدَتِهِ بِالحَرثِ الذِي عَصَفَت بِهِ الرِّيح الصّر.

قَالَ محيي الدِّين الدرويش" مَثَّل مَا يُنفِقُونَ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ الدنيا كَمَثَّلِ حَرثٍ قَومٍ ظَلَمُوا أنفُسَهُم، فَأَصَابَتْهُ رِيحٌ فِيهَا صِرٌ، وَلَكِن خُولِفَ النَّظم فِي المَثَّلِ المَذكُور لِفَائِدَةٍ جَلِيلَةٍ، وَهِي تَقْدِيمُ مَا هُو أَهَم؛ لأَنَّ الرِّيحَ التي هِي مِثل العَذَابِ ذَكَرَهَا فِي سِيَاقِ الوَعِيد والتَّهدِيد أَهَمُّ مِن ذِكْرِ الحَرْث، فَقُدِّمَت عِنَايَةً بِذِكرِهَا، وَاعْتِمَادًا عَلَى أَنَّ الأَذوَاق والفِطْرَة المُسْتَقِيمَة تَستَطِيعُ رَدَّ الكَلامِ إِلَى أَصلِهِ عَلَى أَيسَرِ وَجهٍ"[1]، قَالَ كَعبُ بن زُهَير[2]:

تَجلو الرِّيَاحُ القَذَى عَنهُ وأفراطهُ مِن صَوبِ سَارِيَة بِيض يعَالِيل

وَمِن هَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة اِسْتَخْرَجَ الفُقَهَاءُ حُكْمًا فِقهِيًا، وَهَذَا الحُكمُ هُو أَنَّ صَدَقَةَ الكُفَّارِ لا تَنفَعُ أَصحَابَهَا يَومَ القِيَامَة؛ لأَنَّ الإِسلامَ دِينُ عَقِيدَةٍ والتي هِيَ الأَصل، فَالكَافِر جَزَاءُ عَمَلِهِ يَكُون فِي الدنيَا.

ـ يقُولُ تَعَالَى ﴿ فَمَنْ يُّرِدِ اۡللَّهُ أَنْ يَّهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلِاسْلَٰمِۖ وَمَنْ يُّرِدَ اَنْ يُّضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقاً حَرِجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِے اِلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اُللَّهُ اُلرِّجْسَ عَلَى اَلذِينَ لَا يُومِنُونَۖ﴾ [الأنعام:126]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة تَشبِيه تَمثِيلِي فِي قوله ﴿وَمَنْ يُّرِدَ اَنْ يُّضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقاً حَرِجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِے اِلسَّمَآءِۚ﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" تَشبِيه تَمثِيلِي مُنتَزَع مِن مُتَعَدِّد، أَي: إِنَّ حَالَ من جَعَلَ صَدرَهُ ضيِّقا حَرِجًا كَحَالِ مَن يكَلّف الصُّعُود إِلَى السَّمَاءِ"[3]، والحَرَجُ هُو أَضيَقُ

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعرَابُ القرآنِ الكَرِيمِ وَبَيَانُهُ، ج1، ص125.

[2] . كعب بن زهير، كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، ديوان كعب بن زهير، حققه وشرحه وقدم له: الأستاذ علي فاعور، دط. بيروت:1997، دار الككتب العلمية، ص61.

[3] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعرَابُ القرآنِ الكَرِيمِ وَبَيَانُهُ ، ج2، ص450.

الضَّيقِ كَمَا قَالَ الزَّجَّاج، وَالحَرَج فِي اللُّغَةِ خَشَب يَشُدُّ بَعضُهُ إِلَى بَعضٍ يُحمَلُ فِيهِ المَوتَى، قَالَ اِمرِؤُ القَيسِ[1]:

فَإِمَّا تُرِيَنِّي فِي رَحَالَةِ جَابِرٍ عَلَى حَرَجٍ كَالقَرّ تَخفِقُ أَكفَانِي

وَمِن الجَانِبِ اللُّغَوِي فِي لُغَةِ العَرَبِ والاِحتِجَاج بِلُغَتِهِم، أَنَّ عُمَرَ بن الخطَّابِ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ قَالَ:" أَبْغُونِي رَجُلا من كِنَانَة، وَاجْعَلُوهُ رَاعِي غَنَم، وَليَكُن مَدْلجِيًا[2]، قَالَ: فَأُتُوا بِهِ، فَقَالَ عُمَر: يَا فَتَى مَا الحَرِجَةُ؟

قَالَ: الحَرِجَةُ فِينَا: الشَّجَرَةُ تَكُونُ بَيْنَ الأَشجَار التي لا تَصِلُ إِلَيْهَا رَاعِية ولا وَحشِيَّة ولا شَيء.

قَالَ عُمَر: كَذَلِك قَلْبُ المُنَافِق لا يَصِلُ إِلَيهِ شَيءٌ مِنَ الخَيْرِ"[3].

وأَثْبَتَ العِلم الحَدِيث أَنَّ الإنسَانَ كُلَّمَا صَعَدَ إِلَى الفَضَاءِ دَرَجَةً بَعْدَ دَرَجَة يَزدَادُ ضَيق التَّنَفُّسِ لَدَيهِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى مَرحَلَةِ الحَرَجِ؛ الذِي هُو أَضيَقُ ضَيقٍ يَصِلُ إِلَيهِ التَّنَفُّس وَيَعُودُ سَبَبُ ذَلِكَ لانخِفَاضِ الضَّغْط الجُزئِي لِلأُكْسِجِين فِي طَبَقَاتِ الجَوِّ العُلَيَا حَتَّى يَصِلَ الضَّيْقُ إِلَى أَشَدِّ مَرَاحِلِهِ، وَهُو مَرحَلَةُ الحَرَجِ والتي لا يَسْتَطِيعُ بَعْدَهَا الأُكسُجِينَ أَن يَنفُذَ إِلَى دَمِهِ، وَيَعُودُ سَبَبُ ذَلِكَ إِلَى:

ـ زِيَادَةُ الضَّغط الجَوي.

ـ قِلَّةُ الأُكسُجِين.

فِي الآيَةِ القرآنيَّة تَوجِيه أَنَّ مَن أَرَادَ الهِدَايَةَ هَدَاهُ اللهُ وَوَفَّقَهُ إِلَى ذَلِكَ، وَمَن أَرَادَ الضَّلالَ فقد أَضَلَّ نفسَهُ؛ لأَنَّهُ أَحَبَّ ذَلِكَ وَاختَارَ لِنَفسِهِ، وَذَلِكَ لأَنَّهُ أَعمَى بَصَرَهُ عَن مَعرِفَةِ اللهِ.

---

[1] . امرؤ القيس، امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، ضبطه الأستاذ: مصطفى عبد الشافي، ط5. بيروت: 2004، دار الكتب العلمية، ص20

[2] . مدلجِيًا: نسبةً إلى قَبِيلَةِ مُدْلَج، وهَذَا نِسْبَةً إِلَى مُدلَج ابن مرَّة بن عبد منَاة بن كنَايَة، وَهِيَ قَبِيلَة مِن بَنِي كِنَايَة، تَاجُ العَرُوسِ، مَادَّة (دلج).

[3] . الطبَرِي، ابن جَرِير الطبرِي، تفْسيرُ الطبَرِي من كتَابِهِ جَامِعُ البيَان عَن تأْوِيل آي القُرآن، تح : الدكتور بَشَّار عوَّاد مَعْرُوف وَعِصَام فَارِس الحرسَتَانِي، ط1. بيرُوت: 1415هـ/1995م، مُؤسَّسَة الرِّسَالَة، ج3، ص345.

- يَقُولُ تَعَالَى ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤمِنُونَ﴾ [الأَعْرَاف:26]

فِي الآيَةِ تَشبِيه تَمثِيلِي فِي قَولِهِ ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" تَمثِيلُ فِتْنَة الشَّيطَان لَهُم بِقِصَّةِ آدَم وَحَوَّاء حِينَ أَخْرَجَهُمَا الشَّيطَان بِأَحَابِيلِهِ مِنَ الجَنَّةِ"[1].

وقَد عَبَّر عَنِ التَّمثِيلِ بِالفِعلِ المُضَارَع الذِي يُبَيِّنُ أَنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ دَائِمٌ لِلإِنسَانِ إِلَى يَوم القِيَامَة، ولِبَاسُ التَّقْوَى هُو الذِي يَقِي الإِنسَان مِنَ الشَّيطَانِ وَأَتْبَاعه، وَيَعصِمُ الإِنسَانَ مِنَ الوُقُوعِ فِي المَعَاصِي وَقَد عَبَّرَ القُرآنُ الكَرِيم عَن ذَلِكَ بِقَولِهِ تَعَالَى﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ قَالَ الشَّاعِرُ أَبُو العَتَاهِيَة[2]:

إِذَا المَرءُ لَم يَلبَسْ ثِيَابًا مِنَ التُّقَى تَقَلَّبَ عُرْيَانًا وإِن كَانَ كَاسِيَا

- يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ [الأَعْرَاف:175]

فِي الآيَةِ القرآنية تَشبِيه تَمثِيلِي فِي قَولِهِ: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾، فَقَد شَبَّهَ اللهُ الذِي جَاءَتهُ آيَاتُ اللهِ وانسَلَخَ عَنهَا بِالكَلبِ الذِي إِن حَمِلَت عَلَيهِ نَبَحَ وَهَرَب، وإِن تَرَكتَهُ نَبَحَ.

وَقَد عَبَّرَ اللهُ بِلَفظِ نَبَأ؛ والنَّبَأ هُو الخَبَر اليَقِين الذِي لا يَكُون إِلَّا صِدقًا، وَهَذَا بِخِلافِ الخَبَر الذِي يَحْتَمِلُ الصِّدْقَ وَالكَذِب، وَمَعنَى الآيَة أَنَّهُ عَرف ربَّهُ حَقَّ المَعرِفَة ولَكِنَّهُ عَصَاهُ، وَقَد عَبَّرَ اللهُ بِلَفظِ النَّبَإِ فِي آيَاتٍ عَدِيدَةٍ مِن كِتَابِهِ، هَذا الآيَات التي فِيهَا إِخبَارٌ بِنَبإِ الأَنبِيَاءِ والمُرسَلِينَ مِنهُم: إِبراهِيم ونُوح ومُوسَى وإِخْبَارٌ بِيَومِ القِيَامَة وأَخبَار سَبَأ وَغيرهم.

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعرَابُ القرآنِ الكريمِ وَبَيَانُهُ، ج2، ص539.

[2] . أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، ديوان أبو العتاهية، دط. بيروت: ،1986، دار بيروت للطبع والنشر، 282.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ أَفَمَنۡ اَسَّسَ بُنۡيَانَهٗ عَلٰى تَقۡوٰى مِنَ اللّٰهِ وَرِضۡوَانٍ خَيۡرٌ اَمۡ مَّنۡ اَسَّسَ بُنۡيَانَهٗ عَلٰى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانۡهَارَ بِهٖ فِىۡ نَارِ جَهَنَّمَ ؕ وَاللّٰهُ لَا يَهۡدِى الۡقَوۡمَ الظّٰلِمِيۡنَ ﴾ [التَّوبَة:110]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة تَشبِيهٌ تَمثِيلِي فِي قَولِهِ ﴿اَم مَّنۡ اَسَّسَ بُنۡيَانَهٗ عَلٰى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانۡهَارَ بِهٖ فِىۡ نَارِ جَهَنَّمَ﴾ فَقَد شَبَّهَ أُمُور الدِّين كَمَن يَبنِي عَلَى شَفَا جُرُفٍ، فَهُو يَسقَطُ بِهِ لا مَحَالَة.

فَالمُشَبَّه بِهِ هُو البِنَاء فِي مَكَانٍ آيِلٍ للسُّقُوطِ فِي أَيِّ وَقتٍ، والمُشَبَّه: هُو تَرتِيب أَحكَام الدِّينِ مَا هُو مُوافق للشَّرعِ وَمَا هُو غَير مُوَافق لَهُ.

هَذِهِ الآيَة فِيهَا قِرَاءَات مُتَعَدِّدَة فِي قَولِهِ﴿اَم مَّنۡ اَسَّسَ﴾[1]، وَمِن تَوجِيهَاتِ الآيَة أَنَّ الإِنسَانَ فِي هَذِهِ الدنيَا يُؤَسِّس بُنيَانَهُ لِلآخِرَةِ، فَالدُّنيَا مَزرَعَةٌ لِلآخِرَةِ ولا تَكُون وَلا تُبْنَى إِلا عَلَى تَقوَى مِن اللهِ، وَأُسُسٌ مَبنِيَّة عَلَى طَاعَةِ الرَّحمَان، قَالَ عَلِي بن أَبِي طَالِب[2] ـ رضي الله عنه ـ:

لا دَارَ لِلمَرءِ بَعدَ المَوتِ يَسْكُنُهَا إلا التي كَانَ قَبْلَ المَوتِ يَبنِيهَا

فَإِن بَنَاهَا بِخَيرٍ طَابَ مَسْكَنُهَا وَإِن بَنَاهَا بِشَرٍ خَابَ بَانِيهَا

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ قُلۡ اَنَدۡعُوۡا مِن دُوۡنِ اللّٰهِ مَا لَا يَنۡفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلٰٓى اَعۡقَابِنَا بَعۡدَ اِذۡ هَدٰٮنَا اللّٰهُ كَالَّذِى اسۡتَهۡوَتۡهُ الشَّيٰطِيۡنُ فِى الۡاَرۡضِ حَيۡرَانَ ۖ لَهٗۤ اَصۡحٰبٌ يَّدۡعُوۡنَهٗۤ اِلَى الۡهُدَى ائۡتِنَا ؕ قُلۡ اِنَّ هُدَى اللّٰهِ هُوَ الۡهُدٰى ؕ وَاُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ الۡعٰلَمِيۡنَ ﴾ [الأَنعَام:73]

فِي الآيَةِ القرآنية تَشبِيه تَمثِيلِي فِي قولِهِ ﴿كَالَّذِى اسۡتَهۡوَتۡهُ الشَّيٰطِيۡنُ فِى الۡاَرۡضِ﴾ قَالَ محيي الدِّين" وَالمُشَبَّه هُو أَنَّهُ لا يَنبَغِي لَنَا ولَا يُمكِن أَنِ نَعْبُدَ غَيرَ اللهِ بَعد أَن هَدَانَا، لأَنَّ لَو فَعَلْنَا ذَلِكَ لَكِنَّا مثل من حيّرته الشَّياطِين، فَهُو تَشْبِيه جُملَة بِجُملَة، واستفيد النَّفِي مِن الإِنكَارِ

[1] ـ قرأَ نَصْر بن عَاصم بن علي ﴿أفَمَن أسسُ﴾ بِالرَّفْعِ ﴿بنيانِهِ﴾ بِالخَفْضِ، وقَرأَ نَافِع وابن عَامر وَجَمَاعَةٌ مِن القُرَّاءِ ﴿أسسَ بنيانَهُ﴾.

[2] . علي بن أبي طالب، ديوان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ،جمع وترتيب: عبد العزيز الكرم، ط1، بيروت:1988، ص210.

فِي قَوْلِهِ ﴿اَنَدْعُواْ﴾"[1]، والاِستِهوَاء هُو الهوَى فِي الأَرضِ، واسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِين أَي: زَيَّن الشَّيْطَانُ لَهُ وأَغوَاه وأَصْبَحَ مُسَيَّرًا تَابِعًا لَهُم يَأتَمِرُ بِأَمرِهِم وينتهِي بنَهيِهِم.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ اَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْاَرْضِ مِمَّا يَاكُلُ ٱلنَّاسُ وَالاَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْاَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَيٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلاً اَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالاَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْاَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يُونس:23] فِي الآيَةِ تَشْبِيهٌ تَمْثِيلِي فِي قَوْلِهِ ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ اَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ وَهَذَا التَّشبِيه مِن عِدَّةِ وُجُوهٍ مِنهَا، أَنَّهُ مَثَّلَ الحَيَاة الدنيَا بِالمَاءِ فِي الاِنتِفَاعِ أَو الانقِطَاع، فَالحَيَاة الدنيَا مَزرَعَةٌ للآخِرَةِ، والمَاءُ سَبَبٌ فِي نَبَاتِ الأَرضِ.

فَهَذَا التَّمثِيل يُصَوِّرُ لَنَا الحَيَاةَ الدنيَا فِي بِدَايَتِهَا وَفَنَائِهَا وَزَوَالِهَا، فَمَثَلُهَا كَمَثَلِ المَاءِ المُختَلَط بِالأَرضِ، فأَخرَجَ أَلوَانًا مِنَ النَّبَاتَاتِ المُتَنَوِّعَة الألوان والأشكال، حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرض بَهجَتَهَا وَزِينَتَهَا وازَّخرَفت بِالأَزهَارِ والثِّمَار، وكَانَت فِي قِمَّةِ عَطَاءِهَا، جَاءَهَا أَمرُ اللهِ كَأَن لَم تَكُن شَيْئًا.

وَالحَيَاةُ الدنيَا يُرَادُ بِهَا:

ـ مُدَّة بقَاء الكَائِنَات الحَيَّة عَلَى وَجهِ الأَرْضِ.

ـ حَيَاةُ الأَفرَاد؛ لِكُلِّ فَردٍ حَيَاةٌ تَنتَهِي بِوَفَاتِهِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ ثُمَّ نُنَجِّے رُسُلَنَا وَالذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنَجِّ ٱلْمُومِنِينَ﴾ [يونس:103].

فِي الآيَةِ القرآنية تَشبِيه تَمثِيلِي فِي قَولِهِ ﴿ كَذَٰلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنَجِّ ٱلْمُومِنِينَ﴾، قَالَ محيي الدِّين الدرويش" فَقَد شَبَّهَ نَجَاةَ مَن بَقِيَ مِن المُؤمِنِينَ بِنَجَاةِ مَن مَضَى فِي أَنَّهُ وَاجِب لَهُم، وَحَقٌ عَلَى اللهِ. وَوَجهُ الشَّبَهِ اِستِحقَاق كُل مِنهُم بِالنَّجَاةِ"[2]، وَجُملَةُ ﴿ كَذَٰلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا﴾ مُعتَرِضَة:" لأَنَّ المَصدَر بُدل مِن الفِعلِ، أَي حَقَّ ذَلِكَ عَلَيْنَا حَقًا"[3]

---

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القرآنِ الكريمِ وبَيَانُهُ، ج2، ص390.

[2] ـ المصدر نفسه، ج3، ص383.

[3] ـ ابن عاشُور: التحرير والتنوير، تونس: 1984، الدار التونسية للنشر، ج12، ص299.

وَهِيَ سُنَّةُ اللهِ فِي خَلقِهِ أَن يُنَجِّيَ عِبَادَهُ المُؤمِنِينَ مِن كُلِّ شِدَّةٍ وَبَأسٍ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِے اِلَارْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اِللَّهِ مِنَ اَوْلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ اُلْعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ اَلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَۚ﴾ [هُود:20].

في الآيَة القُرآنِية تَشبِيه تَمثِيلِي فِي قَولِهِ ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ اَلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَۚ﴾ وَهَذَا التَّشْبِيه مِن وُجُوهٍ عَدِيدَةٍ مِنهَا:

ـ **الوَجهُ الأَوَّل:** أَنَّ اللهَ سُبحَانَهُ وتَعَالَى يُضَاعف لَهُم العَذَاب لأَنَّ لَهُم القُدْرَة عَلَى السَّمعِ وَالفَهم، ولأَنَّ الدَّعوَة بَلَغَتْهُم فَأَصَمُّوا آذَانَهُم وأَعمَوا أَبصَارَهُم، قَالَ محيي الدِّين" يُضَاعَفُ لَهُم العَذَاب بِمَا كَانُوا يَسْتَطِيعُون السَّمعَ فَلا يَسمَعُونَ، وَبِمَا كَانُوا يَستَطِيعُون الإبصَار فَلا يُبصِرُونَ عِنَادًا وإِصْرَارًا مِنْهُم عَلَى الخطل وَالصُّدُودِ عَنِ الحَقِّ، وَهَذا يَقضِي أَن تَكُون مَا مَصدرِيَّة، والمَصدَرُ المُؤوَّل مَنصُوب بِنَزعِ الخَافضِ، وهُو البَاء"[1].

ـ **الوَجْهُ الثَّانِي:** لِاستِكبَارِهِم واستِثْقَالِهِم وَعَدَمُ قَبُولِهِم سَمَاعَ آيَاتِ اللهِ، أَصبَحُوا فِي الحُكمِ كَمَن لا يَستَطِيع السَّمع، وَمَن لا لَيسَ لَهُ بَصَر فَعَمَت بَصِيرَتُهُ عَن الحَقِّ.

ـ **الوَجْهُ الثَّالِثُ:** هَذَا بِاعتِبَارِ أَنَّ مَا فِي الآيَةِ ظَرفِية مَصدرِيَّة، قَالَ محيي الدِّين" تَجرِي مَجرَى سَأَذكُرُكَ مَا حَييت، والمَعنَى: أَنَّهُم مُعَذَّبُونَ مَا دَامُوا أَحيَاء"[2].

والتَّمْثِيلُ فِي هَذِهِ الآيَة فِيهِ تَوجِيهَات أُخرَى مِن بَينِهَا:

1 ـ إِنَّ اللهَ خَتَمَ عَلَى قُلُوبِ هَؤلاءِ الكُفَّار بَعْدَ كَثرَةِ إِعرَاضِهِم، قَالَ تَعَالَى ﴿خَتَمَ اَللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصٰرِهِمْ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٞۖ﴾ [البقرة:6]، أَو رَانَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِم وَمِنهُ قوله تَعَالَى ﴿ كَلَّا بَل رَّانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَۚ﴾ [المُطففِينَ:14]

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرَابُ القرآنِ الكريمِ وبيَانُهُ، ج3، ص406.

[2] ـ المصدر نفسه، ج3، ص406.

2 ـ إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَخَذَ سَمعَهُم وبَصَرَهُم فَأَصْبَحُوا لا يَسمَعُون ولا يُبْصِرُون، وَمِنهُ قَولهُ تَعَالَى﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۦٓۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَۖ﴾ [الأَنعَام:47].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَۖ ﴾ [هود:24].

فِي الآيَةِ تَشبِيهٌ تَمثِيلِي أَي: مَثَلُ فرِيقِ المُسْلِمِينَ البَصِير والسَّمِيع، وَمَثَلُ الكَافِرِينَ كَالأَعْمَى والأَصَمِّ.

ولَو جَاءَ التَّعبير بِالطِّبَاقِ كَالأَعمَى والبَصِير والأَصَمِّ والسَّمِيعِ لَفَسَدَ مَعنَى الآيَة.

فِي الآيَةِ الكَرِيمَة عَطَفَ الأَعمَى عَلَى الأَصَمِّ، وَيُقابلهَا عَطف البَصِير عَلَى السَّمِيعِ، وَلَكِن الأَعمَى والأَصَم كَأَنَّهَا صِفَة وَاحِدَة لِفَرِيقٍ وَاحِدٍ وَهُم الكُفَّار، والبَصِير والسَّمِيع كأَنَّهُمَا صِفَة واحِدَة لِفَرِيقٍ وَاحِدٍ وهُم المُسلِمِين، هَذَا التَّشبِيه الذِي هُو مُقَابَلَة بَينَ الأَعمَى والبَصِير والأَصَم والسَّمِيع، فَمَثَّلَ اللهُ بَينَ الفَرِيقَينِ الكُفَّار والمُسلِمِين، فَالكَافِر كَالأَعمَى والأَصَم، كَالأَعمَى فَهُو لا يَهْتَدِي ولا يُبصِرُ آيَات اللهِ، وكَالأَصَمِّ الذِي لا يَسمَع آيَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيهِ آنَاءَ اللَيْلِ وأَطرَافَ النَّهَارِ، وَفِي كُلِّ شَيء لَهُ آيَة تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الوَاحِدُ، فَمَثَلُ فَرِيق المُؤمِنِ كَالسَّمِيعِ وَالبَصِيرِ، وَمَثَلُ فَرِيقِ الكَافِرِ كَالأَعمَى وَالأَصَم، الفَرِيقَانِ لا يَستَوِيَانِ كَمَا لا يَستَوِي الأَعمَى وَالبَصِير وَالأَصَم وَالسَّمِيع.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍۢ ﴾ [الرَّعد: 15]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة تَشبِيه تَمثِيلِي فِي قوله تَعَالَى ﴿لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ﴾ فَقَد شَبَّهَ حَالَ الكُفَّار وَالمُشرِكِينَ مِن عُبَّادِ الأَصنَامِ فِي دُعَائِهِم وعَدَمُ اِستِجَابَةِ مَا يَدعُونَ، بِحَالِ الظَّمآن الذِي يَبسُطُ كَفَّيهِ طَالِبًا لِلمَاءِ لِيَبلُغَ فَاهُ وَمَا هُو

بِبَالِغِهِ؛ لأَنَّ المَاءَ لا يَسمَع ولا يَفهَم ولَا يَستَطِيع أَن يُجِيبَ دُعَاءَهُم وَيُلَبِّي حَاجَتَهُم، فَكَذَلِكَ حَال مَن يتَّخِذُونَ لله أَندَادًا مِن دُونِهِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾ [إبراهيم:21]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة تَمْثِيلٌ لِحَالِ المُشرِكِينَ وَمَا عَمِلُوا مِن أَعمَالٍ فِي هَذِهِ الدنيا، هَذِهِ الأَعمَال لا تَنفَع يَوم القِيَامَة، هَذِهِ الأَعمَال تُصبِح كَرمَادِ النَّار الذِي لَيسَ لَهُ فَائِدَة مَعَ أَنَّ فِيهِ خَيرًا لأَنَّهُ لَيسَ مُرتَبِط بِاللهِ تَعَالَى، فَالرَّمَاد يستَعمل فِي الكِنَايَة فيقال: بَيت كَثِير الرَّمَاد فَهُو بَيت كَثِير الضِّيَافَة.

وَهَذِهِ الآيَة مِنهَا السُّؤَال: كَيفَ هِيَ أَعمَالهُم؟ الجَوَاب: أعمالهُم كَرَمَاد، وَهَذَا الرَّمَاد لَيسَ لَهُ أَثَرٌ تَذرُوهُ الرِّيَاح.

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة تَمْثِيل لأَعمَالِ الكُفَّارِ الكَثِيرَة فَهِيَ كَبَقَايَا الحطب التي هِيَ الرَّمَاد الذِي تَذْهَبُ بِهِ الرِّيح، وَالرَّمَاد فِي أَصلِهِ كِنَايَة عَن الضِّيَافةِ وَالكَرَم، وفِي التَّمْثِيلِ أَكرَمَهُم اللهُ بِالأَعمَالِ التي تَكُونُ لَهُم نَجَاةً يَومَ القِيَامَة؛ لأَنَّهُم اتَّخَذُوا إِلَهًا غَيرَهُ فَأَصبَحَت أَعمَالهُم غَير مَقْبُولَة.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [إبراهيم:26]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة تَشبِيه تَمثِيلِي فَقَد شَبَّهَ الكَلِمَة الطيبَة بِالشَّجَرَةِ الطيبَة، فِي إِيتَاءِ الأُكل كُلَّ حِينَ، فَالكَلِمَة الطيِّبَة تُؤتِي أُكْلَهَا؛ لأَنَّ لَهَا أَثَر عَلَى القَلبِ وَيَبْقَى أَثَرُهَا بِخِلافِ الكَلِمَة الخَبِيثَة التي تُنفِّر القُلُوب، فَالمُؤمِن إِيمَانُهُ بِرَبِّهِ يَجْعَل كَلامَهُ طَيِّبًا.

وَهَذِهِ الشَّجَرَة هِيَ النَّخلَة فَهِيَ تُؤتِي أُكلَهَا فِي كُلِّ وَقتٍ لَيلاً وَنَهَارا، صَيفًا وَشِتَاءً، فَالمُؤمِن مِثل هَذِهِ الشَّجَرَة الطيبَة التي نَمَت عَلَى أَسَاسِ لاإِلَه إِلَّا اللهُ، هَذِهِ الكَلِمَة الطيِّبَة الثَّابِتَةُ الأَصلِ وَعَلَيهَا مَدَارُ الدنيَا وَالدِّين.

وَهَذَا التَّشبِيه التَّمثيلِي الذِي شَبَّهَ فِيهِ الكَلِمَة الطيبَة والشَّجَرَة الطيبَة، فالكَلِمَة الطيبَة هِيَ لاإِلَهَ إلا اللهُ، والشَّجَرة الطيبَة هِيَ المُؤمِن[1].

فَالمُؤمِن مَثَلُهُ كَمَثَلِ النَّخلَةِ فِي العَطَاءِ فَهِي مُخَضَّرَة عَلَى طُولِ العَام، وكَذَلِكَ هُو دَائِمُ العَطَاءِ، وطَعمُهَا حُلو والمُؤمِن لِسَانُهُ رَطبٌ بِذِكرِ اللهِ، أَخلاقُهُ حَسَنَة وَمُعَامَلَتُهُ طَيِّبَة، حَسَنُ العِشْرَةِ، فَالمُؤمِن فِيهِ مَنفَعَة أَينَمَا حَلَّ وَارتَحَلَ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اُجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ اِلَارْضِ مَا لَهَا مِن قَرارٍ﴾ [إبراهيم:26]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة تَشبِيه تَمثِيلِي تَبين مِن خِلالِ تَشبِيه الكَلِمَة الخَبِيثَة بالشَّجَرَةِ الخَبِيثَة، هَذِهِ الشَّجَرَة الخَبِيثَة لَهَا عُرُوق لا تَغُوص فِي التُّربَةِ، فَعُرُوقهَا عَلَى وَجهِ الأَرضِ، فَلَيسَ لَهَا قَرَار.

مَثَّلَ اللهُ الكَلِمَة الخَبِيثَة التي هِيَ الشِّرك بِالشَّجَرَةِ الخَبِيثَة التي هِيَ شَجَرَة الحَنظَلِ، هَذِهِ الشَّجَرَة التي لَيسَ لَهَا قَرَار وَثَبَات فَهِي تَنبُتُ فَوقَ الأَرْضِ وطَعْمُهَا مُرٌّ وَرَائِحَتُهَا مُرَّة وَلا فَائِدَة مِنهَا، فَكَذَلِكَ الشِّرْك فِي وَقتِ الشِّدَّةِ والحَاجَة يَجِد الكَافِر نَفسَهُ خَالِيَ الوِفَاضِ فَلا حُجَّة ولا دَلِيل.

ـ يقُولُ تَعَالَى ﴿ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ [2] مِنْهُ اُلْجِبَالُ﴾ [إبراهيم:48]

في الآيَةِ القرآنية تَشبِيه مُؤكَّد؛ هَذَا التَّشبِيه لَهُ دَلالات وتوجيهات، قَالَ محيي الدِّين الدرويش" فَقَد شَبَّه بِقَولِهِ﴿ لِتَزُولَ مِنْهُ اُلْجِبَالُ﴾ مكرهم لِتَفَاقُمِهِ، وشِدَّتِهِ، وافْتِتَانِهِم فِيهِ، وَبُلُوغِهِم الغَايَة مِنهُ، وشَبَّهَ شَرِيعَتَهُ وآيَاتهُ وَمَا أنزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ مِن تَعَالِيمِ سَامِيَة، وحُجَج بَيِّنَة، وَشَبّهَهَا بِالجِبَالِ فِي رُسُوخِهَا وتَمَكُّنِهَا مِن نُفُوسِ المُؤْمِنِينَ بِهَا، المُتَشَبِّثِين بأَهْدَابِهَا"[3]، وَزَوَالُ الجِبَالِ مِن مَكرِهِم هَذَا لِشِدَّتِهِ وَمَتَانَتِهِ وَرُسُوخِهِ، ولكن هَذَا فِي الجحدِ والاِمْتِنَاع وَقَد جَاءَ التَّعبِير بِـ لام الجُحُود إلا أَنَّ هَذَا المَكر لايُسَاوِي شَيْئًا مَعَ ثُبُوتِ الدِّينِ وَصِحَّةِ الرِّسَالَة.

---

[1] ـ وَهَذا القَولُ هُو قَوْلُ عَبد اللهِ بن عبَّاس ـ رَضِيَ اللهُ عنهُمَا ـ وأَمَّا مُجَاهِد وابن جُرَيج فَقَالَ: الكلمَةُ الطيبةُ هِيَ الإِيمَان، وأَمَّا مُجَاهِد وعِكْرِمَة فَقَالَ: الشَّجَرَة الطيبَة هِيَ النَّخلَة، ورد هذا عند القرطبي.

[2] ـ لَفْظَةُ ﴿لِتزُولَ﴾ أَكْثر القُرَّاء يَقرَأُهَا عَلَى كَسْرِ اللَّامِ عَلَى أَنَّهَا لام الجُحُود ونَصب الفِعْلِ المُضَارع وعَلَى هذا جُمهُور القُرَّاء.

[3] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرَابُ القرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج4، ص168.

فَقَولهُ ﴿عِندَ اللهِ مَكْرُهُم﴾ ذَكَرَ الطاهر بن عَاشُور أَنَّ العِندِيَّة فِي الآيَةِ إمَّا:" عِندِيَّةُ عِلمٍ، أَي: وَفِي عِلمِ اللهِ مَكرهم، فَهُو تَعرِيضٌ بِالوَعِيدِ والتَّهدِيدِ بِالمُؤاخَذَةِ بِسُوءِ فِعلِهِم، وإِمَّا عِندِيَّة تَكوِين مَا سُمِّيَ بِمَكرِ اللهِ، وتَقديره فِي إِرَادَةِ اللهِ، فَيَكُون وَعِيدًا بِالجَزَاءِ عَلَى مَكرِهِم"[1].

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِے قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ١٢ لَا يُومِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلاوَّلِينَ ١٣ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ١٤ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتَ اَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحِجْر:15]

فِي الآيَةِ القرآنية تَشبِيه تَمثِيلِي صور لنا العِنَادِ الذِي اِستَحوَذَ عَلَيهِم، هَذَا العِنَاد الذِي وَصَلَ قُلُوبَهُم وتَمَكَّنَ مِنهَا، إِنَّ هَؤلاءِ المُستَهزِئِينَ الذِينَ يَرَونَ الآيَات وَالدلائِل وَلَكِن لا يُؤمِنُون؛ لأَنَّهُم يَتَعَامَونَ عَنهَا قَالَ تَعَالى﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيَ أَعْمِىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً ١٢٣ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه:123-124]، حَتَّى وَلَو فَتَحَ اللهُ أَبوَابَ السَّمَاء لَهُم، هَذَا التَّعبِير فِيهِ دَلالَة أَنَّهُم حَتَّى وَلَو رَأَوا الآيَات والبَرَاهِين لَقَالُوا إِنَّمَا عَمِيَت أَبْصَارُنَا بِالسِّحرِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِے نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّاً﴾ [مريم: 63]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة تَشبِيه تَمثِيلِي يصوّر لنَا ميرَاث المتَّقين يوم القيَامَة، قَالَ محيي الدِّين الدرويش" فَقَد شَبَّه عَطَاءَ الجَنَّةِ لَهُم بِالعَطاءِ الذِي لا يُرَد، وهُو المِيرَاث الذِي يَرِثُهُ الوَارِث، فَلا يَرجِع فِيهِ المَورُوث، أَي: نُبْقِيهَا عَلَيهِم مِن ثَمرَةِ تَقوَاهُم كَمَا يَبقَى عَلَى الوَارِثِ مَال مَورثهُ، والوَارثة أَقْوَى لَفْظ يُسْتَعْمَل فِي التَّمليكِ والاستِحقَاق مِن حَيْث إِنَّهَا لا تعقبُ بِفَسخٍ ولا اِسْتِرجَاع، ولا تَبطُل بِرَدٍّ ولا إِسقَاط"[2].

فَكَمَا يَنتَقِلُ المِيرَاث مِنَ المَيِّتِ إِلَى الحَيِّ فِي الدنيَا، فَكَذَلِكَ عِندَمَا يَمُوتُ الإِنسَان فَمِيرَاثُهُ الجَنَّة إِن كَانَ مِن عبَادِ اللهِ المُتَّقِينَ.

[1] . ابن عاشُور: التحرير والتنوير، تونس: 1984، الدار التونسية للنشر، ج13، ص243.

[2] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرَابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبيانُهُ، ج4، ص625.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَالذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [النُّور:38]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة تَشبِيهٌ تَمثِيلِي لحَالِ أعمَال الكَافر فِي الدنيَا فِي قَوله تَعَالى ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾، فَتَوجِيهُ الآيَةِ دَالٌ عَلَى أَنَّ الكَافِرَ إِذَا اِنتَهَى أَمرُ الدُّنيا وَجَدَ عِقَاب اللهِ فِي الدَّارِ الأُخرى، فَيَجِد عَذَابَهُ وَعِقَابَهُ وأَمرَهُ، وَوَجه التَّشبِيه فِي الآيَةِ" أَنَّ الذِي يَأتِي بِهِ الكَافِر مِن أَعمَالِ البِرِّ، وَيَعتقِد أَنَّ لَهُ ثَوَابًا عِندَ اللهِ تَعَالَى، وَلَيسَ كَذَلِكَ، فَإِذَا وَافَى عَرَصَاتِ القِيَامَة لَمْ يَجِد الثَّوَاب الذِي كَانَ يَظُنُّهُ، بَل وَجَدَ العِقَابَ العَظِيمَ، وَالعَذَابَ الأَلِيم، فَعَظُمَت حَسْرَتُهُ، وتَنَاهَى غَمُّهُ، فَشُبِّهَ حَالهُ بِحَالِ الظَّمآن؛ الذِي اِشْتَدَت حَاجَتهُ إِلَى المَاءِ، فإِذَا شَاهَدَ السَّرَابَ فِي البَرِّ تعَلَّقَ قلبُهُ، فإِذَا جَاءَهُ لم يَجِدهُ شَيْئًا، فَكَذَلِكَ حَالُ الكَافِر يَحسبُ أَنَّ عَمَلَهُ نَافِعُهُ، فَإِذَا اِحْتَاجَ إِلَى عَمَلِهِ لَم يَجِدْهُ أَغنَى عَنهُ شَيئًا"[1].

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ [2] مُّنقَعِرٖ﴾ [القمر:20]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة تَشبِيهٌ تَمْثِيلِي فَقَد" شَبَّهَهُم بِأَعجَازِ النَّخلِ المُنقَعِر؛ إِذ تَسَاقَطُوا عَلَى الأَرضِ أَمواتًا وَهُم جُثَث عِظَام طِوَال، وَقِيلَ: كَانَت الرِّيح تَقطع رُؤُوسَهُم، فَتَبْقَى أَجسَادًا بِلا رُؤُوس، فَأَشْبَهَت أَعْجَازَ النَّخلِ التي انقلَعَت مِن مَغَارِسِهَا"[3]، فَالرِّيح تَقْلِعُ رُؤُوسَهُم فَتَبقَى أَجسَادهُم بِلا رُؤُوسٍ مَعَ أَنَّ أَجسَادَهُم كَبِيرَة وَهُم مِنَ العَمَالِقَةِ كَمَا صَوَّرَهُم القُرآن الكَرِيم، لِهَذَا جَاءَ التَّمْثِيل مُصَوِّرًا لِحَالِهِم فِي أَقرَبِ صُورَةٍ، وَقَد ذَكَرَ اللهُ فِي سُورَةٍ أُخرَى حَالَهُم فِي صُورَةٍ مُشَابِهَةٍ فَقَالَ تَعَالَى ﴿سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ﴾ [الحَاقَّة:6]

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ مَثَلُ ٱلذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرِىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾ [الجُمعَة:5]

---

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعْرَابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبيانُهُ، ج5، ص289.

[2] ـ كلمة ﴿نَخلٍ﴾ اِسْمُ جِنسٍ ومَعنَاه مَعْنَى الجَمع، وَهُوَ مِنَ الألفَاظِ التي تُذَكَّرُ وتُؤنَّث.

[3] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرَابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبيانُهُ، ج7، ص355.

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة تَشبِيهٌ تَمثِيلِي للذِينَ لا يَنتَفِعُون بِمَا أُنزِلَ إليهِم وذلكَ فِي قولِهِ ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرِىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾ فَقَد شَبَّهَ اليَهُود الذِينَ لَم يَنتَفِعُوا بِمَا فِي التورَاةِ التي هِيَ كِتَابُهُم، وَفِيهَا نُبُوءَة آخِر الرُّسُل وَهُو مُحَمَّد ﷺ فَلَم يَنتَفِعُوا بِهَا فَقَد شَبَّهَهُمُ بِالحِمَارِ الذِي يَحمِلُ الكُتُب ولَا يَعْلَم مَا يَحمِل، وَفِي هَذَا التَّمْثِيل تَنبِيهٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ فِي كُلِّ زَمَانٍ، أَنَّهُم إِذَا تَعَلَّمُوا العِلمَ يَنبَغِي أَن يَتَعَلَّمُوا مَعَانِيهِ وَيَعْمَلُوا بِهَا، فَلا خَيرَ فِي عِلْمٍ دُونَ فَهمٍ وَعَمَلٍ.

قَالَ يَحيَى بن يَمَان: يَكْتُبُ أَحَدُهُم الحَدِيث وَلا يَتَفَهَّم ولَا يَتَدَبَّر، فَإِذَا سُئِلَ أَحَدُهُم عَن مَسأَلَةٍ جَلَسَ كَأَنَّهُ مُكَاتب.

وقَالَ الشَّاعِر[1]:

إِنَّ الرُّوَّاةَ عَلَى جَهْلٍ بِمَا حملُوا مِثْلَ الجِمَالِ عَلَيهَا يُحْمَلُ الوَدع

لا الوَدْعُ يَنفَعُهُ حَمْلُ الجِمَال لَهُ ولا الجِمَال بِحَمْلِ الوَدْعِ تَنتَفِعُ[2]

- يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُوفَكُونَ﴾ [المُنَافِقُون:4]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة تَشبِيهٌ تَمْثِيلِي فَقَد شَبَّهَ المُنَافِقِينَ بِالخُشُبِ المُسندة المَنصُوبَة عَلَى الحَائِطِ، وَوَجْهُ الشَّبَهِ كَونُ الجَانِبَينِ هَيْكَل وأَجسَام، فَالأُولَى هَيَاكِل مَوضُوعَة عَلَى الحَائِطِ، وأَمَّا المُنَافِقِينَ هَيَاكِلٌ خَالِيَةٌ مِنَ العِلمِ، إِذَا نَظَرتَ إِلَيهِم رَأَيْتَ جَمَالَ المَنظَرِ حَسبتَهُم أَهْلَ عِلمٍ وَشَجَاعَةٍ وَقَولٍ حَسَنٍ، لَكِن إِذَا خَالَطْتَهُم واخْتَبَرتَهُم وَجَدتَهُم عَلَى خِلافِ المَنظَرِ وَمَا كُنتَ تَنتَظِر.

وفِي هَذَا البَاب علَى حَدِّ قَولِ الشَّاعِرِ حَسَّان بن ثابت:

لَا بَأْسَ بِالقَوْمِ مِن طُولٍ وَمِن عَظَمٍ جِسْم البِغَالِ وَأَحلام العَصَافِيرِ[1]

---

[1] . ابن عبد البر، صحيح جامع بيان العلم وفضله، دط. جدة:1996، مكتبة العلم بجدة، ص673.

[2] . القُرطُبِي، أَبِي عبد الله محَمَّد بن أَحْمَد الأنصَارِي القُرطبِي، الجَامِع لأَحْكَامِ القُرآن، خرَّجَ أَحَادِيثَهُ: أحمد بن شَعْبَان بن أحمد و محمد بن عيَّادي بن عبد الحليم، ط1. القَاهرة: مكتبة الصَّفَا، ج18، 67.

- يَقُولُ تَعَالَى﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِے يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ۝﴾ [المَعَارِج:4]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة تَمثِيل فَقَد مَثَّلَ الأيَّام التي تَكُونُ يومَ القِيَامَة، وَهَذَا التَّعبِير إِمَّا حَقِيقِي وَإِمَّا عَلَى سَبِيلِ المَجَازِ، وَبِأَيَّامِ الدنيَا يوم فِي الدنيَا يُقَابِلُهُ أَلْف سَنَةٍ فِي الآخِرَةِ، وَمِنه قوله تَعَالَى﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِۖ وَلَنْ يُّخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥۚ وَإِنَّ يَوما عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ۝﴾ [الحَج:45]، وَعَلَى المَجَاز إِذ يُعَدُّ العَذَاب شَدِيد، وَنَظَرًا لِشِدَّتِهِ يُحِسُّ المُعَذَّب بِطُولِ الوَقتِ لأَنَّهُ يَتَقَلَّبُ فِي أَنوَاعٍ مِنَ العَذَابِ.

وَمِن عَادَةِ العَرَبِ أَنَّهَا تَصِفُ أَيَّامَ الشِّدَّةِ بِالطُّولِ، وَأَيَّام الفَرَح بِالقِصَرِ، قَالَ ابن لنكك البصري[2]:

فَقِصَارُهُنَّ مَعَ الهُمُومِ طَوِيلَةٌ وطِوَالُهُنَّ مَعَ السُّرُورِ قِصَار

فَالأَيَّام التي فِيهَا مَسَرَّةٌ لِلإِنسَانِ يَجِدهَا قَصِيرَة، والأَيَّام التي فِيهَا مَشَقَّة وَمَضَرَّةٌ يَجِدهَا طَوِيلَة.

[1] ـ حسان بن ثابت، شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، وضعه وصححه: عبد الرحمن البرقوتي، دط. مصر: 1929، المطبعة الرحمانية لصاحبها عبد الرحمن موسى شريف، ص214..

[2] ـ

المَبحَثُ الثَّانِي: المَجَازُ وَدَلالاتُهُ فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.

1 ـ المَجَاز لغةً واصطلاحًا.

1 ـ 1 ـ المَجَازُ لُغَةً: وَرَدَ فِي لِسَانِ العَرَبِ لابنِ مَنظُور الإفْرِيقِي" جِزْتُ الطَّرِيقَ وَجَازَ المَوْضِعَ جَوَازًا، وَجَازَ بِهِ وَجَاوَزَهُ وَأَجَازَهُ غيْرَهُ وَجَازَهُ وَجَاوَزَهُ وأَجَازَ غَيْرَهُ، وَجَازَهُ، سَارَ فِيهِ وَسَلَكَهُ وَجَاوَزْت المَوْضِع جَوَازًا بِمَعنَى جِزْتُهُ، وَالمَجَازُ والمجازةُ المَوْضِع"[1].

وَعَرَّفَهُ الجُرجَانِي بِقَولِهِ:" المَجَازُ مِفْعَل مِن جَازَ الشَّيءَ يَجُوزُهُ إذَا تَعَدَّاه، وَإِذَا عُدِلَ بِاللَّفظِ عَمَّا يُوجِبُهُ أَهل اللغَةِ وَصَفَهُ بِأَنَّهُ مَجَازٌ عَلَى مَعنَى أَنَّهُم جَازُوا بِهِ مَوضِعَه الأَصلِي، أَو جَازَ هُو مَكَانَهُ الذِي وُضِعَ أَوَّلًا"[2].

1 ـ 2 ـ المَجَازُ اِصطِلاحًا: فقد عَرَّفَهُ السَّكَّاكِي بِقَولِهِ:" وأَمَّا المَجَاز فَهُو الكَلِمَة المُستَعملَة فِي غَيرِ مَا هِيَ مَوضُوعَة لَهُ بِالتَّحْقِيقِ، اِستِعمَالا فِي الغَيرِ، بِالنِّسبَةِ إِلَى نَوع حَقيقتهَا، مَعَ قَرِينَةٍ مَانِعَة مِن إِرَادَةِ مَعنَاهَا فِي ذَلِكَ النَّوع"[3].

وعَرَّفَهُ عبد القَاهر الجُرجَانِي:" أَنَّ كُلَّ لَفظٍ نُقِلَ عَن مَوضُوعِهِ فَهُو مَجَاز"[4].

وَعَرَّفَهُ محيي الدِّين الدرويش:" المَجَاز هُو مَا أُرِيدَ بِهِ غير المَعْنَى المَوضُوع فِي أَصلِ اللغَةِ"[5].

وَقَد ذَكَرَ ابن جنّي فَائِدَة المَجَاز فِي اللغةِ فَقَالَ:" وإِنَّمَا يَقَعُ المَجَاز ويُعْدَلُ إِلَيهِ عَنِ الحَقِيقَة لِمَعَانٍ ثَلاثةٍ وهِي: الاتِّسَاع، والتَّوكِيد، والتَّشبِيه، فَإِنَّ عَدَمَ هَذِهِ الأَوْصَاف كَانَتِ الحَقِيقَة البَيِّنَةُ"[1].

---

[1] . ابنُ مَنظُور، لِسَانُ العَرَب، (مَادَّة جَوَزَ)

[2] ـ عَبْدُ القَاهِر الجُرجَانِي، أَسَاسُ البَلاغَةِ، ص342.

[3] ـ السكَّاكِي، أبِي يعقُوب مُحَمَّد بن عَلي السَّكَّاكِي، مفتَاحُ العُلُوم، دط، بيرُوت، دت، مطبعة المكتبةُ العلْميَّة الجَدِيدَة، ص359

[4] ـ عبد القَاهر الجُرجَانِي، دَلائِلُ الإعْجَازِ، اعتنَى بِهِ: علي محمد زينو، ط1. بيروت: 2005، مُؤسَّسة الرِّسَالة ناشِرُون، ص65.

[5] ـ محيي الدين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج5، ص119.

وَمِنَ المَجَاز؛ المَجَازُ العَقلِي الذِي لَهُ تَسمِيَّات مُختلِفَة مِنهَا: المَجَازُ الحُكمِي لِرُجُوعِهِ إِلَى حُكْمِ العَقْلِ، أَو رُجُوعِهِ إِلَى حُكمِ الجُملَة، وَمِنهَا المَجَاز النِّسبِي، وَمِنهَا المَجَاز فِي الإِسْنَادِ، وحتَّى يُلامِسَ المَجَازُ العَقلِي الحَقِيقَة فِي إِسْنَادِيَّتِهِ هُنَاكَ ثلاثةُ أُمُورٍ وهِيَ:

1 ـ أَن يُسْنَدَ الفِعل إِلَى مَن يَقَعُ مِنهُ حَقِيقَةً وَيُؤَثِّر فِي وُجُودِهِ، وَهَذَا لا يَكُون إِلا لِفَاعِلٍ وَاحِد هُو اللهُ تَعَالَى وَأَفعَاله مِثلَ: خَلَقَ وَرَزَقَ وَأَحيَا وَأَمَاتَ وَأَوجَدَ ونَحو ذَلِكَ مِمَّا لا يَقدِر عَلَيهِ سِوَاه جَلَّ شَأنُهُ.

2 ـ أَن يُسنَدَ الفِعلُ إِلَى مَن يَقَعُ مِنهُ حُكمًا كَمَا فِي قَولِهِم: قَامَ زَيد...ونحو ذَلِكَ مِمَّا يَكُونُ لِلفَاعِلِ فِيهِ كَسبٌ وَاخْتِيَار.

3 ـ أَن يُسنَدَ الفِعلُ إِلَى مَا يَتَّصِف بِهِ مِثل: مَرِضَ زَيد وبَرد المَاءُ وَأَمْطَرَت السَّمَاءُ...وَفِيمَا عَدَا ذَلِكَ يَكُونُ الإِسنَاد مَجَازِيًا حَيْثُ يُسنَدُ الفِعل إِلَى غَيرِ مَا هُو لَهُ"[2].

وَقَد ذَكَرَ ابنُ السيِّد البَطلِيُوسِي إِنَّ المَجَازَ عَلَى ثَلاثَةِ أَنوَاعٍ:

ـ نَوْع يُعْرَضُ فِي مَوضُوعِ اللَّفظَة المُفرَدَة.

ـ وَنَوْع يُعْرَضُ فِي أَحوَالِهَا المُخْتَلِفَة عَلَيْهَا مِن إِعرَابٍ وَغَيرِهِ.

ـ وَنَوع يُعْرَضُ فِي التَّركِيبِ وَبِنَاء بَعْض الأَلفَاظ عَلَى بَعْضٍ"[3].

وَفِي مَسأَلَةِ المَجَاز يَرَى محيي الدِّين الدرويش أَنَّ المَجَازَ لا يَكُون إِلا بِشَرطَينِ:

أ ـ أَن يَكُونَ اللَّفظ مَنقُولًا عَن مَعْنَى وَضع اللَّفظ بِإِزَائِهِ أَوَّلًا، وَبِهَذَا يَتَمَيَّز عَنِ اللَّفظِ المُشْتَرَك، وَعَن الكَذب الذِي ادُّعِيَ فِيهِ أَنَّهُ مَجَاز.

ب ـ وَالشَّرطُ الثَّانِي أَن يَكُون النَّقل لِمُنَاسَبَةٍ بَينَ الأَصلِ وَالفَرعِ وَعلاقَته، ولأَجلِ ذَلِكَ لا تُوصَف الأَعلام المَنقُولَة بِأَنَّهَا مَجَاز، مِثَال ذَلِكَ تَسمِيَتُكَ رَجُلا بِالحَجَرِ، وَيُقَالُ أَنَّ ذَلِكَ مَجَاز

---

[1] ـ ابن جنِّي، الخَصَائِص، ج2، ص442

[2] ـ بَسْيُونِي عبد الفتَّاح فيود، بَيْنَ المَكْنِيَّة والتَّبَعِيَّة والمَجَاز العَقْلِي، ط1.القاهر:2010م، مُؤسَّسَة المُختَار للنَّشر والتَّوزِيع، ص69.

[3] ـ ابن السيِّد البَطلِيُوسِي، أَبِي محمَّد عَبد الله بن محمد ابن السيّد البطليوسِي، التَّنبِيه عَلَى الأَسْبَابِ التي أَوْجَبَتِ الخِلاف بَيْنَ المُسْلِمِينَ، قَرأَهُ وعلَّقَ عَلَيْهِ: يَحْيَى مُرَاد، ط1.بيروت:2003م، دَارُ الكتُب العلميَّة، ص52.

وإن كُنتَ نَقَلْتَ اِسمَ الحَجَر إِلَى الإِنسَانِ، إِلَّا أَنَّهُ نُقِلَ لِغَيرِ مُنَاسَبَةٍ، إِذ لا مُنَاسَبَة بَينَ حَقِيقَة الحَجَر وَحَقِيقَة الإِنسَان، ومتَى تَحَقَّقَ هَذَانِ الشَّرطَانِ فِي لَفظٍ، كَانَ ذَلِكَ اللَّفظُ مَجَازًا"[1].

2 ـ أَقْسَامُ المَجَاز عِندَ محيي الدِّين الدرويش:

ـ مَجَاز اِستِعَارَة: وَهَذَا النَّوْع مِنَ المَجَازِ قَائِم بِالأَسَاسِ عَلَى التَّشبِيهِ.

ـ مَجَاز حَذفٍ: وهذا النّوع قَائِم علَى الحَذفِ.

وقَد دَرَسنَا المَجَاز عِندَ محيي الدِّين الدرويش مِن خلال اِستِخرَاجِهِ وَتَصنِيفِهِ مَعَ دراسَةِ تَوجِيهِ الآيَةِ القُرآنِيَّة، وأثر المَجَاز فِي تَحديدِ المَعنى القُرآنِي.

1 ـ المَجَازُ المُرسَل ودلالاتُهُ فِي التَّوجِيهِ القُرآنِي.

إِنَّ المَعنَى فِي المَجَازِ المُرسَل يَتَبَدَّل وِفق علاقَاتٍ مُتَعَدِّدَة، وَلا تَخلُو أَن تَكُونَ وَاحِدَة مِن اِثْنَتَينِ:

أَوَّلا: عِندَ إِطلاق الجُزءِ وَإِرَادُ الكُلِّ وَهُو المَعرُوف عِندَ أَهلِ البَلاغَةِ بِالعلاقَة الجُزئِيَّة، كَقَولِهِ تَعَالَى﴿ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ اِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّومِنَةٍۖ﴾، فَالرَّقَبَةُ جُزءٌ مِنَ الجَسَدِ، فَهِيَ جُزءٌ مِن الكُلِّ.

ثَانِيا: عِندَ إِطلاقِ الكُلِّ وَإِرَاد الجُزء وهُو المَعرُوف عِندَ أَهلِ البَلاغَةِ بِالعلاقَةِ الكُلِّيَّة، كَقَولِهِ تَعَالَى ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِۚ وَاللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَۖ﴾ وَالمُرَاد بعض الأَصَابِع وَلَيس كُلّ الأَصَابِع، فَهُو إِطلاقُ الكُلِّ وَإِرَادُ الجُزءِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْۖ فَتَابَ عَلَيْكُمْۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُۖ﴾ [البقرة:53]

في الآية القرآنية مَجَاز مُرسَل فِي قولِهِ تَعَالَى ﴿فَاقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش وَهُو مَجَازٌ مُرسَل علاقَتُهُ اِعتِبَار مَا يَؤُولُ إِلَيْهِ، أي: أَسلمُوهَا للقَتْلِ تَطهِيرًا لَهَا"[1]، وَمِن مَعَانِي

[1] ـ محيي الدين الدرويش، إِعْرَابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبيَانُهُ، ج5، ص105.

القَتْل فِي هَذِهِ الآيَة هُو تَذلِيلُ النَّفْس وَكَبحِ جِمَاحِهَا، قَالَ بجِير بن زُهَير فِي وَصْفِهِ الخَمر التي مُزِجَت بِالمَاءِ وَبِالتَّالِي فَقَدَت شِدَّتَهَا قال حسان بن ثابت:

إِنَّ التي نَاوَلَتْنِي فَرَدَدْتُهَا قُتِلَت، قُتِلَت فَهَاتِهَا لَم تُقْتَل[2]

فَلَفظُ (القَتل) فِي هَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة يَحمِلُ مَعْنَيينِ مَعنَى حَقِيقِي وَآخَر مَجَازِي، فَالقَتل المَجَازِي هُو التَّذْلِيلُ والقَهر والمَعْنَى الحَقِيقِي هو القَتل المعْرُوف.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوَ اَشَدُّ قَسْوَةًۗ وَإِنَّ مِنَ اَلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ اُلَانْهَٰرُۖ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ اُلْمَآءُۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اِللَّهِۗ وَمَا اَللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَۖ ﴾ [البقرة:74]

فِي هَذِهِ الآيَة القَرآنيَّة تَشبِيه مُرسَل يُصوِّر لنَا حالَ القلُوب فِي علاقتهَا بربِّها، قَال محيي الدين الدرويش" شَبَّهَ قُلُوبَهُم فِي نُبُوِّهَا عَنِ الحَقِّ، وَتَجَافِيهَا مَعَ أَحْكَامِهِ بِالحِجَارَةِ القَاسِية، ثُمَّ تَرَقَّى فِي التَّشْبِيهِ، فَجَعَلَ الحِجَارَة أَكْثَرَ لِينًا مِن قُلُوبِهِم"[3].

وَهُنَاكَ اِسْتعَارَة مَكْنِيَّة تَبَعِيَّة فِي ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ فَهَذَا تَشبِيهٌ لِحَالِ القُلُوبِ البَعِيدَة عَن عِبَادَةِ اللهِ فِي عَدَمِ الاِعتِبَارِ، وَأَخْذِ العِبرَة مِمَّا هُو مَاثِلٌ أَمَامَهَا، بِالحِجَارَةِ فِي قَسوَتِهَا أَوْ أَشَدَّ مِنهَا.

والقَسوَةُ تُسْنَدُ إِلَى شَيئَينِ:

ـ القُلُوب.

ـ الأَجْسَام.

وقَد شَبَّهَ قُلُوبَهُم بِالحِجَارَةِ مَعَ أَنَّ الحَدِيدَ أَشَدُّ صَلابَةً مِنْهَا لِأَمْرَينِ اِثنَينِ هُمَا:" لأَنَّ الحَدِيدَ يَلِينُ بِالنَّارِ، وَقَد لَانَ لِدَاوُد بِإِذنِ اللهِ حتَّى صَارَ كَالعَجِينِ، ولا تَلِينُ الحِجَارَة بِمُعَالَجَةٍ أَبَدًا، ولِأَنَّ فِي الحَدِيدَ مَنَافِع، تِلكَ المَنَافِع لا تُوجَد فِي الحِجَارَةِ، فَشَبَّهَ اللهُ قُلُوبهم بِالحِجَارَةِ لِقَسوَتِهَا وَلِعَدَمِ

---

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرَابُ القرآنِ الكَرِيمِ وَبَيَانُهُ ، ج1، ص105.

[2] ـ حسان بن ثابت، شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، وضعه وصححه: عبد الرحمن البرقوتي، دط. مصر: 1929، المطبعة الرحمانية لصاحبها عبد الرحمن موسى شريف،311.

[3] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرَابُ القرآنِ الكَرِيمِ وَبَيَانُهُ، ج1، ص125.

المَنْفَعَةِ مِنهَا"[1]، كَمَا أَنَّ القُلُوبَ تَلِينُ والحِجَارَة لا تَلِين فَشَبَّهَ القُلُوبَ بِالحِجَارَةِ بِمَعنَى أَنَّ هَذِهِ القُلُوب القَاسِيَة لَا يُمْكِنُ أَن تَلِينَ، والنَّار هِي مُستقرّهَا، فَالنَّار وَقُودُهَا النَّاسُ والحِجَارَة.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَلَكُمْ فِے اِلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِے اِلَالْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:178]

هَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة تَحوِي فِي طَيَّاتِهَا دَلالات بَيَانِيَّة مُخْتَلِفَة؛ كَالإِيجَازِ والمَجَاز وَتَنكِير لَفْظ الحَياة وغيرهَا.

فَفِي الآيَةِ القرآنية "قَد جَعَلَ مَا هُو تَفوِيت لِلحَيَاةِ وذهَاب بِهَا ظرفًا لَهَا، إِذِ القِصَاص مزجرة قَوِيَّة عَن إِقْدَام النَّاس عَلَى القَتْلِ، فَارْتَفَعَ بِسَبَبِهِ القَتْل عَن النَّاس، وارْتِفَاع سَبَب المَوْت دَيْمُومَة للحَيَاةِ السَّابِقَة"[2]، كَانَتِ العَرَبُ إِذَا قَتَلَ أَحَدٌ آخَر تَدَاعَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنهُم بِأنصَارِهِ مِن قَبِيلَتِهِ، فَتَكُون النَّتِيجَة قَتلُ عَدَدٍ كَثِيرٍ، فَلَمَّا جَاءَ القُرآنُ الكريم جعل وَشَرَعَ القِصَاص أَنَّ مَن قَتَلَ يُقْتَل فَارتَدَعَ النَّاسُ عَن القَتْلِ وَتَحَقَّقَ الحُكمُ، فَكَانَ بِالقِصَاصِ حَيَاة النَّاس، وَتَنكِير لَفْظ ﴿حَيَوٰةٌ﴾ تَعْظِيمًا لِرُوحِ الإنسَان، وأَنَّ لَهَا مَقَامٌ عَظِيمٌ عِندَ اللهِ سُبحَانَهُ وتَعَالَى.

وَقَد عَبَّر اللهُ بِلَفْظِ القِصَاص الذِي فِيهِ عَدلٌ وَحَيَاةٌ واستِحقَاقٌ فَلِكُلِّ ذِي حَقٍ حقَّهُ، وَلَم يُعَبِّر بِلَفْظِ القَتْلِ لأَنَّ فِيهِ مَكر وكَرَاهَة ولأَنَّ بَيْنَهُمَا فُرُوق، فَالقَتل لا يكُون إِلا فِي النَّفسِ بِخِلافِ القِصَاص الذِي يَكُون فِي النَّفسِ وغَيرِهَا، وَقَد ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ أَصنَافًا مِنهَا فِي قولِهِ تَعَالَى ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [المائدة:45]

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ اُلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَّنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُومِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ اِلَاخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكِىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:230]

---

[1] ـ تفسير البغوي، ج1، ص85، ابن كثير، ج1، ص121.

[2] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرَابُ القرآنِ الكَرِيمِ وَبَيَانُهُ، ج1، ص 229.

فِي هَذِهِ الآيَةِ القرآنيَّة مَجَازٌ مُرْسَل، قَالَ محيي الدِّين الدرويش" فَتَسْمِيَةُ المُطَلَّقِين لَهُنَّ بِالأَزْوَاجِ مَجَازٌ مُرسَل علاقَتُهُ اِعْتِبَار مَا كَانَ"[1].

مِن بَلاغَةِ العَرَبِ فِي كَلامِهِم كَثِيرًا مَا تُسَمِّي الشَّيءَ بِاعتِبَارِ مَا يَؤُول إِلَيهِ، فَبِاعتِبَارِ مَا تَؤُول إِلَيهِ المُطَلَقَّة بَعدَ العِدَّةِ الزَّوَاج هَذَا مِن جِهَة.

وَقَد تَكُون دَلَالات وَتَوجِيهَات أُخرَى فِي هَذِهِ الآيَة مِنْهَا:

ـ أَنَّ المُطَلَّقَة تَقضِي عِدَّتَهَا فِي بَيتِ الزَّوجِيَّة، وَقَد تَنقَضِي العِدَّة ولا يُرَاجِعهَا فَتَبِينُ مِنهُ، ثُمَّ يَندَم وَيَخطِبُهَا مِن جَدِيدٍ وَهِي قوله ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَّنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ وَالعَضْلُ هُو المَنع أَي: لا تَمنَعُوهُنَّ الرُّجُوعَ إِذَا تَرَاضَوا بَينَهُم.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ اَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّٰهِ وَمَنِ إِتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَالْأُمِّيِّۧنَ ءَاَسْلَمْتُمْۚ فَإِنَ اَسْلَمُواْ فَقَدِ إِهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ وَاللَّهُ بَصِيرُۢ بِالْعِبَادِۗ﴾[آل عمران:20]

فِي الآيَةِ القرآنية مَجَاز مُرسَل وعلاقته الجُزئِيَّة فِي قَولِهِ ﴿اَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّٰهِ﴾، قَالَ محيي الدِّين الدرويش" تَعْبِيرًا عَن الكُلِّ بِأَشرَفِ أَعضَائِهِ، وَهُو: الوَجه، والعلاقَة هُنَا الكُلِّيَّة"[2]

وَمِن تَوجِيهَاتِ الآيَة القُرآنِيَّة أَنَّ المَقصُودَ بِـ﴿اَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّٰهِ﴾ أَي: ذَات المُؤمِن وَقَصده، وَقَد وَرَدَت فِي أَحَادِيثِ للنَّبِيِّ الكَرِيم صَلَواتُ رَبِّي وَسَلامُهُ عَلَيهِ، مِنهَا قَوله ﷺ(اللَّهُمَّ أَسلَمتُ نَفسِي إِلَيْكَ وَفَوَّضتُ أَمرِي إِلَيكَ، وَوَجَّهتُ وَجهِي إِلَيْكَ، وَأَلجَأتُ ظَهرِي إِلَيكَ، رَغبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لا ملجَأَ ولا مَنجَى مِنكَ إِلا إِلَيْكَ، آمَنتُ بِكِتَابِكَ الذِي أَنزَلتَ وَبِنَبِيِّكَ الذِي أَرْسَلْتَ)[3].

وَقَد خَصَّ بِالذِّكرِ الوَجه دُون الأَعضَاءِ الأُخْرَى؛ لأَنَّ الوَجهَ هُو أَشْرَف الأَعْضَاء الظَّاهِرَة وَفِيهِ تَكُون عَلامَةُ العِزِّ وَالذُّلِّ، وَالوَجه يَحتَوِي الحَوَاس التي يَكُون بِهَا قَصدُ اللهِ تَعَالِى بِاللِّسَانِ

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرَابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبيانُهُ، ج1، ص303.

[2] ـ المصدر نفسه، ج1، ص 414.

[3] . رواه البخاري في الفتح، ج11، ص113، ورواه مسلم في صحيحه، ج4، رقم:2081.

وَالعَيْنَينِ والأُذُنَينِ، فَاللِّسَان يَلْهَجُ بِذِكرِهِ، والنَّاطِق بِاسمِ القَلب، وَالعَينَان لا تُسَخَّرَانِ إلا فِي الخَيرِ، والأُذُنَين لا تَسمَعَانِ إلا مَرضَاةَ اللهِ تَعَالَى، كَمَا أَنَّ الشُّكرَ لِلهِ والتَّذَلُّل لِلهِ يَكُون عَن طَرِيقِ السُّجُودِ الذِي يُعَدُّ الوجه أَحدها، قَالَ النَّبِي ﷺ" سَجَدَ وَجهِي للذِي خَلَقَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ بِحَولِهِ وَقُوَّته ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾"[1] .

ـ يقُولُ تَعَالَى﴿ وَأَمَّا ٱلذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِے رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[آل عمران:107] فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿فَفِے رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ مَجَازٌ مُرسَل علاقته حَالِيَّة قَالَ محيي الدِّين الدرويش" والعلاقَة فِيهِ الحَالِيَّة؛ لأَنَّ الرَّحمَة لا يَحِلُّ فِيهَا الإنسَان، وإنَّمَا يَحِلُّ فِي مَكَانِهَا، وهُو الجَنَّة"[2] يَذكُرُ أَهلُ المَعَانِي أَنَّ الله قَالَ ﴿فَفِے رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ فَقَد سَمَّى اللهُ الجَنَّة رَحمَة؛ لأَنَّهُ لا يُمْكِنُ لأَحَدٍ أَن يَدخُلَ الجَنَّةَ بِعَمَلِهِ إلا أَن يَتَغَمَّدَهُ اللهُ بِرَحمَتِهِ الوَاسِعَة حَتَّى وَلَو كَانَ النَّبِي ﷺ، فَعَن عَائِشَة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ قَالَت: قَالَ الرَّسُول ﷺ:" سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبشِرُوا، فَإِنَّهُ لَن يَدخُلَ الجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ قَالُوا: وَلا أَنتَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: وَلا أَنَا، إلا أَن يَتَغَمَّدَنِي اللهُ مِنهُ بِرَحمَةٍ، واعلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ العَمَلِ إِلَى اللهِ أَدوَمَهُ وَإِن قَلَّ"[3].

ـ يقُولُ تَعَالَى ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِے ٱلْأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران:137].

فِي الآيَةِ القرآنيَّة مَجَاز فِي قَوله تَعَالَى ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِے ٱلْأَرْضِ﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" والعلاقَةُ فِي هَذَا المَجَازِ مَا يَؤُولُ إِلَيهِ أَمرُ السَّيرِ فِي الأَرضِ، وتملي الآثَار المَعرُوضَة، وَاستِجلاء مَا تَركَهُ الأَوَّلُونَ مِن مُخَلَّفَاتٍ يَنبَغِي الاِستِبصَار بِهَا"[4]، والسَّير فِي الأَرضِ فِيهِ يَرَى الإنسَانُ بِعَينَيهِ العِبَر وَمَا حَلَّ بِالمُستَهزِئِينَ المُكَذِّبِينَ بِالرُّسُلِ وَالأَنبِيَاء مِن

[1] . رواه الإمام الترميذي، ج2، ص474، والإمام أحمد، ج6، ص30.

[2] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرَابُ القرآنِ الكَرِيمِ وَبَيَانُهُ، ج1، ص501.

[3] . رواهُ الإمَامُ مُسلِم فِي صَحِيحِهِ، الرَّقْم:2818، رَوَاهُ البُخَارِي، تحت رقم: 6464.

[4] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعرَابُ القرآنِ الكرِيمِ وبَيَانُهُ، ج1، ص533.

الأَوَائِلِ وَمَا حَلَّ بِهِم، وَهَذَا السَّير الغَرَض مِنهُ الإِعتِبَار بِالآثَارِ وَمَا حَلَّ بِأَهلِ الدِّيَارِ، وَلَكِنَّ العَاقِبَة لِمَنِ اِختَارَ خَاتِمَتَهُ بِيَدِهِ وَاعتَبَر.

قَالَت رَابِعَة البَصرِيَّة ـ رَضِيَ اللهُ عنهَا ـ أَنَّهَا كَانَت تُنشِدُ:

تَرجُو النَّجَاةَ ولَم تَسلُك مَسَالِكَهَا إِنَّ السَّفِينَة لا تَجرِي عَلَى اليَبَسِ[1]

وَقَالَ لَبِيد بن رَبِيعَة العَامِرِي فِي مُعَلَّقَتِهِ فِي البَيتِ الوَاحِدِ وَثمَانُون :

مِن مَعشَرٍ سَنَّت لَهُم آبَاؤُهُم ولِكُلِّ قَومٍ سُنَّةٌ وإِمَامُهَا[2]

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتَ اَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اَللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ۝﴾ [آل عمران:182] فِي هَذِهِ الآيَةِ القُرآنِيَّة مَجَازُ مُرسَل فِي قولِهِ ﴿ بِمَا قَدَّمَتَ اَيْدِيكُمْ﴾، وعلاقته الكلية فَقَد ذكرَ اليَدَ دُونَ الأعضَاءِ الأُخْرَى وأَرَادَ الجِسْم كُلَّهُ، قَالَ محيي الدِّين الدرويش" إِذِ المُرَادُ سَيِّئَاتِكُم، والعلاقَة هِيَ السَّبَبِيَّة؛ لأَنَّ اليَدَ هِيَ السَّبَب فِيمَا يَقْترفهُ الإِنسَان مِن أَعمَالٍ"[3]، وهُنَاكَ حَقِيقَة أَقَرَّتهَا الشَّرِيعَة وَهِيَ أَنَّ مَا يُصِيبُ الإِنسَانَ مِن سَيِّئَاتٍ فَبِمَا كَسَبَت نَفسهُ وَعَمِلَت يَدُهُ، وَأَنَّ مَا أَصَابَهُ مِن حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ، قَالَ تَعَالَى ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ بِمَا كَسَبَتَ اَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ۝﴾ [الشُّورَى:28]، وَاليَد فِي الآيَةِ عَلَى سَبِيلِ المَجَازِ لأَنَّ الفِعلَ يَتِمُّ مِن طَرَفِ الإِنسَان، وَخَصَّ اليَدَ دُونَ الأَعضَاءِ الأُخرَى لأَنَّ بِهَا تَمَّ الفِعل، وَقَد ذَكَرَ اللهُ اليَدَ جَمعًا، وَفِي آيَةٍ أُخرَى ذَكَرَ اليَدَ بِالتَّثنِيَةِ، يَقُولُ تَعَالَى ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اَللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ۝ ﴾ [الحَج:10]

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿اِنَّ اَلذِينَ يَاكُلُونَ أَمْوَٰلَ اَلْيَتَٰمىٰ ظُلْماً اِنَّمَا يَاكُلُونَ فِے بُطُونِهِمْ نَاراً ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ۖ﴾ [النِّسَاء:10]

[1] ـ الزَّمخشرِي، الكَشَّاف عَن حقَائقِ غَوَامِض التَّنزِيل وعُيُونِ الأَقَاوِيل فِي وُجُوهِ التَّأوِيلِ، ج3، ص25.

[2] ـ لبيد بن ربيعة العامري، ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دط. بيروت: دت، دار صادر، ص179.

[3] ـ محيي الدين الدرويش، إِعْرَابُ القرآنِ الكريمِ وبيانُهُ، ج1، ص587.

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة مَجَاز مُرسَل والعلاقَة هِيَ السَّبَبِيَّة، قَالَ محيي الدِّين الدرويش" فَالنَّار لا تُؤكَلُ، وإنَّمَا يُؤكَلُ مُسببهَا، والآبِل إلَيهَا، وَهُو مَالُ اليَتِيم"[1] فَهُم يَأكُلُونَ مَا يُفضِي بِهِم إِلَى النَّارِ، فَهُم يَأْكُلُونَ مَا يَكُونُ سَبَبًا لَهُم فِي عَذَابِ جَهَنَّم.

فِي هَذِهِ الآيَة تَعبِير بِالمُسَبِّب عَنِ السَّبَبِ، أَي: مَا يَكُونُ سَبَبًا فِي وُلُوجِ النَّار.

وَمِن تَوجِيهَاتِ الآيَة القُرآنِيَّة أَنَّ هُنَاكَ علاقَة بَينَ مَالِ اليَتِيمِ والأَكلِ وَالنَّار، فَالإنسَان يَستَعِين فِي قَضَاءِ حَوائِجِهِ بِالمَالِ، الذي مِنهُ يَحصُل على المَأكُولات والمَشرُوبَات التي تُسَاعِد فِي نُمُوِّ الجِسمِ ومَلأ البطن من أنقص الأسبَاب وأبشعهَا، وَقَد وَرَدَ فِي الأَثَرِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ اللَّحمَ الذِي يَنبُتُ مِن حَرَامٍ النَّار أَولَى بِهِ، فَكُلُّ جِسمٍ وَلَحمٍ تَغَذَّى بِالحَرَامِ؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ يَومَ القِيَامَة فِي النَّارِ عُقُوبَةً لَهُ، وَاللهُ أَمَرَنَا بِإِلتِمَاسِ الطيِّبَاتِ مِنَ الرِّزقِ وَالمَالِ، فَالآيَة فِيهَا وَعِيد شَدِيد لِلذِي يَأكُلُ مَالَ اليَتِيم.

وَوَجهٌ آخَرَ مِن حَدِيثِ أَبِي سَعِيد الخُدرِي قَالَ: حَدَّثَنَا النَّبِيُّ ﷺ عَن لَيلَة أُسرِيَ بِهِ قَالَ:" رَأَيتُ أُقْوامًا لَهُم مَشَافِرٌ كَمَشَافِرِ الإِبِلِ، وَقَد وُكِّلَ بِهِم مَن يَأخُذ بِمَشَافِرِهِم ثُمَّ يجعلُ فِي أَفوَاهِهِم صَخرًا مِن نَارٍ يَخرُجُ مِن أَسَافِلِهِم، قُلتُ: يَا جِبرِيل مَن هَؤلاءِ؟ قَالَ هُم الذِينَ يَأْكُلُونَ أَموَالَ اليَتَامَى ظُلْمًا"[2].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولاً﴾ [النِّسَاء:46]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة مَجَاز مُرسَل علاقتُهُ كُلِّيَّة حيثُ ذَكَرَ الجُزء وأرادَ الكُل فِي قَولِهِ ﴿أَن نَّطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهَآ﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" ذَكَرَ الوُجُوهَ وَإِرَادَةُ أَصحَابِهَا"[3]،

[1]ـ محيي الدين الدرويش، إعْرَابُ القرآنِ الكريمِ وبيانُهُ، ج1، ص624.

[2] ـ الدكتور محمد علي الصلابي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ـ دراسة شاملة ـ ط1. الإسكندرية: 1428هـ/ 2008، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ص212، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج8، ص200.

[3] ـ محيي الدين الدرويش، إعْرَابُ القرآنِ الكريمِ وبيانُهُ، ج2، ص36.

وَالطَّمْس هُو الإزَالَة فَلا يَبْقَى أَثَر، وَقَد وَرَدَ الطَّمس عَلَى الوُجُوهِ وَالأَعيُن والأَموَال والنُّجُوم[1]، فَالطَّمْس عَلَى الأَعيُنِ ذَهَابُ نُورِهَا، وَطَمسُ النُّجُومِ ذَهَابُ ضَوْئِهَا وَفِي ذَلِكَ قَالَ ذُو الرُّمَّةِ[2]:

فَلا تَحْسَبي شَجِّي بِكِ البيدَ كُلمَا تَلألأَ بِالغَورِ النُّجُوم الطوَامِس

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿فَأَمَّا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِے رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرٰطاً مُّسْتَقِيماً﴾ [النساء:175]

فِي الآيَةِ القرآنية مَجَاز مُرسَل فِي قولِهِ ﴿فِے رَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" لأَنَّ الرَّحمَة لا يَحِلُّ فِيهَا الإنسَان؛ لأَنَّهَا مَعنَى مِنَ المَعَانِي، وإنَّمَا يَحِلُّ فِي مَكَانِهَا وَهُو الجَنَّة، فَاستِعمَال الرَّحمَة فِي مَكَانِهَا مَجَازًا أُطلِقَ فِيهِ الحَال وَأُرِيدَ المَحَل، فَعلاقَتُهُ الحَالِيَّة"[3]، فَثَوَابُ اللهِ عَظِيم وَهُم بِرَحمَتِهِ للجَنَّةِ دَاخِلُون لا لِعَمَلٍ استَوجَبُوهُ وإنَّمَا بِفَضلِ اللهِ وَرَحمَتِهِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۖ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:62]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة مَجَاز مُرسَل فِي قَوله ﴿مَثُوبَةً﴾ والغَرَض مِن هَذَا المَجَاز هُو التَّهَكُّم، وَعلاقَتُهُ ضِدِّيَّة، فَقَد تَكلَّمَ عن المَثُوبَةِ ثُمَّ تَكَلَّمَ عَن العُقُوبَةِ، فَالمَثُوبَة مُتَعَلِّقَة بِكُلِّ مَا هُو خير والعُقُوبَة بِكُلِّ مَا هُو شَر وَهَذَا هُو الأَصل، لَكِن فِي الآيَةِ جَاءَت بِمَعنَى العُقُوبَة وَالإسَاءَة عَلَى تَعبِيرِ قَولِهِ تَعَالَى ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍۢ﴾ [آل عِمْرَان:21] لأَنَّ عِصْيَانَهُم وَتَكَبُّرَهُم وَبُعدَهُم عَنِ الحَقِّ مُسْتَمِرٌ وَقَد كَانَ فِي أَسلافِهِم.

---

[1] . الطَّمس عَلَى الوُجُوهِ كَمَا فِي سُورةِ النِّسَاءَ الوَارِدَة فِي المِثَالِ، والطَّمس عَلَى الأَعيُنِ كَمَا فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ [يس:66]، وأَمَّا طَمْسُ الأَمْوالِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس:88]، وَأَمَّا طَمْس النُّجُومِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ [المُرسَلات:8]

[2] ـ ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، قدم له وشرحه: أحمد حسن سبج، ط1. بيروت: 1995م/1415هـ، دار الكتب العلمية، ص146.

[3] ـ محيي الدين الدرويش، إعْرَابُ القرآنِ الكريمِ وبيانُهُ، ج2، ص166.

وَقَد جَاءَت ﴿مَثُوبَةً﴾ مَنصُوبَةً واقِعَةً فِي إِعْرَابِهَا تَمْيِيزًا.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمَ اَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِے اِلَارْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا اَلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَاراً وَجَعَلْنَا اَلانْهَٰرَ تَجْرِے مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً اٰخَرِينَ ﴾ [الأنعام:6]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة مَجَازٌ مُرسَل فِي قَوْلِهِ ﴿وَأَرْسَلْنَا اَلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَاراً﴾ وَالمِدْرَار هُو الكَثِير المُتَتَالِي، ومِدرَار دَالٌ عَلَى الكَثْرَةِ والتَّتَابُع عَلَى وَزنِ مِذكَار فَيُقَالُ: اِمْرَأَةٌ مِذكَار كَثِيرَةُ إِنجَابِ الذُّكُور، ويُرِيدُ بِالسَّمَاء المَطَر" عَبَّرَ عَنْهُ بِالسَّمَاءِ لأَنَّهُ يَنزِلُ مِنهَا"[1]، ويَقُولُونَ لِلمَطَرِ سَمَاء لأَنَّهُ يَنزِلُ مِنهَا.

وَمِنهُ قَولُ الشَّاعِر معود الحُكَمَاء معَاوِية بن مَالِك[2]:

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرضِ قَومٍ رَعَينَاهُ وإِن كَانُوا غِضَابا

فما ينزلُ من السَّمَاء مِن مَاء هو خَير لهُم ولأنعَامهِم، وقَد كانت العربُ تعرفُ مواطِن الكَلإِ وهِي المَوَاطِن التي كَثُر فيها نُزُول الغيثِ.

ـ يقُولُ تَعَالَى ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِے اِلَارْضِ ثُمَّ اَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ اُلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [الأَنعَام:12]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة مَجَاز مُرسَل فِي قَولِهِ ﴿عَٰقِبَةُ اُلْمُكَذِّبِينَ﴾ والذِي علاقتُهُ المَصِير والمَآل، فَفِي بِدَايَةِ الآيَة كَانَ الأَمر مِنَ اللهِ تَعَالَى ثُمَّ كَانَتِ المُحَاوَرَة، وَلَكِن ذَكَّرَهُم بِالعَاقِبَةِ وَهِيَ آخِرُ الشَّيءِ وَمَآلُهُ وَمَا يَكُونُ نَتِيجَةً لِلمُسَبِّبَاتِ السَّابِقَة لَهُ، وَقَد قَالَ عَنهُم أَنَّهُم مُكَذِّبِينَ وَلَم يَقُل عَنهُم مُستَهزِئِينَ، وَالتَّكذِيب شَيء وَالاِستِهزَاء شَيء آخَر، وَهُم فِي حَالَةِ تَكذِيبٍ؛ لأَنَّهُ ذَكَرَ لَهُم الآيَات وَالبرَاهِين وَأَمَرَهُم بِالنَّظَرِ فِي سِيَرِ الأَوَّلِينَ وَالسَّابِقِينَ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَلَا تَطْرُدِ اِلذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَےْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَےْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ اَلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأَنعَام:53]

---

[1] ـ محيي الدين الدرويش، إِعْرَابُ القرآنِ الكريمِ وبيانُهُ، ج2، ص331.

[2] . ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص399.

فِي الآيَةِ القرآنيَّة مَجَاز مُرسَل علاقتهُ جُزئِيَّة فِي قَولِهِ ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" أَي: ذَاتَهُ وَحَقيقتَهُ... والعلاقَة ذِكرُ البَعضِ وَإِرَادَةُ الكُلِّ، وَهُو مَجَاز سَائِغ فِي كَلامِهِم"[1].

وَمن هَذَا البَاب قَول الشَّاعِر[2]:

كَفَى بِالمَرءِ عَيبًا أَن تَرَاهُ لَهُ وَجهٌ ولَيسَ لَهُ بَيَان

وَمَن يُرِيد وجه اللهِ تَعَالَى رِضَاهُ وَعَفوَهُ يَجِد الله يَستقبله، وَيَجِد رَحمَتَهُ وَنِعمَتَهُ أَينَمَا وَجَّهَ وَجهَهُ، يَقُولُ تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة:114]

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ اَهْلَكْنٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيٰتاً اَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعرَاف:3]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة مَجَازٌ مُرسَل فِي قَوله ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ اَهْلَكْنٰهَا﴾ وعلاقَتهُ المَحَلِّيَّة، وَذَكَرَ القَرْيَة وَأَرَادَ أَهلَهَا، وَلِلآيَةِ دَلالَة أُخرَى أَنَّهُ أَرَادَ بِالقَريَةِ، أَهل القَريَة.

وَجَاءَ التَّعبِير بِـ﴿كَم﴾ للدلالَةِ عَلَى الكَثرَةِ، فَكَم مِن أَهلِ قَريَةٍ كَذَّبَت باللهِ ولقَائِهِ فَجَاءَهَا العِقَابُ مِن عِند اللهِ عزَّوَجَلَّ، واسْتعمَال ﴿كَم﴾ للكَثرةِ كَمَا هُو أُسْلُوب العَرَبِ كَقَولِ ذُو الرُّمَّةِ[3]:

كَمْ عَمَّةٍ لَكَ يَا جَرِيرُ وخَالَةٍ فَدعَاءَ قَد حَلَبَت عَلَي عِشَارِي

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ وَهُوَ ٱلذِے يُرْسِلُ ٱلرِّيٰحَ نُشُراۢ بَيْنَ يَدَےْ رَحْمَتِهِۦٓ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرٰتِ كَذٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأَعْرَاف:56]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة مَجَازٌ مُرسَلٌ فِي قَولِهِ ﴿بَيْنَ يَدَےْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾ وَعلاقتُهُ السَّبَبِيَّة، قَالَ محيي الدِّين" اليَدُ سَبَبُ الإنعَام، وَالإنعَام الرَّحمَة"[1]، وَيَرَى ابنُ جِنِّي أَنَّ الأَيدِيَ غَالِبًا مَا تُسْتَعْمَلُ دَالَّةً

[1] . محيي الدين الدرويش، إعْرَابُ القرآنِ الكريمِ وبيانُهُ، ج2، ص 373.

[2] . ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج2، ص185.

[3] ـ ذُو الرُّمَّة، ديوان ذي الرمة، قدم له وشرحه: أحمد حسن سبج، ط1. بيروت: 1995م/1415هـ، دار الكتب العلمية، ص451، النقائض، ص332. الإما م الطبري في تفسيره لسُورة الأعراف.

عَلَى النِّعَمِ حَيْثُ قَالَ" أَكثَر مَا تُسْتَعْمَلُ الأَيَادِي فِي النِّعَمِ لا فِي الأَعضَاءِ"[2] وَمِنهُ قول المُتَنَبِّي[3]:

لَهُ أَيَادٍ إِلَيَّ سَابِقَةٌ أُعَدُّ مِنْهَا وَلا أُعَدِّدُهَا

وَمِنهُ قَولُ بِشر بن أَبِي خَازِم[4]:

تَكُن لَكَ فِي قَومِي يَدٌ يَشْكُرُونَهَا وأَيدِي النَّدَى فِي الصَّالِحِينَ قُرُوض

فَالرِّيَاح رَحمَةٌ وَنِعمَة مِنَ اللهِ سُبحَانَهُ لِعِبَادِهِ بِخِلافِ الرِّيح فَلا تَكُونُ إلا عَذَابًا، وَقَد عَبَّرَ اللهُ تَعَالَى فِي آيَاتٍ عَدِيدَةٍ فِي كِتابِهِ مِنهَا:

ـ الآيَات التي فِيهَا كَلِمَةُ ﴿ ٱلرِّيَٰحُ ﴾ والدَّالة عَلَى العَذَابِ والعِقَاب:

يَقُولُ تَعَالَى ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم:21]، وَكقولِهِ تَعَالَى ﴿ ءَامِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا﴾ [الإسراء:67]، وَكقولِهِ تَعَالَى ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:81]، وكقوله تعالى ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ [الحج:29]، وكقوله تعالى ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سبأ:12]، وكقَولِهِ تَعَالَى ﴿ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴾ [الذريات:41].

---

[1] ـ محيي الدين الدرويش، إعْرَابُ القرآنِ الكريمِ وبيانُهُ، ج2، ص567.

[2] . مجلة كلية، التربية، العدد الرابع، الدلالات المجازية لأعضاء الإنسان في معجم لسان العرب لابن منظور، صالح ملا عزيز، تارا فائز سعيد، مقداد محمد شكر قاسم، المجلد الأول، 2011، ص166.

[3] . المتنبي، ديوان المتنبي، ضبطه وصححه، مصطفى السقا، إبراهيم الابياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، دط. دمشق: 1355هـ، ج2، ص28.

[4] . بشر بن أبي خازم، ديوان بشر بن أبي خازم الأسَدي، قدم له وشرحه: الدكتور صلاح الدين الهواري، راجعه: الدكتور ياسين الأيوبي، دط. دار ومكتبة الهلال، ص87.

ـ الآيَاتُ التي فِيهَا كَلِمَةُ ﴿الرِّيحَ﴾ الدَّالَّة عَلَى الخَيْرِ والمَنفعَة:

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَهُوَ ٱلذِے يُرْسِلُ ٱلرِّيٰحَ نُشُراۢ بَيْنَ يَدَےْ رَحْمَتِهِۦٓ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:57]، وكَقَولِهِ تَعَالَى ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ [الحجر:22]، وكقولِهِ تَعَالَى ﴿وَهُوَ ٱلذِے أَرْسَلَ ٱلرِّيٰحَ نُشُراۢ بَيْنَ يَدَےْ رَحْمَتِهِۦ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُوراً﴾ [الفُرقَان:48]، وكقولِهِ تَعَالَى ﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِے ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ ٱلرِّيٰحَ نُشُراۢ بَيْنَ يَدَےْ رَحْمَتِهِۦٓ أَإِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النمل:63]، وكقولِهِ تَعَالَى﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الرُّوم:46]، وَكَقولِهِ تَعَالَى ﴿ وَٱللَّهُ ٱلذِے أَرْسَلَ ٱلرِّيٰحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر:9]، وَكَقولِهِ تَعَالَى ﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الجَاثِيَة:4].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ قَالَ يٰقَوْمِ لَيْسَ بِے ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّے رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف:571] فِي الآيَةِ مَجَازٌ مُرْسَلٌ فِي قَوْلِهِ ﴿لَيْسَ بِے ضَلَٰلَةٌ﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" فَاستِعمَال الضَّلال فِي مَكَانِهِ مَجَازٌ مُرسَل أُطلِق فِيهِ الحَالَ وأُرِيدَ المَحَل، فَعلاقتُهُ الحَالِيَّة، وَفَائِدَتُهُ المُبَالَغَة فِي وَصفِهِ بِالضَّلالِ وإيغَاله فِيهِ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُسْتَقِرٌ فِي ظُلُمَاتِهِ لا يَتَزَحْزَح عَنْهَا"[1].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ [الذاريات:28]

في الآية القُرآنِيَّة مَجَاز مُرْسَل في البُشرى مِن الله تعَالى أَنَّ اللهَ تعالَى سيرزقُهُم بِولدٍ لهُ مكَانَة علميَّة، ففِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿ قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ وهُو مَجَازٌ مُرْسَل بِاعتِبَارِ مَا يَؤُولُ إِلَيهِ، فَهِيَ بِاعتِبَارِ مَا يَؤُولُ إِلَيهِ الغُلامُ وهِيَ عَلِيمًا.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ يَقُولُ ٱئْذَن لِّے وَلَا تَفْتِنِّے أَلَا فِے ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة:49]

[1] ـ محيي الدين الدرويش، إعْرَابُ القرآنِ الكريمِ وبيانُهُ، ج2، ص571.

فِي الآيَةِ القرآنية مَجَازٌ فِي قَولِهِ ﴿أَلَا فِے اِلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ﴾ وعلاقتُهُ الحَالِيَّة، قَالَ محيي الدِّين" أَي: فِي جَهَنَّم فَأُطْلِقَ الحَال، وَأُرِيدَ المَحَل؛ لأَنَّ الفِتْنَة لا يَسقُط فِيهَا؛ لأنَّهَا مَعنَى مِن المَعَانِي، وإِنَّمَا يحلُّ فِي مَكَانِهَا، فَاستِعمَالُ الفِتْنَةِ فِي مَكَانِهَا مَجَاز أُطلِق فِيهِ الحَال، وأُرِيدَ المَحل"[1]، وَوَجهُ الصُّورَة أَنَّ السُّقُوطَ مَجَاز، فَالوَاقِع فِي الفِتْنَةِ كَالسَّاقِطِ فِي هُوَّة وَهُو يَظُنُّ أَنَّهُ فِي الطَّرِيق الصَّحِيح، وَقَد صَوَّر القُرآنُ الكَرِيم أَحوَال أَمثَال هَؤلاءِ فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالَاخْسَرِينَ أَعْمَٰلاً اِلذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِے اِلْحَيَوٰةِ اِلدُّنْيا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ [الكهف99]، وَقَد جاءت كَلِمَة الفِتْنَة مُعَرَّفَة فِيهَا دَلالَة عَلَى أَنَّ هَذِهِ الفِتْنَة التي سَقَطُوا فِيهَا مَعْلُومَة وَكَبِيرَة تُهْلِكُ صَاحِبَهَا وَمَصِيرُهُ الهَلاك فِي جَهَنَّم إِن سَقَطَ فِيهَا وَلَمْ يَحْذَر مِنْهَا لأَنَّهَا مُحِيطَة بِهِ مِن كُلِّ جَانِبٍ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ قُلْ تَعَالَوَاْ اَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰناً وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنِ اِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ اْلْفَوٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ اْلنَّفْسَ اَلتِے حَرَّمَ اَللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّيٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعَام:151]

فِي الآيَةِ القرآنية كِنَايَة أَو مَا جَرَى مَجرَى الكِنَايَة وهي كناية عن الفقر فِي قَولِهِ ﴿مِّنِ اِمْلَٰقٍ﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" لأَنَّهُ إِذَا خَرَجَ مَالهُ مِن يَدِهِ رَكِبَهُ الفَقر، فَاسْتَعمَلَ لَفظَ السَّبَب فِي مَوْضِع المُسَبِّب"[2]، والإملاق هُو الفَقر، قَالَ أَوس بن حَجَر[3]:

وَلَما رَأَيتُ العُدمَ قَيدَ نَائِلِي وَأَمْلَقَ مَا عِندِي خُطُوبٌ تَنَبلُ

والإملاق قَد يَكُونُ وَقَعَ بِالفِعلِ كَمَا هُو فِي هَذِهِ الآيَة، وإِمَّا خَوف خَشيَة وقُوعِهِ ونُزُولِهِم عَلَيْهِم كَمَا فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيراً﴾ [الإسراء31].

---

[1] ـ محيي الدين الدرويش، إِعْرَابُ القرآنِ الكريمِ وبيانُهُ، ج3، ص226.

[2] ـ المصدر نفسه، ج2، ص492.

[3] ـ أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح: الدكتور محمد يوسف نجم،ط3، بيروت: 2009، دار صابر، ص94، اللّسَان، ج7، ص4265. الدر المصون، ج5، ص218.

وَهُنَاكَ تَوجِيهَانِ لِكَلِمَةِ ﴿إِمْلَٰقٍ﴾ فِي القُرآنِ الكَرِيمِ، وَكِلاهُمَا بِمَقصدٍ وَاحِدٍ وَهُو عَدَمُ خَشيَة الفَقر بِسَبَبِ الأَولاد، وهَذَا قَبْلَ وَبَعد، فَلا تَخشوا إِنجَابَ الأَولاد خَشيَةَ الفَقرِ، فَإِذَا أَنجَبتُم الأَولاد فَلا تَخشَوا الفَقرَ بِسَبَبِهِم، فَأَرزَاقُهُم بَيَدِ اللهِ تَعَالَى مَكْتُوبَة.

ويَقُولُ تَعَالَى ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنۡ إِمْلَٰقٖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ﴾ [الأَنعَام:99]، جَاءَ التَّعبِيرُ فِي الآيَةِ فِي قولِهِ ﴿نَرْزُقُكُمْ﴾ بِضَمِيرِ المُخَاطَب وَفِي ﴿وَإِيَّاهُمْۖ﴾ بِضَمِيرِ الغَائِب، وَفِي سُورَةِ الإِسرَاء جَاءَ بِخَلافِ ذَلِكَ حَيثُ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٖۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرٗا﴾ [الإِسرَاء:31]، فَفِي الآيَةِ الأُولَى مِن سُورَةِ الأَنعَامِ فَهِيَ ذِكْرٌ لِلحَالِ الوَاقِعِ بِهِم أَي: لا تَقتلُوا أَوْلادَكُم بِسَبَبِ الفَقرِ الوَاقِع، وَهَذَا بِحَسبِ ظَنِّكُم خَشيَةَ أَن يَزِيدَكُم الأَولادُ فَقرًا عَلَى الفَقرِ الذِي أَنتُم فِيهِ، فَجَاءَ التَّعبِير بِمَا يُنَاسِب حَالَهُم فَذَكَرَهُم وَخَاطَبَهُم أَوَّلاً مِن أَجلِ أَن يَغرِسَ الطُّمَأْنِينَة فِي قُلُوبِهِم وَهِيَ قَولهُ﴿نَرْزُقُكُمْ﴾ ثُمَّ ذَكَرَ الأَولادَ بَعْدَهُم لِيَزِيدَهُم طُمَأْنِينَةً، وَأَمَّا فِي سُورَةِ الإِسرَاء فَجَاءَ العَكسُ فَذَكَرَ الأَوْلادَ أَوَّلا ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ﴾ لأَنَّ الاِنشِغَالَ بِالأَولادِ فِي هَذِهِ الحَالَة أَكْثَر مِن الاِنشِغَال بِالنَّفسِ، فَأَكثَر اِهْتِمَامهم تَربِيَّتهم وَتَعْلِيمِهم وَقَضَاء حَوائجهم، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ ذَكَرَهُم بِقَولِهِ ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ كَمَا رَزَقَكُم اللهُ يَرزُقُهُم.

وَمَا مِن مَخْلُوقٍ يَدُبُّ فِي الأَرْضِ إِلَّا وَاللهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى تَكَفَّلَ بِرِزقِهِ، يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِے اَلَارْضِ إِلَّا عَلَى اَللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلّٞ فِے كِتَٰبٖ مُّبِينٖۚ ﴾ [هود:6]

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا اَلذِينَ ءَامَنُواْ اُسْتَجِيبُواْ لِلهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ اَللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ اَلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَۖ﴾ [الأنفَال:24].

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة مَجَازٌ مُرْسَلٌ فِي قولِهِ تَعَالَى ﴿ يَحُولُ بَيْنَ اَلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" فَأَصلُ الحَول تَغَيُّر الشَّيء وانفِصَالهُ عَن غَيرِهِ، وَبِاعتِبَارِ التَّغَيُّر قِيلَ، حَالَ الشَّيء

يَحُولُ، وبِاعتِبَار الانفِصَال قِيلَ: حَالَ بَينَهُمَا فَحَقِيقَةُ كَون الله يَحُولُ بَينَ المَرءِ وقَلبِهِ أَنَّهُ يَفصِلُ بَينهُمَا"[1]، وَالآيَة فِيهَا مَجمُوعَة مِنَ التَّوجِيهَات مِن بَينِهَا:

ـ أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَينَ قَلبِ المُؤمِنِ المُستَجِيب لِلهِ وَرَسُولِهِ فَيُبدلهُ بَعدَ الخَوفِ أَمنًا.

ـ الآيَة تُبَيِّنُ لَنَا أَنَّ قُلُوبَ العِبَادِ بَينَ أَصَابِعِ الرَّحمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيفَ شَاءَ، وأَنَّ قَلبَ المُؤمِنِ الطَّائِع لِلهِ وَرَسُولِهِ، قَد وَضَعَ اللهُ لَهُ حَائِلا يَمنَعُ وُصُولَ كُلَّ مُفسِدٍ لَهُ وَكُلَّ نَاقِضٍ مِن نَوَاقِضِ الإسلامِ وَالإيمَان، فَالكَافر أَو العَاصِي قَد يُطبَعُ عَلَى قَلبِهِ فَيَكُون هُنَاكَ حَائِل بَينَهُ وَبَينَ الإسلام أو التَّوبَة.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتَ اَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اَللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [الأنفَال:51].

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة مَجَاز مُرسَل يصوّر لنَا أنَّ وجُودهُم على تِلكَ الحَال كانَ بسببِ مَا قدَّمُوا أعمَالٍ، فَفِي قَوله تَعَالَى ﴿بِمَا قَدَّمَتَ اَيْدِيكُمْ﴾ وَعلاقَتُهُ السَّبَبِيَّة قَالَ محيي الدِّين" فَإِنَّ هَذَا العَذَاب إِنَّمَا حَاقَ بِهِم بِسَبَبِ كُفرِهِم، وَمَحَل الكُفر هُو القَلب لا اليَد لأَنَّهَا لَيسَت مَوضِعًا لِلمَعرِفَة، فَلا يَتَوَجَّه التَّكلِيف عَلَيهَا حَتَّى يُمكن إِيصَال العَذَاب إِلَيهَا"[2]، بَدَأَ بِإِشَارَةِ البَعِيد ﴿ذَٰلِكَ﴾ وَهَذَا لِتَعظِيمِ الأَمرِ الذِي هُم فِيهِ مِن الأَهوالِ، وَهَذَا كُلُّهُ بِمَا أَسلَفَتهُ أَيدِيهِم مِن الأَعمَالِ، وَقَد يَكُون ذِكر الأَيدِي عَلَى اِعتِبَارِهَا اِستِعَارَة مَكنِيَّة مِن خِلَالِ تَشبِيهِ الأَعمَال التي فَعَلُوهَا ﴿بِمَا قَدَّمَتَ اَيْدِيكُمْ﴾ فَهُم يَقبِضُونَ مَا جَنَوهُ عَلَى أَنفُسِهِم، فَهِيَ ثَمَن لِمَا قَامُوا بِهِ بِغَير ظُلمٍ وَدُونَ زِيَادَةٍ أَو نُقصَان، فَالعَذَاب سَبَبُهُ مَا اِكتَسَبَتهُ أَيدِيهِم.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ اَلْمُنَٰفِقُونَ وَالْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَامُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ اَلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اَللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ اَلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ اَلْفَٰسِقُونَ ﴾ [التَّوْبَة:67].

فِي الآيَةِ القرآنيَّة مَجَازٌ مُرسَل فِي قولِهِ تَعَالَى ﴿نَسُواْ اَللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ فَالنِّسيَان هُنَا غَيرَ وَارد بِالنِّسبَةِ إِلَيهِم، وبالنّسبَةِ لِلهِ تَعَالَى غَير وَارد، قَالَ محيي الدِّين الدرويش:" وَلِذَلِكَ لا بُدَّ مِن

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج3، ص122.

[2] ـ المصدر نفسه، ج3، ص153.

حَمْلِ الكَلام عَلَى المَجَازِ المُرسَل وَالعلاقَة اللَّازِمِيَّة، فَالمُرَاد لَازِمُ النِّسيَانِ، وَهُو: التَّركُ، أَي: أَنَّهُم أَغْفَلُوا ذِكرَ اللهِ فَتَرَكَهُم مِن رَحمَتِهِ وفَضلِهِ"[1].

فَهُم نَسُوا أَمرَ اللهِ مِن أَمرٍ بِمَعرُوفٍ وَنَهيٍ عَن المُنكَرِ، بَل عَمِلُوا العَكسَ كَمَا نَسَوا طَاعَتَهُ فَنَسِيَهُم مِن الخَيرِ وَالفَضلِ، وَلَم يَنسَهُم مِنَ الشَّرِّ، فَجَاءَ التَّعبِيرُ بِالنِّسيَانِ مَجَازًا فَلَو كَانَ النِّسْيَانُ حَقِيقَةً لَمَا حَاسَبَهُم اللهُ تَعَالَى وَلَمَا عَدَّهُم مِن الفَاسِقِينَ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً اَنَ اَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنَ اَنذِرِ اِلنَّاسَ وَبَشِّرِ اِلذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ اَلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [يونس:2].

في الآية القرآنيَّة مَجَازٌ مُرْسَل فِي قولِهِ تَعَالَى ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ وعلاقَتُهُ سَبَبِيَّة، بِالقَدَمِ يَكُون السَّبْق وَالسَّعِي إِلَى الإيمَانِ، فَأطلق المُسَبِّب عَلَى السَّبَبِ، فَإِنسَابُ القَدَمِ إِلَى الصِّدقِ لأَنَّ السَّبقَ والسَّعيَ لَا يَكُونُ إِلا بِهَا فَهِيَ المُسَبِّب، فَهُم لَهُم السَّابِقَة عِندَ رَبِّهِم مِن إِيمَانٍ وَعِبَادَةٍ.

بَيَّنَ اللهُ لَنَا ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ أَي: لَهُم سَبْق فِي الذِّكرِ الحَسَن، قَالَ: ذُو الرُّمَّةِ:

لَكُم قَدَمٌ لا يُنكِرُ النَّاسُ أَنَّهَا مَعَ الحَسَبِ العَالِي طَمَّتْ عَلَى البَحرِ[2]

وَفِي شَرِيعَةِ الإِسلامِ جَعَلَ اللهُ لِلسَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِيزَة تُمَيِّزُهُم عَن غَيرِهِم، كُشُهَدَاءِ بَدرٍ الذِينَ غَفَرَ اللهُ لَهُم، والسَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ إِلَى الإِيمَانِ والإِسلامِ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَالسَّٰبِقُونَ اَلَاوَّلُونَ مِنَ اَلْمُهَٰجِرِينَ وَالَانصارِ وَالذِينَ اِتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِے تَحْتَهَا اَلَانْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداً ذَٰلِكَ اَلْفَوْزُ اَلْعَظِيمُ ﴾ [التَّوبَة:101]، فَهَؤلاءِ لَهُم قَدَمُ السَّبْقِ فِي الهِجرَة مِن دَارِ الكُفرِ إِلَى دَارِ الإِيمَان، وَهؤُلاءِ لَهُم السَّبْقُ فِي نُصْرَةِ النَّبِي ﷺ كَمَا جَاءَتِ القَدَم تَعْبِيرًا عَنِ السَّبْقِ فِي الخَيرِ، وَقَد جَاءَتِ فِي القُرآنِ الكَرِيم في آيَةٍ أُخرَى تُعَبِّر عَنِ الإِذلالِ والإِهَانَةِ وَهِي قَولُهُ تَعَالَى ﴿وَقَالَ اَلذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا اَلذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج3، ص242.

[2] . القُرطُبِي، أَبِي عبد الله محَمَّد بن أَحْمَد الأنصَارِي القُرطبِي، الجَامِع لأَحْكَامِ القُرآن، خرَّجَ أَحَادِيثَهُ: أحمد بن شَعْبَان بن أحمد و محمد بن عيَّادي بن عبد الحليم، ط1. القَاهرة: مكتبة الصَّفَا، ج8، 229.

ٱلْجِنِّ وَالِانسِ نَجعَلهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلاسْفَلِينَ﴾ [فُصِّلَت:29]، فَالقَدَم مَا يُقَدِّمهُ الإِنسَان مِن خَيرٍ أَو شَرٍ، فَقَد يُقَدِّم خَيرًا، وَقَد يُقَدِّم شَرًّا، كَمَا أَنَّ القَدَم عَلامَةُ الثَّبَاتِ، فَقَد تَزِل القَدَم بَعْدَ الثُّبُوتِ إِلَى مَآلٍ آخَر، يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلاَۢ بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النَّحْل:94]

- يَقُولُ تَعَالَى ﴿فَلَمَّآ أَنجِيٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِے ٱلاَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يُونس:23].

فِي الآيَةِ القرآنيَّة مَجَاز مُرسَل فِي قَولِهِ ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ قَالَ محيي الدِّين "لأَنَّ البَغْيَ لا يَقَعُ عَلَى الأَنفُسِ، وَإِنَّمَا هُو الوَبَال، ولَمَّا كَانَ البَغيُ هُو سَببهُ، ذَكَرَهُ عَلَى طَرِيقِ المَجَازِ المُرْسَل"[1]، وَعلاقَةُ هَذَا المَجَاز سَبَبِيَّة، وَقَد أُطْلِقَ المُسَبِّب عَلَى السَّبَبِ.

فما يفعله الإنسان من خير أو شرّ فهو عائد إليهِ، إن خيرا فخيرا وإن شرًا فشرًا.

- يقُولُ تَعَالَى ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِے مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِے وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلاَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود:44].

فِي الآيَةِ القرآنيَّة مَجَاز مُرسَل فِي قَوْلِهِ ﴿وَيَٰسَمَآءُ﴾ وعلاقَتُهُ السَّبَبِيَّة فَأُطْلِقَت السَّمَاء عَلَى المَطَرِ، وَعَلَى هَذَا المِنوَال ﴿ يَٰٓأَرْضُ﴾

وَقَد تَصَدَّى السَّكَّاكِي فِي المِفتَاحِ فِي بَحثِ البَلاغَةِ والفَصَاحَة لِبَيَانِ بَعض خَصَائِص البَلاغَة فِي هَذِهِ الآيَة" وَالنَّظَر فِي هَذِهِ الآيَة مِن أَربَعِ جِهَاتٍ، مِن جِهَةِ عِلمِ البَيَان، وَمِن جِهَةِ عِلمِ المَعَانِي...وَمِن جِهَةِ الفَصَاحَة المَعنَوِيَّة وَمِن جِهَةِ الفَصَاحَة اللفظِيَّة، أَمَّا النَّظَر فِيهَا مِن جِهَةِ البَيَانِ ...فَنَقُولُ: إِنَّهُ عَزَّوَجَلَّ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ مَعْنَى أَرَدْنَا أَن نَرَدَّ مَا اِنفَجَرَ مِن الأَرضِ إِلَى بَطنِهَا.. وَأَن نَقطَعَ طُوفَان السَّمَاء..وَأَن نُغِيضَ المَاء..وأَن نَقضِيَ أَمرَ نُوح - عليْهِ السَّلام - وَهُو إِنجَاز مَا كُنَّا وَعَدْنَا مِن إِغرَاقِ قَومِه.. وأَن نُسَوِيَّ السَّفِينَة عَلَى الجُودِي ..وأَبقَيْنَا الظُّلمَة غَرْقَى بُنِي الكَلام عَلَى تَشْبِيهِ المُرَادِ بِالمَأْمُورِ.. وتَشبِيه تَكوِين المُرَاد بِالأَمرِ.. وَأَنَّ السَّمَاوَات

[1] - محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج3، ص321.

والأَرض...تَابِعَة لإِرَادَتِهِ.. كَأَنَّهَا عُقَلاءُ مُمَيَّزُونَ.. ثُمَّ بَنَى عَلَى تَشبِيهِهِ هَذَا نَظم الكَلامِ فَقَالَ جَلَّ وَعَلا قِيلَ عَلَى سَبِيلِ المَجَازِ عَنِ الإِرَادَةِ الوَاقِع بِسَبَبِهَا قَول القَائِلِ، وَجَعَلَ قَرِينَة المَجَاز الخِطَابَ لِلجَمَادِ.. فَقَالَ﴿ يَٰٓأَرۡضُ﴾ و ﴿وَيَٰسَمَآءُ﴾ ثُمَّ اِستَعَارَ لِغَورِ المَاءِ فِي الأَرضِ البَلعِ.. لِلشَّبَهِ بَيْنَهُمَا وَهُو الذَّهَاب إِلَى مَقَرٍّ خَفِيٍّ ثُمَّ اِسْتَعَارَ المَاءَ لِلغِذَاء اِستِعَارَةً بِالكِنَايَة تَشبِيهًا لَهُ بِالغِذَاءِ لِتَقْوِّي الأَرْض بِالمَاء فِي الإِنبَاتِ...تَقَوِّي الآكِلِ بِالطَّعَامِ، وَجَعَلَ قَرِينَةَ الاِستِعَارَة لَفظَة اِبْلَعِي...ثُمَّ أَمَرَ عَلَى سَبِيلِ الاِستِعَارَة لِلشَّبَهِ المُقَدَّم ذِكرُهُ....والإِقلاع هُو تَركُ الفَاعِل الفِعلَ..."[1]، وَمِن اِسْتِعْمَال لَفْظِي ﴿ ٱبۡلَعِي﴾ و﴿أَقۡلِعِي﴾ فاللَّفظ الأَوَّل الذِي هُو البَلع يَكُونُ بَلعُ الشَّيء جُملَةً دُونَ بَقَاءِ أَجزَاءٍ مِنهُ، والقَلعُ هُو نِهَائِي فَلا أَثَرَ يَبقَى.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ﴾ [يُوسُف:9]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة مَجَازٌ فِي قَولِهِ ﴿يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾ وَقَد عَبَّرَ بِخُلُوِّ الوَجهِ الذِي فِيهِ إِشَارَة إِلَى المَحَبَّةِ والاِهْتِمَام، فَلا يَلْتَفِت إِلَى أَحَدٍ سِوَاهُم يَخلُو بِهِم وَيَنشَغِل بِهِم دُونَ أَخِيهِم يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام، فَقَد صَرَفَ حُبُّ يَعقُوب ـ عَليهِ السَّلام ـ لِيُوسُف ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ وَجهَهُ عَن بَقِيَّةِ إِخوَتِهِ، فَكَانَ فِي نَظَرِهِم أَنَّهُم إِذَا تَخَلَّصُوا مِن يُوسُف ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ يَخلُص لَهُم وَجهُ أَبِيهِم فَيُحِبُّهُم وَيُقْبِلُ إِلَيْهِم بِقَلبِهِ بَعدَمَا كَانَ مَشغُولا بِيُوسُف، وَلَكِنَّ عَاقِبَةَ الحَسَدِ وَخِيمَة فَهُو كَالنَّارِ تَأْكُلُ بَعضَهَا.

ـ يقُولُ تَعَالَى ﴿ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّيبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [يُوسُف: 14]

فِي الآيَةِ القرآنية مَجَازٌ فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿لَّخَٰسِرُونَ﴾ وعلاقتهُ سَبَبِيَّة وَهُو مَجَازٌ عَن العَجْزِ والضُّعف، وَيُعَدُّ مَجَازًا عَن الجَهلِ لأَنَّ مَا قَامُوا بِهِ لا يَصدُرُ إِلا مِن جَاهِلٍ، وَهَذَا مِن بَابِ المَجَازِ، أَمَّا مِن بَابِ الحَقِيقَة ﴿ لَّخَٰسِرُونَ﴾ أَي: إِذَا كُنَّا عَاجِزِينَ وَنَحنُ عُصْبَةٌ عَن دَفعِ

[1] - الطاهر بن عاشُور، التحرير والتنوير، ج12، ص78.

الذِّئبِ إِنَّ هَذَا لَهُو العَجْزُ الحَقِيقِي، وَلَكِنَّ الذِّئبَ أَكَلَهُ ونَحنُ مُنشَغِلُون عَنهُ، أَكَلَهُ وَنَحنُ فِي غَفْلَةٍ عَنهُ فَلَو لَم نَغْفَل عَنهُ لَمَا أَكَلَهُ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرٗاۖ وَقَالَ ٱلْأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزٗا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَۖ﴾ [يوسف:36]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة مَجَازٌ مُرسَل فِي قَوْلِهِ ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرٗاۖ﴾ وَعلاقَتُهُ بِاعتِبَارِ مَا يَؤُولُ إِلَيهِ أَو مَا يَكُون، فَقَد سَمَّى العِنَبَ خَمْرًا وَهَذَا بِاعتِبَارِ مَا يَؤُول إِلَيهِ العِنَب؛ وَهُو عِندَمَا يُعصَر يُصبِح خَمرًا.

فَقَد حَكَى صَاحِب الرُّؤْيَا مَا رَآهُ فِي المَنَامِ، أَنَّهُ يَعصِرُ خَمرًا، وَفِي قِرَاءَةِ أُبَي بن كَعب وعَبد اللهِ بن مَسعُود ـ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ عِنَبًا﴾، وَالعَصر لا يَكُونُ إِلا فِي الشَّيءِ المَائِع القَابِل للعَصرِ، فَلا يَكُونُ للجَمَادِ مَثَلا.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَۖ ﴾ [يوسف: 70].

فِي الآيَةِ القرآنيَّة مَجَازٌ مُرسَل علاقتهُ الكلِّيَّة فِي قولِهِ تَعَالَى ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَۖ﴾ والمُرَاد بِالعِير هُم أَصحَابهَا، وعلاقَةُ هَذَا المَجَاز هِيَ المُجَاوَرَةُ.

فِي الآيَةِ تَوجِيهَات مِن بَينِهَا أَنَّهُ وَصَفَهُم بِأَنَّهُم ﴿لَسَٰرِقُونَۖ﴾ فَإِذَا كَانَ القَولُ مِن يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام فَكَأَنَّهُ وَصَفَهُم بِأَنَّهُم سَرَقُوا أَبَاهُ مِنه، وَذَلِكَ مِن خِلالِ إِبعَادِهِ عَنهُ، إِبعَاد ذَلِكَ الحُب الذِي يَربِطُ الوَالِد بِالوَلَدِ.

وَمِن تَوجِيهَاتِ الآيَةِ أَنَّهُم اِتَّهَمُوا يُوسُف ـ عَلَيهِ السَّلام ـ بِالسَّرِقَةِ وَهِيَ قوله تَعَالَى ﴿ قَالُوٓاْ إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبْلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْۚ قَالَ أَنتُمْ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَۖ﴾ [يُوسُف:77]، وَبالتالِي عَلَى الرَّغمِ مِن إِبعَادِ يُوسُف ـ عَلَيهِ السَّلام ـ عَن أَبِيهِ يَعقُوب ـ عَلَيهِ السَّلام ـ إِلا أَنَّهُم لَم يَنتَهُوا ولَم يَتُوبُوا عَن فِعلَتِهِم التي فَعَلُوهَا.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [يُوسُف 82]

في الآيَةِ القرآنية مَجَاز مُرسل فِي قولِهِ ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ والمُرَاد بِالقَريَةِ أَهلهَا، وعلاقَةُ هَذَا المَجَاز المَحَليَّة وهَذَا القَول مَبنِي عَلَى أَسَاسِ المَجَاز.

وَمِن تَوجِيهَاتِ الآيَة أَنَّ مِن مِيزَةِ الأَنبِيَاءِ وَالمُرسَلِينَ أَنَّ اللهَ أَيَّدَهُم بِمُعجِزَاتٍ، وسَخَّرَ اللهُ لَهُم كُلَّ شَيءٍ بِأَمرِهِ فَمِنهُم مَن سَخَّرَ لَهُ الرِّيحَ وَمِنهُم مَن عَلَّمَهُ لُغَةَ الطَّير....وَسُؤَال القَريَةِ التي هِيَ جَمَاد وَاسْتِنطَاق العِير التي هِيَ حَيَوَان بِالنِّسبَةِ لِلأَنبِيَاءِ شَيء عَادِي لأَنَّهُم أَنبِيَاء، وَهُو مِن أَعمَالِ النُّبُوَّةِ؛ لأَنَّهُم مُؤَيَّدُونَ بِنَصرِ اللهِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم:5]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة مَجَاز مُرسَل فِي ﴿إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ واللِّسَان هُو آلَةُ النُّطق، وَعلاقَةُ المَجَاز هِي السَّببيَّة.

فِي الآيَةِ عَبَّرَ بِاللِّسَانِ[1] وأَرَادَ بِهِ اللغَة بِغَرَضِ التَّبْيِين وَقَد نَسَبَهُ إِلَى القَومِ، فَلِكُلِّ قَومٍ لُغَتُهُم وَمُمَيِّزَات لِلِسَانِهِم يَخْتَلِفُ مِن قَومٍ إِلَى قَوم، وأَرْسَلَ اللهُ مُحَمَّد ﷺ لِكُلِّ جِنسٍ مِن الخَلقِ عَلَى اِختِلافِ أَلوَانِهِم وَأَلسِنَتِهِم.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [إبراهيم:20]

---

[1] . عَبَّرَ الله في الآية القرآنية بِاللِّسَانِ بَدَل اللغَةِ وَيُستَعْمَلُ اللِّسَان فِي مَعَانٍ مُختلِفَة مِنهَا: 1 ـ أَنَّ اللِّسَانَ يُقصَدُ بِهِ الجَارِحَة التي تُستَعمَلُ فِي النُّطقِ لَدَى الإِنسَان 2 ـ اللِّسَان هُو اللغَة وَهُو مَا يَذهَب إِلَيهِ أَهل اللغَةِ والتَّفسِير فِي هَذِهِ الآيَة وَمِنهُ قَوْلُهُ تَعَالَى﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ ﴾ [إبراهيم:5]، 3 ـ وَقَدْ يُقْصَدُ بِاللِّسَانِ الثَّنَاء كَقَولِهِ تعَالَى ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۖ ﴾ [مريم:50] فَالكَلِمَة والرِّسَالَة والخُطبَة هِيَ لِسَان، وهناك دلالات مجازية للسان من بينها: هي تعبير لمن يكون في كلامه جرح وإيذاء ومِنهُ قَوله تَعَالَى ﴿ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُومِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب:19]، يُقَالُ لِلإِنسَانِ المُنَافِق والنَّمَّام والفَتَّان "فَلانٌ ذُو لِسَانَيْنِ"، يَقُولُ القَوْلَ ونَقِيضه، وَمِنهَا وَصْفُ ظَاهِرِ الحَال، فَيُقَالُ: لِسَانُ الحَال أَبيَنُ وأَبلَغ مِن لِسَانِ المَقَالِ.

فِي الآيَةِ القرآنية مَجَاز فِي قَوله ﴿وَيَاتِيهِ اَلْمَوتُ﴾ ذَكَرَ فِي الآيَةِ المَوت وَأَرَادَ أَسْبَابَهَا، والخِطَاب فِي الآيَةِ عَام وإن خَصَّ بِهِ فِئَة بِعَينِهَا.

وَمِن تَوجِيهَاتِ الآيَة القُرآنِيَّة أَنَّ المَوتَ حَق عَلَى كُلِّ نَفسٍ، يَقُولُ تَعَالَى﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزُّمَر:29]، والإنسَان مَهمَا اِحتَاطَ مِنَ المَوتِ وَمَهمَا اِستَعَدَّ لَهَا، يُدرِكهُ المَوتُ حَتمًا، يَقُولُ تَعَالَى ﴿ اَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ اُلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِے بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ اِللَّهِۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَۖ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اِللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ اِلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًاۖ ﴾ [النِّسَاءُ:77]

وَإِذَا جَاءَ وَقتُ المَوتِ فَإِنَّهُ يَأتِي لا مَحَالَةَ وَبِأَيِّ سَبَبٍ مِن الأَسبَابِ مِن مَوتٍ عَادِي أَو قَتلٍ أَو مَرَضٍ..، فَمَتَى حَضَرَ سَبَبُهُ حَضَر، يَقُولُ تَعَالَى﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ اَجَلٌۖ فَإِذَا جَآءَ اجَلُهُمْ لَا يَسْتَٔخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَۖ﴾ [الأَعْرَاف:34].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ خَلَقَ اَلِانسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌۖ ﴾ [النَّحل:4]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة مَجَازٌ مُرسَل يُصوّر لنَا أَنَّ اللهَ خلقَ الإنسَان مِن ضعف، فإذَا اِستوَى عُودُهُ أَصبَحَ خَصِيمًا، فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌۖ﴾ الفَاءُ فِي الآيَةِ تَدُلُّ عَلَى التَّعْقِيب، قَالَ محيي الدِّين الدرويش" وَكَونُهُ خَصِيمًا مُبِينًا لا يَكُونُ عَقِبَ خَلقِهِ مِن نُطفَة، وَلَكِن إِشَارَة إِلَى مَا تَؤُولُ إِلَيهِ حَالُهُ"[1]، وَعلاقَةُ هَذَا المَجَاز عَلَى اِعتِبَارِ مَا سَيَكُون.

وَقَد وَصَفَ اللهُ تَعَالَى الإنسَانَ بِأَنَّهُ خَصِيم فِي آيَةٍ أُخرَى فِي قَوله تَعَالَى ﴿أَوَلَمْ يَرَ اَلِانسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌۖ﴾ [يس:76]، الآيَةِ فِيهَا مَجمُوعَة مِنَ التَّوجِيهَاتِ مِن بَيْنِهَا:

1ـ إِنَّ اللهَ خَلَقَ الإنسَانَ، وَيَعْلَمُ الإنسَان أَنَّ الذِي خَلَقَهُ فِي أَحْسَنِ تَقوِيمٍ هُو الله؛ إِلا أَنَّهُ يُخَاصِمُ نَفسَهُ وَخَالِقَهُ، يُخَاصِم خَالِقَهُ فِي الخَلقِ وَيَنسَى خَلقَهُ، يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُۥۖ قَالَ مَنْ يُحْيِ اِلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌۖ ﴾ [يس:77]

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج4، ص223.

2 ـ فِي الآيَةِ بَيَان مِنَ اللهِ تَعَالَى أَنَّ الإِنسَانَ فِي بِدَايَةِ خَلقِهِ يَكُونُ عَلَى الفِطرَةِ، يُمَيِّزُ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَلَكِن مَعَ مَرُورِ الزَّمَانِ قَد يُصبِحُ الإِنسَان يُخَاصِم فِي كُلِّ شَيءٍ، وَهَذَا الخِصَام قَد يَصِلُ بِالإِنسَانِ إِلَى مُخَاصَمَةِ خَالِقِهِ فَيَخسَر الدنيَا وَالآخِرَةِ، يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِے ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِے قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ [البقرة:204]

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً اَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيراً ﴾ [الإسْرَاء:16]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة مَجَاز مُرسَل علاقتُهُ الكليَّة يُبيِّن اللهُ فيهَا أثر المَال علَى الحياةِ الاجتِمَاعيَّة إِذَا كَانَ فِي يَدِ الرجُل الفَاسِد، وذلكَ فِي قوله تَعَالَى ﴿ اَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾[1] قَالَ محيي الدِّين الدرويش" وإِنَّمَا جَعَلَ التَّرفُ وهُو: الإِتِّسَاعُ فِي العَيشِ والبَلهَنِيَّة التي لا حُدُودَ لَهَا، ذَرِيعَة إِلَى المَعَاصِي، والانجِرَار وَرَاءَ الشَّهوَات، فَكَأَنَّهُم مَأمُورُونَ بِذَلِكَ لا مَنَاص لَهُم عَنهُ، وَلا انفِكَاكَ لَهُم مِنهُ، ولَيسَ ثَمَّةَ أَمرٌ وَلَا آمِر، وإِنَّمَا هُو المَال رَائِد الشَّهوَة، وَبَرِيد الغَفلَة"[2]، القُرَى فِي القُرآنِ الكَرِيم دَائِمًا عَاقِبَتُهَا العَذَاب، وَالمُترَفِينَ فِي هَذِهِ القُرَى دَائِمًا مَا يَكُونُونَ سَبَبًا فِي هَلاكِهَا[3].

---

[1] . فِي قِرَاءَةٍ أُخرَى ﴿أَمَّرنَا﴾ بِالتَّشْدِيدِ قَرَأَ بِهَا أَبُو عُثْمَان النَّهْدِي وأَبُو رَجَاء، وَأَبُو العَالِية، والرَّبِيع وَمُجَاهِد والحَسَن، وَهِيَ قِرَاءَةُ عَلِي ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ، يُصبِحُ المَعْنَى سُلَّطْنَا شِرَارَهَا فَعَصَوا فِيهَا، وفِي قِرَاءةٍ أُخرَى ﴿آمَرْنَا﴾ بِالمَدِّ والتَّخفِيفِ وهِيَ قِرَاءَةُ الحَسَنِ وَقَتَادَة وَيَعقُوب وابن كَثِير وابن عبَّاس وغَيْرُهُم، فَيَكُون المَعنَى أَكْثَرنَا جَبَابِرَتَهَا وَأُمَرَاءَهَا. القُرطُبِي، الجَامِع لأَحكَامِ القُرآن، خرَّجَ أَحَادِيثَهُ: أحمد بن شَعبَان بن أَحمد و مُحَمَّد بن عيَّادي بن عبد الحَلِيم، ط1. القَاهرة: مَكتَبَة الصَّفَا، ج، بِتَصَرُّف.

[2] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج4، ص336.

[3] ـ والقَرِيَة فِي القُرآنِ الكَرِيم دَائِمًا مُرْتَبِطَة بِالعَذَابِ، يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً اَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيراً ﴾ [الإسْرَاء:16]، وكَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعَام:123]، وكقَولِهِ تَعَالَى ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ [الحجر:4]، وكَقَولِهِ تَعَالَى ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتَ اٰمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَاتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [النَّحْل:112]، وكَقَولِهِ تَعَالَى ﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ اِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ اَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسْرَاء: 62]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة مَجَاز مُرسَل فِي قوله ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ﴾ والرُّؤْيَة هِيَ بِمَعنَى الإخبَار، والعلاقَة فِي ذَلِكَ سَبَبِيَّة.

هذا المجَاز يصوِّر لنا احتقَار إبليس لآدَم عليه السَّلام، وأنَّه سيكُون معهُ وذريَّتَهُ فِي صرَاعٍ إلى يومِ القيامَة.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ اَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَاتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[مريم 37]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة مَجَاز مُرسَل فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ وَعلاقَتُهُ الحَاليَّة، قَالَ محيي الدِّين الدرويش" والمُرَاد جَهَنَّم، فَأُطْلِقَ الحَال وأُرِيد المَحَل؛ لأَنَّ الضَّلالَ لا يَحِلُّ فِيهِ، وإنَّمَا يَحِلُّ فِي مَكَانِهِ، وَكَذَلِكَ قَوله: وَهُم فِي غَفلَةٍ، والغَفلَة لا يَحِلُّ فِيهَا أَيضًا، وإنَّمَا يحِل بِالمتالِف التي تُوقِعُ الغَفلَة أَصحَابَهَا فِيهَا"[1].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ [مَرْيَم: 50]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة مَجَاز مُرسَل عنوانُهُ التوفِيق وَالسَّدَاد ففِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ قَالَ محيي الدِّين فِي كَلامِهِ عَن هَذَا المَجَاز مِن أَنَّهُ" اِسمُ الآلَةِ، وهِيَ اللِّسَان؛ لأَنَّهَا آلَةُ الكَلام، وَإِرَادَة مَا يَنشَأ عَنهَا، فَعَبَّرَ بِاللِّسَانِ، كَمَا عَبَّر بِاليَدِ عَمَّا يُطْلَقُ بِاليَدِ، وَهُو العَطَاء"[2]، وَهَذَا القَول هُو قول فَخر الدِّين الرَّازِي فِي تَفسِيرِهِ، وَالآيَة فِيهَا ثَنَاء عَلَيهِم، وَفِيهَا التَّوْفِيق والسَّدَاد فِي القَولِ مِمَّا جَعَلَ كَلامَهُم فَوقَ كُلِّ كَلامٍ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَاخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى ٣٨ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ [طه: 39]

كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء:58]، وكَقَولِهِ تَعَالَى ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَت ظَّالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ [الأنبيَاء:11]

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج4، ص606.

[2] ـ المصدر نفسه، ج4، ص612.

فِي الآيَةِ القرآنيَّة مَجَاز مُرسَل يُعَبِّر عَنِ الحِمَايةِ والمَحَبَّة، فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿عَلَىٰ عَيْنِيَ﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" فَقَد أَرَادَ بِالعَينِ المَحَبَّة، أَي: عَلَى المَحَبَّةِ مِنِّي؛ لأَنَّ العَينَ رَائِدهَا وَسَبَبُهَا، فَالعلاقَة السَّبَبِيَّة"[1] فَالعَين هُنَا فِيهَا دَلالَة عَلَى أَنَّهَا المَحَبَّة وَالرِّعَايَة والعِنَايَة، فَهِيَ عِنَايَة رَبَّانِيَّة تَرعَاهُ وَتَحفَظُهُ وَهِيَ كَقَولِهِ تَعَالَى ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِے مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:46].

وَقَد جَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي فِي الآيَةِ بِلفظِ الصِّنَاعَةِ ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾ الذِي لَهُ دَلالاتُهُ فِي التَّوجِيهِ القُرآنِي، فَاللهُ سُبحَانَهُ وتَعَالَى صَنَعَ لَهُ مَسَارَهُ مِن الوِلادَةِ إِلَى الوَفَاةِ، مِن تَغذِيَةٍ وتَربِيَةٍ وَحِمَايَةٍ وَتَوجِيهٍ، فَالعَرَب تَستَعمِلُ هَذَا اللَّفظ وَتَقُولُ: صَنَعَ الرَّجُلُ جَارِيَتَهُ إِذَا رَبَّاهَا، وَصَنَعَ فَرَسَهُ إِذَا دَاوَمَ عَلَى عَلَفِهِ والقِيَام عَلَيهِ.

وَهَذَا صنع اللهِ، فَمَاذَا صَنَعَ الذِينَ مِن دُونِهِ؟

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَلَقَدَ اَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسِىٰٓ أَنِ إِسْرِ بِعِبَادِے فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِے اَلْبَحْرِ يَبَساً لَّا تَخَٰفُ دَرَكاً وَلَا تَخْشِىٰٓ ﴾ [طه:76]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة مَجَاز مُرسَل جَاءَ مُعَبِّرًا عَن النَّجَاةِ فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿ فِے اَلْبَحْرِ يَبَساً﴾ وَهَذَا عَلَى اِعْتِبَارِ مَا سَيَؤُولُ إِليهِ لا مَاءَ فِيهِ وَلا وَحل ولا طِين، وَإِنَّمَا طَرِيق يَبَس يُسَهِّلُ عَمَلِيَّةَ المَشِيَ فِيهِ، وَضَربُ الطَّرِيقِ وَجَعلِهِ يَبَسًا فِيهِ دلالَة عَلَى تَوَفُّرِ أَسبَابِ الأَمنِ فِيهِ، فَقَد هَيَّأَ اللهُ لَهُم أَسبَابَ النَّجَّاةِ عَن طَرِيقٍ فِي البَحرِ وَمِن طَرِيقٍ آمِنٍ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ اَلْقِيَٰمَةِ حِمْلاً ﴾ [طه:99]

فِي الآيَةِ القرآنية مَجَاز مُرسَل فِي قوله تَعَالَى ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهِۖ﴾ علاقَةُ هَذَا المَجَاز السَّبَبِيَّة لأَنَّ المُرَادَ الوِزر قَالَ محيي الدِّين" والوِزر لا يُقَامُ فِيهِ، وَلَكِن أَرَادَ العِقَابَ المُتَسَبِّب عَن الوِزرِ"[2] وَهَذَا فِي حَدِيثِهِ عَنِ الإعراض عن القُرآنِ الكَرِيمِ الذِي سَمَّاهُ ذِكرًا أَي: شَرَفًا لَهُم، وَقَد أَفرَدَ

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج4، ص682.

[2] ـ المصدر نفسه، ج4، ص725.

كَلِمَة ﴿حِمْلاً﴾ فِيهِ دلالَة عَلَى أَنَّهُ إِن ضَاعَ، ضَاعَ كُلُّ شَيءٍ، وَأَنَّهُ حِمل ثَقِيل، وَتَمثِيلُ الوِزر بِالإِثمِ وَجَعْلِهِ مَحمُولا فِيهِ دلالَة عَلَى المَشَقَّةِ وأَنَّهُ بِئسَ الحِمل، يَقُولُ تَعَالَى﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[المُزَّمِّل:5] وَيَقُولُ تَعَالَى ﴿ لَوَ اَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلْكَ ٱلاَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر:21].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمَ اَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِے مَسَٰكِنِهِمْۚ إِنَّ فِے ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِے ٱلنُّهَىٰ ﴾ [طه: 126].

فِي الآيَةِ القرآنية مَجَاز مُرسَل فِي قوله تَعَالَى ﴿كَمَ اَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ ذَكَرَ اللهُ القُرُون وَأَرَادَ الأُمَم التي كَانَت تَعِيشُ فِي زَمَنِ هَذِهِ القُرُون، وَهَذَا فِيهِ مُبالغَة ودَلالَة عَلَى كَثرَةِ المُهْلَكِينَ عبرَ القُرُونِ المَاضِيَة وَرَغمَ ذَلِكَ لَم يَعتَبِرُوا وَلَم يَتَّعِظُوا وَلَم يَتَدَبَّرُوا فِي سَبَبِ الهَلاكِ يَقُولُ تَعَالَى ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمَ اَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِے مَسَٰكِنِهِمْۚ إِنَّ فِے ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍۖ اَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ [السَّجْدَة:26]، وَقَد قَصَّ اللهُ القَصَصَ عَلَى الأُمم التي مَسَّهَا العَذَاب فَسَمِعُوهَا وَتَنَاقَلُوهَا وَلَم يَعتَبِرُوا بِهَا، يَقُولُ تَعَالَى ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [يُوسُف:3]، وَقَد وَرَدَت كَلِمَةُ ﴿ٱلْقُرُونِ﴾ ثَلاثَةَ عَشرَ مَرَّة، وَأَغلَبهَا يَتَحَدَّثُ عَنِ الهَلاكِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِے رَحْمَتِنَآۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأَنبيَاء: 75]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة مَجَاز مُرسَل فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِے رَحْمَتِنَآۖ﴾ وعلاقَةُ هَذَا المَجَاز هُو المَحَلِّيَّة، وَرَحمَتُهُ سُبحَانَهُ وتَعَالَى جَنَّتُهُ وَقَد تَكُونُ مَجَازا عَنِ اِختِيَارِهِ نَبِيًا، فَقَد نَجَّاهُ اللهُ نَجَاتَينِ، النَّجَاةُ الأُولَى أَنَّهُ أَعطَاهُ العِلمَ وَالحِكمَةَ وَنَجَّاهُ مِنَ القَريَةِ التي كَانَت تَعمَلُ الخَبَائِثَ وَالنَّجَاة الثَّانِيَة أَنَّهُ أَدخَلَهُ اللهُ فِي رَحمَتِهِ، وَجَعَلَهُ مِن الصَّالِحِينَ، وَمَن كَانَ فِي زُمرَةِ الصَّالِحِينَ فَهُو مِنَ النَّاجِينَ، وَقَد وَرَدَت بِصِيغَةِ الجَمعِ فِي نَفسِ السُّورَة وَهِيَ قَوله تَعَالَى ﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِے رَحْمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأَنبيَاء:86]

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَاجْعَل لِّے لِسَانَ صِدْقٍ فِے ٱلَاخِرِينَ ﴾ [الشُّعَرَاء:84]

فِي الآيَةِ القرآنية مَجَاز مُرسَل جَاءَ التعبِير فِيهِ باللِّسَان الذِي تكُون بِهِ النَّجَاة أو الهَلَكَة فَفِي قولِهِ تَعَالَى ﴿ وَاجْعَل لِّے لِسَانَ صِدْقٍ﴾

قَالَ محيي الدِّين الدرويش" والمُرَادُ بِاللِّسَانِ هُنَا: الثَّنَاء، وَذَكَر اللِّسَان مَجَازا؛ لأَنَّهُ سَبَبهُ، فَالعلاقَة هِيَ: السَّبَبِيَّة، وقَد تقَدَّم ذَلِكَ مِرَارًا، وقِيلَ: هُو مَجَاز مِن إِطلاقِ الجُزء عَلَى الكُلِّ؛ لأَنَّ الدَّعوَة بِاللِّسَانِ"[1]، فَاللِّسَان عَبَّرَ بِهِ عَن الذِّكرِ والثَّنَاءِ الجَمِيلِ فِيمَن يَأتِي بَعدَهُ، وَمِن عَادَةِ العَرَبِ أَنَّهَا إِذَا مَدَحَت شَيْئًا أَضَافَتهُ إِلَى الصِّدقِ، كَمَا فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿ لِسَانَ صِدْقٍ﴾ وَكَقولِهِ تَعَالَى ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهاً اٰخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۘ كُلُّ شَےْءٍ هَالِكٌ اِلَّا وَجْهَهُۥ ۘ لَهُ الْحُكْمُ ۘ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۘ﴾ [القَصَص:88]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة مَجَاز مُرسَل فِي قَولِهِ ﴿ كُلُّ شَےْءٍ هَالِكٌ اِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ أَي: إِلا إِيَّاه سُبحَانَهُ وتَعَالَى وَهَذَا مِن بَابِ ذِكرِ البَعض لِإِرَادَةِ الكُل، وَمِن مِيزَةِ العَرَبِ التَّعبِير بِالأَشرَفِ.

وَالهَلاكُ مَكتُوب عَلَى كُلِّ المَخلُوقاتِ مِن بَنِي آدَمَ وَالمَلائِكَة وَغَيرُهُم، والمُتَفَرِّد بِالبَقَاءِ هُو اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يَقُولُ تَعَالَى ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ٢٤ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَٰلِ وَالإِكْرَامِ ﴾ [الرَّحْمَن: 27]، فَكُلُّ شَيءٍ هَالِك إِلا هُو سُبْحَانَهُ، وَإِن كَانَ عَمَلا فَكُلُّ عَمَلٍ دُونَ اِبْتِغَاء وَجهِ اللهِ تَعَالَى فِيهِ هَالِك وَمَردُود.

وَمِمَّا سَبَقَ فَقَد عَبَّرَ النَّبِي ﷺ عَنِ العَمَلِ بِالوَجهِ، قَالَ النَّبِي ﷺ فِي الحَدِيثِ الطوِيل مِن حَدِيثِ البَرَّاء بن عَازِب وهُو أَنَّ المَلائِكَةَ تَسأَلُ العَبدَ المُؤمِنَ فِي قَبرِهِ (... رَجُل حَسَن الوَجهِ، حَسَن الثِّيَابِ، طَيِّبَ الرِّيح، فَيَقُول: أَبشِر بِالذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَومُكَ الذِي كُنتَ تُوعَدُ، فَيَقُول لَهُ: مَن أَنتَ؟ فَوَجْهُكَ الوَجه الذِي يَجِيءُ بِالخَيرِ، فَيَقُول: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِح، فَيَقُول: يَا رَب، أَقِمِ السَّاعَة حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي...) رَوَاهُ الإِمَام أَحمَد وأَبُودَاود، والنسَائِي وابن مَاجَه.

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج5، ص422.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنِ اِحْدَى اُلامَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُوراۖ ﴾ [فَاطِر:42]

فِي الآيَةِ القرآنية مَجَاز مُرسَل وَسَمَّاه محيي الدِّين الدرويش مَجَاز إِسْنَادِي فِي قَولِهِ ﴿ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُوراۖ﴾

وَإِضَافَةُ الزِّيَادَة إِلَى النُّفُورِ هُو مِن بَابِ المَجَاز؛ لأَنَّهُ هُو السَّبَب فِي النُّفُورِ.

والنُّفُور هُو الاِنفِكَاك بَعدَ الاِرتِبَاط، والبُعدُ بَعدَ الاِقتِرَاب، والضَّلال بَعدَ الهِدَايَة، وَبُعدًا عَنِ الحَقِّ بَعْدَ مَعرِفَتِهِ.

وَفِي الآيَةِ الكَرِيمَةِ جَاءَ تَعبِيرُ القُرآنُ الكَرِيم عنهُم أَنَّهُم أَقْسَمُوا بِاللهِ أَن يَتَّبِعُوا الرَّسُولَ عِندَ ظُهُورِهِ، وَلَكِن لَمَّا جَاءَ النَّذِير لَم يَتَّبِعُوه وَمَا زَادَهُم ذَلِكَ إِلا بُعدًا.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ اُلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِے اِلنّارِۖ﴾ [الزُّمر:19]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة مَجَاز مُرسَل وَعلاقَتُهُ السَّبَبِيَّة فِي قَولِهِ ﴿ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِے اِلنّارِۖ﴾ قَالَ محيي الدِّين" أَفَأَنتَ تَهدِيهِ بِدُعَائِكَ لَهُ إِلَى الإِيمَانِ، فَتُنقِذَهُ مِنَ النَّارِ"[1].

وَالآيَة فِيهَا اِستِفهَام إِنكَارِي فِي البِدَايَةِ وَفِي النِّهَايَةِ ﴿ أَفَمَنْ﴾ ﴿ أَفَأَنتَ﴾ جَاءَ بِالهَمزَةِ والفَاء، فَالاِسْتِفهَام الثَّانِي تَأكِيد لِلأَوَّلِ.

فَمَن حَقَّ عَلَيهِ شَيء فَهُو حَقُّهُ، فَمَن حَقَّت عَلَيهِ كَلِمَةُ العَذَابِ؛ فَهُو مِن أَهلِ العَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن كَان مِن أَهلِ النَّارِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا اِثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اِثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلِ اِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍۖ﴾ [غافر:11]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة مَجَاز مُرسَل فِي قَولِهِ ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا اِثْنَتَيْنِ﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" لأَنَّ المُرَادَ بِالمَيْتَتَيْنِ الاِثْنَتَيْنِ: خَلَقَهُم أَمواتًا أَوَّلا، وإِمَاتتهم عِندَ انقِضَاءِ آجَالهم ثَانِيًا، وَالمُرَاد بالإحياءين، الإحياءَةُ الأُولَى، وإِحْيَاءَةُ البَعث"[1].

[1] . محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيم وبَيَانُهُ، ج6، ص505.

فَالمَيْتَتَينِ الأُولَى وَهِي التي يَكُون فِيهَا الجَنِين لَحمًا دُونَ رُوحٍ وَالمُقَدَّرَة بِأَربَعَةِ أَشهُرٍ الأُولَى مِن تَكْوِينِهِ، عَن أَبِي عبد الرَّحْمَن عبد الله بن مَسعُود ـ رضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُو الصَّادِق المَصدُوق(إِنَّ أَحَدَكُم يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يومًا نُطفَةً ثُمَّ يَكُون عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ المَلَك فَيَنفُخُ فِيهِ الرُّوحَ....)[2] وَأَمَّا المَيْتَةُ الثَّانِيَة وَهِيَ مَوتَة الحَقِّ المَكتُوبَة عَلَى كُلِّ إِنسَان، يَقُولُ تَعَالَى ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر:30]، وَأَمَّا الإحياءين، فَالحَيَاة الأُولَى هِيَ التي تَدُبُّ فِي حَيَاةِ الجَنِين بَعْدَ الأَرْبَعَة أَشهُر، وَأَمَّا الحَيَاة الثَّانِيَة وَهِيَ الحَيَاة التي تَكُونُ يَوْمَ القِيَامَة مِن يَومِ البَعثِ، يَقُولُ تَعَالَى ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة:28].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَسْـَٔلْ مَنَ اَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ اِلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرُف:44].

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة مَجَاز مُرسَل فِي قَولِهِ ﴿ وَسْـَٔلْ مَنَ اَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾، وعلاقَةُ هَذَا المَجَاز المَحَلِّيَّة، فَقَد طرح السُّؤَال عَلَى الرُّسُلِ وَأَرَاد الأُمَم التي أرسلُوا إِلَيْهَا عَلَى حَدِّ قوله تَعَالَى﴿فَسْـَٔلِ اِلذِينَ يَقْرَءُونَ اَلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ اَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ اَلْمُمْتَرِينَ﴾ والعلاقَة بَيْنَهُم وَهِيَ الهِدَايَةُ فَهُم أَسبَاب الهِدَايَة؛ لأَنَّهُم أَدَاةُ التَّبْلِيغ، وكَثِيرًا مَا يَرِدُ السُّؤَال مَجَاز فِي اللغَةِ القُرآنِ الكَرِيمِ، بَل حتَّى فِي اللغَةِ العَرَبِيَّة وبِخَاصَّةٍ الشِّعر.

ومِمَّا وَرَدَ فِي القُرآن الكَرِيم قَولَهُ تَعَالَى ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ اِلْقَرْيَةِ اِلتِے كَانَتْ حَاضِرَةَ اَلْبَحْرِ ﴾، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَسْـَٔلِ اِلْقَرْيَةَ اَلتِے كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ اَلتِےٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾

---

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج6، ص554.

[2] ـ يحيى بن شرف الدين النووي، شرح الأربعين النووية، شرحها وعلق عليها: د. محمود مطرجي، دط. الجزائر: دت، دار التنوير، ص34. رواه البخاري ومسلم

كَمَا وَرَدَ السُّؤَال مَجَازاً فِي الشِّعرِ العَرَبِي كقَولِ عَنتَرَة[1]:

هَلَّا سَأَلتِ الخَيلَ يَا ابنَةَ مَالِكٍ إِن كُنتِ جَاهِلَةً بِمَا لَم تَعلَمِي

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ فَأَمَّا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِے رَحْمَتِهِۦۗ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُۖ ﴾ [الجَاثِية: 30]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة مَجَاز مُرسَل فِي قَولِهِ ﴿فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِے رَحْمَتِهِۦۗ﴾ أَيْ: جَنَّتَهُ، فَالرَّحمَة لا يَحِلُّ فِيهَا المُؤْمِن، وإِنَّمَا يَحِلُّ فِي مَكَانِهَا، فَذَكَرَ اللهُ الحَالَ وَأَرَادَ المَحَل، فَالمَجَاز فِي هَذِهِ الآيَة علاقَتُهُ الحَالِيَّة.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَۖ ﴾ [الجَاثِية: 34]

فِي الآيَةِ القرآنية مَجَاز مُرسَل فِي قولِهِ ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسىٰكُمْ﴾ فَهُم نَسُوا اللهَ تَعَالَى وَنَسُوا آيَاتِهِ فَنَسِيَهُم، فاللهُ يومَ القِيَامَة يُخَاطِبُهُم حَيثُ قَالَ فِي آيَةٍ أُخرَى ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسىٰۖ﴾

وَقَد أُطلِقَ النِّسيَانُ عَلَى التركِ عَلَى سَبِيلِ المَجَازِ المُرسَل، فَيَترُكهم فِي النَّارِ لأَنَّهُم تَرَكُوا الإِيمَانَ وَالأَعمَال الصَّالِحَة التي تُبعِدُهُم عَنِ النَّارِ.

ـ يقُولُ تَعَالَى ﴿اَوَلَمْ يَرَوْاْ اَنَّ ٱللَّهَ ٱلذِے خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَنْ يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتىٰۚ بَلِىٰٓۖ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَےْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقَاف:33]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة مَجَاز مُرسَل فِي قولِهِ تَعَالَى ﴿وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ وعلاقَتُهُ السَّبَبِيَّة؛ لأَنَّ" العَيَّ، أَي: التَّعَب مُستَحِيل عَلَيهِ تَعَالَى، وَسَبَب لِلانقِطَاعِ عَن العَمَلِ، أَو النُّقصِ فِيهِ، والتَّأخِير فِي إِنجَازِهِ، فَهُو العلاقَة فِي هَذَا المَجَاز"[2]، وَالعَيُّ هُو التَّعَب وَالعَجز وَعَدَم القُدرَة فِي العَمَلِ أَو الكَلام، وَقَد جَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي بِالفِعلِ المُضَارع ﴿يَعْيَ﴾ دَلِيلٌ عَلَى قُدرَتِهِ سُبحَانَهُ

[1] . عنترة بن شداد، ديوان عنترة بن شداد، اعتنى به وشرحه: حمدو طماس، ط2. بيروت: 1425ه/2004، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ص17.

[2] . محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج7، ص186.

وَتَعَالَى فِي كُلِّ وَقتٍ وَزَمَان **لا** يُعجِزُهُ شَيء فِي الأَرضِ ولا فِي السَّمَاءِ، وكَمَا جَاءَتِ التَّعدِيَةُ بِالبَاءِ فِي قولِهِ ﴿بِخَلْقِهِنَّ﴾ لِتُفِيدَ إِفَادَةً بَلاغِيَّة فِيهَا دَلالَة عَلَى انتِفَاءِ الخَلقِ دُونَ نُقْصَانٍ أَو عَجزٍ أو تَعَبٍ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَأُمْلِے لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِے مَتِينٌۖ﴾ [القلم:45]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة مَجَاز مُرسَل؛ فَقَد سَمَّى اللهُ تَعَالَى إِحسَانَهُ كَيْدًا كَمَا سَمَّاهُ اِستِدرَاجًا، وَهَذَا لأنَّ اللهَ تَعَالَى أَحسَنَ إِلَيهِم، وَقَد وَصَفَ اللهُ هَذَا الكَيد بِالقُوَّةِ وَالمَتَانَةِ.

وَالآيَةُ القُرآنِيَّة تُبَيِّنُ أَنَّ اللهَ يُملِي لِعِبَادِهِ وَيَفْسَحُ لَهُم وَيَستَدرِجهُم ثُمَّ يَأْخُذُهُم بَغْتَةً، فَمَن أَنعَمَ اللهُ عَلَيهِ وَنَسِيَ خَالِقَهُ وَتَكَبَّر وَتَجَبَّر عَلَيهِ؛ فَإِنَّ اللهَ يَزِيد فِي إِنعَامِهِ عَلَيهِ، ثُمَّ يَأْخُذهُ أَخذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِر، يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِے لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِے لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْماًۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌۖ﴾ [آل عمران:178]

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌۖ﴾ [القلم:49]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة مَجَاز مُرسَل فِي قولِهِ ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌۖ﴾ واللَّوْم هُو سَبَب للذَمِّ، قَالَ الرَّازِي: وَهُو مَذمُوم عَلَى كَونهِ فَاعِلا للذَّنبِ، قَالَ: والجَوَابُ مِن ثَلاثَةِ أَوجُهٍ[1]:

الأَوَّلُ: أَنَّ كَلمَةَ (لولا) دالَّة عَلَى أَنَّ هَذِهِ المَذمُومِيَّة لَم تَحصُل.

الثَّانِي: لَعَلَّ المُرَادَ مِن المَذْمُومِيَّة تَركُ الأَفضَل، فَإِنَّ حَسَنَات الأَبرَار سَيِّئَات المُقَرَّبِينَ.

الثَّالِث: لَعَلَّ هَذِهِ الوَاقِعَة كَانَت قَبْلَ النُّبوَّة.

وَمِن تَوجِيهَاتِ الآيَة القُرآنِيَّة أَنَّهُ بَعدَ النَّبذِ وَالذَّنبِ لَولا تَوبَته وعَودَته إِلَى اللهِ تعالى التي هِيَ مِن نِعَمِ اللهِ وَرَحمَتِهِ عَلَيهِ، لَلَقِيَ اللهَ وَهُو مُذنِب.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراًۙ[2]﴾ [نوح:11]

---

[1] . الرازي، تفسير ابن أبي حاتم الرازي المسمى التفسير بالمأثور، دط. بيروت: دت، دار الكتب العلمية، ج7، ص53.

[2] . كَلِمَةُ (مِدْرَارًا) عَلَى وَزْنِ (مِفْعَال) وَهَذَا الوَزْن يَسْتَوِي فِيهِ المُذَكَّر والمُؤَنَّث، وكَلِمَةُ (السَّمَاء) هِيَ مِن أَسْمَاءِ الغَيْث فَقَد وَرَدَ فِي (الموطأ) للإِمَام مَالِك بن أنس والصَّحِيحَين عَن زَيْد بن خَالد الجهني: أَنَّهُ قَالَ: (صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ

فِي الآيَةِ القرآنية مَجَاز مُرسَل فَأَرَادَ بِالسَّمَاءِ الغَيْث، قَالَ الشَّاعِر مُعَاوِيَة بن مَالِك[1]:

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غِضَابَا

وَإِرسَال الغَيث الكَثِير المُتَتَابِع هُو كَنَتِيجَة لِلاِستِغفَارِ، وَذَلِكَ مِن خِلَالِ جَزمِ ﴿يُرْسِلِ﴾ والتي هِيَ جَوَابٌ لِلأَمرِ ﴿ ٱسْتَغْفِرُواْ﴾.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً ﴾ [نوح:24]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة مَجَاز مُرسَل فِي قَولِهِ ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً﴾ وعلاقَةُ هَذَا المَجَاز عَلَى اِعتِبَارِ مَا يَؤُول إِلَيهِ، قَالَ محيي الدِّين الدرويش" لأَنَّهُم لَم يفجرُوا وَقتَ الوِلادَة، بَل بَعدَهَا بِزَمَنٍ طَوِيل عَلَى كُلِّ حَالٍ"[2]، وَهَذَا الدعَاء بَعدَمَا يَئِسَ نُوح ـ عَلَيهِ السَّلام ـ مِن قَومِهِ وأَقَامَ الحُجَّةَ عَلَيْهِم حَيثُ إِنَّهُ لَبِثَ فِيهِم تُسعُمائَة وَخَمسُون سَنَة وَهُو يَدعُوهُم فِيهَا إِلَى عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى وَحدَهُ وَلَم يُؤمِن بِهِ إلا القَلِيل.

وَمِن تَوجِيهَاتِ الآيَة القُرآنِيَّة أَنَّ نُوح ـ عَلَيهِ السَّلام ـ اِهتَمَّ بِإِصلاحِ الجِيلِ الحَاضِر مَعَهُ وَعَلَى أَسَاسِهِ أَصْدَرَ الحُكم حَيثُ قَالَ تَعَالَى عَلَى لِسَانِهِ ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِے وَاتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَاراً﴾ وَهُنَاكَ مِنَ الأَنبِيَاءِ مَن كَانَ مَنهَجُهُ فِي الإِصلاحِ بِخِلافِ نُوح عَلَيْهِ السَّلام وَمِنهُم إِبرَاهِيم ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ ومحَمَّد ﷺ فَإِبرَاهِيم عِندَ بِنَاءِهِ الكَعبَة كَانَ دُعَاؤُهُ جَامِعًا مُصلِحًا لِجَمِيعِ بَنِي آدَم يَقُولُ تَعَالَى ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:128]، والنَّبِي ـ عَلَيهِ الصلَّاة والسَّلام ـ لَمَّا أُوذِيَ مِن قَومِهِ أَذىً شَدِيدًا، وَجَاءَهُ جِبرِيل عَلَيهِ السَّلام وَقَالَ لَهُ قَد سَمِعَ اللهُ قَولَكَ، وَسَخَّرَ اللهُ لَهُ مَلك الجِبَال الذِي قَالَ لَهُ إِن شِئتَ أُطْبِق عَلَيْهِم الأَخشَبَينِ، لَكِن مَاذَا

وسَلَّم صَلاةَ الصُّبْح بِالحُدَيبِيَّة عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَت مِن اللَيلِ)، الإمام مالك بن أنس، الموطأ، تح: الشيخ طه عبد الرؤوف سعد، دط. القاهرة: 2006، شركة القدس للنشر والتوزيع، ص110.

[1] . القُرطُبِي، أبِي عبد الله محمَّد بن أحمد الأنصَارِي القُرطُبي، الجَامِع لأحكَام القُرآن، القُرطُبِي، ط1. القاهرة: 2005، مكتبة الصَّفا، ج18، ص27.

[2] . محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج8، ص112.

كَانَ جَوَاب النَّبِي ﷺ حَيْثُ قَال بَل أَرجُوا أَن يُخرِجَ مِن أَصلابِهِم مَن يَعْبُدُ اللهَ، وَهَذَا مَنهَج إِصلاحِي وَتَربَوِي عَظِيم الدلاَلَةِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَإِنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً ﴾ [الجِن:8]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة مَجَاز مُرسَل فِي قَولِهِ ﴿وَإِنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾[1] وأَصلُ اللَّمسِ مَا يَكُون حَقِيقَةً بِاليَدِ وَالأَصل فِيهِ مَا يُتَحَسَّسُ بِهَا، وَهُنَا جَاءَ اللَّمس مِن بَابِ المَجَازِ، وَهَذَا الكَلام هُو مِن كَلامِ الجِنِّ الذِينَ لَهُم عَالَم خَاص بِهِم، فَهُم لَمِسُوا السَّمَاء مِن أَجلِ التَّحَسُّسِ والتَّأَكُّدِ وَمِنهُ قول يَزِيد بن الحَكَم الكلابِي[2]:

مَسَسنَا مِنَ الآبَاءِ شَيْئًا فَكُلُّنَا إِلَى نَسَبٍ فِي قَومِهِ غَير وَاضِعِ

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ ﴾ [المرسلات:48]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة مَجَاز مُرسَل وَعلاقَتُهُ البَعضِيَّة لأَنَّهُ" سَمَّى الصَّلاةَ بِاسم جُزء مِن أَجزَائِهَا، وَهُو الرُّكُوع، وإِنَّمَا خَصَّ الرُّكُوع بِالذِّكرِ مَعَ أَنَّ الصَّلاةَ تَشتَمِل عَلَى أَفعَالٍ كَثِيرَة؛ لأَنَّ العَرَبَ كَانُوا يَأْنفُونَ مِن الرُّكُوعِ والسُّجُود"[3]، كمَا أَنَّ علاقَة هَذَا المَجَاز جُزئِيَّة، وَخَصَّ اللهُ الصَّلاةَ دُونَ العِبَادَاتِ الأُخرَى لأَنَّ مِنَ العَرَبِ مَن يَأنَفِ الرُّكُوع وَالسُّجُود، فَيَوم القِيَامَة كَمَا لَم يَرْكَعُوا فِي الدنيَا لَن يَستَطِيعُوا الرُّكُوعَ فِي الآخِرَةِ. والرُّكُوع هُو مِن عَلامَةِ الدِّين، فَهُو عَلامَة عَلَى الطَّاعَة والخُضُوعِ، يُذكَرُ أَنَّ مَالِكًا رَحِمَهُ اللهُ دَخَلَ المَسجِد بَعْدَ صَلاةِ العَصرِ، وَهُو مِمَن لا يَرَى الرُّكُوعَ بَعْدَ العَصر، فَقَامَ فَرَكَعَ وَلَم يُحَاجِّهِ بِمَا يَرَاهُ مَذهَبًا، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: خَشِيتُ أَن أَكُونَ مِن الذِينَ إِذَا قِيلَ لَهُم اِركَعُوا لا يَركَعُونَ"[4].

---

[1] . فِي قولِهِ تَعَالَى﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ قُرِأَتْ ﴿ وَأَنَّا﴾ بِكَسْرِ الهَمْزَة كَمَا قُرِأَتْ بِفَتْحِهَا، كَمَا كُرِّرَتْ ﴿وَأَنَّا﴾ وَهَذَا مِن بَابِ التَّوكِيد للْخَبَرِ.

[2] . ابن عَاشُور: الشيخ محمَّد الطَّاهر ابن عَاشُور، تفسِير التحرِير والتَّنوير، تونس:1984، الدار التونسيَّة للنَّشرِ، ج29، ص227.

[3] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج8، ص191.

[4] . القُرطُبِي، أَبِي عبد الله محمَّد بن أحمد الأنصَارِي القُرطُبي، الجَامِع لأحكَام القُرآن، القُرطُبِي، ط1. القاهرة: 2005، مكتبة الصَّفا، ج19، ص120.

ـ يقُولُ تَعَالَى ﴿ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النَّازِعَات:14]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة مَجَاز فَقَد أَسنَدَ السَّهَر إِلَى الأَرضِ البَيضَاء لأَنَّهَا مَوطِنُ الخَلائِقِ، والسَّهَر تُطْلِقُهُ العَرَبُ عَلَى وَجهِ الأَرضِ، فَبَعدَمَا كَانُوا فِي بَطنِ الأَرضِ فَإِذَا هُم عَلَى وَجهِهَا.

قَالَ الأَشعَث بن قيس[1]:

وَسَاهِرَةٍ يُضحِي السَّرَابُ مُجَلِّلا لأَقْطَارِهَا قَد جِئْتُها مُتَلَثِّمًا

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَيٰهَا﴾ [النَّازعَات:31]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة مَجَاز مُرسَل فَقَد أَطلَقَ" المَرعَى عَلَى مَا يَأْكلهُ النَّاس، فَاسْتَعْمَل المَرعَى فِي مُطلَقِ المَأْكُولِ لِلإنسَانِ وَغَيره، والعلاقَة اسْتِعمَال المُقَيَّد فِي المُطلَقِ[2].

إلا أَنَّ هَذِهِ الآيَة يَجُوزُ أَن تَكُونَ اِسْتِعَارَة تَصرِيحِيَّة، فَفِيهَا تَشبِيه أَكل الإنسَان بِأَكلِ الدوَاب وَإِلَى هَذَا الرَّأي جَنَحَ الزَّمَخْشَرِي في كَشَّافِهِ وَأَرَادَ بِمَرعَاهَا: مَا يَأْكُل النَّاسُ والأَنعَام لأن الأرض تنبت كل ما يحتاجه الإنسان والحيوان، وَاستُعِيرَ الرَّعيُ للإنسَانِ، كَمَا اُسْتُعِيرَ في آيَةٍ أخرَى لفظَ الرَّتعُ فِي قَولِهِ﴿أَرْسِلهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعِ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَٰفِظُونَ﴾.

إلا إِنَّ هُنَاكَ فَرق بَينَ المَرعَى وَيَرتَع، فَالمَرعَى يُرَادُ بِهِ المَكَان مِنَ الأَرضِ الذِي بِهِ العُشْب وَيَرْتَع وهِيَ الحَالَة التي يُمَارِسهَا فِي رَعيِهِ للغَنَمِ.

وَلَكِن مَا جَاءَ بَعْدَ هَذِهِ الآيَة كَانَ مُحَدِّدًا لِكُلِّ صِنفٍ نَوعِيَة أكلِهِ، فهو يَختَلِف عَنِ الآخَر حَيثُ يَقُولُ تَعَالَى ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَيٰهَا ٣١ وَالْجِبَالَ أَرْسَيٰهَا ٣٢ مَتَٰعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات:32 ـ33]]، فَبَيَّنَ أَنَّ فِيهَا مَا يَتَمَتَّعُ بِهِ الإنسَان، وَأَنَّ فِيهَا مَا يَتَمَتَّع بِهِ الحَيَوَان، وَ فِي سُورَةِ عَبَس وَهِيَ السُّورَة التي تَأتِي بَعدَ النَّازِعَات يَقُولُ اللهُ تَعَالَى فِيهَا ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبّاً ٣١ مَّتَٰعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [عبس:31 ـ32] فِي الأَلفَاظِ تَحدِيد للمعنى؛ فَالفَاكِهَة مُخَصَّصَةٌ لِلإنسَانِ، وَالأَبُّ مُخَصَّصٌ لِلحَيَوانِ، وَفِي هَذَا المَجَالِ أَقوَال كَثِيرَة.

---

[1] . القُرطُبِي، أبِي عبد الله محمَّد بن أحمد الأنصَارِي القُرطُبي، الجَامِع لأحكَام القُرآن، القُرطُبِي، ط1. القاهرة: 2005، مكتبة الصَّفا، ج19، ص143.

[2] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج8، ص215.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿بَلِ ٱلذِينَ كَفَرُواْ فِے تَكْذِيب﴾ [البُرُوج:19]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة مَجَاز مُرسَل وَعلاقَةُ هَذَا المَجَاز الحَالِيَّة لأَنَّ" التَّكذِيب مَعنَى مِنَ المَعَانِي، ولا يَحِلُّ الإنسَانُ فِيهِ" فَاستِعمَال التَّكذِيب فِي مَكَانِهِ مَجَاز أُطلِقَ فِيهِ الحَال، وأُرِيدَ المَحَلُّ، فَعلاقَتُهُ الحَالِيَّة، وَعَدل عَن يكذبون إلَى جعلهم فِي التَّكذِيب، وأَنَّهُ لِشِدَّتِهِ أَحَاطَ بِهِم إِحَاطَةَ البَحر بِالغَرِيقِ، وَالسّوار بِالمِعصَمِ، وَفِي الوَقتِ نَفسه جَاء بِالتَّكذِيبِ نَكِرَة للدلالَة عَلَى تَعْظِيمِهِ وتَهوِيل أَمرهُ"[1]، وَدَلالَةُ الآيَةِ أَنَّ الكُفَّارَ فِي تَكْذِيبٍ مُسْتَمِر، وَالكَذِب لا يَنقَطِع مِن أَلسِنَتِهِم لأَنَّهُ صِفَةٌ مِن صِفَاتِهِم، والمُؤْمِن تُنزَعُ مِنهُ صِفَةُ الإيمَانِ إِذَا كَانَت فِيهِ صِفَةُ الكَذِب؛ فَهِيَ صِفَةٌ مَذمُومَة مَدحُورٌ صَاحِبُهَا.

2 ـ 2 ـ المَجَازُ العَقلِي ودَلالاتُهُ فِي توجيه المعنى القُرآنِي.

المَجَازُ العَقلِي هُو أَحَدُ نَوعَي المَجَاز، وَيُعَدُّ الجُرجَانِي أَوَّلَ مَن أَطلَقَ عَلَيهِ هَذَا الاِسم حَيثُ قَالَ:" كُلُّ جُملَةٍ أَخرَجَتِ الحُكمَ المُفَاد بِهَا عَن مَوضِعه مِنَ العَقلِ لِضَربٍ مِنَ التَّأَوَّل فَهِيَ مَجَاز"[2].

وَعَرَّفَ محيي الدِّين الدرويش المَجَازُ العَقلِي بِقولِهِ:" هُو إِسنَاد الفِعل، أَو شَبَهَهُ، إِلَى غير مَا هُو لَهُ"[3].

وَمِنَ التَّوجِيهَاتِ البَلاغِيَّة للمَجَازِ العَقلِي فِي هَذَا البَاب نَجِد:

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَنْ يَّكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:282].

فِي هَذِهِ الآيَة القرآنية مَجَازٌ عَقلِي فِي قَوله تَعَالَى: ﴿ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾، قَالَ محيي الدِّين الدرويش" فَقَد أَسنَدَ الإِثمَ إِلَى القَلْبِ"[4].

---

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج8، ص274.

[2] ـ الجُرجَانِي، أَسْرَار البَلاغَة، ص356.

[3] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج3، ص358.

[4] ـ المصدر نفسه، ج1، ص382.

وَالإثم هُو الوِزر الذِي يَترَتَّب عَلَى المَعصِيةِ؛ فَهُو يَتَعَلَّقُ بِالمَعَاصِي بِأَنوَاعِهَا قَولِيَّة أَو فِعلِيَّة أَو قَلبِيَّة، وَقَد نَسَبَ اللهُ فِي الآيَةِ الإثمَ إِلَى القَلبِ لِعُدَّةِ أُمُورٍ مِنهَا:

ـ الإثمُ يَتَعَلَّق بِمَا فِي الصَّدرِ كَمَا فِي الحَدِيثِ النَّبَوِي حيث روي عن النواس بن سمعان الأصاري عن النَّبِي ﷺ أنه قال:(البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ، وَالإثم مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَن يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاس)[1]

ـ القَلبُ هُو أَسَاسُ الأَقوَالِ وَالأَفعَال، فَإِن صَلُحَ صَلُحَ سَائِر الجَسَد، وَإِن فَسَدَ فَسَدَ سَائِر الجَسَد، فَالقَلب السَّلِيم لا يَرضَى بِالإثمِ، عَن النُّعمَان بن بَشِير ـ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا ـ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ.(أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةٌ إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الجَسَد كُلُّهُ وإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ)[2]

ـ القَلبُ أَسَاس الإيمَان، الإثمُ والأَجْر يَحصُلُ بِهِ، وَالقَلب يَتَقَلَّب فِي الطَّاعَةِ بَينَ الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَان.

ـ يَقُول تَعَالَى ﴿ هُوَ ٱلذِے جَعَلَ لَكُمُ ٱلَيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِراًۚ إِنَّ فِے ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَۖ﴾ [يونس:67]

فِي الآيَةِ القرآنية مَجَاز عَقلِي فِي قَوله ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِراًۚ﴾[3] فَقَد أَسنَدَ الإبصَار إِلَى النَّهَارِ، وَهَذَا عَلَى حَقِيقَتِهِ وَفِيهِ مُبَالَغَة، فَالنَّهَارُ بِنُورِهِ مُبصِر لأَنَّ النَّاسَ يُبصِرُونَ فِيهِ فيقضُونَ حوائِجَهم ومصَالِحَهُم، فَالإبصَار يَكُون فِي زَمَنِ النَّهَارِ، فقد نقلَ السَّبَبَ إِلَى المُسَبِّب فالنَّهار يُبْصَرُ فِيهِ وَالمُبْصِرُ هُو الإنسَان، والنَّهَار يَصحَبُهُ النُّور.

---

[1] . رَوَاهُ مُسلِم، الحَافِظ ابن رَجب الحَنبلِي، جَامِع العُلُومِ والحِكَم فِي شَرْحِ خَمْسِين حَدِيثًا مِن جَوَامِعِ الكَلِم، تح: أحمد، ط1. القاهرة: 2010، دار الغَد الجَدِيد، ص309.

[2] . رَوَاهُ البخَارِي ومُسلِم، الحَافظ ابن رجَب الحَنبلِي، جَامِعُ العُلُومِ والحِكَم فِي شرحِ خَمْسِين حديثًا مِن جَوَامِعِ الكَلِم، تح: أحمد، ط1. القاهرة: 2010، دار الغَد الجَدِيد، ص92.

[3] . فِي القُرآنِ الكَرِيم نَسَبَ اللهُ الإبْصَارِ للنَّهَارِ فِي ثَلاثِ سُوَرٍ مِن القُرآنِ الكَرِيم، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [يونس:67] وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النمل:86] وفِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر:61]

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ اِذْ قَالَ لِقَوْمِهٖ يٰقَوْمِ اِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِے وَتَذْكِيرِے بِـَٔايَٰتِ اَللَّهِ فَعَلَى اَللَّهِ تَوَكَّلْتُۖ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْۖ ثُمَّ لَا يَكُنَ اَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةٗۖ ثُمَّ اِقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِۖ ﴾ [يونس:71]

فَقَولُهُ تَعَالَى ﴿ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِے [1]﴾ مَجَاز عَقلِي، فَفِي الآيَةِ أَسْنَدَ الكِبَرَ إِلَى المَقَامِ، والمَقَام هُو كِنَايَة عَن النَّفسِ، والمَكَان هُو أَحَدُ لَوَازِم المَقَام فَهُو مُتَعَلِّق بِذَاتِ المَرءِ يُبَيِّنُ أَحوَالَهُ وَحَالَهُ وَهُو حَالُ الرِّفعَةِ.

فِي الآيَةِ جَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي بِكَلِمَةِ ﴿ كَبُرَ﴾ وَهُو مِنَ الأَلفَاظ التي تَحمِلُ تَعبِيرًا قَوِيًا، فَالقُرآن الكَرِيم لَم يَستَعمِلهَا إِلَّا فِي الاِعْتِرَاض مِن قِبَلِ الكُفَّار الذِينَ مَنَعَهُم الكِبَرُ مِنَ الإِيمَانِ، وَمِن هَذِهِ الآيَات كَقَولِهِ تَعَالَى ﴿ اَلذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِےٓ ءَايَٰتِ اَللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ اَتٰىهُمْۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اَللَّهِ وَعِندَ اَلذِينَ ءَامَنُواْۖ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اَللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٖۖ﴾ [غَافر:35]، وكَقَولِهِ تَعَالَى ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ اَلدِّينِ مَا وَصّٰى بِهِۦ نُوحاً وَالذِےٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسىٰ وَعِيسىٰٓ أَنَ اَقِيمُواْ اُلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۖ كَبُرَ عَلَى اَلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِۖ اَللَّهُ يَجْتَبِےٓ إِلَيْهِ مَنْ يَّشَآءُ وَيَهْدِےٓ إِلَيْهِ مَنْ يُّنِيبُۖ﴾ [الشُّورَى:11]

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿قَالَ يٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّےٖ وَءَاتٰىنِےٖ رَحْمَةٗ مِّنْ عِندِهِۦ فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمْۚ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَۖ﴾ [هود28].

فِي الآيَةِ القرآنية مَجَاز عَقلِي في قَوله ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّےٖ وَءَاتٰىنِےٖ رَحْمَةٗ مِّنْ عِندِهِۦ فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ فَقَد أَسْنَدَ العَمَى إِلَى البَيِّنَةِ، فَقَد أُنزِلَتِ البَيِّنَة مَنزِلَةَ مَن يَعقِل فَالبَيِّنَة وَالحُجَّة والبُرهَان تَرَاهَا البَصِيرَة والبَصَر، والأَعمَى لا يَهْتَدِي إِلَى ذَلِكَ سَبِيلا، فَالعَمَى عَمَى البَصِيرَة لا البصر، وَهَذَا مِصدَاقًا لِقولِهِ تَعَالَى ﴿ اَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِے اَلاَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٞ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوَ اٰذَانٞ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى اَلاَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى اَلْقُلُوبُ اُلتِے فِے اَلصُّدُورِۖ ﴾ [الحج:44].

[1] . كَلِمَةُ ﴿مَقَامِي﴾ المَقَام بِفَتْحِ المِيمِ يُقْصَدُ بِهِ المَوْضِع الذِي يَقُومُ فِيهِ، وأَمَّا المُقَام بِضَمِّ المِيمِ فَهُو الإِقَامَة، وَمَجَازً يُعَبَّرُ بِهِ عَنِ الذَّاتِ ومَكَانَتِهَا وَحَالِهَا.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ ٱلذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيا عَلَى ٱلَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أوْلَٰٓئِكَ فِے ضَلَٰلٌ بَعِيدٌ﴾ [إبرَاهِيم:4]

فِي الآيَةِ القرآنية مَجَاز عَقلِي فَقَد أَسنَدَ البُعدَ إِلَى الضَّلالِ وهو البعد عن الطريق الحق، قَالَ محيي الدِّين الدرويش" لأَنَّ البُعْدَ فِي الحَقِيقَةِ لِلضَّال؛ لأَنَّهُ هُو الذِي يَتَبَاعَد عَن الطَّرِيقِ، فَوَصَفَ بِهِ فِعْلَهُ، كَمَا تَقُول: جَدَّ جِدُّهُ، وَدَاهِيَة دهيَاء"[1].

وَوَصَفَ الضَّلالَ بِأَنَّهُ بَعِيد فِيهِ دَلالَة عَلَى تَمَكُّنِهِ مِنهُم، وأَنَّهُ أَحَاطَ بِهِم إِحَاطَةً كُلِّيَّة.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ تُوتِےٓ أُكْلَهَا كُلَّ حِينٌ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلَامْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبرَاهِيم:27]

فِي الآيَةِ تَشبِيه عَقلِي فِي قَولِهِ ﴿ تُوتِےٓ أُكْلَهَا﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" فَفِعلُ الإِيتَاءِ مُسنَد إِلَى غَيرِ فَاعِلِهِ الحَقِيقِي؛ لأَنَّ النَّخلَة لا تُؤتِي الأُكلَ، عَلَى حَدِّ قَولِ الصلتَان العَبدِي:

أَشَابَ الصَّغِيرُ وَأَفْنَى الكَبِيـــ ـــر كَرُ الغداة ومَر العشي

فَالمَجَاز وَقَعَ فِي إِثبَاتِ الشَّيبِ فِعلا لِكر الغَدَاة وَمَر العَشِي، وَهُو فِي الحَقِيقَةِ فِعل اللهِ تَعَالَى"[2].

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة شَبَّهَ الكَلِمَة الطَّيِّبَة بِالشَّجَرَةِ الطيِّبَة، فَالكَلِمَة الطيبَة مِن تَوحِيدٍ وتَسبِيحٍ واسْتِغفَارٍ كُلُّهَا أَبْواب خَيرٍ ولا تَأتِي إِلا بِخَيرٍ وَنَتِيجَتُهَا لا تَكُون إِلا خَيرًا، فَكَذَلِكَ النَّخلَة ثِمَارهَا مَوجُودَة عَلَى طُولِ العَام والثِّمَار تَبقَى فِي النَّخلَة دُونَ ضَرَرٍ سِتَّةَ أَشهُرٍ أَو أَكثَر وَهِيَ مُدَّة طَوِيلَة فَالآيَة تُصَوِّر لَنَا مَعَانِي فِي ضَربِ المَثَلِ حَتَّى يُدرِكَهَا العَقلُ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِناً وَاجْنُبْنِے وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلَاصْنَامَ ٣٧ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِے فَإِنَّهُ مِنِّے وَمَنْ عَصَانِے فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم:38].

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج4، ص113.

[2] ـ المصدر نفسه، ج4، ص151.

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة مَجَاز عَقلِي تَمَثَّلَ فِي إِسْنَادِ الضَّلالِ لِلأَصنَامِ، والعلاقَة سَبَبِيَّة لأَنَّ الأَصنَام هِيَ سَبَبُ الضَّلالِ، فَقَد أَضَافَ الفِعلَ إِلَى الأَصنَامِ عَلَى المَجَازِ فَلا يُمْكِن للجَمَادِ أَن يَفعَلَ، وَقَد صَوَّرَ القُرآنُ الكَرِيم مُعَامَلَةَ إِبرَاهِيم ـ عَلَيهِ السَّلام ـ مَعَ مَن يَعْبُدُونَ الأَصنَام وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ تَعَالَى ﴿قَالُوٓاْ ءَانتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ٦٢ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ٦٣ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأَنبِيَاء:62 ـ64].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَالنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلاً ﴾ [الإسراء:12]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة مَجَاز عَقلِي فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ فَالنَّهَار لا يُبصِر وإِنَّمَا يُبْصَرُ فِيهِ، وَهُو مِن بَابِ إِسنَادِ الفِعلِ إِلَى زَمَانِهِ.

وَإِبصَارُ النَّهَارِ بِنُورِهِ آيَة مِن آيَاتِ اللهِ، وَقَد وَصَفَ اللهُ ذَلِكَ بِقَولِهِ تَعَالَى ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُومِنُونَ﴾ [النَّمل:88] فَالنَّهَار بِشَمْسِهِ المُضِيئَة يَكُون النُّور الذِي تُبْصِرُ بِهِ الأَبصَار، فَهُو سَبَبُ الإِبصَار للنَّاسِ فَعَلاقَة هَذَا المَجَاز العَقلِي السَّبَبِيَّة.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلَامْوَٰلِ وَالاَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُوراً ﴾ [الإِسْرَاء:64]

فِي الآيَةِ القرآنية مَجَاز عَقلِي فَقَد أَسنَد الغُرُورَ إِلَى العَهدِ، والشَّيطَان لَيسَ مَعَهُ عهد فَهُو يُعْطِي الوُعُودَ وَالأَمَانِي فِي هَذِهِ الدنيَا، يَقُولُ تَعَالَى ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُوراً﴾ [النساء:119]، وأَمَّا يَومَ القِيَامَةِ فَإِنَّهُ يَتَبَرَّأُ مِنهُم وَمِن أَعمَالِهِم وَمِن العُهُودِ التي وَعَدَهُم إِيَّاهَا. يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ٢٣ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلَامْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى

وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[إبراهيم:24] .

- يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَاصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾ [الكهف: 28].

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة مَجَاز عَقلي فِي قولِهِ تَعَالَى ﴿وَلَا تَعۡدُ [1] عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾ فِي الآيَةِ أَسنَدَ فِعل (عَدَا) وَهُو فِعل مُتَعَدٍّ أَي تَجَاوَز إِلَى العَينَينِ، قَالَ محيي الدِّين الدرويش" وإِنَّمَا جَنَحَ إِلَى المَجَازِ لأَنَّهُ أَبْلَغ مِن الحَقِيقَة، فَكَأَنَّ عَينَيهِ ثَابِتَتَانِ فِي الرنو إِلَيهِم، وكَأَنَّمَا أَدرَكَتَا مَا لا تُدرِكَان، وَأَحَسَّتَا بِوُجُوبِ النَّظَرِ إِلَى هَؤُلاءِ، وَصَبْر النَّفس، وَرِيَاضتهَا عَلَى مُلازَمَتِهِم"[2].

فَنَهْيُ العَيْنَينِ المقصود مِنهُ نَهي لِصَاحِبِهِمَا؛ لِهَذَا جَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي بِالتَّعَدِّي إِلَى مَفعُولَينِ.

- يَقُولُ تَعَالَى ﴿أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي ٣٨ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾ [طه: 39]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة مَجَاز عَقلِي فِي قولِهِ تَعَالَى ﴿فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ فَقَد أَسنَدَ اللهُ الإِلقَاءَ إِلَى اليَمِّ وَهُو لا يَعقِل، ولَكِنَّهَا قُدرَةُ اللهِ وَمَشِيئَتُهُ وإِرَادَتُهُ عَزَّ فِي عُلاه، فَهُو الحَافِظُ سُبحَانَهُ.

كَيفَ لا يَحفَظُهُ البَحرُ بِقُدرَةِ اللهِ وَهُو وَحيٌ رَبَّانِي لأُمِّ مُوسَى يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [القَصَص:7]، وَمِنهُ قَولُ النَّابِغَة[3]:

رأيتك تَرْعَانِي بِعَيْنٍ بَصِيرَةٍ وَتَبْعَثُ حُرَّاسًا عَلَيَّ وَنَاظِرًا

- يَقُولُ تَعَالَى ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴾ [طه:78]

---

[1] . قُرِأت ﴿وَلَا تُعَدَّ﴾ بِضَمِّ التَّاءِ وَفَتْحِ العَيْنِ وَشَدِّ الدَّال المَكْسُورَة ﴿وَلَا تَعْدُ﴾، وَهِيَ قِرِاءَة الحَسَن البَصْرِي كَمَا قَرَأَهَا بِضَمِّ التَّاء وَسُكُونِ العَينِ ﴿وَلَا تُعْدِ﴾ وَمِنْهُ التَّوْجِيه يَخْتَلِف فَقَولُهُ ﴿وَلَا تُعَدَّ﴾ أي: لا تَتَجَاوَزْ بهنَّ.

[2] . محيي الدِّين الدرويش، إِعرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج4، ص476.

[3] . النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2. القاهرة: دت، دار المعارف، ص68.

المَجَازُ العقلِي فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ [1] جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْاَيْمَنَ﴾ الأَصل فِي المُوَاعَدَةِ أَنَّهَا لِمُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ وَلَكِن أُضِيفَت هَذِهِ المُوَاعَدَة إِلَيهِم، قَالَ محيي الدِّين الدرويش:" أَسْنَدَ المُوَاعَدَة إليهِم مِن قِبَلِ اللهِ كَمَا تُسنَدُ الأُمُور المُدرَكَة إِلَى من لَيسَ لَهُ إِدرَاك عَلَى حَدِّ المَجَازِ العَقلِي"[2]، والمُوَاعَدَة هُنَا هِيَ مُوَاعَدَةُ حَقٍّ وانتِصَارٍ لِمُوسَى وَقَومِهِ، وَتبيَانًا لِشَرِيعَةِ اللهِ المُنَزَّلَةُ عَلَى نَبِيِّ اللهِ مُوسَى ـ عَلَيهِ السَّلام ـ

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ فَإِذَآ أَنزَلْنَا ذعَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍۭ ﴾ [الحج:5] فِي الآيَةِ القرآنيَّة مَجَاز عَقلِي فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍۭ﴾ فَقَد أَسنَدَ الإِنبَات إِلَى الأَرْض مَعَ أَنَّهَا سَبَبٌ فِي الإِنبَاتِ وَقَد نَسَبَ اللهُ تَعَالَى الإِنبَات لِلأَرضِ فِي سُورَتَينِ مِنَ القُرآنِ الكَرِيمِ فِي سُورَةِ (الحَجّ) وَفِي سُورةِ (ق)، وَقَد عَقَدَ اللهُ تَعَالَى بَينَ البَعثِ وهُو الخُرُوجُ مِن الأَرْضِ وَمَا قَبْلَهُ مِن مَرَاحِل مِن خَلقِ الإِنسَانِ وَنَشأَتِهِ إِلَى إِعَادَةِ بَعثِهِ يَومَ القِيَامَةِ، وَبَينَ إِنبَاتِ الأَرضِ، فَالعَامِلُ المُشتَرَك هُو الأَرض والإِنبَات فِي كِلا الحَالَتَينِ، وَالمُنبِتُ هُو اللهُ تَعَالَى فَكَانَ الإِسنَادُ إِلَى الأَرضِ مَجَازً.

ـ يقُولُ تَعَالَى ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِۙ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَالَابْصَٰرُ﴾ [النُّور:36]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة مَجَاز عَقلِي فِي قولِهِ تَعَالَى ﴿يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَالَابْصَٰرُ﴾ فَقَد أَسنَدَ اللهُ تَعَالَى التقلُّب إِلَى القُلُوبِ والأَبصَارِ، وَهَذَا مِن شِدَّةِ الهَولِ والفَزَعِ لِمَا تَرَاهُ أَبصَارُهُم وتُحِسُّ بِهِ قُلُوبُهُم، وَقَد كَانَ هَذَا الوَصف لِلقُلُوبِ والأَبصَار فِي آيَاتٍ أُخرَى، وَمِنهُ قوله تعَالَى ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ٨ اَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌۭ﴾ [النَّازِعَات:8 ـ9]، وَقولِهِ تَعَالَى ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنَ اَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْاَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ ٱلظُّنُونَآ ﴾ [الأَحْزَاب:10]، وَقوله تَعَالَى ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ

[1] . قَرأَ أَبُو عَمرُو قوله تَعَالَى ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ﴾ بِدُونِ أَلِفٍ لأَنَّهَا مِنَ الوَعْدِ وَهُو مِن اللهِ تَعَالَى، والمُوَاعَدَة تَكُونُ بَيْنَ اِثْنَيْنِ.

[2] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج4، ص 710.

تَشْخَصُ فِيهِ اَلَابْصَٰرُ﴾ [الرَّعد:44]، ذَلِكَ اليَوم تَذهَل فِي العُقُول وتَشرُد، وتَتَقَلَّب فِيهِ القُلُوب وَالأَبصَار.

ـ يقُولُ تَعَالَى ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ اَلسَّمَآءِ اَيَةً فَظَلَّتَ اَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشُّعراء: 4]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة مَجَازٌ عَقلِي فِي قَوْلِهِ ﴿فَظَلَّتَ اَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ فَفِي الآيَةِ قَد أَسنَدَ اللهُ تَعَالَى الخُضُوعَ لِلأَعنَاقِ، وَالخُضُوع خَاصِّيَّة مِن خَصَائِصِ العُقَلاء، وَتَقدِير الكَلام: فَظَلُّوا لَهَا خَاضِعِين، وَفِي هَذِهِ الآيَةِ أَقوَال مُتَعَدِّدَة.

وَمِن تَوجِيهَاتِ الآيَة القُرآنِيَّة أَنَّ لَفظَ ﴿اَعْنَٰقُهُمْ﴾ عِندَ العَرَبِ تَعنِي الجَمَاعَة، ومُفردُهَا (عُنُق) التي تَعنِي قَائِدَ القَومِ وَهُو رَأْسُ القَومِ، فَلَو سَمِعُوا آيَةً مِن آيَاتِ اللهِ لَخَضَعُوا جَمِيعًا دُونَ الرُّجُوعِ إِلَى سَادَتِهِم؛ لأَنَّ الحُجَّةَ والمُعجِزَة أَكبَر وَأَقوَى.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ اَلْمُسْرِفِينَ﴾ [الشُّعَرَاء:151]

فِي الآيَةِ القُرآنية مَجَاز عَقلِي، فِي الآيَةِ أَسْنَدَ الطَّاعَة لِلأَمر، وإِنَّمَا تَكُون لِصَاحِبِ الأَمر، أَي: وَلا تُطِيعُوا المُسرِفِينَ فِي أَمرِهِم.

مِن تَوجِيهَاتِ الآيَةِ القُرآنِيَّة أَنَّ الطَّاعَةَ لا تَكُونُ لِلمُسْرِفِينَ مِن أَكَابِرِ القَومِ مِمَن يُضِلُّونَ قَومَهُم وَيَهدِمُون أُمَّتَهُم.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [النَّمل:13]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة مَجَاز عَقلِي علاقتُه سبَبِيَّة فِي قَوله تَعَالَى ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾ فَقَد أَسْنَدَ الإبصار إِلَى الآيَاتِ عَلَى الرَّغمِ مِن أَنَّ الآيَاتِ هِيَ سَبَبُ الإبصَار، وَمِنهُ علاقَةُ هَذَا المَجَاز السَّبَبِيَّة فَيقصِد بِذَلِكَ المُبصِر لِهَذِهِ الآيَات الظَّاهِرَة، وَيُمكِنُ إِطلاقُ هَذَا الإبصَار لِكُلِّ نَاظِرٍ لَهُ عَقل يَتَدَبَّر وَيَتَفَكَّر وَيَتَّعِظ فِي آيَاتِ اللهِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ اَنَّا جَعَلْنَا اَلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِے ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُومِنُونَ ﴾ [النَّمل: 86]

المَجَازُ العَقلِي فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِراً﴾ فَقَد أَسنَدَ الإبصَار إِلَى الزَّمَانِ، وَفِي آيَاتٍ أُخْرَى فَقَد أَسنَدَ الإبصَار إِلَى نَاقَةِ صَالِح، وَهِيَ آيَةٌ مِن آيَاتِ اللهِ.

فَالنَّهَار هُو سَبَبُ الإبصَار، فَالنَّهَار يُبصَر فِيهِ، فَهُو وَسِيلَة لِقَضَاءِ الحَوَائِجِ وَطَلَبِ الرِّزقِ، كَمَا جَعَلَ اللهُ اللَّيْلَ لِلسَّكَنِ والرَّاحَةِ وَالهُدُوءِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [القصص:66]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة مَجَازٌ عَقلِي فِي قوله ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾ فَقَد أَسنَدَ العَمَى إِلَى الأَنبَاءِ، وَقِيلَ إِنَّهُ مِن بَابِ القَلبِ وتَقدِيرهُ: فَعَمَوا عَن الأَنبَاءِ.

أَضَافَ اللهُ تَعَالَى العَمَى إِلَى الأَنبَاءِ وَلَيسَ الأَخبَار، فَالنَّبَأ يَختَلِف عَنِ الخَبَرِ، فَالنَّبَأ لا يَكُون إلا صِدْقًا وَيَقِينًا بِخِلافِ الخَبَر الذِي يَحتَمِلُ الصِّدْقَ وَالكَذِب، وَقَد قَصَّ اللهُ عَلَينَا أَنبَاءَ الأُمَم السَّابِقَة وَأَنبَاءَ عَن الغَيبِ وَغَيرهَا يَقُولُ تَعَالَى ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنَ ٱنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْراً﴾ [طه:99] جَاءَتهُم الأَنبَاء لَم يُصَدِّقُوهَا وَعَمَوا عَنهَا فَسَوفَ يَأتِيهِم مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون، وَنَتِيجَةَ تَكذِيبِهِم لِهَذِهِ الأَنبَاء يَقُولُ تَعَالَى ﴿ فَقَدْ كَذَّبُواْ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الشُّعَرَاء:6].

هَؤُلاء الذِينَ تَكَلَّم اللهُ عَنهُم وَصَفَهُم بِعَمَى البَصَرَ وَالبَصِيرَة قَرَنَهَا بِالأَنبَاءِ، فَالأَنبَاء وَاضِحَة جَلِيَّة وَصَادِقَة وَالإيمَان بِهَا مُطلَق لا جِدَال فِيهِ وَلا حِجَاجَ، فَهَذِهِ الأَنبَاء لَا يُمكِن أَن تَعمَى عَنهَا بَصِيرَة أَو بصر.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴾ [الرُّوم:34]

فِي الآيَةِ القرآنية مَجَاز عقلِي فقَد أَسْنَدَ الكَلام للشَّواهِد العلميَّة فِي قولِهِ تَعَالَى ﴿ أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰناً[1] فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ وَمَعنَاه الدلالَة وَالشَّهَادَة، فَهُو يَشهَدُ بِشِركِهِم، أَو بِالذِي يُشرِكُونَ بِهِ"[1]، فَالكِتَاب الذِي أَنزَلَهُ اللهُ تَعَالَى يُبَيِّنُ شِركَهُم وَبُعدَهُم عَنِ الحَقِّ.

[1] . إِنَّ كَلِمةَ ﴿ سُلْطَٰناً﴾ تُذكَّرُ وتُؤنَّث ولَهَا مَعَانِي مُخْتَلِفَة، ذَكَرَ القُرطُبِي أَنَّ الفَرَّاءَ قَالَ: إِنَّ العَرَبَ تُؤنِّثُ السُّلطَان، تَقُولُ: قَضَت بِهِ عَلَيكَ السُّلطَان. فَأَمَّا البَصريُون فَالتذكِير عِندهُم أَفْصَح، وَبِهِ جَاءَ القُرآن الكَرِيم، والتَّأنِيث عِندَهُم جَائِز لأَنَّهُ بِمَعْنَى

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ أَمْ تَامُرُهُمُ أَحْلَٰمُهُم [2] بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الطُّور :30]

فِي الآيَةِ القرآنية مَجَاز عَقلِي علاقته إسنَادِيَّة فِي قَولِهِ ﴿أَمْ تَامُرُهُمُ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ﴾ فِي الآيَةِ أَسْنَدَ اللهُ الأَمْرَ لِلأَحلامِ وَمِن تَوجِيهَاتِ الآيَة القُرآنِيَّة أَنَّ العُقُولَ تَعقِلُ أَصحَابَهَا مِن الوُقُوعِ فِي الزَّلَلِ، فَهَل حَكَّمُوا عُقُولَهُم فِي ذَلِكَ أَم أَنَّهُم اِتَّبَعُوا ذَلِكَ الأَمرَ وطَغَوا فِيهِ دُونَ الرُّجُوعِ إِلَيهَا، وَحَقِيقَة الأَمرِ لَو كَانَت لَهُم عُقُول حَقِيقِيَّة تُفَكِّر وَتَتَدَبَّر لَكَانَتِ متَّبِعةً لِلرَّسُولَ والكِتَاب المُنَزَّلَ إِلَيهِ، وإِنَّمَا لَهُم أَذْهَان قَاصِرَة وَعَاجِزَةً مُتَّبِعَةً لِلهَوَى.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ تَدْعُواْ مَنَ اَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [المَعَارِج:17]

فِي الآيَةِ القرآنية مَجَاز عَقلِي مِن خِلالِ أَلْفَاظِهِ لَهُ مَجمُوعَة مِن التَّوجِيهَاتِ، فَمِن تَوجِيهَاتِ الآيَة القُرآنِيَّة أَنَّ القرآنَ الكَرِيم عَبَّرَ بِلَفظَينِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنهَا يُعَبِّرُ عَنِ الإِعرَاضِ وَهِيَ قَولُهُ تَعَالَى ﴿اَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ فَالإِدبَار وَالتَّوَلِّي، فَكَانَ الإِدبَار وَهُو المُقَابَلَة بِالظَّهرِ لِلمُستَمِع، ثُمَّ جَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي بِالتَّوَلِّي وَهُو الرُّجُوع وَكِلَا اللَّفْظَينِ يَختَلِفَانِ عَن بَعضِهِمَا البَعض؛ فَالإِدبَار عَن الحَقِّ بَعدَ سَمَاعِهِ وَالتوَلِّي يَكُون إِلَى ضِدِّ الحَقِّ وَهُو البَاطِل وَالتوَجُّه إِلَيهِ، وَالمُدبِر يَكُون قَد

الحُجَّة، أَي حُجَّة تَنطِقُ بِشِرْكِكُم، والسُّلطَان فِي القُرآنِ الكَرِيم وَرَدَ بمَعَانِي مُخْتَلِفَة مِنهَا: العِلم فِي قَولِهِ تَعَالَى﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلِانسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنَ اَقْطَارِ اِلسَّمَٰوَٰتِ وَالَارضِ فَانفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرَّحْمن:31]، وبِمَعنَى التَّسْلِيط والقُدْرَة عَلَى الشَّيْء وَمِنهُ قَوله تَعَالَى ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَتِے حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰناً فَلَا يُسْرِف فِّے اِلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُوراً﴾ [الإسراء:33]، بِمَعنَى الحُجَّة والبَيَان وَمِنهُ قَوله تَعَالَى ﴿ سَنُلْقِے فِے قُلُوبِ اِلذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰناً وَمَأْوِيٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِيسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران:151] وَمِنهُ السُّلطَان هُو حُجَّةُ اللهِ فِي الأَرْضِ، وَمِنْهُ قَولُهُ تَعَالَى ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَّامَنُوكُمْ وَيَامَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰناً مُّبِيناً ﴾ [النِّسَاء:90] وَمِنْهُ قَولُهُ تَعَالَى ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰناً فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [القَصَص:35].القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص26،27. بتصرّف.

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ ،ج6، ص58.

[2] . كَلِمَةُ ﴿أَحْلَامُهُمْ﴾ مُفْرَدُهَا الحُلم وَهُو مَا يَراهُ النَّائِمُ فِي مَنَامِهِ، وَ ﴿ أَحْلَٰمُهُم ﴾ مَا تَقُولُهُ عُقُولُهُم، والحِلْم بِكَسرِ الحَاءِ يَرتبِطُ بِالعَقْلِ وهُو الوَقَار السَّكِينَة والثَّبَات وَحُسنَ التَّدبِيرِ والمُعَامَلَةِ وضبطُ النَّفسِ عندَ الغضبِ، فِفِيهِ كَمَالٌ للعَقلِ والرَّأيِ، والحُلُم مُرتَبِط بِالعَقلِ وَمِنهُ الاِحتِلام الذِي لا يَكُون إِلَّا للبَالغِ ويَصِيرُ الإِنسانُ مُكَلفًا شَرعًا.

اِسْتَمَع إِلَى الحَقِّ لَكِنَّهُ أَعرَضَ عَنهُ، فَأَعْرَضَ عَنِ الإِيمَانِ والطَّاعَة وَاسْتَمَرَّ فِي غَيِّهِ فَأَخَذَ يَجْمَعُ حُطَامَ الدنيَا.

ـ يقُولُ تَعَالَى ﴿وَالضُّحَىٰ ١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضُّحَى:2]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة مَجَاز عَقلِي فَقَد أَسنَدَّ السُّكُون إِلَى الليلِ؛ فَكَلِمَةُ سَجَى تَعنِي السُّكُون وَمِنهُ قَول الأَعشى[1]:

أَتُوعِدُنِي أَن جَاشَ بَحرُ ابْنُ عَمِّكُم وبَحْرُكَ سَاجٍ[2] مَا يُوَارِي الدَّعَامِصَا

وفِي الآيَةِ إِضمَار أَي: وَرَبِّ الضُّحَى، فَاللهُ تَعَالَى يُبَيِّن للنَّاسِ الآيَاتِ والدلائِل ليُؤمِنُوا وَيَتَفَكَّرُوا ويَتَدَبَّرُوا، وقَد جَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي فَأقسَمَ اللهُ تَعَالَى بِالضُّحَى وَهُو مِنَ سَاعَاتِ النَّهَارِ وَهُو بِدَايَةُ النُّورِ فِي الصَّبَاحِ، ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى وَحَقَّ الذِي جَعَلَ الظُّلُمَاتِ والنُّورِ، وَحَقَّ الذِي سَلَخَ النَّهَار مِن الليلِ، فَآيَاتُ اللهِ تَعَالَى بَيِّنَة وَاضِحَة جَلِية عليهَا مِنَ اللهِ نُور، يَرَاهَا وَيُشَاهِدُهَا كُل إنسَان يَرَى هَذِهِ الآيَات.

وَقَد أَقسَمَ اللهُ بِالضُّحَى وَهُو وَقت طُلُوع الشَّمس قَيْدَ رُمحٍ أَو رُمحَينِ فَهُو بِدَايَةُ نُورِ النَّهَارِ فَكَذَلِكَ رِسَالَةُ النَّبِي مُحمَّد ﷺ وَالذِي بَعَثَهُ اللهُ بِالحَقِّ المُبِينِ فَوَقتُهُ هُو بِدَايَةُ نُورِ الإِسلام.

ـ يقُولُ تَعَالَى ﴿ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ [العَلَق:16]

فِي الآيَةِ القرآنية مَجَاز عَقلِي فَقَد أَسنَدَ الكَذِب والخَطأ إِلَى النَّاصِيَة، وَنَزَلَت هَذِهِ الآيَة مِن سُورَةِ العَلَق فِي أَبِي جَهلٍ، فَقَد كَانَ يُهَدِّد وَيَتَوَعَّد النَّبِيَّ ﷺ عِندَمَا كَانَ يَرَاهُ يُصَلِّي وَيَتَعَبَّد رَبَّهُ، فَتَوَعَّدَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ سَوفَ يَأخُذُهُ مِن ناصِيَتِهِ إِلَى النَّارِ والعِيَاذُ بِاللهِ.

والنَّاصِيَة ذَكَرَهَا النَّبِي ﷺ وَأَنَّها قَد تَكُونُ نَاصِيَةَ خَيرٍ أَو نَاصِيَةَ شَرٍّ، فَنَجِد الدُّعَاء الوَارِد عَنِ النَّبِيِّ ﷺ للزَّوجَينِ، فَإِنَّ الزَّوجَ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى نَاصِيَةِ زَوجَتِهِ، كَمَا تَضعُ الزَّوجَةُ يَدَهَا

[1] . الأعشى، ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتحقيق: محمد حسين، دط. القاهرة: 2012، المطبعة النموذجية، 151.

[2] . سَاجٍ، هِيَ كَلِمَة مُشْتَقَّةٌ مِن سَجَى وَلَهَا ثَلاثُ مَعَانِي فِي اللغَةِ، فَهِي بِمَعنَى سَكَنَ وأَظلَمَ وَغَطَّى، ذَكَرَ الإِمَام فَخر الدِّين الرَّازِي فِي تَفْسِيرِهِ أَنَّ ﴿سَجَى﴾ لَهَا ثَلاثُ مَعَانِي فَهِي بِمَعنَى سَكَن وهُو قَولُ المُبرِّد وأَبُو عُبيدَة والزَّجَّاج، وبِمَعنَى أَظلَمَ وهُو قَولُ الفرَّاءِ، وبِمَعنَى غَطَّى وَهُو قَولُ الأَصمَعِي وابن الأَعْرَابِي.بتصرف.

عَلَى نَاصِيَة زَوجِهَا وَتَقُولُ كَمَا وَرَدَ عَن النَّبِيِّ ﷺ وَهُو مَا رُوِيَ عَن عَمرُو بن شُعَيب عَن أَبِيهِ عَن جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:(إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُم اِمْرَأَةً، أَو اِشْتَرَى خَادِمًا فَلْيَقُل: اللَّهُم إِنِي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْر مَا جَبَلتهَا عليهِ، وَأَعُوذ بِكَ مِن شرِّهَا وَشَرِّ مَا جَبَلتهَا عَلَيهِ)[1].

وَمِنَ الأَدِلَّةِ عَلَى أَنَّ النَّاصِيَة هِيَ مَركَزُ التَّحَكُّم وَالأَوَامِر وَالكَذِب وَالصِّدق، فَقَد رُوِيَ عَن عَبد اللهِ بن مَسعُود ـ رَضِيَ اللهُ عَنهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌ وَلا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبدُكَ، ابن عَبدِكَ، ابن أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكمكَ، عَدلٌ فِيَّ قَضَاؤكَ..."[2].

وإِسنَادُ الكَذِب للنَّاصِيَةِ هُو مَا أَثْبتَهُ العِلمُ الحَدِيث وَهُو أَنَّ الإِعجَازَ القُرآنِي أَثبَتَ أَنَّ النَّاصِيَةَ التي تَقَعُ فِي مُقَدمةِ الرَّأْس أَسفَلَ الجَبهَةِ وَيَقَع فِيهَا المُخ أَي: أَنَّهَا هِي المَسؤُولَة عَنِ اِتِّخَاذِ القَرارَاتِ، والكَذِب والخَطَأ، وبَالتَّالِي فَإِنَّ النَّاصِيَةِ هِيَ مَن تَقُودُ الإِنسَانَ؛ لأَنَّهَا هِيَ المَسؤُولَة عَن إِصدَارِ الأَوَامِرِ، وَهُنَا يَظهَرُ إِعجَازُ القُرْآنِ فِي الكَلامِ عَنِ النَّاصِيَةِ وَوَظَيفتهَا وَطَبِيعَة عَمَلِهَا قَبلَ أَن يَتَوَصَّلَ العِلم الحَدِيث إِلَى هَذِهِ الحَقِيقَة[3].

---

[1] . رواه أبو داوود رقم(2160) وابن ماجه(2252)، الحاج بن مامي، كنوز الخيرات في المأثور من الأذكار والدعوات، ط1. الجزائر: 2017، دار الإمام مالك، ص96.

[2] . رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد فِي مُسْنَدِهِ تَحْتَ رَقْم(3712):، وَصَحَّحَهُ الصنعَاني وَالشّيخ أَحْمَد شَاكِر والألبَانِي كَذَلك الشّيخ شُعَيْب الأرناؤُوط، "فِي تَحْقِيقِ الأَذْكَار" للنَّوَوِي، تح: الأرنَاؤوط ص123، الإِنصَاف فِي حَقِيقَة الأولِيَاء وَمَا لَهُم مِنَ الكَرامَات والألطَاف"، ص102.

[3] . هَذَا مَوجُودٌ فِي دِرَاسَةٍ للشَّيخِ عبد المَجيد الزندَانِي نَشَرهُ تحْتَ عنوان: الإِعجَازُ فِي قَولِهِ ﴿ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ بتاريخ:2013/1/3، بِتَصَرُّف.

المَبحَثُ الثَّالِث: الكِنَايَةُ وتَوجِيه المَعْنَى القُرآنِي.

1 ـ الكنايةُ لغةً واصطلاحًا:

أ ـ الكِنَايَة لُغَةً: وَرَدَ فِي لِسَانِ العَرَبِ لابن مَنظُور أَنَّ الكِنَايَةَ:" أَن تَتَكَلَّمَ بِشَيءٍ، وَتُرِيد غَيْرَهُ وَكَنَّى عَنِ الأَمْرِ بِغَيْرِهِ يُكَنِّي كِنَايَةً، وَتَكَنَّى: تَسَتَّرَ مِن كَنَّى عَنهُ إِذَا وَرَى، أَو مِن الكُنيَة"[1].

ب ـ اِصطَلاحًا: عَرَّفَهَا الجُرجَانِي بِقَولِهِ:" الكِنَايَة أَن يُرِيدَ المُتَكَلِّم إِثْبَات مَعنَى مِن المَعَانِي فَلا يَذكُره بِاللَّفْظِ المَوضُوعِ لَهُ فِي اللغَةِ وَلَكِن يَجِيءُ إِلَى مَعْنَى هُو تَالِيهِ وردفهُ فِي الوُجُودِ فَيُومِئ بِهِ إِلَيْهِ وَيَجعله دَلِيلاً عَلَيهِ، مِثَال ذَلِك قَولهُم: هُو طَوِيلُ النّجَاد يُرِيدُونَ طَوِيل القَامَة... وَفِي المَرأَةِ نَؤُومُ الضُّحَى والمُرَاد أَنَّهَا مُترفَة مَخدومَة"[2].

وأَمَّا محيي الدِّين الدرويش فَقَد اِهتَمَّ بِالكِنَايَةِ وَجَعَلَ لَهَا نَصِيبًا فِي دِرَاسَتِهِ لِلجَانِبِ البَلاغِي، وَفِي ثَنَايَا كِتَابِهِ نَجِدُهُ يُعَرِّفُ الكِنَايَة بِتَعرِيفَاتٍ مُقْتَبَسَة مِن أُمَّهَاتِ كُتُبِ البَلاغَةِ وَمِن عُلَمَاءَ مُخْتَصِّينَ مُنَظِّرِينَ لَهَا كَالإِمَامِ الزَّمَخشَرِي وابن الأَثِير وابن أَبِي الإِصبع وَغَيرهم، وَقَد عَرَّفَ الكِنَايَة بِقَوْلِهِ:" الكِنَايَة هِيَ أَن تَذكُرَ الشَّيء بِغَيرِ لَفظِهِ المَوضُوع لَهُ"[3].

وَالكِنَايَة لَهَا دَور فِي تَقرِيبِ المَعَانِي وَمِن مَزَايَاهَا قَالَ محيي الدِّين الدرويش:" أَنَّ الكِنَايَةَ مَزِيَّة إِعطَاء المَعَانِي صُورة المُحَسَّات، وَهَذِهِ المَزِيَّة مِن أَبرَزِ خَوَاص الفُنُون، فَإِنَّ المُصَوِّرَ إِذَا رَسَمَ لَكَ صُورَةً لِلأَمَلِ أَو اليَأس بَهَرَكَ، وَجَعَلَكَ تَرَى مَا كُنتَ تَعجِزُ عَن التَّعبِيرِ عَنهُ وَاضِحًا مَلمُوسًا، وَعَلَى هَذَا تَتَّضِحُ لَكَ رَوعَة الصُّورَة لِهؤُلاءِ الذِينَ ضُرِبَت عَلَى قُلُوبِهِم الأَسدَاد، وَتَبَلَّدَت مِنهُم الأَذهَان، فَمَا تَتَمَخَّض عَن ذَوقٍ، ولا تُسفِر عَن فَنّ، ولا تُهَيِّج إِلَى مَعرِفَة"[4] وَمِن أَغرَاضِ الكِنَايَةِ أَن تَكُونَ فِي" جَعلِ الأَكِنَّة عَلَى القُلُوبِ، وَالوَقرَ فِي الآذَانِ عَن نُبُوِّ قُلُوبِهِم

---

[1] . بن منظُور: لسَانُ العَرَبِ، دط. القَاهِرَة: دت، دَارُ المَعَارِفِ، مَادَّةُ (كنَّى).

[2] ـ الجُرْجَانِي، دَلائِلُ الإِعْجَاز، ص52.

[3] . محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج3، ص114.

[4] . المصدر نَفْسُهُ، ج2، ص347.

ومَسَامِعِهِم عَن قَبُولِ الحَقِّ وَالإِعتِقَاد بِصِحَّتِهِ"[1]، وَأَفضَلُ الكِنَايَات مَا وَرَدَت فِي القُرآنِ الكَرِيم، وأَمَّا الكِنَايَات الأُخْرَى الوَارِدَة فِي الشِّعرِ خَاصَّة، مِنهَا مَا هُو حَسَن عَذب، وَمِنهَا مَا هُو قَبِيح، وَقَد عَالَجَ محيي الدِّين الدرويش بَعضَهَا.

2 ـ الكِنَاية وتَوجِيه المَعنَى القُرآنِي عِندَ محيي الدِّين الدرويش.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البَقَرة:96]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة كِنَايَة فِي قَوله تَعَالَى ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وَهِيَ كِنَايَة عَنِ الكَثْرَةِ قَالَ محيي الدِّين الدرويش:" وهِيَ كِنَايَة عَنِ الكَثْرَة، فَلَيسَ المُرَاد خُصُوص"[2]، يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُم يَتَمَنَّونَ البَقَاءَ عَلَى تَمَنِّي المَوت، فَهُم حَرِيصِينَ كُلَّ الحِرصِ عَلَى الحَيَاةِ، وَسَبَب هَذَا الحِرص هُو مَعْرِفَتُهُم بِذُنُوبِهِم، صِفَة الحِرص عَلَى الحَيَاةِ هِيَ مِن صِفَات اليَهُود.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ إِنَّ ٱلذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِے ٱلاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ ﴾ [آل عمران:76]

فِي هَذِهِ الآيَة كِنَايَة وَهِيَ قَوله تَعَالَى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وَهِيَ كِنَايَة عَنِ الغَضَبِ والطَّرد مِنَ الرَّحمَةِ والسَّخَط، وَهِيَ كِنَايَة عَنِ الأَعمَال المُخَالِفَة التي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا وَهِيَ مُخَالِفَة لِصِفَاتِ المُؤمِن ولأَهلِ الإِيمَان.

وَقَد تَكُون مِن بَابِ المَجَازِ وَهُو مِن بَابِ الإِستِهَانَةِ بِهِم، وَالسَّخَط عَلَيهِم، فَهُو لا يُثنِي عَلَيهِم ولاَ يُنَمِّي أَعمَالَهُم ولا يُزَكِّيهَا لَهُم؛ لأَنَّهُم أَغضَبُوا اللهَ تَعَالَى.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿هَآنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُومِنُونَ بِالْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلانَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران:119].

---

[1] . محيي الدين الدرويش، إعْرَابُ القُرآنِ الكَرِيم وبيانُهُ، ج2، ص347.

[2] . المصدر نفسه، ج1، ص145.

فِي هَذِهِ الآيَة القرآنية كِنَايَة عن الحَسرةِ والنِّفَاق فِي قولِهِ ﴿عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ[1] مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" وَعَضُّ الأَنَامِلِ كِنَايَة عَن صِفَة، وَقَد جَرَتِ عَادَةُ العَرَبِ عَلَى التَّعبِيرِ عَنِ المُغتَاظِ النَّادِمِ عَلَى مَا فَعَلَ بَعض الأَنَامِلِ وَالبَنَانِ"[2]، وَمِن ذَلِكَ قول أَبِي طَالِب[3]:

يَعُضُّونَ غَيظًا خَلْفَنَا بِالأَنَامِلِ

وَعَضُّ الأَنَامِل يَكُونُ نَتِيجَةَ الغَيظِ الشَّدِيد والحَسرة عَلَى مَا فَات.

- يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنعام:165].

فِي الآيَةِ القرآنية كِنَاية عن الرِّفعَة والمَكَانَة فِي قَولِهِ ﴿وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" وَهَذَا التفَاوُت لَيس نَاشِئًا عن عجز عَن المُسَاوَاةِ بَينَهُم، وَلَكِن لِلابْتِلاء وَالاِمْتِحَانِ"[4]، وَسُنَةَ اللهِ فِي خَلقِهِ، فَهُو أَعلَم بِعِبَادِهِ، فَهُنَاكَ مَن لا يَصلح مَعَهُ إِلَّا الفَقر، فَلَو أَغنَاهُ اللهُ تَعَالَى لَفَسَدَ أَمره وَالعَكس، وَهَذَا لَيسَ ظُلمًا فَالإِنسَان يَرسمُ مَسَارَ حَيَاتِهِ فَطَرِيقُ الخَيرِ مَعْرُوفَةٌ، وَطَرِيقُ الشَّرِّ مَعرُوفَة وَهُو يَختَار، وَحَتَّى الأَنبِيَاء رَفعَ اللهُ بَعضَهُم فوق بعضٍ دَرَجَاتٍ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُۘ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ ﴾

وَالرَّفعُ فِي الدَّرجَاتِ يَكُونُ فِي الخَلقِ وَالرِّزق وَالقُوَّة وَالبَسطَة وَالفَضل وَالعِلم[5]

---

[1] . الأَنَامِل جَمع مُفردهَا أُنْمُلَة بِضَمِّ المِيمِ وَيُقَالُ بِفَتحِهَا، وَالضَّم هُو الأَشْهَر، والأَنَامِلُ هِي أَطْرَافُ الأَصَابِع، وَهُنَاكَ خِلافٌ بَيْنَ الأَنَامِلِ والبَنَان وَالإِبهَام.

[2] ـ محيي الدِّين الدّرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ،ج1، ص520.

[3] . القُرطُبِي، أَبِي عبد الله محمَّد بن أحمد الأنصَارِي القُرطُبي، الجَامِع لأحكَام القُرآن، القُرطُبِي، ط1. القاهرة: 2005، مكتبة الصَّفا، ج4، ص126.

[4] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج2، ص505.

[5] . القُرْطُبِي، فَالعِلم فِي رِفعَةِ أَهلِهِ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾ [يُوسُف:76]، ويَقُولُ تَعَالَى ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [المُجَادلَة:11] وَفِي الرِّفْعَةِ فِي الدرجَة أَمَامَ الخَلقِ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنعام:84]، وَفِي الرِّزْقِ يقُولُ تَعَالَى ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ﴾ [الإسرَاء:21]،

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِے سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّے رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف:66] فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة كِنَايَة فِي قوله ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِے سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّے رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" فَقَد كَنَّى عَن تَكذِيبِهِم بِقَولِهِ لِهُود عَلَيهِ السَّلام ﴿ إِنَّا لَنَرِيٰكَ فِے سَفَاهَةٍ﴾"[1]، فَالسَّفَاهَة المَقصُود بِهَا الحُمق وَقِلَّة العَقل، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ[2]:

مَشَينَ كَمَا اِهْتَزَّت رِمَاحٌ تَسَفَّهَت أَعَالِيها مرّ الرِّيَاحِ النَّوَاسِمِ

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِےٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ اَنَّهُمْ قَد ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعرَاف:149].

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة كِنَايَة فِي قَولِهِ ﴿سُقِطَ فِےٓ أَيْدِيهِمْ﴾ وهِيَ دَلِيل عَلَى النَّدَمِ، قَالَ محيي الدِّين الدرويش" فَإِنَّ العَادَةَ أَنَّ الإِنسَانَ إِذَا نَدِمَ عَلَى شَيءٍ عَضَّ بِفَمِهِ عَلَى أَصَابِعِهِ، فَسُقُوطُ الأَفوَاهِ عَلَى الأَيدِي لازِمٌ للنَّدَمِ، فَأُطلِقَ اسم اللازِم، وَأُرِيدَ المَلزُوم"[3]، فَالنَّادِم عَلَى فِعلِ شَيءٍ يَعُضُّ عَلَى يَدِهِ وَمِنهُ قوله تَعَالَى ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِے إِتَّخَذتُّ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ [الفرقان:27]، وَالظَّالِم هُو الظَّالِمُ لِربِّه أَو لِغَيرِهِ أَو لِنَفسِهِ، وَالنَّدَم يَكُونُ فِي القَلبِ وَلَكِنَّهُ أَضَافَهُ إِلَى اليَدِ؛ لأَنَّ الأَثَرَ يَكُونُ وَيَظهَرُ فِي الجَسَدِ، وَقَد ذَكَرَ الضَّلالَ بَعدَهَا والضَّلال والهُدَى مَركَزهُمَا والنَّاطِق الرَّسمِي لَهُمَا القَلب.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلذِينَ لَا يُومِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ اٰلَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اَللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَنْ يَّدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التَّوبة:29].

وَيَقُولُ تَعَالَى ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف:32]

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج2، ص575.

[2] . القُرطُبِي، أبِي عبد الله محمَّد بن أحمد الأنصَارِي القُرطُبي، الجَامِع لأحكَام القُرآن، القُرطُبِي، ط1. القاهرة: 2005، مكتبة الصَّفا، ج7، ص187.

[3] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج2، ص49.

فِي الآيَةِ القرآنيَّة كِنَايَة فِي قَوله ﴿عَنْ يَّدٍ﴾ وَهِيَ كِنَايَة عَن الانقيَادِ التَّام، والجِزيَةُ مَأخُوذَةٌ مِنَ الجَزَاءِ وَهِيَ جَزَاءُ الكُفرِ وَهِيَ مِن الإسلامِ فَلا جِزيَة بِلا إسلام، وجَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي بِاليَدِ التي تَعنِي القُوَّة، وَالجِزيَة تُعطَى يَدًا بِيَدٍ، وَهَذَا فِيهِ دَلِيل عَلَى الإنقِيَادِ المَفرُوضِ عَلَيْهِم بِغَيرِ اِمْتِنَاعٍ صَاغِرِينَ أَذِلاءَ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿اَلْمُنَٰفِقُونَ وَالْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَامُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ اَلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ اَلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ اَلْفَٰسِقُونَ ۚ﴾ [التوبَة:67]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة كِنَايَة فِي قوله تَعَالَى ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ وَهِيَ كِنَايَة عَنِ البُخلِ والشُّحِّ، قَالَ محيي الدِّين الدرويش" والأَصلُ فِي هَذِهِ الكِنَايَة أَنَّ المُعطِي يَمُدُّ يَدَهُ وَيَبسطهَا بِالعَطَاءِ فَقِيلَ لِمَن مَنَعَ وَبَخِلَ قَد قَبِضَ يَدَهُ، فَهُم قَبِضُوا أَيدِيَهُم عَن كُلِّ طَاعَةٍ مِن أَمرٍ وَنَهيٍ، وَبِتَركِهِم للطَّاعَةِ نَسوها فَنَسِيَهُمُ اللهُ.

. يَقُولُ تَعَالَى ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَاتِيهِ اَلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِنْ وَّرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ۖ﴾ [إبراهيم:17]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة كِنَايَة فِي قَوله تَعَالى ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ ۖ﴾[1] هَذِهِ تُبَيِّنُ أَنَّ العَذَابَ غَلِيظ والغِلظَة دلالَة عَلَى قُوَّةِ هَذَا العَذَاب، وأَنَّهُ مُتَواصِل غير مُنقَطِع عبر فترة العَذَاب فَلا انقِطَاعَ ولا رَاحَة، فَالغَلِيظ هُو الخَشِن مِنَ الجِسمِ وَحَقِيقَةُ الأَمرِ فَالعَذَاب يَومَ القِيَامَة غَلِيظ؛ لأَنَّ العَذَابَ لا يَنتَهِي بِإنتِهَاءِ الأَجسَادِ؛ لأَنَّ اللهَ تَعَالَى يُبَدِّلهَا وَيُجَدّدهَا لِيَزدَادُوا عَذَابًا وَيَتَذَوَّقُوهُ، يَقُولُ تَعَالَى ﴿إِنَّ اَلذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً ۖ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ اَلْعَذَابَ ۗ إِنَّ اَللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً ۖ﴾ [النِّسَاء:56].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ اَصْحَٰبُ اَلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ۖ﴾ [الفُرقَان:24]

---

[1] . وَصَفَ اللهُ تَعَالَى العَذَابَ بِأَنَّهُ غَلِيظٌ فِي أَرْبَعِ سُوَرٍ مِنَ القُرآنِ الكَرِيم، يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [هود:58]، وَيَقُولُ تَعَالَى ﴿يَتَجَرعُهُ ولا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ المَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُو بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾، وَيَقُولُ تَعَالَى ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمَان:24]، وَيَقُولُ تَعَالَى﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [فُصِّلَت:54]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة كِنَاية فِي قوله ﴿مُّسْتَقَرّاً﴾ و﴿مَقِيلاً﴾، المُسْتَقَر: هُو مِنَ الاِستِقرَارِ والمُقَام، وَقَد ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى فِي آيَةٍ أُخرَى مِن سُورَةِ الفُرقَان مُستقر أَهل النَّار فَقَالَ تَعَالَى ﴿ اِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً ﴾ [الفُرقَان:66]، فَأَصحاب الجَنَّةِ فِي خير مُستَقَرٍ وأَحسَن مَقِيلٍ؛ لأَنَّ القَائِلَة وَهِيَ وَقت الظَّهِيرَة التي تَكُون الشَّمس فِيهَا مُرتَفِعَة فَأَصحَاب الجَنَّةِ فِي وَقتٍ صَعبٍ كَهَذَا فَهُم فِي أَحسَنِ مَقِيلٍ؛ لأَنَّهُم فِي الجَنَّةِ، وأَمَّا أَصحَاب النَّار فَهُم فِي أَسوءِ مُستَقَرٍّ وأسوء مَقِيلٍ، لأَنَّ الاِستِقرَارَ فِي النَّارِ والمَقِيل فِيهَا هُو مِن أَسوَءِ الحَالاتِ، وَهَذِهِ الكِنَايَة صَوَّرَت لَنَا حَالَ أَهل الآخِرَة مِن أَهلِ الجَنَّةِ، وَحَال أَهل النَّار.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِے ٱتَّخَذتُّ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ [الفُرقَان:27]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة كِنَايَة فِي قَولِهِ ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ [1] عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ وَهِيَ كِنَايَةٌ عَنِ النَّدَمِ والحَسْرَة والتَّفْرِيط.

جَاءَ التَّعْبِيرُ القُرآنِي بِلَفْظِ الظَّالِمِ وَفِي الآيَةِ لَهَا مَعَانِي مِنهَا:

ـ الظَّالِمُ للهِ تَعَالَى، وَالمَقصُود بِظُلْمِ اللهِ تَعَالَى هُو الإشرَاك بِهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِابْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لُقْمَان:13]

ـ الظَّالِمُ لِنَفسِهِ هُو الذِي اِتَّخَذَ خَلِيلا أَبعَدَهُ عَنِ إِتِّبَاعِ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ وَهَذَا القَولُ يَصلُحُ لِكُلِّ إِنسَانٍ قَصّرَ فِي إِتِّبَاعِ مَنهَجِ اللهِ ورسُولِه ﷺ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى ﴿ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِے لَمْ أَتَّخِذْ فُلَٰناً خَلِيلاً ٢٨ لَّقَدْ أَضَلَّنِے عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِےۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلِانسَٰنِ خَذُولاً﴾ [الفرقان:28.29]، وَذَكَرَ أَبُوبَكر البَزَّار عَن ابنِ عَبَّاس قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولُ اللهِ، أَيّ جُلَسَائِنَا خَير؟ قَالَ:" مَن ذَكَّرَكُم بِالآخِرَةِ عَمَله"[2].

---

[1] . وَرَدَت كَلِمَةُ ﴿الظَّالِمِ﴾ فِي الآيَةِ مُعَرَّفَةٌ وفِي ذَلِكَ دلالَتينِ: الأُولَى أَنَّهَا تُفِيدُ العُمُومِ، والثَّانِيَة للمعهُودِ.

[2] . القُرطُبِي، أَبِي عبد الله محمَّد بن أحمد الأنصَارِي القُرطُبي، الجَامِع لأحكَام القُرآن، القُرطُبِي، ط1. القاهرة: 2005، مكتبة الصَّفا، ج13، ص19.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ قَالَ ٱلذِے عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَآ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرّٗا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّے لِيَبۡلُوَنِيَ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّے غَنِيٌّ كَرِيمٞ﴾ [النَّمل: 41]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة كِنَايَة فِي قَولِهِ ﴿أَنَآ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾ وَهَذَا كِنَايَة عَن السُّرعَةِ.

والطَّرف هُو الجَفن، أَن يَرتَدَّ إليكَ طَرْفُكَ أَي: أَن يَرْتَدَّ إِلَيكَ جَفْنُكَ إِذَا نَظَرَت أَو فَتَحتَ عَيْنَيكَ، وَحَقِيقَةُ هَذِهِ الكِنَايَة فِي دلالَتِهَا أَنَّهَا حَقِيقَة، فَنَبِيُّ اللهِ سليمَان فِي الآيَةِ هُو يَتَخَاطَب مَعَ جِنسٍ آخَر وَهُم الجِن، فَهُم يَتَمَيَّزُونَ بِعَالَمٍ خَاصٍ بِهِم وَمِنهَا السُّرعَة وَالقُوَّة وَغَيرهَا، وَوَصَفَ مِقدَارَ السُّرعَةِ بِارتِدَادِ البَصَرِ فَاسْتَقَرَّ الرَّأيُ عِندَهُ، وَعَلِمَ أَنَّ هَذَا التَّسخِير هُو مِن فَضلِ اللهِ تَعَالَى.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِے بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُومِنِينَ﴾ [القَصَص:9]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة كِنَايَة فِي قَولِهِ ﴿ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا [1]﴾ وَهِيَ كِنَايَة عَن تَعَلُّقِ القَلب بِابنِهَا الذِي فَقَدَتِ العَقلَ لِفُقدَانِهِ، فَأَصبَحَ قَلْبُهَا فَارِغًا مِن كُلِّ شَيءٍ إلا مِن اِبنِهَا مُوسَى ـ عَلَيهِ السَّلام ـ الذِي أَصبَحَت تُفَكِّر فِي نَجَاتِهِ لَيلَ نَهَار مِن فِرعَونَ وأَتبَاعِهِ، وفِرعَون كَانَ يَعلَمُ بِقُربِ مِيلادِ نَبِيٍ سَيَكُونُ عَلَى يَدَيهِ خَلاصُهُ، فَكَانَ القَرَار الذِي اِتَّخَذَهُ وَهُو أَن يَقتلَ كُلَّ مَولُودٍ ذَكَرٍ ويَستَحيِي الإنَاث، فكان يَترُكُهُم عَام ويَقْتُلُهُم عَام، فَكَانَ مَولِدُ مُوسَى ـ عَليهِ السَّلام ـ فِي العَامِ الذِي يُقْتَلُ فِيهِ الذُّكُور، وكَانَ مَولِدُ هَارُون ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ فِي العَام الذِي لا قَتلَ فِيهِ، وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَى رَبَطَ عَلَى قَلبِهَا بِالإيمَانِ والثَّبَاتِ، فَقَد كَادَت أَن تَكشِفَ أَمرَ ابنِهَا مِن شِدَّةِ الاِضطَرَابِ وَالحَيرَةِ.

[1] . كَلِمَةُ ﴿فَارِغًا﴾ مِن الفَرَاغِ وتَعْنِي ذَهَابُ العَقْلِ وَهَذَا القَوْل لابن عَطِيَّة والقُرْطُبِي وابن القَاسِم وَمَالِك.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ ٢٢ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌۖ﴾ [القصص: 23]

في الآية القُرآنيَّة كِنَايَة فِي قَولِهِ ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌۖ﴾ قَالَ محيي الدِّين" فَقَد أَرَادَتَا أَن تَقُولا لَهُ: إِنَّنَا اِمرَأَتَانِ ضَعِيفَتَانِ مَستُورَتَانِ، لا نَقدِرُ عَلَى مُزَاحَمَةِ الرِّجَالِ، وَمَا لَنَا رَجُل يَقُومُ بِذَلِكَ، وأَبُونَا شَيخٌ طَاعِن فِي السِّن، قَد أَضْعَفَهُ الكِبَرُ، وأَعيَاه، فَلا مندوحة لنا عن ترك السقيا، وإرجائِهَا إِلَى أَن يَقضِيَ النَّاس أَوطَارَهُم مِنَ المَاءِ"[1] فِي الآيَةِ قِيَمٌ مُختَلِفَة عَبَّرَت عَنهَا الآيَةِ مِنهَا:

ـ عَبَّرَ القُرآنُ الكَرِيم بِكَلِمَةِ ﴿خَطْبُكُمَاۖ﴾ وَهِيَ الأَمر الصَّعْب لِمَا رَآهُ مِن أَمرِ الرُّعَاةِ، فَهُم يَسْقُونَ أَغنَاهُم والمَرأَتَانِ لا تسقِيانَ حَتَّى يَذهَبَ جَمِيعُ الرُّعَاةِ، وَفِي هَذَا دلالَة عَلَى خُلُقِ الحَيَاءِ.

ـ مَبدأ القُوَّة الذِي كَانَ مُنتَشِرًا فِي ذَلِكَ الوَقتِ، فَمُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ كَانَ قَوِيًا شَدِيدًا والدلِيل مَا وَرَدَ فِي القُرآنِ الكَرِيم؛ مِنهَا قوله تَعَالَى ﴿ قَالَتِ اِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُۖ﴾ [القَصَص:26]

ـ الرَّعي مِنَ المِهَنِ التي مِنهَا يَتَعَلَّمُ الإِنسَان السِّيَاسَة والمَسؤُولِيَّة فَمَا مِن نَبِيٍّ إِلا وَقَد رَعِيَ الغَنَم، وَالمَرأَةُ الحُرَّة تَسعَى إِلَى الكَسبِ الحَلالِ وَخَاصَّةً إِذَا تَعَلَّقَ بِطَاعَةِ الوَالِدَينِ، كَمَا فِي هَذِهِ الآيَة، وَهَذَا يُوَضِّحُ الطَّاعَة وَالتَّمَاسُكُ الأُسَرِي فِي ذَلِكَ الوَقت.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاًۖ ﴾ [الأحزاب: 40]

فِي قَولِهِ ﴿أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ كِنَايَة عَن الوَطءِ، والقُرآن الكَرِيم فِي تَعبِيرِهِ عَن العلاقَات مِن نِكَاحٍ وَغَيرِهَا يَأتِي بِأَلفَاظ لَطِيفَة منها كَتَعبِيرِهِ عَن الوَطءِ بِالمُلامَسَةِ والإِتيَان والقُربَان والتَغَشِّي

[1] . محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيم وبَيَانُهُ، ج5، ص592.

وَغَيرهَا، وَمِنهَا قَوله تَعَالَى عَنِ المُلامَسَةِ كِنَايَة عَنِ الوَطءِ بِقَوله ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [المَائِدَة:6]، وَمِنهَا تَعبِيرُهُ عَن دُخُولِ المِرحَاض أَو الكَنِيف بِقَولِهِ: المَجِيء مِنَ الغَائِطِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿اَوْ جَآءَ احَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ [النِّسَاء:43].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: 49]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة كِنَايَة فِي قولِهِ ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ فَهِيَ كِنَايَة عَن هَلاكِ البَاطِلِ، وإِذَا هَلَكَ البَاطِل فَلا تَقُوم لَهُ قَائِمَ ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ فَهَذِهِ الكِنَايَة فِيهَا إِشَارَة عَن اندِثَارِ البَاطِلِ واضمِحلالِهِ مهما طَالَ زَمَانُهُ فَإِنَّهُ إِلَى زَوَالٍ، وَقَد عَبَّرَ القُرآن الكَرِيم فِي آيَةٍ أُخرَى عَنِ البَاطِلِ وَاندِثَارِه، فَقَالَ سُبحَانَهُ وتَعَالَى ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ [الإِسْرَاء:81]، فَكَلِمَةُ ﴿زَهَقَ﴾ وَالتي هِيَ بِمَعنَى اِضمَحَلَّ بَعدَ وُجُودِهِ، فَالبَاطِل بِوُجُودِهِ يَضْمَحِل أَمَامَ الحَقِّ وَيَندَثِر فَهُو فِي البِدَايَةِ وفِي النِّهَايَةِ لا حُجَّة ولا بُرهَان، وَاستِعمَال الفِعل المُضَارع ﴿يُبْدِئُ﴾ هُو من (أَبْدأُ) فِيهِ هَمْزَة فِي أَوَّلِهِ وآخِرِهِ، وَالهَمزَة فِي بِدَايَتِهِ هِيَ هَمزَة زَائِدَة، وَدلالَةُ الفِعل المُضَارع تُبَيِّنُ أَنَّ الصِّرَاعَ بَينَ البَاطِل وَالحَق مُستَمِر إِلَى أَن يَرِثَ اللهُ الأَرضَ وَمَن عَلَيهَا، وَإِضَافَة الإِبدَاء والإِعَادَة إِلَى البَاطِلِ مَجَاز عَقلِي.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُّ فِے جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾ [الزُّمَر:53]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة كِنَايَة فِي قولِهِ ﴿مَا فَرَّطْتُّ فِے جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ وَفَرَّطَ فِي جَنبِ اللهِ أَي: فَرَّطَ فِي حَقِّ اللهِ.

الجَنب وَالجَانِب، فَالجَنب القَرِيب مِنكَ كَالصَّاحِبِ القَرِيبِ مِنكَ كَقَولِهِ تَعَالَى ﴿وَالصَّٰحِبِ بِالْجَنۢبِ وَابْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتَ اَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾ [النّسَاء:36]، وَهُنَا جَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي عَن الطَّاعَةِ، فَالمُؤمِن يَتَحَسَّر عَلَى تَقصِيرِهِ فِي طَاعَةِ اللهِ، فَقَد كَانَ

طَائِعًا لِلهِ وَلَكِن مُقَصّر فِي جَنب اللهِ وَطَاعَتِهِ، كَمَا أَنَّهَا بِمَعْنَى التَّفرِيط فِي حَقِّ اللهِ وَمِنهُ قَولُ سَابِق البَربَرِيُّ[1]:

أَمَا تَتَّقِينَ اللهَ فِي جَنبِ عَاشِقٍ لَهُ كَبِد حَرّى عَلَيكِ تَقَطَّعُ

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِے لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِے نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِے فِے اِلْخِطَابِۖ﴾ [ص:23]

فِي الآيَةِ كِنَايَة فِي قوله ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِے لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِے نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ وَهِيَ كِنَايَة عَن المَرأَةِ[2]

قَالَ عَنتَرَة بن شَدَّاد[3]:

يَا شَاة مَا قَنَص لِمَن حلَّت لَهُ حَرُمَتْ عَلَيَّ وَلَيْتَهَا لَم تَحْرُمِ

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَاذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِے اِلَايْدِے وَالَابْصَٰرِۖ﴾ [ص:45]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة كِنَايَة فِي قولِهِ ﴿ أُوْلِے اِلَايْدِے [4] وَالَابْصَٰرِۖ﴾ وَهِيَ كِنَاية عَن العَمَلِ الصَّالِح، جَاءَ التَّعبير القرآني بِالأيدِي وَالأبْصَار، فَالإبصَار مِنَ البَصَائِرِ فَهِي مِنَ البَصَرِ والبَصِيرَة فِي الدِّينِ والعِلمِ، وَأمَّا الأَيدِي فَهِيَ مِنَ اليَدِ فِيهَا دِلالَة عَلَى الخَيرِ وَالنعمَة والقُوَّة، النِّعمَة فِي قولِهِ تَعَالَى(وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ

---

[1] . الرَّازِي، التفسِيرُ الكَبِير المُسَمَّى البَحْرُ المُحِيط، ج7، ص435.

[2] . وَكَلِمَةُ ﴿نَعْجَة﴾ وَالجَمع نِعَاج، وَفِي الآيَةِ تَعنِي المَرْأَة، وَالنَّعْجَة فِي كَلامِ العَرَبِ تَقَعُ عَلَى أُنثَى بَقَر الوَحش، وَعَلَى أُنثَى الضَّأْنِ وَالظِّبَاء، وَتُعَبّرُ العَرَبُ بِهَا عَنِ المَرأَةِ والشَّاةِ، قَالَ الأَعشَى:

فَرَمَيْتُ غَفْلَةَ عَيْنِهِ عَن شَاتِهِ فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلبِهَا وطِحَالهَا

وَكَلِمَةُ ﴿نَعْجَة﴾ فِي لِسَانِ العَرَب كُلّهَا بِمَعنَى إِيجَابِي فِيهِ دلالالَةُ عَلَى الخَيرِ وَالجَمَال مِنهَا: فَالنَّوَاعِج مِنَ الإِبلِ حِسَانُ الأَلْوَان، والأرض النَاعِجَة المُسْتَوِيَة السَّهْلَة المُكرِمَة للنَّبَاتِ، وامرَأة نَاعِجَة حَسَنَةُ اللونِ. الأعشى، ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتحقيق: محمد حسين، دط. القاهرة: 2012، المطبعة النموذجية، ص27.

[3] . عنترة بن شداد، ديوان عنترة بن شداد، اعتنى به وشرحه: حمدو طماس، ط2. بيروت: 1425ه/2004، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ص18.

[4] . فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿أُولِي الْأَيْدِ﴾ قَالَ القُرطُبِي ﴿الْأَيْدِ﴾ بِغَيرِ يَاءٍ فِي الوَصْلِ والوَقْف عَلَى مَعْنَى أُولِي القُوَّةِ فِي طَاعَةِ اللهِ، وحُذِفَتِ اليَاءُ تَخْفِيفًا"

مَبسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ)[المائدة64] وَالقُوَّة كَقَولِهِ تَعَالَى﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات:47]

فَالكِنَايَة فِي هَذِهِ الآيَةِ فِيهَا دَلالَة عَلَى تَمَيُّزِهِم بِصِفَاتٍ مِنهَا الدِّين وَالعِلم والمَعرِفَة الربَّانِيَّة وَقُوَّة الطَّاعَة؛ كَيفَ لا وَهؤُلاءِ أَنبِيَاء؛ فَهَذِهِ مِيزَتُهُم وَهَذِهِ العَنَاصِر هِيَ مِن خَصَائِصِ الأَنبِيَاءِ وَالمُرسَلِينَ مِن قُوَّةِ البَصَرِ والبَصِيرَة، وقُوَّةِ الطَّاعَة والمَعرِفَة الربَّانِيَّة، وَالقُرب مِنَ اللهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

- يَقُولُ تَعَالَى ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِے غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق:22]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة كِنَايَة فِي قولِهِ ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ وَهِيَ كِنَايَة عَن الغَفلَةِ هَذِهِ الغَفلَة كَأَنَّهَا" غَطَّت جَمِيعَهُ، أَو عَينَيهِ، فَهُو لا يُبصِر، فَإِذَا كَانَت القِيَامَة زَالَت عَنهُ الغَفلَة، فَتَكشِفُ لَهُ الحَقَائِق، وانجَلَى عَنهُ الرَّين الذِي كَانَ مَسدُولا أَمَامَهُ، فَأَبصَرَ مَالَم يَكُن يُبصره فِي حَيَاتِهِ"[1] وَهَذَا الكَشف عَبَّرَ عَن أَربَعَةِ أَشيَاء، وَهِيَ وُجُوهُ هَذِهِ الكِنَايَةِ وَهِيَ: أَحَدُهَا: إذ كَانَ فِي بَطنِ أُمِّهِ فَولد، قَالَهُ السُّدي، الثَّانِي: إذَا كَانَ فِي القَبرِ فَنُشِر، وهَذَا قَولُ ابن عَبَّاس. الثَّالِث: وَقت العَرضِ فِي القِيَامَة، قَالَهُ مُجَاهِد. الرَّابِع: أَنَّهُ نُزُولُ الوَحي وَتَحَمُّلِ الرِّسَالَة. وَهَذَا مَعنَى قَول ابن زَيدُون"[2]، فَلَمَّا كَانَ فِي غَفلَةٍ عَنِ الله ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِے غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ جَاءَهُ الكَشفُ عَنِ هَذِهِ الغَفلَة بِقُوَّةِ البَصَرِ وَالبَصِيرَة؛ وَلَكِنَّهُ كَشفٌ مُتَأَخِّرٌ فَلا نَفعَ فِيهِ لأَنَّهُ جَاءَ يَومَ الحِسَابِ.

- يَقُولُ تَعَالَى ﴿ يُوفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذّاريَات:9]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة كِنَايَة صوَّرت لَنَا الجَاحِد المُكَذِّب بِالحَقِّ، وَمِنهُ قوله تعالى ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَافِكَنَا عَنَ ءَالِهَتِنَا فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأَحْقَاف:21]، فَالإِفكُ هُو الإِبعَاد

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج7، ص275.

[2] . القُرطُبِي، أَبِي عبد الله محمَّد بن أحمد الأنصَارِي القُرطُبي، الجَامِع لأحكَام القُرآن، القُرطُبِي، ط1. القاهرة: 2005، مكتبة الصَّفا، ج17، ص34.

وَالدَّفع والخِدَاع وَإِفسَادٌ للعَقلِ بِغَرضِ حُصُولِ دَفعٍ أَو خِدَاعٍ أَو إِبعَادٍ أَو صَرفٍ، فَهُو إِبعَاد عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَطَرِيقِهِ بِإِفسَادِ العَقلِ بِالشُّبُهَاتِ والكَذِبِ وَالإِفتِرَاءِ.

- يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ[1] وَدُسُرٍ﴾ [القَمر:13]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة كِنَايَة عَن مَوصُوف وهُو السَّفِينَة، فنجِدُ أنَّ الصِّفَات قَد جَاءَت مَنَابَ المَوصُوفَات، وقد أَدَّت عملها في الآية عمل الصِّفة، ومِن ذَلِكَ قَول أَبِي الطيِّب المُتنبِّي:

مَفْرَشِي صَهوَة الحِصَان وَلَكِن قَمِيصِي مَسْرُودَةٌ مِن حَدِيد[2]

فَالمَعنَى مِن خِلالِ البَيتِ الشَّعرِي أَرَادَ بِهِ أَنَّ القَمِيصَ دِرع.

وَالحمل فِي القُرآنِ الكَرِيم دَائِمًا ثَقِيل وَمِنهَا حَمل الإِنسَان لِلأَمَانَةِ السَّمَاوِيَّة ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ [الأحزاب:72]، وَمِنهَا قوله تَعَالَى ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلاً﴾ [طه:99]

فَالحَمل عَلَى هَذِهِ السَّفِينَة هُو تَسخِير مِنَ اللهِ تَعَالَى بِرِعَايَةٍ إِلَهِيَّة، فِيهَا مُعجِزَة رَبَّانِيَّة، وَمِنهُ قوله تعالى ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القَمَر:13 -15]، هَذِهِ السَّفِينَة تَجرِي بِرِعَايَةِ اللهِ وَحَفِظَهَا حَتَّى تَكُونَ آيَةً لِلأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ.

- يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَاسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَاراً﴾ [نوح:7]

فِي الآيَةِ القرآنية كِنَايَة فِي قوله ﴿وَاسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ﴾ وَقِيلَ هِيَ عَلَى الحَقِيقَة، فَأَمَّا الكِنَايَة فِيهَا فهي كِنَايَة عَن المُبَالَغَةِ تمثلت فِي الإعراض عن الدعوة، فَهِيَ كَمَن أَعمى بَصَرَهُ، وأَصَمَّ أُذُنَهُ عَن سَمَاعِ الدَّاعِي إِلَى الحَقِّ المبين ومَعْنَى" استَغشَوا ثِيَابَهُم: غَطوا بِهَا وُجُوههم لِئلا يَرَونِي، أَو جَعَلُوا ثِيَابَهُم عَلَى رُؤُوسِهِم لِئلا يَسمَعُوا كَلامِي، فَيَكُون اِستِغشَاء الثِّيَابِ عَلَى هَذَا زِيَادَةٌ فِي

[1] ـ الأَلْوَاح: كَلِمَةٌ وَرَدَت جَمْعًا مُفْرَدهُ لَوحٌ، وَاللَّوْح هُو القِطعَة مِنَ الخَشَبِ وتَكُونُ مُسَوَّاةً، وَوَرَدَت بَعدهَا كَلِمَةُ الدُّسُرُ: وَهِيَ جَمْعٌ مُفْرَدُهَا دِسَار وهُو المِسمَارُ، فَهَذِهِ السَّفِينَة مُكَوَّنَةٌ مِن أَلْوَاحٍ مَحكُومَةٌ بِمَسَامِيرٍ مَعَ بَعضِهَا البَعض.

[2] ـ المُتنبِّي، ديوَان المُتنبِّي، دط. بيروت: 1983، دار بيروت للطباعة والنشر، ص20.

سَدِّ الآذَانِ"[1]، فَالآيَة تُبَيِّنُ اِستِكبَارَهُم عَنِ الحَقِّ فَهُم لا يُرِيدُونَ سَمَاعَهُ، وَلا يُرِيدُونَ أَن يَرَونَ تَوجِيهَاتِهِ بِمَلامِحِ وَجهِهِ فَغَطَّوا وُجُوهَهُم بِثِيَابِهِم حَتَّى لا يَنظُرُوا إِلَيهِ فَيُؤثِّر عَلَيهِم فَهُو يَنطِقُ بِالحَقِّ بِالحُجَّةِ وَالبُرهَان، وَقَد جَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي فِي آيَةٍ أُخرَى فِيهَا نَفس التَّعبِير يُبَيِّنُ اللهُ فِيهَا أَنَّهُ يَعلَمُ مَا يُسِرُّونَ بِهِ وَمَا يُعلِنُونَ، وَمِمَّا يُكِنُّونَهُ اتِّجَاهَ الحَقِّ، وَمِنهُ قوله تَعَالَى ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [هود:5]

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيباً ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌ بِهِۦۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولاً﴾ [المُزَّمِّل:17]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة كِنَايَةٍ فِي قَولِهِ ﴿يَوْماً يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيباً﴾ فَهِي كِنَايَة عَن شِدَّةِ هَولِ يَوم القِيَامَة، فَمِن شِدَّةِ الهَولِ تَشِيبُ نَوَاصِي الأَطفَال، وَقَد وَصَفَهُم اللهُ فِي آيَةٍ أُخرَى مِن شِدَّةِ الهَولِ أَنَّهُم كَالسُّكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿ وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾

قَالَ أَبُو الطيِّب المتنبي[2]:

وَالهَمُّ يَختَرِمُ الجسيم نَحَافَةً ويُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِي ويُهْرِمُ

فَالكِنَايَة فِي هذه الآيَةِ القُرآنيَّة تُعَبِّرُ عَنِ الأَعمَالِ الصَّالِحَة وَالعِبَادَات التي يَأتِي بِهَا العبد يَومَ القِيَامَة وَهِيَ غير كَافِيَة لِتَكفِيرِ ذُنُوبِهِ وَتَقصِيرِهِ فِي الدُّنيَا.

﴿إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُوٓاْۖ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ [يُونس:20] وَمِنهُ قوله تَعَالَى ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النَّمل:67]

ومِنهُ يمكِنُ القَول في هذا الفَصل أنَّ عِلْمَ البيَانِ كَان لهُ الأثَر في توجِيهِ معَانِي القُرآن الكَرِيم، فالقُرآن مُعجزَتهُ بيَانيَّة لِهذَا كانَ للبيَانِ نصيبٌ في تِبيَانِ القُرآنِ الكَرِيمِ، ولا يُمكِنُ أنْ يُفْهَم القُرآن دُونَ فهمِ اللغَةِ العربية بعلُومِهَا المُختلِفَة، فَهِي العُنصُر الأسَاسِي لفَهم كتَابِ اللهِ تعَالَى.

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج8، ص78

[2] . المُتنبِّي، ديوَان المُتنبِّي، دط. بيروت: 1983، دار بيروت للطباعة والنشر، ص571.

ومنهُ يمكِنُ القَول إِنَّ البيَان القُرآني من تَشبيهٍ وتمثيلٍ ومجَاز وكنايةٍ، قَد كَانَ لَهَا الأَثَر فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي، كيفَ لا؟ ومُعجزةُ القرآن الكريم الأسَاسِيَّة بيَانِيَّة، فقَد كَانَت هَذِهِ العنَاصِر مُحَدِّدةٌ للمَعنَى القُرآنِي بكلِّ دقَّة، مُرجِّحَةً بعضَ المَفَاهِيمِ عَلَى بعضٍ، مُستَنبِطَةً لأَحْكَامِ القُرآنِ الكَرِيمِ شَارِحةً لمَعَانِيهِ.

الفصل الرَّابع

الاِستِعَارَةُ وَتَوجِيهُ المَعنى القُرآنِي فِي كِتَابِ إِعرَابِ القُرآنِ الكَرِيم وَبَيَانه.

1 ـ الاِستِعَارَةُ وَأَثَرُهَا فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.

2 ـ الاِستِعَارَة التَّصرِيحيَّة وتَوجِيه المَعنَى القُرآنِي عِندَ محيي الدِّين الدروِيش.

3 ـ الاستِعَارَة المَكَنِيَّة وتَوجِيه المَعنَى القُرآنِي عِندَ محيي الدِّين الدروِيش.

4 ـ الاِستِعَارَة التَّمثِيلِيَّة ودَلالتُهَا فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.

1 ـ الإِستِعَارَةُ وَأَثَرُهَا فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.

لَقَد كَانَ العمَلُ فِي هَذَا الفَصلِ يَقُومُ عَلى اِستِخرَاج الإِستِعَارات التي ذكَرهَا محيي الدِّين الدرويش في كتَابِهِ؛ من تَصرِيحيَّة ومَكنيَّة وتَمثيليَّة، وقد ذَكَرنَا رَأي محيي الدِّين الدرويش فيهَا، ثمَّ قُمنَا بِمُنَاقَشَةِ توجِيهِ هَذِهِ الإِستِعَارات وأثرهَا فِي المَعنَى القُرآني.

لَقَد نَظَرَ أَهلُ البَلاغَةِ إِلَى الإِستِعَارَةِ[1]، وفَرَّقُوا بَينَ لَونَينِ مِنهَا:

الأَوَّلُ: مَا كَانَ اللَّفظُ المُستَعَار فِيهِ مِن أَسمَاءِ الأَجنَاس وَالأَعيَان: وَمِن أَمثِلَةِ هَذَا النَّوع كَاستِعَارَة (الأَسَد) للرَّجُلِ الشُّجَاعِ، و(البَحر) للكَرِيمِ، والبَدر) (لِلحَسنَاءِ و(أَحنَف) للحَلِيم و(حَاتِم) للكَرِيمِ.

الثَّانِي: مَا كَانَ اللَّفْظ المُستَعَارُ فِيهِ مِن الأَفعَالِ والمُشْتَقَّات والحُرُوف: وَمِن أَمثِلَةِ هَذَا النَّوع (طَار) لأَسْرَعَ، وَلَفظ (نثر) لِفَرقَ، وَلَفْظ قَاتِل اِسم فَاعِل للضَّارِبِ ضَربًا شَدِيدًا، كَمَا هُنَاكَ الدلالَة عَلَى الإِستِعَارَةِ بِالحَرفِ (في) المَوضُوعِ للظَّرفِيَّةِ.

وَيُعَدُّ أَبُو عَمرُو بن العَلاءِ أَوَّل مَن أَطْلَقَ اِسم لَفظ اِستِعَارَة في دراسته لبيت شعري لذي الرمة، يَقْصِدُ قول ذِي الرُّمَّةِ[2]:

أَقَامَت بِهِ حَتَّى ذَوَى العُودُ في الثرى وَساق الثَّرَيَّا فِي مُلاءَتِهِ الفَجر

وَيَقُولُ: أَلا تَرَى كَيفَ صَيَّرَ لَهُ ملاءَةً، ولا ملاءةَ لَهُ، وإِنَّمَا اِستِعَارَ لَهُ هَذِهِ اللَّفظَة"[3] وَلَكِن فِي فَنِّ البَلاغَةِ يُعَدُّ الجَاحِظُ أَوَّلَ مَن عَرَّفَ الإِستِعَارَة فِي قولِهِ:" الإِستِعَارَةُ تَسمِيَةُ الشَّيءِ بِاسمِ غَيرَهُ إِذَا أَقَامَ لَهُ مَقَامَهُ"[4].

---

[1] . هُنَاكَ الكَثِير مِنَ البُلغَاء مِن دَرَسَ الإِسْتِعَارَة دِرَاسَة وَافِيَة مِن هَؤلاءِ: الجَاحِظ، والمظفر العَلوِي، عبد القَاهر الجُرجَانِي، وَالقزوِينِي، والسكَّاكي، والسَّمِين الحَلَبِي، فأَمَّا الجُرجَانِي فَقَد قَسَّمَ الإِسْتعَارَة إلى قِسمَينِ: اِسْتعَارَة مُقيَّدة، وغير مُقيَّدَة.

[2] . ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، قدم له وشرحه: أحمد حسن سبج، ط1. بيروت: 1995م/1415هـ، دار الكتب العلمية، ص102.

[3] . عَبْدُ الفَتَّاح لاشِين، البيَان فِي أسَاليب القُرآن، دط. القاهرة: 2000م/1429هـ، دار الفِكر العَربي، ص157ـ159

[4] . الجاحِظ، أبو عثمَان عمرو بن بحر، تحقيق وشرح: عبد السَّلام هارون، دط. القاهرة: 1405هـ، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، ج1، ص153ـ284.

وَمِنه ما قالَهُ أَهلُ البَلاغَةِ أَنَّ الإِستِعَارَةِ الأُولَى اِستِعَارَة أَصلِيَّة، والثَّانِية اِستِعَارَةٌ تَبَعِيَّة.

2 ـ الإِستِعَارَةُ التَّصرِيحِيَّة وأَثَرُهَا فِي تَوجِيهِ المعنى القُرآنِي.

إِنَّ الطَّرِيقَة المُنتَهَجَة فِي هَذَا العُنصُرِ هِيَ اِستِخرَاج الإِسْتِعَارَات التَّصرِيحِيَّة التي ذَكَرَهَا محيي الدِّين الدروِيش مَعَ دِرَاسَةِ تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي لها.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:5] اِستِعارَة تَصرِيحِيَّة، فقَد "شَبَّهَ الدِّين الحَق بِالصِّرَاطِ المُستَقِيم الذِي لَيس بِهِ أَدق اِنحِرَاف قَد يخرجه عَن حُدُودِ الإِستِقَامَةِ؛ لأَن الخَط المُستَقِيم هُو أَقصَر بُعد بَينَ نُقطَتَينِ، وَوَجهُ الشَّبهِ بَينَهُمَا أَن اللهَ سُبحَانَهُ وَإِن كَانَ اللهُ مُتَعالِيًا عَنِ الأَمكِنَةِ، لَكِن العبد الطالِب الوصول لا بُد لَهُ مِن قَطعِ المَسَافَاتِ، وَمس الآفاتِ، لِيُكرَمَ بِالوُصُولِ والمُوَافَاةِ"[1]، فَالصِّرَاط المُستَقِيم مَثَلُهُ كَمَثَلِ الحَقِّ، فَالحَق وَاحِد والصِّرَاط خَط وَاحِد لا سُبُل مُتَعَدِّدَة، وَقَد جَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي فِي آيَةٍ أُخرَى قوله تَعَالَى ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأَنعَام:154] فَالصِّرَاط المُستَقِيم وَاحِد وَغَيرُهُ سُبُل مُتَعَدِّدَة خَارِجَة عَنِ الصِّرَاطِ المُستَقِيم، وَقَد تَكُون مُنفَصِلَةً عَنهُ.

ـ يَقُولُ الله تَعَالَى ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [البقرة:7].

فِي هَذِهِ الآيَة القُرآنيَّة اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة تُصوّر لنَا الخَتمَ عَلَى القلُوبِ وَقَد يكُون هَذَا الختم حقيقة، قَالَ محيي الدِّين الدرويش" فِي إِسنَادِ الخَتمِ إِلَى القُلُوبِ اِستِعَارَة تَمثِيلِيَّة، فَقَد شُبِّهَت قُلُوبُهُم فِي نُبُوِّهَا عَنِ الحَقِّ وَعَدَمُ الإِصغَاءِ إِلَيهِ بِحَالِ قُلُوبٍ خَتَمَ اللهُ عَلَيهَا، وَهِيَ قُلُوبُ البَهَائِمِ، وهُو تَشبِيه مَعقُول بِمَحْسُوسٍ"[2]، وَقَالَ أَهلُ المَعَانِي كَمَا نَقَلَ القُرطُبِي فِي تَفسِيرِهِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى وَصَفَ قُلُوب الكُفَّارِ بِعَشرَةِ أَوصَافٍ:" بِالخَتمِ وَالطَّبعِ وَالضَّيق والمَرض والرَّين

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج1، ص33.

[2] ـ المصدر نفسه، ج1، ص43.

والمَوت والقَسَاوَة وَالإِنصِرَاف وَالحَمِيَّة وَالإِنكَار"[1] فالختم عَلَى القُلُوبِ كَمَا يَكُونُ الخَتم عَلَى الأَسْمَاعِ فَالخَتم هُو لا أُذُن تَسمَع وَتَعِي، ولا قُلُوب تُبصِرُ وَتفهم، فَاللهُ صَرَفَ قُلُوبَهُم وَطَبَعَ عَلَيهَا.

وَالخَتم عَلَى القُلُوبِ يَتبَعُهُ الخَتم عَلَى الأَسمَاعِ، وَقَد وَرَدَ فِي أربَعِ سُورٍ مِنَ القُرآنِ الكَرِيمِ[2] وَالخَتم عَلَى القُلُوبِ والأَسمَاع لا يَكُونُ مُبَاشَرَةً وإِنَّمَا هُو عِبَارَة عَن تَرَاكُمَاتٍ فَكَانت النَّتِيجَة

---

[1] . القُرطُبِي، أَبُو عبد اللهِ مُحَمَّد بن أَحمَد الأنصَارِي القُرطُبِي، الجَامِع لأحكَام القُرآن، القُرطُبِي، ط1. القاهرة: 2005، مكتبة الصَّفا، ج1، ص165. إنَّ الخَتمَ علَى القُلُوب قَد ورَدَ فِي أربَعِ سُورٍ مِنَ القُرآنِ الكريم فِي سُورةِ البقَرة والأنعَام والشُّورَى والجَاثِية وَمِنهَا قوله تَعَالَى ﴿ قُلْ اَرَءَيْتُمْ إِنَ اَخَذَ اَللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنِ اِلَٰهٌ غَيْرُ اُللَّهِ يَاتِيكُم بِهِۦٓ اِنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ اُلَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام:47]، وَالطَّبع عَلَى القُلُوبِ وَرَدَ فِي القُرآنِ الكَرِيمِ فِي إِحدى عَشَرَ مَوضِعًا مِنَ القُرآنِ الكَرِيمِ مِنهَا قوله تَعَالَى ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلاً اِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُومِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ اُلْمُعْتَدِينَ﴾ [يونس:74]، وَالضَّيْق عِندَ سَمَاعِ الحَقِّ وَرَدَ فِي مَوَاضِعَ مِن القُرآنِ مِنهَا قَولُهُ تَعَالَى ﴿فَمَنْ يُرِدِ اِللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلِاسْلَٰمِ وَمَنْ يُرِدَ اَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرِجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِے اِلسَّمَآءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اُللَّهُ اُلرِّجْسَ عَلَى اَلذِينَ لَا يُومِنُونَ﴾ [الأنعام:126]، وَالمرض فِي قولِهِ تَعَالَى ﴿ إِذْ يَقُولُ اُلْمُنَٰفِقُونَ وَالذِينَ فِے قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اَللَّهِ فَإِنَّ اَللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:50]، والرَّان فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:14]، وَالقَسوَة فِي قَولِهِ تَعَالَى﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ اُلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:43]، وَالانصِرَاف فِي قولِهِ تَعَالَى﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرِيٰكُم مِّنَ اَحَدٍ ثُمَّ اِنصَرَفُواْ صَرَفَ اَللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة:128]، الحَمِيَّة فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ اِذْ جَعَلَ اَلذِينَ كَفَرُواْ فِے قُلُوبِهِمُ اُلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ اَلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اَللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى اَلْمُومِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ اَلتَّقْوىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ وَكَانَ اَللَّهُ بِكُلِّ شَےْءٍ عَلِيماً﴾ [الفتح:26]، الإنكار فِي قَولِهِ تعَالَى ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل:83]، والموت فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُوراً يَمْشِے بِهِۦ فِے اِلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِے اِلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:122]

[2] .وَالخَتْم عَلَى القُلُوبِ والأَسْمَاع وقَد ورَدَ فِي سُورةِ البقرة فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿ خَتَمَ اَللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌۖ﴾ [البقرة:6]، وَفِي سُورةِ الأنعَام فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿ قُلْ اَرَءَيْتُمْ إِنَ اَخَذَ اَللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنِ اِلَٰهٌ غَيْرُ اُللَّهِ يَاتِيكُم بِهِۦٓ اِنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ اُلَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام:47]، وفِي سُورةِ الشُّورَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ اَمْ يَقُولُونَ اِفْتَرَىٰ عَلَى اَللَّهِ كَذِباً فَإِنْ يَشَإِ اِللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَۖ وَيَمْحُ اُللَّهُ اُلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ اُلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ اِلصُّدُورِ ﴾ [الشورى:24]، وفِي سُورةِ الجَاثِية في قوْلِهِ تَعَالَى ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ اِتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوِيٰهُ وَأَضَلَّهُ اُللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ اِللَّهِۚ أَفَلَا تَذَّكَّرُونَۖ﴾ [الجَاثية:22]

الخَتم الذِي لا ينفَع مَعَهُ شَيءٌ، فَالخَتم يُصبِح فِيهِ القَلب مُغطىً مَطبُوع عَلَيه؛ وَمِنهُ قَولُ النَّبِي ﷺ " إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصِيبُ الذَّنبَ فَيَسوَدُّ قَلْبُهُ فَإِن هُو تَابَ صُقِلَ قَلبُهُ"[1].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ فِے قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يُكَذِّبُونَ ﴾ [البقرة:10].

فِي هَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة تُبَيِّن لنَا المَرَض المَعنوِي الذي يُصِيبُ القُلُوب البَعِيدَة عن ربها، الخَاوِيَة مِن الإيمان، قَالَ محيي الدِّين الدرويش" حَيثُ اُستُعِيرَ المَرَضُ لِمَا رَانَ عَلَى قُلُوب مِن جَهلٍ وسوء عَقِيدَةٍ وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِن ضرُوبِ الجَهَالاتِ المُؤَدِّيَة إِلَى المَتَالِفِ"[2].

كَمَا يُمكِنُ أَن يَكُونَ في الآيَة مَجَاز، فَكِلَمَةُ ﴿مَّرَضٌ﴾ فِي هَذِهِ الآيَة تَحمِلُ المَعنَى الحَقِيقِي وَالمَجَازِي، يقُولُ الزَّمَخشَرِي:" وَاستِعمَال المَرَض فِي القَلبِ يَجُوزُ أَن يَكُونَ حَقِيقَة وَمَجَازًا فَالحَقِيقَة أَن يُرَادَ الأَلَم كَمَا تقُول: فِي جَوفِهِ مَرَض، والمَجَاز أَن يُستَعَارَ لبعضِ أَعرَاضِ القلبِ كَسُوءِ الإِعتِقَادِ، والغِلِّ والحَسَدِ، وَالمَيل إِلَى المَعاصِي، والعزم عَليها، والجبن، والضعف... والمُرادُ بِهِ هُنَا مَا فِي قُلُوبِهِم مِن سُوءِ الاعتقَادِ وَالكُفرِ، أَو مِن الغلِّ والحَسَد والبَغضَاء؛ لأَنَّ صُدُورَهُم كَانَت تَغلِي عَلَى رسُولِ اللهِ ﷺ والمُؤمِنينَ غِلا وحِقدًا ويُبغِضُونَهُم البَغضَاء التي وَصَفَهَا اللهُ فِي قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَالُونَكُمْ خَبَالاۖ وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْۖ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنَ اَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِے صُدُورُهُمْۖ أَكْبَرُۖ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَۖ ﴾ [آل عمران:118]"[3]، فَالمَرَض قَد يَكُونُ عُضوِيًا فِي عُضوٍ مِن أَعضَاءِ الجَسَدِ وَقَد يَكُون مَعنوِيًا مَا يَكُون مِن أَمرَاض القَلبِ كالحَسَد والغِل والحِقد....

وَقَد يَكُونُ المَرَضُ فِي الإِعتِقَادِ والكُفرِ كَمَا أَشَارَ القُرطُبِي فِي مَعنَى هَذِهِ الآيَة، حَيثُ قَالَ

---

[1] . الحَدِيث ذُكِرَ عَن أَبِي هُرَيرَةَ ـ رضِيَ اللهُ عَنهُ ـ ورواه الإمَام الترمذي، القرطبي، القُرطُبِي، أَبُو عبد اللهِ مُحَمَّد بن أَحمَد الأنصَارِي القُرطُبِي، الجَامِع لأحكَام القُرآن، القُرطُبِي، ط1. القاهرة: 2005، مكتبة الصَّف،ج1،ص172.

[2] . محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج1، ص47.

[3] ـ الزَّمَخشَرِي، أَبُو القَاسِم مَحْمُود بن عمر، تح: عبد الرزَّاق المَهْدِي، الكَشَّاف، دارُ إحيَاء التراث العَرَبِي، بيروت، دط، دت. ج1، ص59.

فِي قوله تَعَالَى ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ عَلَى أَنَّهَا مَجَازٌ لُغَوِي، وَالمَرَض فِي هَذِهِ الآيَة مَعْنَاه الفَسَاد العَقَدِي.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالَارْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة:255]

فِي هَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة فِي قولِهِ ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالَارْضَ﴾، قَالَ محيي الدِّين الدرويش" فَالكَلِمَة مَجَاز عَن عِلمِهِ تَعَالى أَو مُلكِهِ، وَتَصوِير صَحِيح لِعَظَمَتِهِ حذف المُشَبَّه وَهُو العِلم والقُدرَة وَالعَظَمَة وَمَا يَتَرَتَّب عَلَى الجُلُوسِ فَوْقَ كُرسِي الملك مِن مَعَانِي الأُبَّهَة والإِحَاطَة الجَامِعَة"[1]، وَالكُرسِي هُو العِلم وَهُو رَأي ابن عبَّاس ـ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا ـ وَهُو مَا رَجَّحَهُ الطَّبَرِي فِي تَفسِيرِهِ، ومِنهُ الكَرَاسِي العِلمِيَّة وهَذِهِ الكَرَاسِي مُخَصَّصَة للمُتَمَكِّنِينَ فِي العُلُومِ المُحِيطِينَ بِهَا وَبِمَجَالِهَا إِحَاطَةً كُلِّيَّة، وَمِنهُ وَالكرَّاسَة كَذَلِكَ، قَالَ الشَّاعِر قُطرب:

يَحُفُّ بِهِم بِيضُ الوُجُوهِ وَعُصْبَةٌ كَرَاسِيٌّ بِالأَحْدَاثِ حِينَ تَنُوبُ[2]

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالذِينَ كَفَرُوَاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقَرَة:256] فِي الآيَةِ اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة حَيثُ إِنَّهُ اِستِعَارَ الظُّلُمَات والنُّور للضَّلالِ والنُّور، وَفِي ذَلِكَ أَثَرٌ فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي حَيثُ:

ـ الظُّلُمَات مُتَعَدِّدَة والنُّور وَاحِد، لِهَذَا تَجِدُ أَهل الضَّلالِ لَهُم طُرُق مُتَعَدِّدَةٌ فِي ضَلالِهِم؛ فَهُم فِي ظُلُمَاتٍ مُتَعَدِّدَةٌ تَختَلِفُ مِن فِئَةٍ إِلَى أُخرَى، أَمَّا أَهل النُّور وَالحَق فَطَرِيقُهُم وَاحِد لَيسَ لَهُ سُبُل مُتَعَدِّدِة، لِهَذَا نَجِد أَنَّ كَلِمَة الظُّلمَات جَاءَت جَمعًا وكَلِمَةُ النُّور جَاءَت مُفرَدَة.

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج1، ص332.

[2] ـ الطبري، جامِع البيَان، ج3، ص401، البَحر المُحِيط، ج2، ص280، الشيخ محمد هادي، التمهيد في علوم القرآن،ج2، ص124.

وَجَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي لِلظُّلُمَاتِ تَعْبِيرًا عَنِ الكُفرِ، وَأَمَّا النُّور فَهُو تَعبِير عَنِ الإِيمَانِ، وَجَاءَ التَّعْبِيرُ بِالظُّلُمَاتِ أَوَّلا ثُمَّ النُّور، فَقَد أَخرَجَ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ المُؤمِنِينَ مِنَ الظُّلمَاتِ التي هِيَ الكُفر إِلَى الإِيمَانِ، فَقَد نَقَلَهُم مِن مَرْحَلَةِ الضَّلالِ والهَلاكِ إِلَى النُّورِ والنَّجَاةِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَالُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنَ اَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِے صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[آل عمران:118]

فِي هَذِهِ الآيَة القُرآنِيَّة اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة تدعُوا إلى اتّخَاذ أقرَب النَّاس قربًا ومُلازمةً أَنهم أحقُّ الناس صُحبَةً ومرافقةً للحاكِم، فَفِي قوله ﴿لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" إِذ هِيَ فِي الأَصلِ بِطَانَةُ الثَّوبِ المَعرُوفَة، ثُمَّ استُعِيرَت لِخَصِيصِ الرَّجُلِ وَصَفيه الذِي يُفضِي إِلَيهِ بِذَاتِ نَفسِهِ وَخَلَجَاتِ صَدرِهِ"[1].

وأَقرَبُ شَيءٍ إِلَى بَدَنِ الإِنسَان هُو ثَوبُهُ، لِهَذَا اِسْتِعَارَهُ اللهُ سُبحَانَهُ وتَعَالَى للزَّوجَينِ فِي قَولِهِ: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾، وَكَذَلِكَ البِطَانَةُ هِيَ الأَقرَب إِلَى المَسْؤُول حَيثُ أَنَّهَا تَعرِفُ جَمِيع أَسْرَارِهِ.

وقَد جَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي بِالبِطَانَة وَالتي هِي تَعبِير عَن الخَلِيل الذِي لا يُفَارِق خَلِيلَهُ، فَالخَلِيل قَد يَكُون صَالِحًا وَقَد يَكُون فَاسِدًا، فَنَهَى اللهُ عَن مُخَالَطَةِ البِطَانَة التي تَدعُوا إِلَى الفَسَادِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَاكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً﴾ [النَّسَاء:2]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة فِي قَولِهِ ﴿وَلَا تَاكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" فَقَد شَبَّهَ أَموَالَهُم بِطَعَامٍ يُؤكَلُ، ثُمَّ اِستَعَارَ لَهَا مَا هُو مِن أَبرَزِ خَصَائِصِ الطَّعَام وهُو الأَكل، وَفِي هَذِهِ الاِستِعَارَة سِرَّانِ مِن أَدَقِّ الأَسرَارِ:

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج1، ص516.

أ ـ إِنَّ طَرِيقَ البَلاغَة النَّهي عَن الأَدنَى تَنبِيهًا عَلَى الأَعلَى إِذَا كَانَ المَنهِي عَنهُ درَجَات، فَكَانَ مُقْتَضَى القَانُون المَذكُور أَن يَنهي عَن أَكلِ مَالِ اليَتِيمِ من هُو فَقِير إليهِ حتَّى يلزم نهي الغني عنه عَن طَرِيقِ الأولى، فَلا بُدَّ مِن سِرّ يُوَضِّحُ فَائِدَةَ تَخصِيص الأَعلَى بِالنَّهِي، فِي هَذِهِ الآيَة، وَذَلِكَ مَا يُفهَمُ مِن كَلِمَةِ ﴿إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ﴾، والسِّر فِي ذَلِكَ أَن يَأكُلَ مَالَ اليَتِيم مَعَ الغنى عَنهُ أَقبَح صور الأكل، فَخصّصَ بالنَّهِي تَشنِيعًا عَلَى مَن يَقَع فِيهِ.

ب ـ وَالسِّرُّ الثَّانِي فِي تَخصِيصِ الأَكلِ؛ لأَنَّ العَرَبَ كَانَت تَتَذَمَّمُ الإِكثَار مِنَ الأَكلِ، وَتُعَدُّ البِطنَة المُسَاوِيَة للبَهِيمِيَّة، فَكَأَنَّ آكِلَ مَالَ اليَتِيم ـ فِي حَالِ اِستِغنَائِهِ عَنهُ وَكَثرَة المَالِ لَدَيهِ ـ شَر من أكله وهُو مملق شَدِيد الحَاجَة إِلَيهِ، وَإِن اِشتَرَكَا فِي أَكلِ مَا هُو مُحَرَّم، وَكَانَا مُنتظمَينِ فِي قَرنٍ وَاحِد، وَمَعْلُوم أَنَّ المَنهِي عَنهُ كُلَّمَا كَانَ أوغل فِي القُبح، وَأَفرَطَ فِي الدمَامَة، كَانَت النَّفس بِطَبِيعَةِ الحَال أَنفَر عَنهُ"[1].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ أَفَمَنۡ اَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوٰى مِنَ اَللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ اَم مَّنۡ اَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَانۡهَارَ بِهِۦ فِے نَارِ جَهَنَّمَۗ وَاللَّهُ لَا يَهۡدِے اَلۡقَوۡمَ اَلظَّٰلِمِينَۖ ﴾ [التوبة:109]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة فِي قَولِهِ ﴿أَفَمَنۡ اَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوٰى مِنَ اَللَّهِ﴾ فَقَد شَبَّهَ التَّقوَى والرِّضوَان بِالأَسَاسِ الذِي يُبنَى عَلَيهِ البِنَاء، فَالأُسُس وَالقَوَاعِد التي يُبنَى عَلَيهَا البُنيَان يَنبَغِي أَن تَكُونَ مَتِينَة؛ فَكَذَلِكَ العِبَادَات وَالطَّاعَات وَأَعمَال الإِنسَان يَنبَغِي أَن تَكُونَ مَبنِيَّة عَلَى قَوَاعِد مَتِينَة مِن تَقوَى مِنَ اللهِ تَعَالَى حَتَّى تَكُون القَوَاعِد سَلِيمَة، وقَد عَبَّرَ القُرآن الكَرِيم فِي هَذِهِ الآيَة بِلَفظ ﴿اَسَّسَ﴾ وَفِي آيَةٍ أُخرَى عَبَّرَ بِالقَوَاعِدِ فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿ قَدۡ مَكَرَ اَلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى اَللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ اَلۡقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ اُلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ اُلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَۖ ﴾ [النَّحْل:26]

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِالۡحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَآۚ قَالَ فَذُوقُواْ اُلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَۖ ﴾ [الأنعَام:31]

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج1، ص610.

نَجِد فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة فقد نَسَبَ الذَّوق للعَذابِ فِي قوله ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ فَاسْتُعِيرَ الذَّوْقُ لِلعَذَابِ فَقَد جَاءَهُم الحَقُّ وَأَنكَرُوهُ وَكَذَّبُوا بِهِ، وَقَد يَكُون المَعنَى عَلَى الحَقِيقَةِ، فَنَجِدُ أَنَّهُ يومَ القِيَامَة لَمَّا يَدخُل أَهل الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وأَهل النَّار النَّار، فَأَهل النَّار يَتَذَوَّقُونَ العَذَابَ؛ لأَنَّ اللهَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى يُذِيقُهُم العَذَابَ مِن خِلالِ تَنوِيع العَذَاب وَاِسْتِبدَال جُلُودِهِم؛ وَقَد جَاءَ هَذَا التَّعبِيرُ فِي آيَةٍ أُخرَى حَيثُ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ ٱلذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ [النِّسَاء:56]

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [الأنعَام: 31] فِي الآيَة القُرآنِيَّة اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة فِي قوله ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ [1]﴾ قال محيي الدِّين الدرويش" فَقَد شَبَّهَ الذُّنُوبَ بِالأَوزَارِ الثَّقِيلَة، ثُمَّ حَذَفَ المُشَبَّه، وأَبقَى المُشَبَّه بِهِ"[2].

الأَوزار هِي الذُّنُوب وَالآثَام الثَّقِيلَة التي يَجِدُهَا الإِنسَانُ فِي حِسَابِهِ يَومَ الحِسَابِ، وَمنه قوله تَعَالَى ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد:4] الآيَة فِيهَا كِنَايَة عَنِ وَضعِ الحَرَبِ أَثقَالهَا، فَالحَرب أَثقَالهَا هِيَ آليَاتهَا وَوَسَائِلهَا الثَّقِيلَة مِن عَتَادٍ وَعُدَّةٍ ومَوتٍ وَجِرَاحٍ، فَهَذِهِ كُلُّهَا أَثقَال، وَمَا فَرَّطَ الإِنسَانُ فِيهِ مِن أَعمَالِ الطَّاعَةِ وَالعِبَادَة يَتَحَسَّرُ عَلَيهِ يَومَ لا يَنفَع مَال ولا بَنُون.

وَقَالَ اللهُ يَزِرُونَ ولَم يَقُل يَحمِلُونَ لأَنَّ الوِزرَ فِي اللغَةِ هُو الحِمل الثَّقِيل، وَالأَوزَار الأَثْقَال كَقَولِنَا: وَضَعَتِ الحَربُ أوزَارَهَا، فَالحَرب يَجتَمِع فِيهَا كُل شَيء مِن خَيلٍ وآليَاتٍ وَجَيش وغيرهَا.

---

[1] . عَرَّفَ محيي الدِّين الدرويش الأَوزَار بِقَولِهِ:" جَمعُ وِزْرٍ بِكَسْرِ الوَاو، وَهُو الحِمْلُ الثَّقِيل، والوِزْرُ فِي الأَصلِ: الثِّقَل، وَمِنْهُ وَزِرْتُهُ، وَوزِير المَلِك مِن هَذَا؛ لأَنَهُ يَتَحَمَّل أَعْبَاءَ مَا قَلَّدَهُ مِن أُمُورِ الرَّعِيَّة، ومِنْهُ أَوْزَارُ الحَرْبِ لِسِلاحِهَا وَعَتَادِهَا وآلتِهَا" محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج2، ص352.

[2] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج2، ص353.

قَالَ الأَعْشَى[1]:

وَأَعْدَدْتُ لِلحَرْبِ أَوْزَارَهَا رِمَاحًا طِوَالاً وَخَيْلاً ذُكُورًا

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَالذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [الأنعَام:50]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة تَبَعِيَّة فِي قَولِهِ ﴿يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ قَالَ محيي الدِّين" كَأَنَّ العَذَابَ كَائِن حَيٌّ يَفْعَلُ بِهِم مَا يُرِيدُهُ مِن الآلَامِ"[2]، وَهَذَا بِسببِ الفِسقِ والإِصرَار الدَّائِم عَن الكَذِبِ وَالخُرُوج عَنِ الطَّاعَةِ.

وقَد جَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي فِي الآيَةِ بِلَفظِ المَسِّ حَيث يقول تعالى ﴿يَمَسُّهُمُ﴾ والمَسُّ هُو التِقَاءُ الشَّيْئَينِ فيَلْمَسُ أحدهمَا الآخَر، وَقَد عَلَّلَ اللهُ سُبحانَهُ وَتَعَالَى سَبَبَ فِسقِهِم وَهُو تَكذِيبُهُم لآيَاتِ اللهِ تَعَالَى، فَجَزَاءُ تَكذِيبِهِم للهِ وَلِلرَّسُولِ وللآيَاتِ وَالبرَاهِين الدَّالَّة عَلَيهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى فَإِنَّ اللهَ جَعَلَ العَذَابَ لا يُفَارِقُهُم مُلتَصِقًا بِهِم.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعَام:59]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة فِي قَولِهِ ﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ قَالَ محيي الدِّين" كَأَنَّ لِلغَيبِ مَفَاتِيح بِيَدِهِ تَعَالَى يَكشِفُ بِهَا مَا غَمُضَ عَلَى النَّاسِ"[3]، فَالغَيب مِنهُ مَا أَخبَرَ اللهُ تَعَالَى بِهِ، وَمِنهُ مَا هُو مَوجُود فِي الدُّنيا وَمِنهُ مَا نَلْقَاهُ يَومَ القِيَامَة، وَمِنهُ مَا لا يَعلمه إلا اللهُ، وفي الآية خَصَّ اللهُ تَعَالَى الغيب الذِي لا يعلمه إلا هو، يَقُولُ تَعَالَى ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النَّمل:65]، فَالآيَةُ تُخبِرُنَا بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى

[1] . الأعشى، ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتحقيق: محمد حسين، دط. القاهرة: 2012، المطبعة النموذجية، ص99.

[2] . محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج2، ص370.

[3] ـ المصدر نفسه، ج2، ص380.

هُو الوَحِيد الذِي يَعلَمُ الغَيبَ وأُسسه الكُبرَى التي يَقُومُ عَلَيهَا، فَهُو يَعلَمُ مَا غَمُضَ عَلَى النَّاسِ مِن أَمرِ الأَرْضِ والسَّمَاءِ وَمَا بَينَهُمَا وَمِن أَمرِ البرِّ والبَحرِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَّرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝﴾ [الأنعَام:59]

الإِستِعَارة التَّصرِيحِيَّة فِي قَوْلِهِ ﴿ظُلُمَٰتِ﴾ قَالَ محيي الدِّين" لشَّدَائِدُ البَرّ والبَحر وأَهوَالهمَا؛ التي تُبطِلُ الحَوَاسَ، وتُدْهِش العُقُول، لأَنَّ الظُّلمَات تُبْطِلُ حَاسَّةَ البَصرِ، وَمِن ثَمَّ قِيلَ لِليَومِ الشَّدِيد العَصِيب: يَوْم مُظلِم..."[1]، فَاللهُ سُبحَانَهُ عِلمُهُ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيءٍ وَلَو كَانَت حَبَةً فِي أَعمَقِ طَبَقَاتِ الأَرضِ مِن الأَرضِ السَّابِعَة، فَهُو سُبحَانَهُ يَعلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَوَقت نَبَاتِهَا أَو مَوتِهَا.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ۝﴾ [154]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة فِي قوله ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾، فَقَد شَبَّهَ السُّكُونَ بِالسُّكُوتِ، فَقَد اُستُعِيرَ السُّكُوت لِذَهَابِ الغَضَبِ؛ فَالسُّكُوت مِن اِنتِهَاءِ الكَلامِ، وَالسُّكُون يَصحَبُهُ هُدُوء فِي جَمِيعِ الأَعضَاءِ، فَسُكُوتُ الغَضَب وَسُكُونُهُ هُو زَوَالُهُ وَتَوَقُّفُهُ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝﴾ [التَّوبَة:34]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارَة فِي أَكْلِ الأَموَالِ، إِذ هِيَ مِمَّا لا يُؤكَلُ، وقَد اُستُعِيرَ الأَكلُ لِلأَخْذِ، فَهُم يَأْخُذُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ.

وقد جَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي فِي آيَاتٍ أُخرى عَبَّرَ فِيهَا عَن أَكلِ الأَموَالِ وَهِيَ أَموَال حَرَام أَو أُخِذَت بِالبَاطِلِ مِنهَا قَوله تَعَالَى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ

[1] . محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج2، ص381.

نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ [النّساء:10] فَالأَموَال البَاطِلَة وَالمُتَحَصَّل عَنهَا بِطُرُقٍ غَير شَرعِيَّة هِيَ أَموَال حَرَام؛ فَمِنهَا الغِذَاء من أَكْلٍ وَشُربٍ وَبِهِا يَنمُو الجِسم، واللَّحم الذِي يَنبُتُ مِن حَرامٍ النَّار أَحَقُّ بِهِ كما قَالَ الرَّسُول صلى الله عليه وسلم.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَمَا كَانَ لِے عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ اِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِے فَلَا تَلُومُونِے وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّے كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم:24]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة فِي قوله تَعَالَى ﴿إِنِّے كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" شَبَّهَ الطَّاعَة بِالإِشرَاكِ، وأنزَلَ الطَّاعَة مَنزِلَةَ الإِشرَاك؛ لأَنَّهُم كَانُوا يُطِيعُونَهُ فِي أَعْمَالِ الشَّرِّ، كَمَا يُطَاعُ اللهُ فِي أَعمَالِ الخَيرِ، أَو لأَنَّهُم لَمَّا أَشرَكُوا الأَصنَامَ ونَحوهَا بِاتِّبَاعِهِم لَهُ فِي ذَلِكَ، فكأنهم أشركوه؛ لأنه هو الذي كان يزين لهم عبادة الأوثان، ثم حذف المشبه، وأبقى المشبه به"[1]، والأَصلُ فِي الطَّاعَةِ للهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، فَإِن أُشرِكَ اللهُ تَعَالَى فِي الطَّاعَةِ وَعُبِدَ غَيرُهُ فَهِيَ إِشرَاك، فَالعِبَادَة لِغَيرِ اللهِ فِي الدُّنيَا هِيَ كُفر بِعِبَادَةِ اللهِ وَهِيَ بَاطِلَةٌ وَيَومَ القِيَامَة يَكْفُرُ بِهَا اللهُ تَعَالَى وَيَتْرُكُهُم إِلَى مَا كَانُوا يَعبُدُونَ مِن دُونِهِ، وَقَد تَوَعَّدَ اللهُ مَن كَفَرَ بِهِ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِے ٱلَارْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلذِے ٱرْتَضىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِے لَا يُشْرِكُونَ بِے شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النُّور:53].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْۖ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍۖ﴾ [الحجر:79]

فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍۖ﴾ اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة قَالَ محيي الدِّين الدرويش" لأَنَّ الطَّرِيقَ سَبِيل للوُصُولِ، والمُسَافِر فِيهِ يَتبَعُهُ حتَّى النِّهَايَة، فَاستَعمَلَ المُشَبَّه بِهِ بَدَلاً عَنِ المُشَبَّهِ"[2]، جَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي فِي هَذِهِ الاِستِعَارَة بِلَفظِ الإِمَامِ؛ فَهُو الذِي يَكُونُ فِي الأَمَامِ وَأَوَّل مَن يَسلُك

[1] . محيي الدِّين الدرويش، إعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ،ج4، ص146.

[2] ـ المصدر نفسه، ج4، ص210.

الطَّرِيق؛ فَطَرِيقُهُ واضِحَة وَمَا جُعِلَ الإِمَامَ إِمَامًا إِلا لُيُأْتَمَّ بِهِ، فَمَن خَرَجَ عَن طَرِيقِهِ فَهُو لا يُعَدُّ مَأْمُومًا تَابِعًا لإِمَامِهِ، فَهُو من يَحمِلُ عَلَيهِ وَتكُون نَتِيجَة ذَلِكَ طَرِيقًا غير وَاضِحَةٍ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِے اِلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً﴾ [الكَهف: 11].

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة فِي قَولِهِ ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" فَقَد اِستِعَارَ الحِجَاب المَانِع عَلَى آذَانِهِم لِلُزُومِ النَّوم، وَخَصَّ الآذَان؛ لأَنَّهُ بِالضَّرَبِ عَليهَا يَحصُل عَلَيهَا"[1]، فَالضَّرب عَلَى الآذَانِ هُو عَدَمُ اِختِرَاق الأَصوَات لِلآذَانِ، لأَنَّهُ عِندَ سَمَاعِ الأَصوَاتِ يَكُون الإِنتِبَاه، وَهُنَاكَ علاقَة بَينَ الآذَان وَالنَّوم، فَأَصحَاب الكَهف ضَرَبَ اللهُ عَلَى آذَانِهِم، وَقَد وَرَدَ فِي الحَدِيثِ النَّبوِي الشَّرِيف علاقَة الأُذُن بِالنَّوم فِي الحَدِيثِ الذِي يَتَحَدَّثُ عَن الذِي تَثَاقُل أُذُنُهُ عَن سَمَاعِ آذَانِ الفَجر حَيثُ قَالَ ﷺ (ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَان فِي أُذُنِهِ)[2].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ اُلسَّمَٰوَٰتِ وَالَارْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهاً لَّقَدْ قُلْنَآ إِذاً شَطَطاً ﴾ [الكهف: 14]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة تَبَعِيَّة فِي قوله ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ قَالَ محيي الدِّين" لأَنَّ الرَّبطَ هُو الشَّد بِالحَبلِ، وَالمُرَاد قَوَّينَا قُلُوبَهُم بِالصَّبرِ عَلَى هَجرِ الأَوطَان والفِرَار بِالدِّين إلى الكُهُوفِ والغِيرَان، وافتِرَاش صَعِيدهَا، وَجسر ناهم عَلَى قَولِ الحَقِّ، والجَهرِ بِهِ أَمَامَ دِقيَانُوس الجَبَّار"[3]، والرَّبط لا يَكُون إلا فِي الأُمُورِ الصَّعبَة التي تَتَعَلَّقُ بِالأُمَّة والتي يَنبَغِي أَن يَصحَبها ضَبطُ النَّفسِ والصَّبر؛ وَمِنهُ الرِّبَاط الذِي يَكُون فِي الثُّغُورِ الذِي يَكُونُ مَعَهُ صَبر وَجَلد، وَمِن ذَلِكَ مَا صَوَّرَهُ القُرآنُ الكَرِيم عَن أُمِّ مُوسَى التي رَبَطَ اللهُ عَلَى قَلبِهَا لِفَقدِهَا وَلَدهَا

[1] . محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ ، ج4، ص447.

[2] . القُرطُبِي، أَبُو عبد اللهِ مُحَمَّد بن أَحمَد الأنصَارِي القُرطُبِي، الجَامِع لأحكَام القُرآن، القُرطُبِي، ط1. القاهرة: 2005، مكتبة الصَّف،ج10،ص268.

[3] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج4، ص450.

مُوسَى ـ عليه السَّلام، يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسِىٰ فَٰرِغاً اِن كَادَتْ لَتُبْدِے بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُومِنِينَ﴾ [القَصَص:10]

فَالرَّبْط عَلَى القُلُوبِ الذِي جَاءَ في الآية عَلَى شَكلِ اِستِعَارَةٍ تَصرِيحِيَّة يُصَوِّرُ لَنَا الصُّعُوبَة التي سَوفَ يَتَلقَّاهَا هَؤلاءِ الفِتيَة؛ لأَنَّهَا أُمُور جَلِيلَة فِيهَا دَعوَة إِلَى وِحدَانِيَةِ اللهِ وَالتي مِن أَجلِهَا حَمَاهُم اللهُ، سِنِينَ طَوِيلَة ليَكُونُوا لِمَن خَلْفَهُم آيَةً.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِے قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ [المؤمنون: 13]

فِي الآيَةِ القرآنية اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة فِي قوله ﴿فِے قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ فَالمُشَبَّه هُو الرَّحِم والمُشَبَّهُ بِهِ القَرَار، وَهُو الاِسْتِقرَار والمُكُوث ثُمَّ وَصَفَهُ بِـ «مَكِين بِمَعنَى مُتَمَكِّن لِتَمَكُّنِهِ فِي نَفسِهِ، بِحَيث لا يعرض لَهُ اِختِلال، أَو لِتَمَكُّن مَا يَحِلُّ فِيهِ"[1]، والمَكِين مَكَّن اللهُ لَهُ؛ أَي: حَفِظَهُ فَهُو مَحفُوظ بِأَمرِهِ مَحْفُوف بِرِعَايتِهِ، وَمِنهُ يقول اللهُ تَعَالَى فِي تَمْكِينِهِ ليوسف ـ عَلَيهِ السَّلام ـ ﴿ وَقَالَ ٱلذِے ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِے مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَداً وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِے ٱلَارْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَاوِيلِ ٱلَاحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يُوسُف:21]، وَمِنهُ تَمكِينُهُ سُبحَانَهُ وتَعَالى لِذِي القَرنَينِ، يَقُولُ تَعَالَى ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِے ٱلَارْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَےْءٍ سَبَباً﴾ [الكهف:83]

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس:51]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة تُصَوّر لنَا الحالة التي يكُون عليهَا النَّاس حَال البَعثِ، ففي قوله ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ فَقَد اِستعار الرُّقَاد لِلمَوتِ" وَالجَامِع بَينَهُمَا عَدَم ظُهُور الفِعل؛ لأَنَّ كُلا مِن النَّائِمِ وَالمَيِّت لا يَظهَر فِيهِ فِعل وَالمُرَاد الفِعل الإِختِيَارِي المُعتَد بِهِ، فَلا يَرِد أَنَّ النَّائِمَ يَصدُرُ مِنهُ فِعل"[2]، وَالبَعث يَأتِي بَعدَ الرُّقَاد الطَّوِيل أو القَصِير، وَمِنهُ

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج5، ص191.

[2] ـ المصدر نفسه، ج6، ص339.

يَوم البَعث الذِي يَكُون يَومَ القِيَامَة؛ فَالبَعث يَكُون بَعد الرُّقَاد وَمِنهُ يَكُونُ الحِسَاب وَمِنهُ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مَرْيَم:14].

وَقَد وَرَدَ الرُّقُودُ بِمَعنَى المَوت كَمَا وَصَفَ اللهُ تعالى أَصحَابَ الكَهفِ فِي قَولِهِ ﴿وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِّئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً ﴾ [الكَهْف:18]

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْاَوْتَادِ ﴾ [ص:12]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة فِي قَوله ﴿ذُو ٱلْاَوْتَادِ﴾ قَالَ محيي الدين" أَي: ذُو المُلكِ الثَّابت المُوطَّد، وأَصلُهُ: مِن ثَبَاتِ البَيتِ المُطنب بِأَوتَادِهِ، قَالَ الرفَادَة الأودي:

البَيْتُ لا يُبْتَنَى إِلَّا عَلَى عمدٍ

ولا عِمَادَ إِذَا لَمْ تُرسَ أوتَادُ"[1]

وَالبَيتُ مِنَ الشَّعرِ لا يُرسَى إلا بِأَوتَادٍ وأَعمدَةٍ، وَمِنهُ قَولُ الأَسوَد بن يَعْفُر:

ولَقَد غَنَوا فِيهَا بِأَنعَمَ عِيشَةٍ فِي ظِلِّ مُلكٍ ثَابِتِ الأَوتَادِ[2]

فَالأَوتَاد عَلَى الصُّورَةِ الحَقِيقِيَّة بِهَا يَكُونُ ثَبَاتُ البَيتِ، وَتُستَعَارُ الأَوتَاد لإِثبَاتِ المُلكِ وَتَوطِيدِهِ فَالقَوَاعِد الأَسَاسِيَّة أَوتَاد، وَقَد جَعَلَ اللهُ الجِبَالَ أَوتَادًا لِلأَرضِ يقول الله تعالى ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا)[النَّبَأ:7].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ اِعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ[3] إِنِّے عَٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَّاتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [الزُّمَر:39]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة فَقَد" شُبِّهَتِ الحَال بِالمَكَانِ القَار فِيهِ، وَوَجهُ الشَّبَهِ: ثِيَابُهُم فِي تِلكَ الحَال بِثَبَاتِ المُتَمَكِّن فِي مَكَانِهِ"[1] إِنَّ العَمَلَ فِي الدُّنيا يَكُونُ بِغَرَضِ الحُصُولِ عَلَى

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج6، ص445.

[2] ـ القرطبي، أَبُو عبد اللهِ مُحَمَّد بن أَحمَد الأنصَارِي القُرطُبِي، الجَامِع لأحكَام القُرآن، القُرطُبِي، ط1. القاهرة: 2005، مكتبة الصَّف، ج 15، ص114.

[3] . إِنَّ قَولَهُ تَعَالَى ﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ اِعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ وَرَدَت فِي أَربَعِ مَوَاضِع مِنَ القُرآنِ الكَرِيم، فِي سُورةِ : الأنعَام وَفِي هُودٍ مَرَّتَينِ وفِي الزُّمَرِ.

مَكَانَةٍ مَرمُوقَةٍ وَدَرَجَةٍ رَفِيعَةٍ، وَفِيهِ مَرضَاة لِلهِ تَعَالَى وَوِفق شَرعِ اللهِ، وَمَا كَانَ غَيرَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَكُونُ فِي خِزيٍ كَبِيرٍ فِي الدَّارَينِ يَقول تعالى ﴿ مَنْ يَّاتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [الزُّمَر:39]، فَالعَذَاب الخِزي يَكُونُ فِي الدنيَا؛ وَيَكُونُ فِي الآخِرَةِ بِالعَذَابِ المُقِيمِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنٰهُمْ فَاسْتَحَبُّواْ الْعَمٰى عَلَى الْهُدٰى فَأَخَذَتْهُمْ صٰعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ١٦ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [فُصِّلَتْ: 17]

فِي قَوله تعالى ﴿فَاسْتَحَبُّواْ الْعَمٰى عَلَى الْهُدٰى﴾ اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة فَقَد شَبَّهَ الكُفر بِالعَمَى لأَنَّ" الكَافِرَ ضَال عَن القَصدِ، مُتَعَسِّف الطَّرِيق كَالأَعمَى، وَشَبَّهَ الإِيمَانَ بِالهُدَى؛ لأَنَّ المُؤمِنَ مُهتَدٍ إِلَى مَحَجَّةِ القَصد وَسَوَاءِ السَّبِيل، ثُمَّ حَذَفَ المُشَبَّه فِي كِلَيهِمَا، وَأَثبَتَ المُشَبَّه بِهِ"[2] هَؤلاءِ اِستَحَبُّوا العَمَى بعد أَن عرفُوا طَرِيقَ الهِدَايَةِ، فَبَعَثَ اللهُ لَهُم رَسُولا وَأَيَّدَهُ بِمُعجِزَةٍ حَيثُ أَخرَجَ لَهُم نَاقَةً مِنَ الأَرضِ؛ فَكَانَت آيَةً مِن عِندِ اللهِ تَعَالَى؛ وَهَذَا ضَلال كَبِير أَن يُعرَفَ الحَقُّ فَلا يُتَّبعُ، وَأَن يَكُونَ الضَّلالُ بَعدَ الهِدَايَةِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْاٰخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِے حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُوتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِے الْاٰخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشُّورى:18]

في الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة فِي قَولِهِ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْاٰخِرَةِ﴾ فَالحَرث هُو العَمَل، وَالمَقصُود بِهِ العَمَل فِي الأَرضِ فَالدُّنيَا مَزرَعَةٌ لِلآخِرَةِ، والحَرْث هُو الكَسب وَمِنهُ اِسمُ الحَارِث الذِي مَعنَاهُ الكَاسِب، فَقَدِ اِستعَار الحَرث للعَمَلِ والكَسب فِي الدُّنيَا وَهَذَا الكَسب هُو مِن الطَّاعَةِ والعِبَادَةِ وأَعمَال البِرِّ والتَّقْوَى، وَشَتَّانَ بَينَ حَرثِ الدُّنيا وحَرثِ الآخِرَة.

وَجَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي لِلذِي يُرِيدُ الآخِرَةَ بـ﴿نَزِدْ لَهُ﴾ أَي أَنَّ: من كَانَ يُرِيدُ بِعَمَلِهِ الآخِرَةِ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَزِد لَهُ فِي الثَّوَابِ والأَجر، ويُضَاعف لَهُ الحَسَنَات، وأَمَّا مَن أَرَادَ الدنيَا فَجَاء التَّعبِير بـ﴿نُؤْتِهِ﴾ وَالإِتيَانُ فِي اللغَةِ يُقصَدُ بِهِ المَجِيءُ بِسُهُولَةٍ؛ فَهُو يَتَحَصَّل عَلَى مَا يُرِيد مِن هَذِهِ

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج6، ص520.

[2] ـ المصدر نفْسُهُ، ج6، ص625.

الدُّنيَا بِسُهُولَة وَمِنهُ قوله تَعَالَى ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ﴾ أَي: بِالأَمرِ والتَّدبِير، والإِتيَان يُقصَدُ بِهِ الإِعطَاء؛ ومِنهُ قوله تَعَالَى ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبِيَاء:73] أَي" إِعطَاءُ الزَّكَاةِ، وَمِنهُ فَإِنَّهُ يَأْخُذ رِزقَهُ المَكتُوب؛ ويُمَتِّعهُ اللهُ فِي الدُّنيَا ويُعطِيهِ مِنهَا، وَيُؤتَى سَعَةً مِنَ المَالِ وَلَكِن لا نَصِيبَ لَهُ فِي الآخِرَةِ؛ وَمِنهُ قوله تَعَالَى ﴿ وَلَمْ يُوتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَاللَّهُ يُوتِى مُلْكَهُ مَنْ يَشَآءُ وَاللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:245]

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَإِنَّهُ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف:4]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة فِي قوله ﴿وَإِنَّهُ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" وَقَد اُستُعِيرَ لَفْظُ الأُم لِلأَصلِ، وَهُو المُشَبَّه المحذوف؛ لأَنَّ الأَولادَ تَنشَأُ مِنَ الأُم كَمَا تَنشَأُ الفُرُوعُ مِن الأُصُول"[1]، فَهَذَا مَوجُود ومَكتُوب فِي أُمِّ الكِتَابِ وَاستَعَار كَلِمَة الأُم لأَنَّ الأَولادَ فِيهِم مِن صِفَاتِ الأُمِّ؛ فَالكُتُب السَّمَاوِيَّة وَالصُّحُف كُلُّهَا مُنبثِقَة مِن القُرآنِ الكَرِيمِ؛ فَنُزُولُ القُرآنِ كان عَلَى مَرَاحِل، فَقَد كَانَ نُزُولُهُ إِلَى اللَّوحِ المَحفُوظِ جُملَةً واحِدَة، كَمَا أَنَّهُ نَزَلَ مُنجَّمًا مُقَطَّعًا عَلَى الرَّسُولِ ﷺ عَلَى حَسبِ الأَحدَاثِ والوَقَائِعِ، فَالكُتُبُ السَّمَاوِيَّة تَشتَرِكُ مَعَ القُرآن فِي الكَثِيرِ مِنَ القَضَايَا مِنهَا: التَّوحِيد والصَّلاة والحَج وَالصِّيَام.

والدَّلِيل عَلَى أَنَّ القُرآنَ الكَرِيم مَوجُود عِندَ رَبِّ العزةِ قَبْلَ هَذِهِ الكُتُب؛ هُو الرَّسُولُ مُحَمَّد ﷺ فَمَا مِن نَبِيٍ إلا وَبُشِّرَ بِمُحَمَّدٍ نَبِيًا ورَسُولا حتَّى آدَم ـ عَلَيهِ السَّلام ـ وَعِيسَى، وَمنه يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرِىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الصَّف:7]

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمَّد:4]

[1] . محيي الدِّين الدرويش، إعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج 7، ص63.

فِي الآيَةِ القرآنيَّة اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة فِي قَولِهِ ﴿تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَاۖ﴾ فَقَدِ اِستَعَار الأَوزَار لآلاتِ الحَرَب وَالسِّلاح وَمِنهُ قول الأَعشَى[1]:

وَأَعدَدتُ لِلحَربِ أَوزَارَهَا رِمَاحًا طِوالاً وَخَيلاً ذُكُورا

وَمِن نَسجِ دَاوُدَ يَحدَى بِهَا عَلَى أَثَرِ الحَيِّ عِيرًا فَعِيرَا

وَهَذِهِ الاِستِعَارَة لَهَا مَعنَى آخَر وَهُو مَعنَوِي وَهُو الحِمل الثَّقِيل، والآثَام تُسَمَّى أَوزَارًا لأَنَّهَا أَحْمَالٌ ثَقِيلَة وكَذَلِكَ لَفظ (الوزير) فَهُو يَحمِلُ حِملا ثَقِيلا ومَسؤُولِيَّة كُبرَى، فَالحَرب بِطَبعِهَا لَهَا آثَارٌ مُختَلِفَة مِن بَينِهَا الآثَارُ النَّفسِيَّة والاِجتِمَاعِيَّة والاِقتِصَادِيَّة التي تَكُونُ ثَقِيلَةً عَلَى النَّفسِ والمُجتَمَعِ.

- يَقُولُ تَعَالَى ﴿ٱلذِينَ هُمْ فِے خَوْضٍ يَلْعَبُونَۖ﴾ [الطُّور:12]

فِي الآيَةِ اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة فَقَد شَبَّهَ المُكَذِّبِينَ وأَهل البَاطِلِ المُدَافِعِينَ عَنهُ، بِالخَائِضِينَ واللاعِبِين.

وَقَد اِستِعَارَ لَفظَ الخَوض، فَالخَوض إفسَاد لِلصَّفَاءِ، وَمِنهُ قَولُ ابن الأَعرَابِي:

كَأَنَّهُ فِي الغَرضِ، إِذ تَرَكَّضَا دُعْمُوصُ مَاءٍ قَلَّ مَا تَخَوَّضَا[2]

فَهَؤلاءِ أَفسَدُوا الفِطرَةَ وَالصَّفَاءَ فَخَاضُوا بِالبَاطِلِ لِيُفسِدُوا الحَقَّ؛ خَاضُوا بِالتَّكذِيبِ والرَّدِّ وَالاِستِهزَاءِ، وَمِنهُ قوله تَعَالَى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ قُلْ اَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَۖ﴾ [التَّوبَة: 65] فَالخَائِضِينَ فِي الكَلامِ بِالاِستِهزَاءِ والتَّكذِيبِ لا جُلُوسَ مَعَهُم، فَالجَالِس مَعَهُم هُو مِنَ الخَائِضِينَ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلذِينَ يَخُوضُونَ فِےٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِے حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَۖ﴾ [الأَنعَام:68].

- يَقُولُ تَعَالَى ﴿ اَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِۖ﴾ [الطُّور:30]

---

[1] – الأعشى، ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتحقيق: محمد حسين، دط. القاهرة: 2012، المطبعة النموذجية، ص99.

[2] . ابنُ مَنظُور، لِسَان العَرَبِ، ج2، ص31.

فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِۖ﴾ اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة فَقَد شَبَّهَ الرَّيب الذِي هُو الشَّك بِالحَوَادِتِ وَهَذَا يُبَيِّن العلاقَة التي تَربِطُ بَينَ الشَّك والحَوَادِث فِي كَونِهمَا لا يبقيَان عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَة.

وَالمَنُونُ هُو المَوت عَلى قَولِ ابن عَبَّاس ـ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا ـ، قَالَ أَبُو الغَول الطُّهَوِيُّ:

هُم مَنَعُوا حِمَى الوَقَبِي بِضَرْبٍ يُؤَلِّفُ بَيْنَ أَشْتَاتِ المَنُونِ

وَالرَّيب هُو صَرفُ الدَّهرِ وحَوَادثُهُ و﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِۖ﴾ هِيَ نَازِلَةُ المَوتِ التي هِيَ مِنَ الحَوَادِثِ العِظَام، وَهَذَا مِمَّا لاشَكَّ فِيهِ أَنَّ المَوتَ حَقٌ عَلَى كُلِّ إِنسَانٍ، ولَكِنَّ وَقْتَهَا بِيَدِ الوَاحِدِ الدَّيَّان، قَالَ الشَّاعِرُ ديك الجن الحمصي[1]:

النَّاسُ قَد عَلِمُوا أَنْ لا بَقَاءَ لَهُم لَوْ أَنَّهُم عَمِلُوا مِقْدَارَ مَا عَلِمُوا

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلذِے تَوَلَّىٰ ﴾ [النَّجم:33]

فِي الآيَةِ اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة فَقَد اِسْتَعَارَ الإِدبَار لِلإِعرَاض عن الدخُولِ فِي الإِيمَانِ، فَالتَوَلِّي لَيسَ هُو الإِعرَاض، فَهَذَا سَمِعَ فَأَعرَضَ ثُمَّ تَوَلَّى أَي أَدْبَرَ، أَدبَرَ عَن إِتِّبَاعِ الحَقِّ والثَّبَاتِ عَلَيهِ وَأَعطَى القَلِيلَ مِن مَالِهِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿مَّن ذَا ٱلذِے يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً[2] فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌۖ﴾ [الحديد:11]

فِي الآيَةِ اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة تَبَعِيَّة، فَقَد شَبَّهَ الإِنفَاق فِي سَبِيلِ اللهِ بِالقَرضِ، وَمَن عَادَةِ العَرَبِ أَن تُطلِقَ لَفظ القرض لِكُلِّ مَن يَفعَل فِعلا حَسَنًا، وَمِنهُ قَولُ الشَّاعِر لبيد بن ربيعة[3]:

فإِذَا جُوزِيتَ قَرْضًا فَاجزِهِ إِنَّمَا يَجزِي الفَتَى لَيسَ الجَمَل

وَلَفْظُ (القرض) سُمِّيَ بِهَذَا الاِسم لأَنَّ فِيهِ اِستِردَاد، فَالذِي يُقرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَإِنَّهُ يَستَرِدُّ مِنَ اللهِ تَعَالَى هَذَا القَرض فِي الدُّنيا، وتَكُونُ لَهُ أَضعَاف مُضَاعَفَة فِي الآخِرَةِ إِلَى سَبعُمَائَة

[1] ـ الرَّاغِبُ الأصفهَانِي، مُفْرَدَات أَلفَاظ القُرآن، ص67، دِيكُ الجِنِّ الحِمصِي 161هـ/235هـ، /777م/849م، شَاعِر من العصر العباسي سُمِّي بديكِ الجنِّ لأن عينيه كانتا خضراوين.

[2] . وَرَدَت جُملَةُ (قَرْضًا حَسَنًا) فِي القُرآنِ الكَرِيمِ فِي سِتِّ مَوَاضِعَ في خَمْسِ سُوَرٍ مِنَ القُرآنِ وَهِيَ: البَقَرة ـ المَائِدَة ـ الحَدِيد مَرَّتَين ـ التَّغَابن ـ المُزَّمِّل.

[3] . لبيد بن ربيعة العامري، ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دط. بيروت: دت، دار صادر، ص141.

ضعفٍ، يَقُولُ تَعَالَى ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحَدِيدِ:17]

- يقُولُ تَعَالَى ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَٰتِ يَسْعِىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ بُشْرِيٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِے مِن تَحْتِهَا ٱلاَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الحديد:12]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة أَصلِيَّة فِي قَوله ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَٰتِ يَسْعِىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ فَالنُّور اُستُعِيرَ للدلالَة عَلَى الهُدَى، فَفِي الآيَة ذَكَرَ المُشَبَّه بِهِ، وَحَذف المُشَبَّه.

وهَذَا النُّور يَكُونُ يَومَ القِيَامَةِ حَقِيقَةً؛ فَكُلُّ إنسَانٍ لَهُ نُور يَومَ الحِسَابِ بِقدرِ عَمَلِهِ، وَطَاعَتِهِ فِي هَذِهِ الدُّنيا.

فَاللهُ تَعَالَى نُور والمَلائِكَة خلقُوا مِن نُورٍ والرَّسُول ﷺ نُور، والقُرآن الكَرِيم نُور والإِسلام نُور والحَق نُور، وَالنَّاسُ يَومَ القِيَامَةِ هُنَاكَ مَن نُورُهُ مِثلَ الجَبَلِ، وَمِنهُم مَن نُورُهُ مثل النَّخْلَةِ ومِنهُم مَن نُورُهُ مثل الرَّجُلِ القَائِمِ، وأَقَلُّهُم نُورًا مَن نُورُه فِي إِبهَامِهِ؛ يُوقَدُ مَرَّةً وَيَنطَفِأُ مَرَّةً.

- يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُوماً لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك:5]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة فِي قوله ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيا بِمَصَٰبِيحَ [1]﴾ فَفِي الآيَةِ حُذِفَ المُشَبَّه، فَقَد شَبَّه النُّجُومَ بِالمَصَابِيحِ، فَالنُّجُوم تُزَيِّن السَّمَاء؛ كَمَا تَتَزَيَّنُ السَّمَاء بِالنُّجُومِ، تَتَزَّينُ الأَرْض بِالنَّبَاتِ بِأَنوَاعِهِ المُختَلِفَة، وَمِنهُ قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيا كَمَآءٍ انزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلارْضِ مِمَّا يَاكُلُ ٱلنَّاسُ وَالانْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلارْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتيٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلاً اَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالامْسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلاٰيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يُونُس:23]

---

[1] . عَبَّرَ القُرآنُ الكَرِيم عَن تَزيينِ السَّمَاءِ بِالمَصَابِيحِ فِي سُورَتَينِ مِن القُرآنِ الكَرِيم فِي سُورةِ فُصِّلَت فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿فَقَضٰيهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ فِے يَوْمَيْنِ وَأَوْحٰى فِے كُلِّ سَمَآءٍ اَمْرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيا بِمَصَٰبِيحَۖ وَحِفْظاًۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت:12] وَفِي سُورَةِ المُلكِ فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُوماً لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:5]

إِنَّ النُّجُومَ تُزَيِّنُ السَّمَاء؛ إِضَافَة إِلَى تَزْيِينِ السَّمَاءِ فَإِنَّهَا تُضِيءُ فِي اللَيلِ عِندَ الظَّلامِ الشَّدِيد فِي وُجُودِ السَّحَاب وَعِندَ الصَّفَاءِ، والنُّجُوم يُهتَدَى بِهَا لِتَحدِيدِ الجِهَات وَالوِجهَات وَهَذَا كُلُّهُ بِالنُّورِ المُشِع مِنهَا، وَمِنهُ قوله تَعَالَى ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِالنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ۝١٦﴾ [النَّحْل:16]

- يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَاللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا۝١٨﴾ [نوح:17-18]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة؛ فَقَد شَبَّهَهُم فِي الإِنشَاءِ بالنَّبَاتِ فِي الإِنبَاتِ، فَاللهُ خَلَقَ آدَم مِن تُرَاب فَنَشأَتُهُ مِن تُرَاب، وَكَذَلِكَ النَّبَات يَنشَأُ مِن تُرَاب، فَمَراحِلُ تَطَوّر الإِنسَان تُشبِهُ مَرَاحِل تَطَوُّر النَّبَات، فَالنَّبَات يَنمو ثُمَّ يُزهِر ثُمَّ تَكُونُ الثِّمَار ثُمَّ يُصبِح يَبَسًا، فَتَكُون مِنهُ البُذُور فتَكُون بِهَا إِعَادَةُ حَيَاةٍ جَدِيدَةٍ، وَالإِنسَان يَمُرُّ بِنَفسِ المَرَاحِل؛ فَمَرحَلَة الطُّفُولَة وَمَرحَلَة الشَّبَاب والكُهُولَة والشَّيخُوخَة، ثُمَّ يَأتِي المَوت الذِي تَكُونُ بَعدَهُ الحَيَاة؛ لأَنَّ الإِنسَانَ لَمَّا يَمُوت يَفنَى وَلا يَبقَى مِنهُ إِلا عَجَب الذَّنب؛ وَهُو البَذرَة التي يَنبُتُ مِنهَا الإِنسَان، فَيُصَبُّ عَلَيهَا مَاء الحَيَاةِ فَيَحيَى الإِنسَان حَيَاةً جَدِيدَة، فَعَن أَبِي هُرِيرَة عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ " كُلُّ ابن آدَمَ تَأكُلُ الأَرض إِلا عَجَب الذَّنبِ مِنهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّب"[1] وَبعد الحَيَاةِ يَكُونُ الحِسَاب، وَمِنهُ قَوله تَعَالَى ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً﴾

- يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَإِنَّهُ تَعَٰلَىٰ جَدُّ [2] رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا۝٣﴾ [الجِن:3]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة أي أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَصَفَهُ بِالتَّعَالِي عَن الصَّاحِبَةِ، وَالوَلَدِ، لِعَظَمَتِهِ وَاستِغنَائِهِ.

---

[1] - رَوَاهُ أَبُو دَاوُد، والنَّسَائِي، والإِمَام أحمَد، وابن مَاجَه، وابن حبَّان، ومَالك، والحَدِيث لَهُ صِيغٌ أخرى وَهُو مَا رواهُ الإِمَام مُسْلِم.

[2] . لَهَا قِرَاءَات منهَا قِراءَةُ عِكرِمَة(جِدٌّ) بِكَسرِ الجِيمِ، عَلَى ضِدِّ الهَزْلِ، وَكَذلِكَ قَرأَ أَبُو حيوة ومحمد بن السميقع، ويُرْوَى عَن ابن السميقع أيضًا وأَبِي الأَشْهَب (جِدَا ربِّنَا)، وهُو الجَدوَى والمَنفَعَة، وَقَرأَ عِكرِمَة أيضًا(جِد) بالتَّنوِين(رَبُّنا) بِالرَّفعِ عَلَى أَنَّهُ مَرْفُوعٌ بـ (تَعَالَى) وَ(جَدًّا) مَنصُوبٌ عَلَى التَّمْيِيز. وعَن عِكْرمة أيضًا (جَدُّ) بِالتَّنوِينِ والرَفع (رَبُّنا) بِالرَّفْعِ عَلَى تقدْيرِ: تَعَالَى جدُّ جَدِّ ربِّنَا، فجَدُّ الثَّانِي بَدَل مِن الأَوَّلِ وحُذِفَ وأُقِيمَ المُضَافُ إِلَيْهِ مُقَامَهُ. القرطبي، أَبُو عبد اللهِ مُحَمَّد بن أَحمَد الأنصَارِي القُرطُبِي، الجَامِع لأحكَام القُرآن، القُرطُبِي، ط1. القاهرة: 2005، مكتبة الصَّف، ج ، ص.

إِنَّ كَلِمَة ﴿جَدُّ﴾ وَرَدَ فِي مَقَايِيسِ اللغَةِ أَنَّ "الجِيمَ وَالدَّال أُصُول ثَلاثَة: الأَوَّلُ العَظَمَةُ، والثَّانِي الحَظ، والثَّالِث القَطع"[1].

الكَلامُ فِي الآيَةِ هُو مِن كَلامِ الجِنِّ، فقوله ﴿وَإِنَّهُ تَعَٰلَىٰ جَدُّ﴾ أَي: تَعَالَت عَظَمَةُ اللهِ وَقُدرَتُهُ أَن يَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَو وَلَدًا، فَإِنسَابُ الصَّاحِبَةِ وَالوَلَد وَهَذَا حتَّى يُنسَبَ إِلَيهِ الإِفْتقَارُ والحَاجَة للأُنسِ والإِلتِذَاذ، وَتَعَالَى جَدُّ اللهِ وَقُدرَته عَن ذَلِكَ، وتَنَزَّهَ عَن الصَّاحِبَةِ والوَلَد وَالشَّرِيك.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿إِنَّ لَكَ فِے اِلنَّهَارِ سَبۡحاً طَوِيلاً﴾ [المزمل:6]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة، قَالَ محيي الدِّين[2]:" فَالسَّبح مَصدَر سَبَّحَ، وَقَد اُستُعِيرَ مِن السِّبَاحَة فِي المَاءِ للتَّصَرُّفِ فِي مَنَاحِي العَيش وَحَوَائِج النَّاس، أَي: إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ تَصَرُّفًا وتَقَلُّبًا فِي المُهِمَّاتِ، كَمَا يَتَرَدَّد السَّابِح فِي المَاءِ، قَالَ الشَّاعِر[3]:

أَبَاحُوا لَكُم شَرْقَ البَلادِ وَغَرْبَهَا فَفِيهَا لَكُم يَا صَاحِ سَبْحٌ مِنَ السَّبْحِ

إِنَّ لَفظَ السَّبحِ لَهُ مَعَانِي مُخْتَلِفَة فِي اللغَةِ العَرَبِيةِ مِنهَا؛ الفَرَاغُ فَيَكُونُ ملأُ هَذَا الفَرَاغ بِذِكْرِ اللهِ والتَّسْبِيحِ، والتَّسْبِيحُ هُوَ التَّنزِيهُ؛ تَنزِيهُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ عَنِ السُّوءِ، وَمِنهُ (سُبْحَانَ) وَهِيَ اِسمُ عَلَمٍ لِمَعْنَى البَرَاءَةِ وَالتَّنزِيهِ مِنَ السُّوءِ، وأَمَّا فِي الآيَةِ فَالتَّسبِيحُ هُو تَفَكُّر الله تَعَالَى بِالقلب واللِّسَان فِي اللليلِ وَالنَّهَارِ.

قَالَ الأَعْشَى[4]:

وَسَبِّح عَلَى حِينِ العَشِيَّاتِ والضُّحَى ...ولا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ، وَاللهَ فَاعْبُدَا

وَقَد وَرَدَ فِي القُرآنِ الكَرِيمِ الدَّعوَة إِلَى التَّسبِيحِ فِي أَطرَافِ النَّهَارِ؛ فِي الصَّبَاحِ وَالمَسَاءِ وَمَا بَيْنَهُمَا، يَقُولُ تَعَالَى ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ اِلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنَ اٰنَآءِے اِلَيْلِ فَسَبِّح وَأَطْرَافَ اَلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰۖ﴾ [طه:128]، وَقَد وَصَفَ اللهُ

[1] ابن فارس، مقَاييس اللغَةِ، تح: عبد السَّلام هَارُون، دط. مصر: 1979، دارُ الفِكْر للطِبَاعةِ والنَّشر، ج4، ص58.

[2] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج8، ص113

[3] ـ محمود بن عبد الرحيم صافي، الجدول في إعراب القرآن الكريم، ط4. دمشق: 1418هـ، دار الرشيد، ج13، ص122.

[4] ـ ابن منظُور، لِسَان العَرَب،ج3، ص97.

تَعَالَى الذِينَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَن عِبَادَتِهِ أَنَّهُم يُسَبِّحُونَهُ بِاللَيْلَ وَالنَّهَارِ دون كَلَلٍ أو مَلَلٍ، وفِي ذَلِكَ يقُولُ تَعَالَى﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأَنبِيَاء:20]

ـ يقُولُ تَعَالَى ﴿ اِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً ﴾ [الإنسَان:27]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة فِي قَولِهِ ﴿ثَقِيلاً﴾، فَقَد اُستُعِيرَ الثِّقَل لِشِدَّةِ هَولِ القِيَامَة، فَالثِّقَل يَومَ القِيَامَةِ يَكُونُ فِي الزَّمَانِ والمَكَانِ، فِي الزَّمَانِ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى ﴿اِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً﴾ [الإنسَان:27] وَهَذَا مِن طُولِ الاِنتِظَارِ وَشِدَّةِ الحَرِّ وَهَولِ المَوقِفِ وَتَطَايُر الصُّحَف، وأَمَّا ثِقَلُ المَكَانِ فَمَا يَحمِلُهُ الإِنسَان مِن أَوزَارٍ ثَقِيلَةٍ، يَقُولُ تَعَالَى ﴿ مَّنَ اَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْراً﴾ [طه:98]

وَمِنهُ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ [العنكبوت:13]

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ اِلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَآ﴾ [النَّازِعَات:41]

فِي الآيَةِ القرآنية اِسْتِعَارَة تَصْرِيحِيَّة، فَقَد اِستَعَارَ الإِرسَاء وهُو فِي الأَصلِ مُتَعَلِّق بِإِرسَاءِ السَّفِينَة فَاسْتُعِيرَ لِوقتِ قيام السَّاعَةِ.

وَجَاءَ التَّعْبِيرُ القُرآنِي بِلَفْظِ ﴿مُرْسَىٰهَا﴾ وَهِيَ مِنَ المَرسَى الذِي تَرسُوا فِيهِ السَّفِينَة؛ فَكَذَلِكَ الدُّنيَا مِثلهَا مِثْل السَّفِينَة تَنتَهِي كَمَا تَنتَهِي السَّفِينَة فِي مَرسَاهَا، فَسَأَلُوهُ عَن وَقتِ ثُبُوتِهَا وَرُسُوِّهَا وَمُنتَهَاهَا.

---

[1] . عَبَّرَ القُرآنُ الكَرِيم بكَلِمَةِ ﴿مُرْسَاهَا﴾ فِي آيَاتٍ عَدِيدَةٍ مِنَ القُرآنِ الكَرِيم، وَقَد وَرَدَت فِي ثَلاثِ مَوَاضِع مِن ثَلاثِ سُورٍ مِنَ القُرآنِ الكَرِيم؛ فِي سُورَةِ الأَعْرَاف وَسُورَةِ هُود وسُورَةِ النَّازِعَات، فَأَمَّا سُورَة هُود فِي قوله تَعَالَى ﴿ وَقَالَ اِرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اِللَّهِ مَجْرِيٰهَا وَمُرْسِيٰهَآ إِنَّ رَبِّے لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[هو:41] وَالتي انضوَت عَلَى مَجمُوعَةٍ مِنَ القِرَاءَاتِ مِنهَا: قِرَاءَةُ أَهْل الحَرَمَيْنِ وَأَهْل البَصرَة بِضَمِّ المِيمِ فِيهِمَا إلا مَن شَذَّ، عَلَى مَعْنَى بِسمِ اللهِ إجراؤُهَا وإرسَاؤُهَا، فَمُجراهَا ومُرسَاهَا فِي مَوضِعِ رَفعٍ بِالإِبتدَاءِ، ويَجُوز أَن تكُونَ فِي مَوضِعِ نَصبٍ، ويَكُون التقْدِير: بِسْمِ اللهِ وَقت إجرَائهَا ثُمَّ حُذِفَ وَقت وأُقِيمَ (مَجْرَاهَا) بِفَتْحِ المِيمِ (ومُرسَاهَا) بِضَمِّ المِيمِ.

وقَرأَ الأَعمَش وحَمْزة والكَسَائِي(بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا) بفتْحِ المِيمِ، (وَمُرسَاهَا) بِضَمِّ المِيمِ.

فَبَيَّنَ اللهُ تَعَالَى مِن خِلالِ كَلمِة ﴿مُرْسَىٰهَآ﴾ أَنَّ الدُّنيَا لَهَا نِهَايَة؛ وَنِهَايَتُهَا هِيَ بِدَايَةُ قِيَامِ السَّاعَة لَهَذَا قَارَنَ بَينَ قِيَامِ السَّاعَةِ وَرُسُوِّ السَّفِينَة.

والسُّؤَال فِي الآيَةِ هُو عَن وَقتِ قِيَامِ السَّاعَة، فَكَانَت الإِجَابَةُ أَنَّ الدنيَا يمُرُّ زَمَانُهَا مِثلَ السَّفِينَةِ حَتَّى تَصِلَ إِلَى المَرسَى، فَكَذَلِكَ السَّاعَة تَقُومُ حِينَ يَأتِي وَقتُهَا الذِي لا يَعلَمُهُ إِلا اللهُ، يَقُولُ تَعَالَى ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَاتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَاتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يُوسُف:107]، وَيقُولُ تَعَالَى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْارْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِى نَفْسُۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمَان:34].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البَلَد:10]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة تُصَوِّرُ لَنَا اِختِيَارَ الإِنسَانِ لإِحدَى الطَّرِيقَينِ، فَالإِنسَان هَدَاهُ اللهُ إِلَى مَعْرِفَةِ الطَّرِيقَينِ، وَلَهُ أَن يَختَار طَرِيق الحَقِّ أَو طَرِيقَ البَاطِلِ.

" أَمَّا تَشْبِيه الخَيْر بِالنَّجد، وَهُو المُرتَفع مِن الطَّرِيقِ، فَلا غُبَارَ عَلَيهِ؛ لأَنَّهُ ظَاهِر، بِخِلافِ الشَّرِّ فَإِنَّهُ هُبُوط، وارتِكَاس مِن ذِروَةِ الفِطْرَة إِلَى حَضِيضِ الاِبتِذَال، قُلنَا: إِنَّهُ جَمع بَينَهُمَا إِمَّا عَلَى سَبِيلِ التَّغْلِيبِ، وَإِمَّا عَلَى تَوهُّمِ المُخَيلة أَنَّ فِيهِ صُعُود، وارتِكَاسًا، وَإِسفَافًا، وَهَذَا مِن أَبْلَغِ الكَلامِ وَأَروَعه"[1].

لَقَد جَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي فِي الاِستِعَارةِ الوَارِدَة فِي الآيَةِ بِلَفظِ ﴿ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ وَالتي تَعنِي الطَّرِيقَينِ الوَاضِحَينِ، فَطَرِيق الخَيرِ وَاضِحَة وَطَرِيق الشَّرِّ واضِحَة؛ والإِنسَان لَهُ أَن يَختَارَ فَهُو عَلَى مَعرِفَة بِهِمَا لأَنَّ اللهَ هَدَاهُ إِلَى مَعرِفَتِهِمَا، إِلا أَنَّ الطَّرِيقَ التي يَرضَاهَا اللهُ تَعَالَى؛ هِيَ طَرِيق وَاحِدَة لا سُبُل مُتَعَدِّدَة، يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعَام:154]

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّاً فَهَدَىٰ﴾ [الضُّحَى:7]

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ ، ج8، ص324.

فِي الآيَةِ القرآنيَّة استِعَارَة تَصرِيحِيَّة، فَقَد حَذَفَ المُشَبَّه وذَكَرَ المُشَبَّه بِهِ وَهُو الضَّلال، فَالخِطَاب القرآنِي مُوَجَّه للنَّبِيِّ ﷺ وَقَدِ اِستَعَارَ لَفظَ (الضَّلال) الذِي لَهُ مَعَانِي لُغَوِيَّة مُختَلِفَة وَالتي مِن بَينِهَا: الغَفلَةُ، المَحَبَّةُ، ضَالا عَن الحَقِّ، الضَّيَاع....

والتَّعبِيرُ القُرآنِي عَبَّرَ أَنَّ اللهَ وَجَدَ نَبِيَّهُ ضَالا ضَائِعًا مَغمُورًا فِي عَشِيرَتِهِ غَيرَ مُهتَمِّينَ بِهِ، فَلا أَحَدَ يَعرِفُ قِيمَتَهُ، ولا أَحَدَ يَعرِف قَدرَهُ وَمَحَبَّتَهُ وَهُو عِندَ اللهِ مَحبُوب، ومَقَامُهُ مَقَام مَحمُود فَهَدَاهُ اللهُ لِدِينِهِ وطَيَّبَ قَلبَهُ؛ فَكَانَ نُورًا بِهِ اللهُ يَهدِي القُلُوبَ.

3 ـ الاستِعَارَة المَكنِيَّة وتَوجِيه المَعنى القُرآنِي عِندَ محيي الدِّين الدرويش:

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾ [النِّسَاء: 56].

فِي الآيَةِ القرآنية اِستِعَارَة مَكنِيَّة فِي قوله ﴿لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾ فَقَد حَذَفَ المُشَبَّه، وَوَضَعَ أَحَدَ لَوَازِمه وَهُو الذَّوق، وَالمُرَاد بِالذَّوقِ هُنَا" دَيمُومَتهُ، مَعَ مَا يَصحَبهُ مِن الإستِكرَاه والأَلَم الذِي لا يُوصَف، وَلا مَرِيَّةَ فِي أَنَّ اِستِمرَارَ ذوق العَذَابِ مَعَ بَقَاءِ الأَبدَان حَيَّة مَصُونَة فِيهِ مَا فِيهِ مِن اِسْتِبْعَاد لِكُلِّ مَا قَد يَخطُر عَلَى البَالِ مِن تَوَهُّمِ زَوَال العَذَاب وألمه، نَاهِيكَ بِمَا لِحَاسَّةِ الذَّوْق مِن أَثَر فِي نفسِ المُحترق بِالنَّارِ"[1] إِنَّ اللهَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى يَومَ القِيَامَةِ لَمَّا يَدخُلِ الجَنَّةَ أَهلهَا وَيَدخُل النَّار أَهلهَا؛ فَإِنَّ أَهلَ النَّارِ يَتَذَوَّقُونَ العَذَابَ مِن عِدَّةِ وُجُوهٍ مِن بَينِهَا:

1 ـ إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا يَضَع أَهلَ النَّارِ فِي النَّارِ فَإِنَّهُ يُذِيقُهُم العَذَابَ؛ حَيثُ إِنَّهُ كُلَّمَا نَضِجَت جُلُودُهُم بَدَّلَهُم جُلُودًا غَيْرهَا لِيذُوقُوا العَذابَ الأَلِيمَ. فهم في عذاب مستمر.

2 ـ يَتَذَوَّقُونَ العَذَابَ فَلا يَستَرِيحُون مِنهُ، ولا يَمُوتُونَ فَيَنتَهِي العَذَاب.

3 ـ يَتَذَوَّقُونَ العَذَابَ مِن حَيثُ إِنَّهُ مُستَمِر مَعَهُم لا يَنقَطِع بنَضجِ الجُلُودِ وإِنَّمَا تُستَبدَلُ كَمَا يَستَبدِلُ الإِنسَانُ ثِيَابَهُ.

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج2، ص43.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِے سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيا بِالَاخِرَةِۖ وَمَنْ يُقَٰتِلْ فِے سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلَ اَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُوتِيهِ أَجْراً عَظِيماًۖ ﴾ [النِّسَاء:73].

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستعَارَة مَكنِيَّة تَتَمَثَّل فِي شِرَاءِ الحَيَاةِ الدنيَا بِالآخِرَةِ فِي قوله ﴿يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيا بِالَاخِرَةِۖ﴾ والشِّرَاء هُوَ البَيع ومِنهُ قوله تعالى ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَۖ﴾ [يُوسُف:20] أَي: بَاعُوهُ، والشِّراء هُو مِن المُشتَرك اللفظِي.

وَأَمَّا الاِستِعَارَة المَكنِيَّة فَقَد صَوَّرَت لَنَا أَنَّ هَؤُلاء المُؤمِنِينَ بَاعُوا أَنفُسَهُم فِي الدُّنيَا بِطَاعَةِ أَمرِ رَبِّهِم، فَكَانَ المُشتَرِي هُو اللهُ تَعَالَى، وَكَانَت السِّلعَة هِيَ الجَنَّة أَلا إِنَّ سِلعَةَ اللهِ غَالِيَة.

وَقَد وَصَفَ اللهُ تَعَالَى أَنَّ النَّاسَ لَهُم القُدرَة عَلَى شِرَاءِ أَنفُسِهِم فِي الدنيَا وَتَحرِيرِهَا مِن العَذَابِ يَوم القِيَامَةِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَشْرِے نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِۗ وَاللَّهُ رَءُوفُۢ بِالْعِبَادِۗ ﴾ [البقرة:205].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ اِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرِىٰ مِنَ ٱلْمُومِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۖ يُقَٰتِلُونَ فِے سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِے ٱلتَّوْرِيٰةِ وَالِانجِيلِ وَالْقُرْءَانِۚ وَمَنَ اَوْفِىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلذِے بَايَعْتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُۚ ﴾ [التَّوبَة:112].

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿اِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرِىٰ مِنَ ٱلْمُومِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۖ﴾ اِستِعَارَة مَكنِيَّة تَبَعِيَّة فَقَد اِستِعَارَ لَفظ الشِّرَاء، وَهُو مِن المُشتَرَك اللفظِي اِستِعَارَهُ لقَبُولِ اللهِ تَعَالَى مِن المُؤمِنِينَ أَنفُسَهُم وأَموَالَهُم التي بَذلُوهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، وفِي مُقَابلهَا لَهُم الجَنَّة، قَالَ محيي الدِّين الدرويش" جَعَلَ المَبِيع الذِي هُو العُمْدَة وَالمَقصَد فِي العَقدِ أنفس المُؤمِنِينَ وأموالهم، وجَعَلَ الثَّمَن الذِي هُو الوَسِيلَة فِي الصفْقَة الجَنَّةِ"[1]، وَقَد تُعَدُّ هَذِهِ الاِستِعَارَة المَكنِيَّة مِن بَابِ التَّمثِيلِ بَينَ بَيعِ النَّفْسِ وَشِرَاءِ الجَنَّةِ، فَقَد مَثَّلَ اللهُ تَعَالَى إِثَابَتَهُم بِالجَنَّةِ لِبَذلِهِم النَّفس وَالمَال.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيا كَمَآءٍ اَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَاخْتَلَطَۖ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلَارْضِ مِمَّا يَاكُلُ ٱلنَّاسُ وَالَانْعَٰمُۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلَارْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج3، ص281.

أَتِيهَآ أَمْرُنَا لَيْلاً اَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالَامْسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس:23].

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارَة مَكنِيَّة فِي قوله ﴿إِذَآ أَخَذَتِ اِلَارْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾، قَالَ محيي الدِّين الدرويش:" حَيثُ جُعِلَت الأَرض فِي زِينَتِهَا بِمَا عَلَيهَا مِن أَصنَافِ النَّبَات، كَالعَرُوس التي أَخَذَت مِن أَنوَاعِ الزِّينَة والثِّيابِ فَتَزَيَّنَت بِهَا"[1] فَالاِستِعَارَة تُصَوِّر لَنَا الحَيَاة الدنيَا فِي زَوَالِهَا وانقِضَائِهَا بِحَيَاةِ النَّبَات، فَالمَاء يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ فَيَختَلِط بِالأَرضِ وَمَا فِيهَا مِن بُذُورٍ، فَتُنبِتُ الأَرْض وَتَخضَرُّ وَتُصبِحُ الأَرض مُزَخرَفَةً لِمَا فِيهَا مِن أَزهَار النَّبَاتِ المُتَعَدِّدَةِ الأَلوَان، فَيَظُنّ أَهْلُهَا وَأَصحَابُهَا أَنَّهَا قَد اِستَوَت لَهُم، وَظَنُّوا أَنَّ لَهُمُ القُدرَة علَى تَحصِيلِهَا، جَاءَهَا أَمرُ اللهِ فَتَرَكَهَا بَيضَاءَ لا شِيَةَ فِيهَا كَأَن لَم تَكُن شَيئًا، فَكَذَلِكَ الحَيَاة الدُّنيَا فِي بَقَائِهَا وَفَنَائِهَا؛ فَإِنَّهَا مِثلَ حَيَاةِ النَّبَاتِ يَأتِيهَا أَمرُ اللهِ فِي حِينِهِ الذِي هُو عِندَ اللهِ مَكتُوب.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِۚ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [يونس:52].

فِي الآيَةِ اِستِعَارَة مَكنِيَّة فِي قَولِهِ ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ هَذِهِ الاِستِعَارَة المَكنِيَّة تُصَوِّرُ لَنَا أَنَّ الذِينَ خَصَّهُم اللهُ بِالذِّكرِ هُم صِنف مِن أَهلِ النَّارِ، مِيزَةُ هَذَا الصِّنفِ أَنَّهُ يَخلُدُ فِي النَّارِ فَلا يَخرُج مِنهَا أَبَدًا؛ وَهَؤلاءِ هُمُ الذِينَ يُشرِكُونَ بِاللهِ تَعَالَى وَيَكفُرُونَ بِهِ؛ فَلَهُم الخُلُودُ الأَبَدِي فِيهَا يَقُولُ اللهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ ٱلذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً ١٦٧ اِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداًۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيراً ﴾ [النساء:167.168].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَلَئِنَ اَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هُود:9]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارَة مَكنِيَّة فِي قَولِهِ ﴿وَلَئِنَ اَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ﴾ فَالإِذَاقَة" تَنَاوُل الشَّيء بِالفَمِ لِإِدرَاكِ الطعَام، ثُمَّ اُستُعِيرَ للذَّاتِ تَشبِيهًا لَهَا بِمَا يُذَاقُ، ثُمَّ يَزُولُ بِسُرعَةٍ، كَمَا تَزُولُ الطُّعُومُ"[2]

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج3، ص324.

[2] ـ المصدر نفسه، ج3، ص397.

وَهَذِهِ الآيَة فِي مَعْنَاهَا الحَقِيقِي يُفَسِّرُهَا حَدِيثُ النَّبَوِي ﷺ عَن أَنس ـ رَضِيَ اللهُ عَنهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" يُؤتَى بِأَنعَمِ أَهلِ الأَرضِ مِن أَهلِ النَّارِ يَومَ القِيَامَةِ، فَيُصبَغُ فِي النَّارِ صبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابن آدَم هَل رَأَيتَ خَيرًا قَط؟ هَل مَرَّ بِكَ نَعِيم قَط؟ فَيقُولُ: لا وَاللهِ يَا رَب، وَيُؤتَى بأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنيَا مِن أَهلِ الجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صبغَةً فِي الجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابن آدَم هَل رَأَيتَ بُؤسًا قَط؟ فَيَقُولُ: لا، وَاللهِ مَا مَرَّ بِي بُؤس قَط، ولا رَأَيتُ شِدَّةً قَط"[1].

وَجَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي بِلَفظِ الإِذَاقَة فَهِيَ مُسْتَوفَاةٌ؛ إِن كَانَت فِي السَّرَّاءِ أَو كَانَت فِي الضَّرَّاءِ وَهِيَ عَائِدَةٌ عَلَى الإِنسَانِ كَمَا فِي الآيَةِ التي قَبلَ هَذِهِ الآيَة؛ فَإِذَاقَةُ صَاحِبِ السَّرَّاء يُنسِيهِ الهَنَاء والمُتعَة التي كَانَ يَعِيشُهَا، وَإِذَاقَةُ صَاحِب الضَّرَّاء يُنسِيهِ مَا كَانَ يَعِيشُهُ مِن هَمٍّ وَغَمٍّ وَمَضَاضَة عَيْشٍ، وَالغَرَض مِن هَذَا كُلِّهِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُبَيِّنُ لَنَا أَنَّهُ لا عَيشَ إِلا عَيشَ الآخِرَةِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هُود:44].

في الآية القُرآنيَّة اِستِعَارَة مَكنِيَّة والمُتَمثِّلَة فِي مُنَادَاةِ الأَرضِ والسَّمَاءِ كمُنَادَاةِ المَخلُوقَات، وَهُو قوله ﴿يَٰٓأَرۡضُ﴾ وَقوله ﴿وَيَٰسَمَآءُ﴾، ثُمَّ أَمَرَهُمَا بِمَا يُؤمَرُ بِهِ العَاقِل فَقَالَ ﴿ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي ﴾ وَقوله ﴿ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي ﴾.

جَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي بِلَفظَينِ فِي قوله ﴿ٱبۡلَعِي﴾ وقَولِهِ ﴿أَقۡلِعِي﴾، فَالبَلع هُو السَّرطُ دُونَ المَضغِ وَمِنهُ هُو تَغْيِّيبُ الشَّيءِ، والقَلعُ هُو اِنتزَاعُ الشَّيءِ مِن أَصلِهِ فَهُو اِنتِزَاعُ شَيءٍ مِن شَيءٍ؛ فَهُو اِنتِزَاعُ المَاء مِنَ السَّمَاءِ مِن خلالِ الإِمسَاك عَن إِنزَالِهِ، **العَامِلُ الأَوَّل** المُشْتَرك بَينَ اللَّفظَينِ هُو التَّغيّبُ الكُلِّي؛ فَالأَوَّلُ هُو البَلعُ الكُلِّي؛ وَالثَّانِي هُو الإِقلاعُ الكُلِّي أَي: إِمْسَاكُ المَاء، **والمُشتَرَكُ الثَّانِي** هُو أَنَّ لَفظَ البَلعِ وَالإِقلاع كِلاهُمَا فِي الآيَةِ يَتَعَلَّقُ بِالمَاءِ فَالأَوَّلُ بَلْعُ المَاءِ مِنَ الأَرضِ والثَّانِي إِقلاعُ السَّمَاء وهُو إِمْسَاكُهَا عَن إِنزَالِ المَاءِ، **المُشتَرَكُ**

[1] . أَخرَجَهُ الإِمَامُ مُسلِم فِي " كِتَابِ صِفَةِ القِيَامَةِ والجَنَّةِ والنَّار، بَاب صَبغ أنعَمِ أَهلِ الدُّنيَا فِي النَّارِ وَصَبْغِ أَشَدِّهِم بُؤْسًا فِي الجَنَّةِ"، الحَدِيث رَقْم: 2807، ج4، ص2162.

الثَّالِث هُو أَنَّ كِلا الاِستِعَارَتَينِ جَاءَت كُلٌّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بِحَرفِ النِّدَاء اليَاء، وفِعل أَمر عَلَى نَفسِ الوَزنِ، فَالأُولَى﴿ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي ﴾ وَالثَّانِيَة﴿ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي ﴾

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ﴾ [الحجر:15].

فِي الآيَةِ القرآنيَّة استِعَارَةٌ مَكنِيَّة تَبَعِيَّة فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا﴾ فَقَد نَسَبَ السّكر إِلَى الأَبْصَارِ مَعَ أَنَّ السكر هُو للعُقُولِ، يُضَافُ إِلَيْهَا أَنَّ المَقصُودَ بِهِ هُو عَدَمُ اِستِعمَالِ العُقُول فِي مَعرِفَةِ الخَالِقِ، فَعَطَّلُوا عَمَلَ العَقلِ.

جَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي بِلَفظِ ﴿سُكِّرَتۡ﴾ وَالسُّكرُ عَادَةً مَا يَكُونُ بِالخَمرِ، وَسُمِّيَت الخَمرُ بِهَذَا الاِسمِ لأَنَّهَا تُغَطِّي العَقلَ، وَكَذَلِكَ لَفظ ﴿سُكِّرَتۡ﴾ هُو يَعنِي غُشِّيَت وَغُطِّيَت، وَمِنهُ قولُ الشَّاعِر[1]:

وَطَلَعَتْ شَمْس عَلَيهَا مِغْفَرُ وَجَعَلَت عَينُ الحَرُورِ تَسكَرُ

وَقَد نُسِبَ السُّكْرُ لِلأَبصَارِ دُونَ الحَوَاسِّ الأُخرَى؛ لِيُبَيِّنَ اللهُ لَنَا أَنَّهُم كَانُوا يَرَونَ الآيَاتِ بِأَعيُنِهِم وَلَم يُؤمِنُوا بِهَا؛ مِن ضِمنِ هَذِهِ الآيَات خلق السَّمَاوَات وفِي ذَلِكَ يَقُولُ تَعَالَى فِي نَفسِ الآيَةِ ﴿ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ١٤ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ [الحجر:14 ـ16] وقوله تعالى﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ﴾ [الغاشية:17 ـ21].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الحِجْر:94]

فِي الآيَةِ اسْتِعَارَة مَكنِيَّة فِي قوله تَعَالَى ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾.

[1] . القرطبي، أَبُو عبد اللهِ مُحَمَّد بن أَحمَد الأنصَارِي القُرطُبِي، الجَامِع لأحكَام القُرآن، القُرطُبِي، ط1. القاهرة: 2005، مكتبة الصَّف، ج 10، ص8.

وقَد جَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي بِلَفْظِ ﴿فَاصْدَعْ﴾ وَالصَّدعُ لَهُ مَعَانِي مُختَلِفَة، وَأَمَّا مَعنَاه فِي الآيَةِ فَهُو الجَهرُ بِالحَقِّ، فَاللهُ سُبحَانُهُ وَتَعَالَى أَمَرَ نَبِيَّهُ أَن يَجهَرَ بِالحَقِّ وَبِالقُرآنِ؛ لأَنَّهُ عَلَى الحَقِّ وَالحَق الذِي جَاءَ بِهِ هُو كَفَلَقِ الصُّبحِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتَ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَاتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ [النَّحل:12]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارة مَكنيَّة فِي قوله تَعَالَى ﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾، فالإذَاقَةُ عِندَ العَرَبِ تَكَادُ تَأْخُذ مَجرَى الحَقِيقَة لِكَثْرَتِهَا وَلِتَعَلُّقِهَا بِالبَلايَا، قَالَ محيي الدِّين الدَّروِيش" فَيَقُولُونَ: ذَاقَ فُلانُ البُؤس والضَّرَر، شَبَّهَ مَا يُدركُ مِنهُمَا مِن أَثَرِ الضَّرَرِ والأَلَم بِمَا يُدرك مِن طَعْم المُر وَالبشع، وأَمَّا اللِّبَاس فَقَد صَحَّ التَّشبِيه بِهِ؛ لأَنَّهُ يَشتَمِل عَلَى لابِسِهِ"[1]، وَمِن دلالاتِ الآيَة أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَذَاقَهُم لِبَاسَ الجُوعِ وَالخَوفِ وَهُمَا مِن عَلامَاتِ الأَمنِ، وَبِفُقْدَانِهِمَا هُمَا سَبَبَا الهَلاكِ، وَمِن الأَمثِلَة فِي هَذَا البَابِ؛ قَبِيلَة قُرَيش مَا اِزدَهَرَت تِجَارَتُهَا إلا بِتَوَفُّرِ الأَمرَينِ: الغِذَاء والأَمن، وَمِنهُ قوله تَعَالَى ﴿ ٱلذِےٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ ٤ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش:4-5].

وهُنَاكَ اِستِعَارَة أُخرَى فِي الآيَةِ وَهِيَ قوله تَعَالَى ﴿لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ فَقَد اِستَعَارَ اللبَاس للجُوعِ والخَوف، فَعلاقَة اللبَاس بِالجُوعِ والخَوفِ هُو الإحَاطَة، فَكَأَنَّهُ أَحَاطَ بِهِم الجُوع والخَوف، وهُنَاكَ علاقَة أُخرَى وَهِيَ أَنَّ الجُوعَ والخَوف يُرَى أَثَرهُمَا فِي اللِّبَاسِ مِن هُزَالٍ وَشُحُوبَة وَجهٍ وَغَيرهَا.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِے صَغِيراً﴾ [الإسراء:24]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة اِسْتِعَارَةٌ مَكنِية فِي قَوله تَعَالَى ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾

[1] - محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج4، ص334.

قَالَ محيي الدِّين الدرويش" لأَنَّ إِثْبَات الجَنَاح للذُّلِّ يُخَيَّلُ للسَّامِعِ أَنَّ ثَمَّةَ جَنَاحًا يُخفَضُ والمُرَاد: أَلِن لَهُمَا جَانِبَكَ، وتَوَاضَع لَهُمَا تَوَاضُعًا يُلصِقُكَ بِالتُّرابِ"[1] هَذِهِ الاِستِعَارَة فِيهَا دلالَة عَلَى خَفضِ الجَانِبِ والتَّذَلُّلِ والرَّحمَة، وَلِينِ الجَانِبِ لِلوَالِدَينِ، فَيَكُونُ هَذَا فِي الأَقوالِ بِمَا أَحَبُّوا وَالأَعمَال بِمَا يَرضوا.

وَيُعَدُّ خَفضُ جَنَاحِ الذُّلِ فِيهِ حِفظ لِلأَهلِ، وحِفَاظ عَلَى رَوَابِطِ الصِّلَةِ بِالوَالِدَينِ وَقَد أَمرَ اللهُ بِهَا أَنْ تُوصَلَ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ۖ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۗ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ [الكهف: 21]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارَة مَكنِيَّة فِي قوله ﴿يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ قال محيي الدين الدرويش" فَقَد شَبَّه أَمرَهُم بِشَيءٍ كثُرَ النِّزَاعُ حَولَهُ، ثُمَّ حَذَفَ ذَلِكَ الشَّيء، واستُعِيرَ النِّزَاع القَائِم حَولَهُ"[2].

جَاءَتِ الاِستِعَارَة لِتُبَيِّنَ كَثرَةَ النِّزَاعِ والاِختِلافِ حَولَ أَصحَابِ الكَهفِ، وَجُملَة مِنَ القَضَايَا المُتَعَلِّقَة بِالدِّينِ وَالتي مِن بَينِهَا البَعث؛ هَل تُبْعَثُ الأَروَاحُ دُونَ الأَجسَادِ أَم تُبعَثُ الأَرْوَاح والأَجسَاد مَعًا، وقد جاء التعبير بلفظ ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾ الذِي فِيهِ دَلالَة عَلَى كَثْرَةِ النِّزَاعَات وقُوَّتِهَا وكَثرَةِ الجِدَالِ فِيهَا وَفِي مَسَائِلِهَا.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ۚ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: 48]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارَة مَكنِيَّة فِي قوله ﴿يَٰوَيْلَتَنَا﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" نِدَاءُ الوَيلَةِ قَائِمٌ عَلَى تَشْبِيهِهَا بِشَخصٍ يطلب إِقبَالهُ، كَأَنَّهُ قِيلَ: يَا هلاكنَا أَقْبِلْ فَهَذَا أَوَانُكَ"[3].

---

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج4، ص340.

[2] ـ المصدر نفسه، ج4، ص464.

[3] ـ المصدر نفسه، ج4، ص509.

وجَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي بِلَفظ (الوَيل) وَهِيَ كَلِمَةُ عَذَابٍ كَمَا عَبَّرَ القُرآنُ فِي آيَاتٍ عَدِيدَةٍ مِنهَا قوله تَعَالَى ﴿ وَاقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ ٱبْصَٰرُ ٱلذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِے غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأَنبِيَاء:97]، وَمنها قَوله تَعَالَى ﴿وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [الصَّافَّات:20] وَمِنهَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾ [القَلم:31] ومِنهَا قَوله تَعَالَى ﴿ٱللَّهُ ٱلذِے رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِے لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلَامْرَ يُفَصِّلُ ٱلَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرَّعد:2] وَهُنَاكَ العَدِيدُ مِنَ الآيَاتِ الأُخرَى، وأَمَّا مِنَ الشِّعرِ قَالَ الأَعشَى[1]:

قَالَت هُرَيرَةُ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا وَيلِي عَلَيكِ، وَوَيلِي مِنكَ يَا رُجُل

وَالوَيْلُ هُو نَتِيجَةُ العَمَل المُخَالف للشَّرع أَو الوُقُوع فِي المَحضُور، وَقَد بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الوَيلَ هُو وَادٌ فِي نَارِ جَهَنَّم أَو بَاب مِن أبوَابِ نَارِ جَهَنَّم.

- يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِے بَعْضٍ وَنُفِخَ فِے ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾[الكهف: 99]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة استِعَارَة مَكنِيَّة فِي قوله ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِے بَعْضٍ﴾ قَالَ محيي الدِّين" فَإِنَّ أَصلَ المَوجِ تَحرِيكُ المِيَاهِ، فَاسْتُعِيرَ لِحَرَكَةِ يَأجُوج ومَأجُوج لاشتِرَاك المُسْتَعَار والمُسْتعَار لَهُ فِي الحَرَكَةِ"[2]، فَاستِعَارَةُ المَوجِ فِي الآيَةِ يَصحَبُهُ حَيرَةٌ وَاضطِرَاب، فَقَد شَبَّهَهُم فِي اِختِلاطِ بَعضِهِم بِبَعضٍ بِالبَحرِ فِي اِضطَرَابِ أَمواجِهِ.

إِنَّ الأَصلَ فِي كَلِمَةِ (المَوج) هِيَ اِرْتِفَاعُ المَاءِ بَعضهُ فَوقَ بَعضٍ أَي: اِضطَرَبَ، وأَمَّا كَلِمَةُ (يَمُوجُ) فَمَعْنَاهَا التَّحَيُّر وَالاِضْطَرَاب[3]، وَمِنهُ فِي الآيَةِ يَكُونُ المَعنَى يَختَلِطُ بَعضُهُم بِبَعضٍ وَيَضطَرِبُون؛ وَهَذَا مِن شِدَّةِ الهَولِ.

---

[1] ـ الأعشى، ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتحقيق: محمد حسين، دط. القاهرة: 2012، المطبعة النموذجية، ص57. ابن منظُور، لسَانُ العَرَب،ج4، ص37.

[2] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج4، ص551.

[3] ـ ابن منظُور، لِسَان العَرَبِ، ج5، ص87.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّاً ﴾ [مريم:3]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارَة مَكنِيَّة فِي قوله تعَالَى ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ﴾ فَقَد شَبَّهَ سُرعَةَ اِنتِشَارِ الشَّيب فِي الرَّأسِ بِسُرعةِ اشتعَالِ النَّارِ، قَالَ محيي الدِّين الدرويش" شَبَّهَ الشَّيْبَ بِشُواظِ النَّارِ فِي بَيَاضِهِ، وإثَارَتِهِ، وانتِشَارِهِ فِي الشَّعرِ، وفُشُوِّهِ فِيهِ، وأخذه مِنهُ كُلَّ مَأخَذٍ، ثُمَّ أَخرَجَهُ مَخرَج الاستعَارَة المَكنِيَّة، وأَسنَدَ الإشتِعَال إِلَى مَكَانِ الشَّعرِ وَمَنبَته وَهُو الرَّأس، وأخرج الشَّيب مميزًا، وَلَم يضف الرَّأس، أي: لَم يَقُل رَأسِي اكتفَاءً بِعلمِ المُخَاطَب أَنَّهُ رَأس زَكَرِيَّا"[1]، وهَذَا المِثَال كَثِيرا مَا يَطرَحُهُ أَهل البَلاغَةِ، وَهُو مِن أَحسَنِ الاِستِعَارَاتِ عِندَ العَرَبِ، وَلَكِن دَرَسُوهُ بِطُرُقٍ مُختَلِفَةٍ وبِأَسَالِيبٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَمِنهُم عبد القَاهِر الجُرجَانِي.

وَقَد تَكُونُ كِنَايَةً عَنِ كِبَرِ السّنِّ وأَنَّهُ أَصَابَهُ الضَّعفُ، وَبَلَغَ سِنَّ الشَّيخُوخَةِ مِن خِلاَلِ قوله ﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ﴾ وقوله ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْباً﴾ فَهَذَا مَوطِن اِسترحَامٍ وَاستِعطَافٍ وَدُعَاءٍ لِتَغييرِ الحَال.

فِي الاِستِعَارَةِ المَكنِيَّة أَضَافَ الاِشتِعَالَ إِلَى الشَّيبِ؛ والاِشتِعَال مِن صِفَاتِ النَّارِ؛ لِيُصَوِّرَ لَنَا أَنَّ سُرعَةَ اِنتِشَارِ هَذَا الشَّيب فِي الرَّأسِ؛ وأَنَّ سُرعَةَ اِنتِشَارِهِ هِيَ كَالنَّارِ فِي الاِنتِشَارِ، وتُبَيِّنُ لَنَا أَنَّهُ اِنتَشَرَ فِي الرَّأسِ فِي وَقتٍ وَجِيزٍ عَلَى غَيرِ العَادَةِ فِي الشَّيبِ.

وَقَدِ اِقْتَبَسَ مَعْنَى الآيَةِ أَبُو بَكرٍ بن دُرَيد[2] فِي قَولِهِ:

وَاشْتَعَلَ المُبْيَضُّ فِي مُسَوَّدِهِ مِثْلَ اِشتِعَالِ النَّارِ فِي جَزلِ الغَضَا

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْداً ﴾ [مريم: 79]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة اِستِعَارَة مَكنِيَّة ذكَرَ المُشَبَّه وهُو الغيب وحَذَف المُشبّه بِهِ فِي قوله ﴿اَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" فَقَد شَبَّهَ الغَيْبَ المَجهُول المُلَثَّم بِالأَسْرَارِ بِجَبلٍ شَامِخ

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج4، ص569.

[2] . ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص73.

الذرَا، لا يَرقَى الطَّيرُ إلَى مَدَاه، فَهُو مَجهُول تَتَحَطَّم عَلَيهِ آمَال الذِينَ يُرِيدُونَ اِستِشفَافَ آفَّاتِهِ، وإِدْرَاكَ تَهَاوِيلِهِ، ثُمَّ حَذَفَ الجَبَلَ أَي: المُشَبَّه بِهِ، وَأَخَذَ شَيْئًا مِن خَصَائِصِهِ وَلَوَازِمِهِ، وَهُو الاطِّلاع، والارتِقَاء، واسْتِشرَاف مُغيبَاتِهِ"[1] .

وَجَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي فِي قولِهِ ﴿اَطَّلَعَ اَلْغَيْبَ﴾ أَي: أَعلَمَ الغَيبَ، وَمِنهُ مَا وَرَدَ فِي" حَدِيثِ ابنِ ذِي يَزِن: قَالَ لِعَبدِ المُطَّلِب: أَطلَعْتُكَ طِلعَةً"[2].

وَالغَيبُ اِختَصَّ اللهُ بِهِ، وَمِنَ الغَيبِ مَا أَعلَمَنَا اللهُ بِهِ وَدَعَانَا إِلَى الإِيمَانِ بِهِ؛ كَالجَنَةِ والنَّار وَمَا أَعَدَّهُ اللهُ لِعِبَادِهِ، وَمِنهُ يقول تَعَالَى ﴿اَلذِينَ يُومِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ اَلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[البقرة:3]، وَهُنَاكَ الغَيب الذِي لا يَعْلَمُهُ إِلا اللهُ، وَمِنهُ قَوله تَعَالَى ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلِ اِنَّمَا اَلْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُوٓاْ إِنِّے مَعَكُم مِّنَ اَلْمُنتَظِرِينَ﴾ [يُونس:20] وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِے اِلسَّمَٰوَٰتِ وَالَارْضِ اِلْغَيْبَ إِلَّا اَللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النَّمل:65]

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ اٰيَةً اُخْرىٰ﴾ [طه: 21] فِي الآيَةِ اِستِعَارَة مَكنِيَّة فِي قوله تَعَالَى ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" وَجَنَاحَا الإِنسَان: جَنبَاهُ، والأَصل المُستَعَار منه: جَنَاحَا الطَّائِر، سُمِّيَا جَنَاحَينِ لأَنَّهُ يَجنحهُمَا عِندَ الطَّيرَان، أُي: يُمِيلُهُمَا، والمُرَاد، إِلَى جَنبِكَ تَحتَ العَضُدِ دَلَّ علَى ذَلِكَ قوله ﴿ تَخْرُجْ﴾"[3]

جَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي بِلَفظِ (الضَّمِّ) وَهُو الجَمعُ بَينَ الشَّيئَينِ فَأَكثَر، مِن جِنسٍ وَاحِدٍ أَو مُختَلِفَينِ، وَقَد جَاءَ التَّعبِير بِلَفظِ (الضَّمِّ) فِي سُورَةِ القَصَص يَقُولُ تَعَالَى ﴿اُسْلُكْ يَدَكَ فِے جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَاضْمُمِ اِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ اَلرَّهَبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فَٰسِقِينَ﴾ [القَصَصِ:32]

---

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ ، ج4، ص645.

[2] . ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص75.

[3] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج4، ص645.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء 18].

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارَة مَكنِيَّة فقد ذَكَرَ المشبَّه وهو الحَق وحذَفَ المُشبَّه بِهِ وفِي قوله تَعَالَى ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ قَالَ مَحيي الدِّين" فَقَد شَبَّهَ الحَقَّ والبَاطِل، وهُمَا مَعنويانِ بِشَيْئَينِ مَادِّيَينِ مَحسُوسَينِ، يقذفان ويدفعَان، ثُمَّ حَذَفَ هَذَينِ الشَّيْئَينِ، وَاسْتَعَارَ مَا هُو مِن لَوَازِمهمَا، وَهُمَا: القَذف، والدَّمغ؛ لِتَجْسِيدِ الإطَاحَة بِالبَاطِلِ، وَاعْتِلاء الحَقِّ عَليهِ، وتَصوِيرُ إبطَاله، وإهدَارِهِ، وَمَحقِهِ، كَأَنَّهُ جُرم صَلب كَصَخرَة، أَو مَا يُمَاثِلهَا فِي القُوَّة وَالصَّلابَة"[1].

جَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي فِي الاِستِعَارَةِ بِلَفظَينِ قَوِيّينِ، لَفظ ﴿نَقْذِفُ﴾ وَ﴿ فَيَدْمَغُهُ﴾، فَالقَذف هُو أَنَّهُ يَأتِي بِالحَقِّ ويَرمِيهِم بِالحَقِّ، وأَصلُ القَذفِ التَّرَامِي فَهُم يَرمُونَهُ بِالبَاطِلِ وهُو يَرمِيهِم بِالحَقِّ حَتَّى اِنتَهَى مَا لَدَيهِم مِن بَاطِلٍ، لَكِنَّ البَاطِلَ ضَعِيف مَعَ الحَقِّ، فَالحَق قَذَائِفٌ كَمَا يُقَالُ واللفظ الثَّانِي وَهُو ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ فيُقَالُ: دَمَغَهُ دَمغًا أَي: بَلَغَتِ الجُشَّةُ الدِّمَاغ وتُسَمَّى الدَّامِغَة أَيْ بَلَغَتِ الدِّمَاغَ لِعُمْقِهَا، وَمِنهُ قَولُ عَلِي بن أَبِي طَالِب ـ رضِيَ اللهُ عَنهُ ـ دَامِغُ جَيشَاتِ الأبَاطِيلِ[2]، وَمِنه يَكُون المَعنَى أَنَّ الحَقَّ قَطَعَ دابر البَاطِل.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [الأنبياء: 37].

فِي الآيَةِ القرآنيَّة اِستِعَارَة مَكنِيَّة فِي قوله ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ قَالَ مَحيي الدين" فَقَد شَبَّهَ العِجل الذِي طَبَعَ عَلَيهِ الشَّخص، وَصَارَ لَهُ كَالجِبِلَّةِ بِأَصلِ مَادَّتِهِ، وَهِي الطِّين، ثُمَّ حَذَف المُشَبَّهَ بِهِ وَرَمَز إليهِ بِشَيءٍ مِن لَوَازِمِهِ، وَهُو قوله ﴿خُلِقَ﴾ وقِيلَ: لا اِستِعَارَة فِيهِ، وَإِنَّمَا هُو مِن بَابِ القَلبِ، وَالأَصل: خُلِقَ العجل مِن الإنسَانِ لِشِدَّةِ صُدُورِهِ عَنهُ، وملازمتهُ لَهُ، وَالقَلب موجود كَثِيرًا فِي كَلامِهِم"[3].

---

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج5، ص19.

[2] . ابن منظور، لسان العرب،ج3، ص32.

[3] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ،ج5، ص33.

جَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي فِي الإِسْتِعَارَةِ بِلَفظِ ﴿عَجَلٍۖ﴾ وَالعَجَل هُو مِنَ الضَّعفِ؛ فَالإِنسَان خُلِقَ ضَعِيفًا وَمِن ضَعْفٍ، فَالإِنسَان فِي أَوَّلِهِ خُلِقَ مِن ضعفٍ وَفِي آخِرِ حَيَاتِهِ يَكُون فِي ضعفٍ، وَقَد صَوَّرَ القُرآنُ ذَلِكَ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضُعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضُعْفٍ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٖ ضُعْفٗا وَشَيْبَةٗۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُۖ﴾ [الرُّوم:54]

ـ يَقُولُ تَعَالَى﴿ كُلُّ نَفْسٖ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٗۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَۖ﴾ [الأنبياء 35].

فِي الآيَةِ استِعَارَة مَكنِيَّة فقد ذكَر المُشَبَّه وَهُو المَوتُ وَحَذَف المُشَبَّه بِهِ ولكِنَّهُ رمزَ لَهُ بِأَحَدِ لوَازمِهِ وهُو الذَّوقُ فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿نَفْسٖ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ﴾ قَالَ محيي الدِّين" ولَيسَتِ الموت مِمَّا يُذَاقُ، ولَكِنَّهُ شَبَّهَهُ بِطَعَامٍ غير مريء، ولا مُستَسَاغٍ، ولَكِنَّهُ لِحَتمِيَّةِ وُقُوعه، وكَونه أَمرًا لا بُدَّ مِنهُ أَصبَحَ بِمَثَابَةِ المَرِيء المُسْتَسَاغ، فَلا مَندوحَة لِنَفسٍ عَن ذَوقِهِ"[1]، فالمَوتُ حَق عَلَى بَنِي آدَمَ فِي هَذِهِ الدُّنيَا، وقَد أَجَادَ عَبدُ بَنِي الحَسحَاس[2] حِينَ قَالَ:

رَأَيتُ المَنَايَا لَم يَدَعنَ مُحَمَّدًا ولا بَاقيَا إلا لَهُ المَوتُ مَرصَدا

وَقَد صَوَّرَ القُرآنُ الكرِيم أَنَّ النَّفس البَشَرِيَّة مَآلُهَا المَوت فِي الدنيَا؛ فَكُلُّ نَفسٍ ذَائِقَة المَوت لا محالة، وقَد جَاءَ نَفس التَّعبِيرِ فِي ثَلاثِ سُوَرٍ مِنَ القُرآنِ الكَرِيمِ، فَسُورَة آلِ عِمرَان فِي قوله تَعَالَى ﴿ كُلُّ نَفْسٖ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِۖ﴾ [آل عِمْرَان:185]، وَفِي سُورةِ الأَنبيَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿كُلُّ نَفْسٖ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٗۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَۖ﴾ [الأنبيَاء:35]، وفِي سُورةِ فِي قوله تَعَالَى ﴿كُلُّ نَفْسٖ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَۖ﴾ [العنكبُوت:57]

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج5، ص34.

[2] . ابن عاشُور: التحرير والتنوير، تونس: 1984، الدار التونسية للنشر، ج16، ص28.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلذِينَ كَفَرُواْ فِے مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَاتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً اَوْ يَاتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ [الحج 55].

فِي الآيَةِ اِستِعَارَة مَكنِيَّة فِي قوله تَعَالَى ﴿اَوْ يَاتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" فَقَد شَبَّهَ مَا لَا خَيرَ فِيهِ مِن الزَّمَانِ بِالنِّسَاءِ العُقم، أَو لأَنَّ يَومَ الحَربِ يُقْتَلُ فِيهِ أَولادُ النِّسَاء، فَيَصِرْنَ كَأَنَّهُن عُقْمٌ لَم يَلِدنَ"[1].

الإتيَانُ مِنَ اللهِ يَكُونُ بِالأَمرِ والتَّدبِيرِ، وَمِنَ الآيَاتِ فِي ذَلِكَ قَوله تَعَالَى ﴿قُلْ اَرَءَيْتَكُمْ إِنَ اَتٰيكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوَ اَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأنعام:40]، وَمِنهُ قوله تَعَالَى ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النَّحْل:1].

ولَقَد جَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي فِي الاِستِعَارَةِ أَنَّهُ وَصَفَ هَذَا العَذَاب بِأَنَّهُ ﴿عَقِيمٍ﴾ مِن شِدَّتِهِ وقُوَّتِهِ فَهُو مُهلِك، وَهُو نَتِيجَةَ كُفرٍ وَطُغيَانٍ، وَقَد وَرَدَ قَبلَ كَلِمَةِ ﴿عَقِيمٍ﴾ كَلِمَة ﴿يَوْمٍ﴾ وَاليَومُ العَقِيمُ هُو اليَوم الذِي لَيسَ بَعدَهُ يَوم؛ لأَنَّهُ يُقَالُ: رَجُلٌ لَيسَ لَهُ عَقِب لَيسَ لَهُ وَلَد.

وَمِنهُ تَوجِيهُ الآيَةِ مِن خِلالِ هَذِهِ الاِستِعَارَة يَكُونُ المَعنَى؛ أَنَّ القِيَامَةَ تَقُوم عَلَيهِم فِي إِحدَى الحَالَتَينِ:

1 ـ إِمَّا أَن تَأْتِيَهُم السَّاعَةُ كَمَا أَرَادَ اللهُ وَدَبَّرَ ذَلِكَ فِي وَقتِهَا.

2 ـ وَإِمَّا أَن تَأتِيَهُم السَّاعَةُ مِن خِلالِ العَذَابِ كَمَا فَعَلَ اللهُ تَعَالَى مَعَ أقوامٍ عَدِيدَةٍ مِنهُم؛ كَقَوم عَاد وثمُود وَجَدِيس، وَمِنهُ قوله تَعَالَى﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِالطَّاغِيَةِ ٤ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة:5 ـ6]

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [لقمَان:24]

فِي الآيَة القرآنيَّة استعَارَة مَكنِيَّة ذَكَرَ المُشبَّه وهو (العَذَاب) وحذفُ المُشبَّه بِهِ وترك مَا يعبِّرُ عنهُ وهُو (غليظ) فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ "فَقَد شَبَّهَ إلزامهُم التَّعذِيب وإرْهَاقهُم إِيَّاه بِاضطِرَارِ المُضطَرِّ إِلَى الشَّيءِ الذِي لا يقدر عَلَى الانفِكَاك مِنهُ، أَي: يَثْقُلُ

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج5، ص165.

عَلَيهِم ثِقَلَ الأَجرَام الغِلاظِ، والغَلظ مُستَعَار مِن الأَجرَامِ الغَلِيظَة، والمُرَاد: الشِّدَّة، والثِّقَل عَلَى المُعَذَّبِ"[1]، فَلَهُمُ المُتعَةُ فِي الدنيَا ولَهُم يَومَ القِيَامَةِ عَذَابٌ شَدِيد، وقَد وَصَفَ اللهُ تَعَالَى أَنَّ هَذِهِ المُتعَة هِيَ قَلِيلَة؛ لأَنَّ الدنيَا بِالنِّسبَةِ لِلآخِرَةِ شَيء قَلِيل؛ فَالدنيَا لَهَا نِهَايَة، والآخِرَة هِيَ مَا لا نِهَايَة.

جَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي بلفظ ﴿غَلِيظٌ﴾ وَعكس الغَلِيظ هُو الرَّقِيق، وَعَادَةً مَا تَرتَبِطُ الغِلظَةُ بِالأَجسَامِ، فَالعَذَابُ الغَلِيظ مِن وُجُوهٍ عِدَّةٍ؛ فَهُو يَشْمَلُ الأَجسَاد والأَروَاح، والعَذَاب الغَلِيظ لأَنَّ الأَجسَادَ فِي العَذَابَ تَكُونُ ضَخمَةً كَمَا أَخْبَرَنَا النَّبِي ﷺ، والغِلظَةُ تَشمَلُ كَونَ العَذَاب لا يَنقَضِي وقتُهُ؛ فَهُو فِي النَّارِ مِنَ الخَالِدين فِيهَا أَبَدًا.

- يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَإِذَ اَخَذْنَا مِنَ اَلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى اِبْنِ مَرْيَمَۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقاً غَلِيظاً﴾ [الأحزاب:7]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارَة مَكنِيَّة وَذَلِكَ فِي قوله تعالى ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقاً غَلِيظاً﴾ فَقَد وَصف المِيثَاقَ بِأَنَّهُ غَلِيظ، فَقَد شَبَّه المِيثَاق" بِجرمٍ مَحسُوس، وَاسْتَعَارَ لَهُ شَيئًا من صِفَاتِ الأَجرَامِ، وَهُو الغَلَظُ؛ لِلْتَنوِيهِ بِعِظَمِ المِيثَاقِ، وجَلالِهِ، وهُو المَعنَى بِقَوله: ﴿وَإِذَ اَخَذَ اَللَّهُ مِيثَٰقَ اَلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُومِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ﴾"[2].

وَحَقِيقَةُ هَذَا المِيثَاق أَنَّهُ مِيثَاقٌ غَلِيظٌ؛ لأَنَّهُ مِنَ اللهِ سُبحَانَهُ وتَعَالَى مُوَجَّه لِنَبِيِّهِ مُحمَّد ﷺ ولأَنبِيَائِهِ، فَالعَهد الذِي كَانَ بَينَ اللهِ وَأَنبِيَائِهِ هُو نَفسه العَهد الذِي بَينَ اللهِ وَبَينَ نَبِيِّهِ مُحَمَّد ﷺ فَنُصْرَةُ اللهِ ونَشر رسَالَتِهِ هِيَ المِيثَاقُ الغَلِيظ بَينَ اللهِ وأَنبِيَائِهِ.

وَقَد جَعَلَ اللهُ تَعَالَى الزَّوَاجَ مِيثَاقًا غَلِيظًا حَيثُ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى ﴿وَكَيْفَ تَاخُذُونَهُۥ وَقَدَ اَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقاً غَلِيظاًۖ﴾ [النِّساء:21]، وَقَد جَعَل العَهدَ الذِي بَيْنَهُ وَبينَ اليَهُودِ المَوجُود فِي التورَاةِ مِيثَاقًا غلِيظا، يقُولُ تَعَالَى ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ اُلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْۖ وَقُلْنَا لَهُمُ

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج6، ص100.

[2] . المصدر نفسه، ج6، ص141.

أُدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّداً وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعَدُّواْ فِے ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقاً غَلِيظاً﴾ [النِّسَاء:153].

وَقَد ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى فِي الآيَةِ الأَنبيَاء(نُوح، إبراهِيم، مُوسَى، وعِيسَى ابن مَريم) عليْهِمُ السَّلام دُونَ غَيرِهِم مِنَ الأَنبِياءِ لاعتِبَاراتٍ عِدَّةٍ، فكُلُّ نَبِيءٍ لَهُ مُمَيِّزات، كَمَا لَهُم مُمَيِّزات مُشتركَة.

- يَقُولُ تَعَالَى ﴿ اَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالذِے يُغْشٰىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ اَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُوْلَٰئِكَ لَمْ يُومِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيراً ﴾ [الأحزاب:19]

فِي الآيَةِ استِعَارَة مَكنِيَّة ذَكَرَ المُشَبَّه وحَذَفَ المُشبَّه بِهِ وذَكَرَ أحَدَ لَوَازِمِهِ فِي قَولِهِ ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ فَقَد شَبَّهَ اللِّسَان بالسَّيفِ، وقَد يَكُونُ هَذَا السَّلق مِن خِلالِ الفِصَاحَة والإِسْتِرْسَال فِي الكَلامِ العَفوِي عَلَى طَبِيعَتِهِ دُونَ تَكَلُّفٍ، وَمِنهُ قَوْلُ الشَّاعِر[1]:

وَلَستُ بِنَحوِيٍّ يَلُوكُ لِسَانَهُ ولَكِن سَلِيقِي أَقُولُ فَأُعرِبُ

فِي الإِستِعَارَةِ أَضَافَ إِلَى اللِّسَانِ كَلِمَة ﴿حِدَادٍ﴾ بَيَّنَت طَبِيعَةَ هَذَا اللِّسَان وَطَبِيعَة هَذَا السَّلْق وَأَنَّهُ سَلْقٌ بِاللِّسَانِ حَادٌ فِيهِ؛ قَهرٌ وَجَهرٌ بِالسُّوءِ، وَهَذَا السَّلْق جَاءَ بَعدَ الإِطمِئنَان وَذَهَابِ الخَوف.

- يَقُولُ تَعَالَى ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلذِينَ اَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَاۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقُۢ بِالْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [فاطر:32]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارَةٌ مَكنِيَّة تَبَعِيَّة فِي قوله ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلذِينَ اَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَاۖ﴾ فَقَد شَبَّهَ إِعطَاء الكِتَاب لَهُم مِن غَيرِ تَعَبٍ ولا اِجتِهَادٍ ولا كد وَإِنَّمَا أَورَثَهُم الكِتَاب.

فقوله تَعَالَى ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾ أُمَّة النَّبِي ﷺ التي فيهَا مَن هُو﴿ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ وَهُو العَاصِي وَمِنهَا مَن هُو ﴿مُّقْتَصِدٌ﴾ وَهُو الذِي يَفعَلُ الطَّاعَة وَيَأتِي المَعصِيَّة، وَالتي مِنهَا ﴿سَابِقُۢ بِالْخَيْرَٰتِ﴾ وَهُو المُجتهد فِي طَاعَةِ الله المُلتزِم بِهَا.

[1] . لم يذكرهُ ابن برّي في أماليهِ على الصِّحَاح، ولا الصفدي في حاشيتِهِ عليهِ، وأورده ابن الأثير في النهايَة غير منسُوب إلى قائلهِ، وذكرهُ الكثير من النحاةِ دُون ذكرِ قائلِهِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ اجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرا ﴾ [فاطر:45]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة اِستِعَارَة مَكنِيَّة فِي قَوله ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾

والكَلامُ فِي أَصلِهِ عَلَى حَقِيقَتِهِ، فَأَعْمَالُ العِبَادِ وَمَا يَقُومُونَ بِهِ مِن أَعمَالٍ مُنَافِيَةٍ لِمَا أَمَرَهُم اللهُ تَعَالَى بِهِ، فَلَو حَاسَبَهُم اللهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ، لَمَا تَرَكَ أَحَدًا يَدُبُّ عَلَى البَسِيطَةِ، وَقَد جَاءَ التَّعبِيرُ بِلَفْظِ ﴿دَآبَّةٍ﴾ وَهِيَ كُلُّ مَا يُدُبُّ فِي الأرضِ مِن إِنسَانٍ وحَيَوَانٍ وَمَخْلُوقَاتٍ، وَيَقصِدُ بِقولِهِ ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ والتي لَهَا مَعنَى ظَاهِر وَهُو الأَرض، وَلَهَا مَعنَى بَاطِن وَهُو الدُّنيَا وَمِنهُ قَوْلُ المَعَرِّي[1]:

وَإِن شِئتَ فَازعُم أَنَّ مَن فَوقَ ظَهرِهَا عَبِيدُكَ وَاسْتَشهِد إِلاهَكَ يَشهَدِ

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾ [يس:36]

فِي بِدَايَةِ الآيَة القرآنيَّة اِستِعَارَة مَكنِيَّة فِي قَوله ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ عَبَّرَ اللهُ فِي هَذِهِ الآيَة عَنِ العلاقَة التي تَكُون بَينَ اليلِ والنَّهَار حِينَ يَخرُجُ الليل وَيَدخُلُ بِالانسِلاخ.

إِنَّ (السَّلْخُ):" إِزَالَةُ الجِلدِ عَنِ الحَيَوَانِ، وفِعله يَتَعَدَّى إِلَى الجلدِ المُزَال بِنَفسِهِ عَنِ المَفعُولِيَّة، وَلِذَلِكَ يُقَالُ لِلجِلدِ المُزَالُ مِن جِسمِ الحَيوَان: سلخ ـ بِكسرِ السِّين وَسُكُون اللَّام ـ بِمَعْنَى مَسلُوخ، وَلا يُقَالُ لِلجِسمِ الذِي أُزِيلَ جِلدُهُ: سِلْخٌ"[2]، وَمِنهُ يَكُون فَاليل هُو بِمَثَابَةِ الجِسمِ وَالنَّهَار هُو بِمَثَابَةِ الجِلد أَي: أَنَّ الليلَ بِظُلمَتِهِ هُو الأَصل، وَمِنهُ قَولُهُ ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ لِتَعُودَ الظُّلمَة التي هِيَ الأَصل، وَمِنهُ اِنسَلَخَ النَّهَارُ مِنَ الليلِ أَي: خَرَجَ مِنهُ.

فَالأَمرُ الجَامِعُ بَينَ السَّلخِ والليلِ والنَّهَارِ، هُو الإِزَالَةُ والخُرُوج، فَالإِهَاب[3] يُسلَخ مِنَ الجِسمِ المَسلُوخِ مَعَ المُحَافَظَةِ عَلَى اللَّحمِ وَالعَظمِ دُونَ ضَرَرٍ، وهَذَا فِيهِ مَشَقَّة لأَنَّ؛ الإِهَابَ مُلْتَصِقٌ

[1] . ابن عاشُور: التحرير والتنوير، تونس: 1984، الدار التونسية للنشر،ج23، ص339

[2] ـ المرجع نفسه، ج24، ص18.

[3] . الإِهَابُ: وهُو الجِلْدُ وجَمْعُهُ جُلُود.

بِاللَّحمِ والعَظم وَفِي ذَلِكَ صُعُوبَة، فَكَذَلِكَ خُرُوجُ النَّهَار مِنَ الليلِ يَكُونُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَة، فَيَكُون دُونَ بَقَاء شَيء مِنَ الضَّوءِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [فُصِّلَت:39]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة اِستِعَارَة مَكنِيَّة فِي قوله تعالى ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً﴾ فَقَد وُصِفَت الأَرض بالخُشُوعِ والتَّذَلُّل وَهِيَ المُشَبّه، كَمَا وُصِفَت الأَرض بِالاِهتِزَازِ والربو فَهِيَ كَالإِنسَانِ، وخُشُوع الأَرض أَي: أَنَّها يَابسَةٌ غَبرَاء خَاشِعَة، وأَمَّا اِهْتِزَازُهَا فَهُو نَبَاتُهَا.

ففِي الآيَةِ وَصَفَ الأَرضَ بِالخُشُوعِ، وَمِنهُ قَولُ النَّابِغَة[1]:

رَمَادٌ كَكُحل العَيْنِ لأْيًا أُبَيِّنُهُ نَوَى كَجِذمِ الحَوضِ أَثْلَمُ خَاشِعُ

فِي الاِستِعَارَةِ شُبِّهَتِ الأَرضُ بِشَخصٍ كَانَ ذَلِيلا ثُمَّ صَارَ مُهْتَزًا، فَقَد كَانَت الأَرض يَابِسَةً وَلَمَّا اِهْتَزَّت بِالنَّبَاتِ، فَمَنِ الذِي أَحيَاهَا؟ الذِي أَحيَاهَا هُو قَادِرٌ عَلَى أَكْبَر مِن ذَلِكَ، فَهُو عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الزخرُف:72]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة استعَارَة مَكنِيَّة وَرَدَ ذِكْرُ المُشَبَّه وَهُو الجَنَّة وحَذَفَ المُشَبَّه بِهِ، فَقَد جَعَلَ اللهُ الجَنَّةَ كَالمَالِ المَورُوث، وَقَد رَبَطَ بَينَ الإِرثِ والعَمَل، فَكُلُّ عَمَلٍ لَهُ جَزَاءٌ وَالعَمَل فِي الدنيَا لَهُ جَزَاءٌ فِي الآخِرَةِ؛ إِن خَيرًا فَخَيرًا وإِن شَرًّا فَشَرًّا، فَإِن كَانَ خَيرًا فَالجَنَّة مَثوَاه، وَإِن كَانَ شَرًّا فَالنَّار مَأْوَاهُ.

كَمَا أَنَّهَا أَيْ: الجَنَّة" شُبِّهَت فِي بَقَائِهَا عَلَى أَهلِهَا، وإِفَاضَة السَّوابِغ عَلَيهِم بِالمِيرَاثِ البَاقِي لا يَنضَب لَهُ معِين، ولا يَنتَهِي إِلَى نَفَادٍ"[2]، فَمَا يَقُومُ بِهِ المُؤمِنُ فِي الدنيَا يَجِدهُ أَمَامَهُ يَومَ القِيَامَةِ،

[1] . النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3. القاهرة: دت، دار المعارف، ص30.

[2] . محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج7، ص104.

إِن خَيرًا فَخَيْرًا وإِن شَرًا فَشَرًا، يَقُولُ تَعَالَى ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحاً فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنَ اَسَآءَ فَعَلَيْهَاۖ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِۖ﴾ [فُصِّلَت:45]

وَقَد جَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي للجَنَّةِ بـ﴿وَتِلْكَ﴾ وَجَاءَ التَّعبِير لِجَهَنَّم ﴿هَذِهِ﴾ بِاسْتِعمَال الإِشَارَة القَرِيبَة حَتَّى يُبَيِّن اللهُ أَنَّ جَهَنَّم قَرِيبَة، وَهَذَا لِكَي يَحذَرَهَا المُؤمِنُ ذكر عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قَالَ: سمعت النَّبِيُّ ﷺ(اِتَّقوا النَّارَ وَلَو بِشِقِّ تَمْرَة)[1].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَالَارْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾ [الدخَان:28]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة اِستِعَارَةٌ مَكنِيَّة وَهِيَ مِن بَابِ التَّحقِير، وهَذِهِ الآيَة لَهَا دَلالات وتَوجِيهَات مِنهَا:

ـ إِنَّ السَّمَاءَ وَالأَرض لَهُمَا بُكَاءٌ لِفُقدَانِهِمَا أَهلَ الطَّاعَةِ، وَفِي المُقَابل فَإِنَّهمَا لا تَبكِيَان لِفُقدَانِ أَهْل المَعَاصِي، وَهَذَا مَوجُود فِي كَلامِ العَرَب، فَكَانُوا يَقُولُون عِندَ هَلاكِ من كَانَ سَيِّدًا أَو عَظِيمًا: أَظْلَمَتِ الشَّمس لَهُ، وَكَسفَ القَمَرُ لِفَقدِهِ، وبَكَتْهُ الرِّيحُ والبَرقُ والسَّمَاء والأَرض، وَهَذَا مِن بَابِ المُبَالَغَة فِي المُصِيبَةِ، والأَمثِلَة فِي هَذَا البَاب كَثِيرَة مِنهَا:

ـ فِي وَصفِ اللهِ تَعَالَى أَهلَ المَكر أَنَّ مِن مَكرِهِم تَزُولُ الجِبَال، قَالَ تَعَالَى ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْۖ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْۖ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُۖ﴾ [إبراهيم:48]

ـ الإِنسَان إِذَا كَانَ مِن أَهلِ الطَّاعَة فَإِنَّ اللهَ يَأمُرُ أَهلَ الأَرض وأَهل السَّمَاء بِحُبِّهِ وَجَعلِهِ مَحبُوبًا بَينَ النَّاسِ.

ـ الإِنسَانُ إِذَا كَانَ يُؤَدِّي حَقَّ اللهِ مِن زَكَاةٍ فِي المَالِ وَالزَّرع؛ فَإِنَّ اللهَ يَأْمُرُ السَّمَاء والسّحَاب أَنَّ يَسقِيَ أَرضَ فُلان.

ـ فِي الشِّعرِ نَجِد مِنَ الشُّعَرَاءِ مَن يُصَوِّر لنا هَذَا فِي شِعْرِهِ، كَالفَرَزدَق وجَرِير وَيَزِيد بن مفرغ قَالَ الفَرَزدَقُ[1]:

[1] . محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين، دط. الرياض: 1428، دار الوطن للنشر، ص92، مسلم بن حجاج النيسابوري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دط. بيروت: دت، دار إحياء التراث العربي،ص68.

والشَّمسُ طَالِعَةٌ لَيسَت بِكَاسِفَةٍ تبكي عَلَيْكَ نُجُوم الليلِ وَالقَمَرَا

وقَالَ جَرِيرُ[2]:

لَمَّا أَتَى خَبَرُ الزُّبَيرِ تَوَاضَعَت سُور المَدِينَةِ والجِبَال الخُشَّعِ

وَقَالَ يَزِيدُ بن مفرغ[3]:

فَالرِّيحُ تَبكِي شَجْوهَا والبَرْقُ يَلْمَعُ الغَمَامه

وأَمَّا مِن الشُّعَراء المُحْدَثِين نَجِد قَوَلَ أَبِي بَكْرٍ بن اللَّبَّانَة الأندلُسِي فِي رِثَاءِ المُعْتَمَد بن عُبَّاد مَلِكُ إِشْبِيلِيَّة حَيْثُ قَالَ[4]:

تَبْكِي السَّمَاءُ بِدمع رَائِحٍ غَادي علَى البَهَالِيلِ مِن أبنَاءِ عُبَّادِ

وَقَد يَكُون هَذَا البُكَاء عَلَى حَقِيقَتِهِ، فَقَد رَوى أنسُ بن مَالِك أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:" مَا مِن عَبدٍ إِلَّا لَهُ فِي السَّمَاء بَابَانِ: بَاب يَخْرُجُ مِنهُ وَيُرزَقُ، وَبَاب يَدخُلُ فِيهِ عَمَلُهُ، فَإِذَا مَات فَقَدَاهُ وَبَكَيَا عَلَيْهِ"[5]، وَتَلا هَذِهِ الآيَة، قَالَ: وَذَلِكَ لأَنَّهُم لَم يَكُونُوا يَعمَلُونَ عَلَى الأَرضِ عَمَلا صَالِحًا فَتبكِي عَلَيهِم، وَلَم يَصعَد لَهُم إِلَى السَّمَاءِ كَلام طَيِّب ولا عَمَل صَالِح فَتَبكِي عَلَيهِم، وَعَلَى قول أَكْثَر المُفَسِّرِينَ ابن عبَّاس وَسَعِيد بن جُبَير ومُقَاتِل وقَتَادَة، قَالُوا: لَم تَبكِ عَلَيهِم مَصَاعِدُ أَعْمَالِهِم عَلَى السَّمَاءِ، ولا مَوَاضِع سُجُودِهِم مِن الأَرضِ"[6].

---

[1] . القرطبي، أبُو عبد اللهِ مُحَمَّد بن أَحمَد الأنصَارِي القُرطُبِي، الجَامِع لأحكَام القُرآن، القُرطُبِي، ط1. القاهرة: 2005، مكتبة الصَّف، ج 9، ص290.

[2] . جرير، ديوان جرير، دط. بيروت: 1986، دار دار بيروت للطباعة والنشر، ص270.

[3] ـ يزيد بن مفرغ الحميري، ديوان يزيد بن مفرغ الحميري، جمعه وحققه: الدكتور عبد القدوس أبو صالح، ط1. بيروت: دت، مؤسسة الرسالة، ص208.

[4] . المعتمد بن عباد، ديوان المعتمد بن عباد ملك إشبيلية، جمعه وحققه: أحمد أحمد بدوي، حامد عبد المجيد، القاهرة: 1951، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ص13.

[5] ـ أَخْرَجَهُ الإمام الترمذِي فِي سُنَنِهِ كِتَاب التَّفْسِير بَاب[46]، أخرَجهُ أَبُو نعِيم في الحِلْيَةج8، ص327، أخرجهُ أَبُو يَعلَى فِي مُسْنَدِهِ عَن أنس، ج7، ص160، والخَطِيب فِي (تاريخ بغداد) ج11، ص212، وذكره ابن حجر في " المطالب العلية" ج3، ص369.

[6] ـ الطبَرِي، ابن جَرِير الطبرِي، تفْسيرُ الطبَرِي من كتَابِهِ جَامِعُ البيَان عَن تأْوِيل آي القُرآن، تح : الدكتور بَشَّار عوَّاد مَعْرُوف وَعِصَام فَارِس الحرستَانِي، ط1. بيرُوت: 1415هـ/1995م، مُؤسَّسَة الرِّسَالَة، ج13، ص125.

ـ يقُولُ تعَالَى ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَۖ﴾ [الجاثية29] فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّۚ﴾ اِسْتِعَارَة مَكْنِيَّة، فَقَد" شَبَّهَ الكِتَاب بِشَاهِد يُؤَدِّي شَهَادَتُهُ بِالحَقِّ، وحَذَف المُشَبَّه بِهِ، واسْتَعَارَ لَهُ شَيْئًا مِن لَوَازِمِهِ، وَهُو: النُّطق بِالشَّهَادَةِ"[1].

وَجَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي بِجُمْلَةِ ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ﴾ يَوْمَ القِيَامَةِ كُلُّ إِنسَانٍ يُؤْتَى كِتَابَهُ، فَالذِي يَأْخُذُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَقَد فَاز، وأَمَّا مَن أَخَذَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَقَد خَسِرَ، يَقُولُ تَعَالَى ﴿فَأَمَّا مَنُ اُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً ٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُوراًۚ ٩ وَأَمَّا مَنُ اُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ١٠ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُوراً ١١ وَيُصَلَّىٰ سَعِيراًۖ﴾ [الانشقاق:7 ـ11]

وَنُطق الكِتَاب مِن وُجُوهٍ عِدَّةٍ:

ـ كُلُّ إِنسَانٍ لَهُ كِتَابٌ يَجِدْهُ يَومَ القِيَامَة يَوْمَ تَتَطَايَر الصُّحُف؛ هَذَا الكِتَاب يَجِد فِيهِ كُلَّ الأَعْمَال التي عَمِلَهَا لا يَتْرك ذَرَّةً مِن الأَعمَالِ إلا وَيَجِدُهَا مُدَوَّنَةً، يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِۖ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۖ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِراًۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ [الكهف:49]، ويقول تعالى ﴿ فَمَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُۥ ٨ وَمَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة::8 ـ9]

ـ يَنطِقُ الكِتَاب بِمَا فِيهِ مِن أَعمالٍ؛ لأَنَّ يَومَ القِيَامَةِ حَتَّى الأُمِّي يَقرأُ كِتَابِهِ بِأَمرِ اللهِ تَعَالَى.

ـ يَومَ القِيَامَةِ تَشهَدُ الأَلسِنَةُ وَالأَيدِي وَالأَرجُل عَلَى أَعمَالِ العِبَادِ، مُؤَيِّدَةً لِنُطقِ الكِتَابِ وَمُصَدِّقَةً لَهُ، وَمُكَذِّبَةً لِبَنِي الإِنسَانِ، يَقُولُ تَعَالَى ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَۖ ﴾ [النُّور:24]

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ اَقْفَالُهَآۖ ﴾ [مُحَمَّد: 24]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارَة مَكنِيَّة فَقَد شَبَّهَ القُلُوب بِالصَّنَادِيقِ، وحذَفَ المُشَبَّه بِهِ إِلَّا إِنَّهُ اِستَعَارَ لَهَا شَيئًا مِن لَوَازِمِهَا وَهِيَ الأَقفَال التي تُفْتَحُ بِهَا الصَّنَادِيق، فَكَمَا أَنَّ للصَّنَادِيقِ مَفَاتِيح فإِنَّ للقُلُوبِ مَفَاتِيح، وتَخْتلِفُ مَفَاتِيح القُلُوب كَمَا تَختَلِفُ الأَقفَال.

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج7، ص152.

جَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي بِوَصفِ القُلُوبِ بِـ﴿اَقْفَالُهَآ﴾ وَقَد جَاءَت كَلِمَة ﴿ قُلُوبٍ﴾ نَكِرَةً فَهِي عَامَّة غَيرَ مَخصُوصَةٍ بِصِنفٍ مِنَ القُلُوبِ، فالتَّنكِير فِيهِ دَلالَةٌ عَلَى التَّبعِيضِ عَلَى أَنَّ القُلُوبَ مُخْتَلِفَةٌ، وَجُملَةُ ﴿عَلَىٰ قُلُوبٍ﴾ شِبهُ جُملَةٍ فِي مَحَلِّ رَفعِ خَبَرٍ مُقَدَّم، والأَقْفَال مُتَنوّعَة لَيسَت مُتَشَابِهَة، فَلا يُمكِنُ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ قُفْلٌ يُشبِهُ قُفلا، فَالقُلُوبُ مُقفَلَة مُغلَقَة، وَكُلُّ قَلبٍ وَلَهُ القُفل الذِي يَفتَحُهُ، فَصَوَّرَ لَنَا القُفل أَنَّهُ مَانِعٌ لِحُصُولِ كُلّ فِعلٍ، وبِالتَّدَبُّرِ فِي آيَاتِ اللهِ تَعَالَى كُلُّ قَلبٍ وَلَهُ مِفتَاحَهُ الذِي بِهِ يَهتَدِي، فَاِستِقَامَة القُلُوب وَهِدَايتهَا كُلُّ إِنسَانٍ وَلَهُ الآيَة التي تُؤَثِّر فِيهِ، وَالمَوقِف الذِي يَتَّعِظُ بِهِ وَيَهتَدِي.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِے كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الذاريات:14]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة استِعَارَة مَكنِيَّة فِي قوله ﴿ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ﴾ فَقَد شَبَّهَ العَذَابَ بِالطَّعَامِ الذِي يُؤكَل، واسْتُعِيرَ لَهُ بِأَحَدِ لَوَازِمِهِ وَهُو الذَّوق، وَقَد عَبَّرَ اللهُ تَعَالَى عَن ذَوقِ العَذَاب فِي آيَاتٍ عَدِيدَةٍ فِي أَكثَرَ مِن عِشرِينَ مَوضِعًا مِن كَتَابِ اللهِ، مِنهَا قوله تَعَالَى ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ وَكَقَولِهِ تَعَالَى ﴿ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [السَّجدة:14]

فَقَد كَذَّبُوا بِحُصُولِ العَذَابِ فِي الآخِرَةِ وَاستَعجَلُوهُ؛ لأَنَّهُم بِهِ كَانُوا يُكَذِّبُون، فَجَاءَهُم العَذَاب الذِي كَانُوا يَستَعجِلُونَ، فَالظُّلم فِتنَة؛ ظُلمُ اللهِ وَظُلمُ الغَيرِ وظُلمُ النَّفسِ، يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأَنفَال:25].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَفِے عَادٍ إِذَ اَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ [الذَّارِيَّات:41]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارَة مَكنِيَّة ذكرَ المُشَبَّه وهُو الرِّيح وحذف المشبه به وهو المرأة وذكر أحد لواز هذا التشبيه وهو العقم، فِي قَوله ﴿ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ فَقَد شَبَّهَ الرِّيح بِالمَرأة العَقِيم التي لَيسَ فِيهَا فَائِدَة، فَقَد" شَبَّهَ مَا فِي الرِّيح مِن الصَّفَة التي تَمنَع مِن إنشَاء مَطَر، أَو إلقَاح شَجَرٍ بِمَا فِي المَرأَةِ مِن الصِّفَةِ المَذكُورَة التي تَمْنَعُ الحَملَ"[1] فَالرِّيح العَقِيم هِيَ الرِّيحُ المُهلِكَة،

[1] . محيي الدِّين الدرويش، إعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج7، ص212.

وَسِيَاقُ الآيَةِ يُبَيِّنُ ذَلِكَ؛ لأَنَّ هَذِهِ الرِّيح هِيَ رِيحُ عَذَاب فَأَهلَكَهُم اللهُ بِهَذِهِ الرِّيح وَلَم يَترُك أَحَدًا كَفَرَ بِهِ، وَرَبَطَ اللهُ تَعَالَى بَينَ الرِّيحِ وَالعُقمِ أَي: إِنَّهُ لَم يَترُك أَحَدًا كَبِيرًا كَانَ أَم صَغِيرًا فَقَطَعَ نَسْلَهُم وَخِلْفَهُم مِن الذُّرِّيَّةِ، فَأَصبَحُوا مِن الأَقوَامِ البَائِدَةِ التي أَبَادَهَا اللهُ بِالعَذَابِ، وهَؤلاءِ قَدَّرَ اللهُ لَهُم الرِّيحَ العَقِيمَ، وَأَمَّا ثَمُودُ فَقد أَهْلَكَهُم اللهُ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَة.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلاً فَهِيَ إِلَى ٱلَاذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَۖ﴾ [يس:8]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارَة مَكنِيَّة فِي قوله ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلاً﴾ فَهِي تَمثِيل عَن كُفرِهِم وعِنَادِهِم وتَصمِيمِهِم عَلَيهِ، فَحَالُهُم كَحَالِ مَن جُعِلَتِ الأَغلالُ فِي عُنقِهِ، كَمَا هُو اِسْتِعَارَة فَهُو عَلَى الحَقِيقَةِ؛ فَنَتِيجَةَ عَدَم إِيمَانِهِم جَعَلَ الأَغلالَ فِي أَعنَاقِهِم.

وَقَد جَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي بِلَفظِ ﴿جَعَلْنَا﴾ وَهِيَ مِن جَعَلَ[1] وَالجَعل هُو وَضعُ الشَّيء فِي الشَّيءِ، وَمِنهُ يَكُونُ مَعنَى الآيَة؛ وَضعُ الأَغلالِ فِي الأَعنَاقِ، وَهَذِهِ الآيَة تُصَوِّرُ لَنَا أَنَّ كُلَّ مَن عَرِفَ الحَقَّ وَابتَعَدَ عَنهُ، أَو عَرِفَ الإِيمَانَ والخَالِقَ وَانصَرَفَ إِلَى غَيرِهِ أَو اِستَكبَرَ وَأَبَى، فَهُو كَمَن جَعَلَ الأَغلالَ فِي عُنُقِهِ، وَهَذَا بِاعتِبَارِ مَا يَكُونُ يَومَ القِيَامَةِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سُدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سُدّاً فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَۖ﴾[يس9]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة استِعَارة مَكنِيَّة فِي قوله ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سُدّاً﴾ الاِستِعَارَةُ فِيهَا تِبيَانٌ أَنَّهُم لَيسُوا عَلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ، وَالسَّد فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى الغِشَاوَة التي فِي أَبصَارِهِم وَهِيَ نَتِيجَة سَمَاعِهِم القُرآن، وَإِعرَاضِهِم عَنهُ، وَاتَّبَعُوا البَاطِلَ، فَبِإِتِّبَاعِهِم البَاطِل وَإِعرَاضِهِم عَن آيَاتِ الله.

[1] . إِنَّ لَفظَ (جَعَل) لَهَا مَعَانِي وَدَلالات مُختَلِفَة سَوَاء مِن جَانِبِ اللغَةِ أَو النَّحو، فَهُنَاكَ مَن عَدَّهَا مِن أَفعَالِ القُلُوبِ، يرَى ابنُ مَالِك فِي أَلْفِيَتِهِ أَنَّ مِن مَعَانِي(جَعَل) مَعنَيَين اِثنين: الأَوَّل أَنَّهُ يَأتِي بِمَعْنَى (اِعْتَقَدَ) وَمِنهُ قَوله تَعَالَى ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلذِينَ هُمْ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثاً أَشْهِدُواْ خَلْقَهُمْۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَۖ﴾ [الزُّخْرُف:19]، والمَعنَى الثَّانِي: إِنَّهُ يَأتِي بِمَعنَى(صَيَّرَ) مِثلَ قولِهِ تَعَالَى ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُوراً ﴾ [الفرقَان:23]، محمد محيي الدين عبد الحميد، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دط. القاهرة: 1999، مكتبة دار التراث، ص212.

وَقَد جَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي بِلَفظَينِ هُمَا ﴿أَيْدِيهِمْ﴾ و﴿خَلْفِهِمْ﴾ فِيهِمَا دلالَة تُصَوِّرُ لَنَا أَنَّهُم لا بِالقُرآنِ الكَرِيمِ الذِي بَينَ أَيدِيهِم اِهْتَدَوا، وَلا بِالفِطرةِ السَّلِيمَة التي تَرَكُوهَا خَلفَهُم سَلَكُوا طَرِيقَ النَّجَاةِ، وَهِيَ الفِطرَةُ التي فَطَرَ اللهُ بِهَا عِبَادَهُ.

- يَقُولُ تَعَالَى ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِۖ كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَاتِكُمْ نَذِيرٌۖ﴾ [الملك:8]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة اِستِعَارَة مَكنِيَّة تَبَعِيَّة في قوله تَعَالَى ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِۖ﴾، حَذَفَ المُشَبَّه بِهِ وتَرَكَ أَحَدَ لَوَازمه، فَقَد شَبَّهَ جَهَنَّم بِالمُغْتَاظَة عَلَيهِم لِشِدَّةِ غَلَيَانِهَا وَلَهِيبِهَا فهي تأكلُ بعضهَا مِن شِدّة حرِّهَا.

وَلَقَد جَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي فِي الاِستِعَارَةِ بِلَفظِ ﴿ٱلْغَيْظِۖ﴾ الذِي اِتَّصَفَت بِهِ النَّار، وَ﴿ٱلْغَيْظِۖ﴾ يَخْتَلِفُ عَنِ الغَضَبِ، فَكُلُّ غَيظٍ غَضَب وَلَيسَ كُلُّ غَضَبٍ غَيظ، والغَيظ هُو ثَوَرَانُ النَّفسِ مِن الدَّاخِلِ وَمِنهُ قوله تَعَالَى ﴿ٱلذِينَ يُنفِقُونَ فِے ٱلسَّرَّآءِ وَالضَّرَّآءِ وَالْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَۖ ﴾ [آل عمران:134] وَمنه قوله تَعَالَى ﴿فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماًۖ﴾ [الفتح:29]، وَقَد دَعَانَا اللهُ لِكَبْحِ النَّفسِ وَإِمسَاكِهَا عِندَ الغَيظِ فِي قَوله تَعَالَى ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾، وأَطْلَقَ وَصْفَ الغَيظِ للنَّارِ؛ لأَنَّ النَّارَ تَأكُلُ بَعْضَهَا وَتَحتَاجُ إِلَى وَقُود إِذَا لَم تَجِد مَا تَأْكُلُ وَقَد وَصَفَهَا اللهُ تَعَالَى بِالغَيظِ؛ لأَنَّهَا تُخفِي حَرَارَتَهَا وَلَهِيبَهَا، وَقَد وَصَفَهَا اللهُ تَعَالَى فِي آيَةٍ أُخرَى بِالغَيظِ، وَهِيَ قوله تَعَالَى ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراًۖ﴾ [الفرقان:12].

- يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَاليْلِ إِذَا عَسْعَسَ ١٧ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ [التَّكْوِير:17-18]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارَة مَكنِيَّة فَقَد شَبَّهَ الليل بِالإنسَانِ فِي إِقبَالِهِ وإِدبَارِهِ، كَمَا شَبَّهَ الصُّبحَ بِالإنسَانِ واسْتَعَارَ لَهُ أَحَدَ لوازِمِهِ وهُو التَّنفُّسُ، والتَّنَفُّسُ هُو عِبَارَة عَن عَمَلِيَّة دُخُولِ الهَوَاءِ وَخُرُوجِهِ، فَهُو اِستِنشَاقُ الأُوكسُجِين وَطَرح ثَانِي أُوكسِيد الكَربُون، فَمَا العَلاقَةُ التي تَربِطُ بَينَ

التَّنَفُّسِ وَدُخُول وَقت الصُّبحِ، فَالعلاقَة بَينَهُمَا أَنَّ الصُّبحَ فِي بِدَايَةِ دُخُولِهِ يَصحَبُهُ خُرُوجُ الظَّلامِ وَبِدَايَة النُّور وَكَأَنَّهُ تَنَفُّس، وَمِنهُ قَولُ عَلقَمَة بن قرط[1]:

حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ لَهَا تَنَفَّسَا وَانجَابَ عَنهَا لَيلُهَا وَعَسْعَسَا[2]

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ [الإنشِقَاق:2]

فِي الآيَةِ اِستِعَارَة مَكنِيَّة فَقَد شَبَّهَ السَّمَاءَ فِي انقِيَادِهَا بِقُدرةِ اللهِ تَعَالَى، كَمَن يَنقَاد إِلَى مُستَمِعِهِ المنقَاد لِأَمرِهِ، فَاستَعَارَ الأُذُن فَهِي الأَنسَب.

فِي الآيَةِ اِسْتَعَارَ الأُذُنَ لِلسَّمَاعِ، وَقَد أَطلَقَتِ العَرَبُ وَأَشَارَت إِلَى ذَلِكَ فِي شِعرِهَا، قَالَ الشَّاعِرُ قعنب بن أُمِّ صَاحب من بنِي عَبدِ اللهِ بن غطفَان[3]:

صُمٌّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرتُ بِهِ وإِن ذُكِرت بِسُوءٍ عِندَهُمْ أَذِنُوا

أَيْ: سَمِعُوا. وَقَالَ قعنب ابنُ أُمِّ صَاحِبٍ[4]:

إِنْ يَسمعُوا رِيبَةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا عَنِّي وَمَا سَمِعُوا مِن صَالِحٍ دَفَنُوا

فَالسَّمَاءُ سَمِعَت لِرَبِّهَا الذِي لَهُ المُلكُ وَالتَّدبِير، وَحُقَّ لَهَا أَن تَسمَعَ لَهُ؛ فَهُو الذِي خَلَقَهَا وَلَهُ القُدرَةُ عَلَى ذَلِكَ لا يَعْتَرِضهُ شَيء، فَهِيَ تَنقَادُ لِحُكمِهِ وَسُلطَانِهِ وَحدَهُ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفَجر:13]

فِي الآيَةِ اِستِعَارَة مَكنِيَّة، فَقَد اِستَعَارَ الصَّبَّ للعَذَابِ، فَالصَّبُّ يَخْتَصُّ بِالمَاءِ، قَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ وَقَدِ اِسْتَعَارَ الصَّب الذِي هُو خَاص بِالمَاءِ للعَذَابِ؛ لأَنَّ المَاءَ فِيهِ خَاصِّيَةُ السُّرعَةِ.

---

[1] . القرطبي، أبُو عبد اللهِ مُحَمَّد بن أَحمَد الأنصَارِي القُرطُبِي، الجَامِع لأحكَام القُرآن، القُرطُبِي، ط1. القاهرة: 2005، مكتبة الصَّف، ج19 ، ص170.

[2] . إِنَّ كَلِمَةَ (عَسْعَسَ) عَدَّهَا أَهْلُ اللغَةِ مِنَ الأَضْدَادِ، كَمَا فِي الآيَةِ فَهِيَ تَعْنِي: أَقْبَلَ وأَدْبَرَ، وَمِنْهُ فَهِيَ تُعَبِّرُ عَن مَنطِقَةِ بَيْنَ اللَيْلِ والنَّهَارِ؛ بَيْنَ خُرُوجِ الظَّلامِ ودُخُولِ النَّهَارِ.

[3] . قعنب ابنُ أُمِّ صَاحِبٍ، ديوان قعنب ابنُ أُمِّ صَاحِبٍ، ط1. المدينة المنورة: 2018، معهد المخطوطات العربية، ص50.

[4] . المصدر نفسه، ص50.

قَالَ ابن المعتز فِي وَصفِ الخَيلِ[1]:

صَبَبْنَا عَلَيهِم ظَالِمِينَ سِيَاطنَا فَطَارَت بِهَا أَيدٍ سِرَاعٍ وَأَرجُلِ

وَاسْتَعَارَ السَّوطَ للعَذَابِ؛ لأَنَّهُ كَالمَاءِ يَتَكَرَّر، فَالمَاء يَتَنَزَّل مِرَارًا والسَّوط يَكُونُ مِرَارًا والسَّوط لَيسَ كَالسَّيفِ، فَالسَّيف ضَربَة وَاحِدَة ويَنقَضِي الأَمر، أَمَّا السَّوط فَهُو خِلاف ذَلِك.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النَّصر:1]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة استِعَارَة مَكْنِيَّة تَبَعِيَّة؛ فَقَد شَبَّهَ النَّصر والفَتح بالكائنِ الذِي يَجِيءُ، وَالنَّصر هُو العَونُ عَلَى الظَّالِمِ وَمِنهُ قَولُ الشَّاعِرِ[2]:

وَاللهُ سَمَّى نَصْرَكَ الأَنصَارَا ....آثَرَكَ اللهُ بِهِ إِيثَارا

وَنَصَرَ الغَيْثُ الأَرْضَ نَصرًا، أَي: سَقَاهَا وَأَنبَتَهَا، وَمِنهُ قَولُ الشَّاعِر الرَّاعِي النميرِي[3]:

إِذَا دَخَلَ الشَّهرُ الحَرَام فَجَاوِزِي بِلادَ تَمِيمٍ وانصُرِي أَرضَ عَامِر

ولَقَد عَبَّرَ اللهُ بِالمَوتِ فِي القُرآنِ الكَرِيمِ بِفِعلي: (جَاءَ) وَ(حَضَرَ) مِنهَا:

قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ احَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأَنعَام:62]

وَقوله تَعَالَى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ احَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ [المُؤمِنُون:100]

وَقوله تَعَالَى ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِالْحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق:19]

وَقَد ذَكَرَ الإِمَام الرَّازِي تَوجِيهَات دلالِيَّة لِهَذِهِ السُّورَة حَيثُ قَالَ:" اِتَّفَقَ الصَّحَابَةُ عَلَى أَنَّ هَذِهِ السُّورَة دَلَّتِ عَلَى نَعي رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وذَلِكَ لِوُجُوه:

---

[1] . جواهرُ البلاغةِ في المعَانِي والبيَان والبدِيع، أحمد الهَاشِمي، دط. القاهرة: 2019، مؤسسة هنداوي، ص230. محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج8، ص306.

[2] . ابن منظُور، لِسَانُ العَرَب، ج8، ص94.

[3] . القرطبي، أبُو عبد اللهِ مُحَمَّد بن أَحمَد الأنصَارِي القُرطُبِي، الجَامِع لأحكَام القُرآن، القُرطُبِي، ط1. القاهرة: 2005، مكتبة الصَّف، ج 20، ص163.

أَوَّلا: أَنَّهُم عَرَّفُوا ذَلِكَ لَمَّا خَطَبَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ عَقِب السُّورة، وذَكَر التَّخيّير، وَهُو قَوله ﷺ لَمَّا نَزَلَت هَذِهِ السُّورَة:" إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللهُ تَعَالَى بَيْنَ الدنيا وَبَينَ لِقَائِهِ فَاخْتَارَ لِقَاءَ اللهِ تَعَالَى" فَقَالَ أَبُوبَكْر: فَدَيْنَاكَ بِأَنفُسِنَا، وأَموَالِنَا، وآبَائِنَا، وأَولادِنَا.

ثَانِيًا: أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ حُصُولَ النَّصر والفَتح، وَدُخُول النَّاس فِي دِينِ اللهِ أَفواجًا، دَلَّ عَلَى حُصُولِ الكَمَال، والتمَام يَعْقبهُ الزَّوَال والنُّقْصَان، كَمَا قال علي بن أبي طالب[1]:

إِذَا تَمَّ أَمْرٌ بَدَا نُقْصُهُ تَوَقَّعَ زَوَالا إِذَا قِيلَ تَم

ثَالِثًا: أَنَّهُ تَعَالَى أَمَرَهُ بِالتَّسْبِيح، وَالحَمْد، والاِستِغفَار، وَاشتِغَالهُ بِذلِكَ يَمنَعه مِن اِشتِغَالِهِ بِأَمرِ الأُمَّة، فَكَانَ هَذَا التَّنبِيه عَلَى أَنَّ أَمرَ التَّبلِيغ قَد تَمَّ وَكَمُل، وذَلك يَقتَضِي إِنجَاز الأَجَل؛ إِذ لَو بَقِيَ ﷺ بَعدَ ذَلِكَ لَكَانَ كَالمَعزولِ مِن الرِّسَالَةِ، وَذَلِكَ غَير جَائِز"[2].

4 ـ الإِستِعَارَة التَّمثِيلِيَّة ودَلالتُهَا فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.

ولله المَثَل الأَعلَى فِي ضَربِ المَثَلِ، وَبَينَ التَّمثِيلِ والاِستِعَارَة علاقَة، وبَينَ التَّشبِيهِ والتَّمثِيلِ رَابِطَة وفَرق، فَكُلُّ تَمثِيلٍ تَشبِيهٌ، وَلَيسَ كُلُّ تَشبِيهٍ تَمْثِيل، وَالفَرْق بَينَ الاِستِعَارَةِ وَالتَّمْثِيل أَنَّ الاِستِعَارَةَ حَدُّهَا يَكُون للفظِ اللُّغَوِي أَصل، ثُمَّ يُنقَلُ عَن ذَلِكَ الأَصل، وَهَذَا لا يَرِدُ فِي التَّمثِيل وَمِنهُ" إِذَا كَانَ الأَمرُ كَذَلِكَ، بَانَ أَنَّ الاِستِعَارَةَ يَجِبُ أَنْ تُفِيدَ حُكْمًا زَائِدًا عَلَى المُرَادِ بِالتَّمثِيلِ إِذ لَو كَانَ مُرادنَا بِالاِسْتِعَارَةِ هُو المُرَاد بِالتَّمْثِيلِ، لَوَجَبَ أَن يَصِحَّ إِطلاقهَا فِي كُلِّ شَيءٍ يُقَالُ فِيهِ إِنَّهُ تَمثِيلٌ وَمَثَل"[3]، وَلَكِنَّ الإِشكَال فِي القَضِيَّةِ أَنَّ محيي الدِّين الدرويش سَمَّاهَا(الاِستِعَارَة التَّمْثِيلِيَّة) فَقَد ضَمَّ المُصطلحَينِ فِي مُصطَلَحٍ وَاحِد؛ ولَكِنَّ المُرادَ بِهَذَا المُصطلَح هُو التَّمثِيل، وَبَينَ هَذِهِ المُصطَلَحَاتِ فُرُوق، فَبَينَ التَّمثِيلِ والمَثَل فَرق، وَبَينَ الاِستِعَارَة والتَّمثِيل فَرق، وَبَينَ

---

[1] . علي بن أبي طالب، ديوان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ،جمع وترتيب: عبد العزيز الكرم، ط1، بيروت:1988، ص89.

[2] . الرازي، فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، ط3. بيروت: 1420هـ، دار إحياء التراث العربي، ج32، ص356.

[3] . عبد القَاهر الجُرجَاني، أَسْرار البلاغَة فِي عِلْمِ البَيَانِ، تعليق: الشّيخ: محمَّد رشيد رضَا، دط. القاهرة: 2020، مكتبة التقوى ناشرون للطبع والنشر والتوزيع، ص188.

التَّشبِيهِ والتَّمثِيل فَرق، فَرق فِي المَعنَى مِن جِهَةِ اللغَةِ، وَمِن جِهَةِ المُصطلَح المَوضُوع مِن أَجلِهِ.

عَرَّفَهَا مَحيي الدِّين الدرويش بِقَولِهِ:" تَركِيب استعمَل فِي غَيرِ مَا وُضِعَ لَهُ؛ لِعلاقَةِ المُشَابَهَة"[1].

وَقَد ذَكَرَ محيي الدِّين الدرويش أَنَّ للتمثِيل عِندَ أَهلِ البَلاغَةِ مَظهَرَينِ:

ـ **أَحَدُهُمَا:** أَنْ يَظهَرَ المَعنَى اِبتِدَاءً فِي صُورَةِ التَّمثِيل.

ـ **ثَانِيهِمَا:** مَا يَجِيءُ فِي أَعقَابِ المَعَانِي لِإيضَاحِهَا وتَقرِيرِهَا فِي النُّفُوسِ.

وكِلا النَّوعَينِ لَهُمَا فَائِدَة فَهُو" عَلَى الحَالَينِ يَكسُو المَعَانِي أُبهَةً، وَيَرفعُ مِن أَقدَارِهَا، وَيُضَاعفُ قُوَاهَا فِي تَحرِيكِ النُّفُوسِ لَهَا، وَدَعوَة القُلُوبِ إِليهَا"[2].

وَهُنَاكَ فَرَّقَ بَينَ الاِستِعَارَةِ والتَّمثِيل، فَالاِستِعَارَة عِندَهُ تَكُون فِي لَفظٍ مِنَ الألفاظِ يُنقَلُ عَن أَصلِهُ اللُّغوِي الذي دَلَّ عَلَيْهِ، ويَجْرِي عَلَى مَا لَم يُوضَع لَهُ مِن أَجلِ شَبَه مَا نُقِلَ إِلَيهِ في من الأشيَاءِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَٰناً وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران:103].

فِي هَذِهِ الآيَة القُرآنيَّة اِسْتِعَارَة تَمثِيلِيَّة فِي قوله ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" فَقَد شَبَّهَ الوُثُوقَ بِاللهِ والاِعتِمَاد عَلَى حِمَايَتِهِ بِحَالِ مَن يُمسِك بِحَبلٍ وَثِيقٍ، وَقَد تَدَلَّى مِن مَكَانٍ عَالٍ، فَهُو آمَنَ مِن انقِطَاعِهِ وانبتاته"[3].

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج3، ص340.

[2] ـ المصدر نفسه، ج4، ص236.

[3] ـ المصدر نفسه، ج1، ص496.

وَالحَبل هُو القُرآن الكَرِيم، فَقَد وَصَفَهُ النَّبِي ﷺ بِقَوْلِهِ:" القُرآن حَبلُ اللهِ المَتِين، لا تَنقَضِي عَجَائِبُهُ، ولا يخلقُ عَن كَثْرَةِ الرَّدِّ، مَن قَالَ بِهِ صَدَق، وَمَن عَمِلَ بِهِ رَشُد، وَمَن اِعْتَصَمَ بِهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم"[1].

وَالحَبْل هُو العَهْدُ والمِيثَاق قَالَ تَعَالَى ﴿ ٱلذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِے ٱلَارْضِۖ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَۖ﴾ [البَقْرَة:26].

فَسَمَّى العهد حَبلا فِي هَذِهِ الآيَة عَلَى سَبِيلِ الإِستِعَارَة لِمَا فِيهِ مِن ثَبَاتِ الوَصلِ بَينَ المُتَعَاهِدِين، ومِنهُ قول ابن التِّيهَان فِي بَيعَةِ العَقَبَة:" يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ القَومِ حِبَالاً ونَحنُ قَاطِعُوهَا، فَنَخشَى إِنِ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَعَزَّكَ وأَظْهَرَكَ أَن تَرجِعَ إِلَى قَومِكَ"

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ إِنَّ ٱلذِينَ كَفَرُواْ لَوَ اَنَّ لَهُم مَّا فِے ٱلَارْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌۖ﴾ [المَائِدَة:38]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارَة تَمثِيلِيَّة فِي قوله تَعَالَى ﴿لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ﴾، قالَ محيي الدِّين الدرويش" للزُومِ العَذَاب بِهِم وَديمُومته عليهم، وأَنَّهُ لا سَبِيلَ لَهُم إِلَى النَّجَاةِ مِنهُ"[2]، فَالإِفتِداء لَهُ مُقَابِل للحصول على المرغوب، وَلَكِن فِي هَذِهِ الآيَة دَلَّ تَوجِيهُهَا أَنَّهُ حَتَّى لَو اِفتَدَوا بِكُلِّ مَا هُو مَوجُود فِي الأَرضِ مَا تَقَبَّلَ اللهُ مِنهُم، وَمَا كَانَ ذَلِكَ مَانِعًا مِن حُصُولِ العَذَابِ.

وَفِي هَذَا المَجَال هُنَاكَ أَحَادِيث دَالَّة عَلَى هَذَا المَعْنَى كَقَولِ النَّبِيِّ ﷺ: (يُقَالُ للكَافِرِ يَوْمَ القِيَامَة: أَرَأَيْتَ لَو كَانَ لَكَ مِلء الأَرض ذَهبًا أَكُنتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَم. فَيُقَالُ لَهُ: قَد سئلت أَيْسَر مِن ذَلِكَ."[3] رَوَاهُ مُسلِم والبُخَارِي.

---

[1] . جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، ط1. الرياض: 1414هـ، دار بن خزيمة، ص221، الحديث الرابع والثلاثون رواه الطبراني في معجمه، وابن أبي شيبة وإسحاق بن راهويه والدارمي والبزار.

[2] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج2، ص223.

[3] . رَوَاهُ البُخَارِي فِي كِتَابِهِ:" فَتح البَارِي شَرْحُ صَحِيح البُخَارِي،(كِتَابُ الرَّقَائِق) و (بَاب مَن نُوقِشَ الحِسَاب عُذِّبَ)، رَوَاهُ مُسلِم، وَوَرَدَ فِي شَرْحِ النَّوَوِي على مُسْلِم، (كِتَابُ صفَة القِيَامَة والجَنَّة والنَّار)

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَمِنْهُم مَّنْ يَّسْتَمِعُونَ إِلَيْكَۖ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لَا يَعْقِلُونَۖ﴾ [يونس:42]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارَة تَمثِيلِيَّة فِي قوله ﴿وَمِنْهُم مَّنْ يَّسْتَمِعُونَ إِلَيْكَۖ﴾ فَقَد شَبَّهَهُم اللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى فِي عَدَمِ الاِهتِدَاءِ" بِالصُّمِّ والعمي، بَل هُم أَعظَم؛ فإِنَّهَا لا تَعمَى الأَبصَار، ولَكِن تَعمَى القُلُوب التي فِي الصُّدُورِ، ولأَنَّ الأَصَمَّ العَاقِل رُبَّمَا اِسْتَعَانَ بِالفَرَاسَةِ عَلَى الاِستِدلالِ، والأَعمَى الذِي لَهُ فِي قَلبِهِ بَصِيرَة قَد يَحدِسُ وَيَتَظَنَّنُ، وَقَد جَاءَ المُشَبَّهُ بِهِ مُرَكَّبًا؛ لأَنَّ المُشَبَّهَ المُرَكَّب أَيضًا"[1]، وَطَبِيعَةُ السَّمعِ أَن يَصِل إِلَى العَقلِ والقَلب فَيَكُون مَعَهُ تَدَبُّر.

وَفِي هَذَا البَاب رَمَقَ أَبُو الطَّيِّب المتنبي بِقَولِهِ[2]:

وإِذَا خَفِيتُ عَلَى الغَبِي فَعَاذِرٌ أَنْ لا تَرَانِي مُقْلَةٌ عَمْيَاءُ

فَقَد شَبَّهَ عَمَّن خَفِيَ مَكَانُهُ عَن الغَبِي وَهُو الجَاهِل الذِي لا يَعرِفُ شَيْئًا، فَقَد أَعْذَرَهُ لأَنَّ الجَاهِل كَالأَعمَى، فَهُو يَجهَلُ قَدرَهُ وَمَكَانَتَهُ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةًۖ قَالُواْ لَا تَخَفْۖ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍۖ ﴾ [هُود:70].

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة اِستِعَارَة تَمثِيلِيَّة في قوله تَعَالَى ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ قَالَ محيي الدِّين" جَعَلَ عَدَم الوُصُول استِعَارَة لامتِنَاعِهِم عَن الأَكلِ، والمَعنَى: لا يَمُدُّونَ أَيدِيَهُم إِلَى أَكلِهِ، فَهُو لا يُرِيدُ أَن يَنفِيَ الوُصُولَ النَّاشِيءَ عَنِ المَدِّ"[3]، جَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي مُعَبِّرًا عَن عَدَمِ رَغْبَتِهِم فِي الأَكلِ بِعَدَمِ الوُصُولِ إِلَى الطَّعَامِ فَجَاءَ بِطَرِيقَةِ التَّمثِيلِ، وَهُو سَبَبُ نُكرَانِهِم.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍۖ﴾ [الحجر: 21]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة فِي قوله ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" شَبَّهَ مَا يَنتَفِع بِهِ العِبَاد جَمِيعًا لا المَطَر وَحدَهُ، كَمَا قَالَ بَعضُهُم بالخَزَائِنِ

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج3، ص340.

[2] . المُتنبِّي، ديوَان المُتنبِّي، دط. بيروت: 1983، دار بيروت للطباعة والنشر، ص126.

[3] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج3، ص460.

التي تودع المَكنُونَات والمُخبآت لإخرَاجِ كُل شَيء، بِحَسبِ مَا اِقتَضَتْهُ الحِكمَة الإلهِيَّة، وَمَصَالِح العباد الحَيويَّة"[1]، فَكَلِمَةُ الخَزَائِن فِيهَا دلالَة عَلَى الإنشَاءِ وَالإيجَادِ والقُدرَة عَلَى التَّكوِينِ، وَهِيَ مِنَ القُدرَةِ الإلَهِيَّة، قَالَ الزَّمَخشَرِي:" شُبِّهَت هَيئَةُ إيجَادِ الأَشيَاء النَّافِعَة بِهَيْئَةِ إخْرَاجِ المَخزُونَات مِنَ الخَزَائِنِ عَلَى طَرِيقَةِ التَّمْثِيلِيَّة المَكنِيَّة، وَرُمِزَ إِلَى الهَيئَةِ المُشَبَّه بِهَا بِمَا هُو مِن لَوَازِمهَا وهو الخزائن"[2]، وَالخَزَائِن مَوجُودَة فِي الأَرضِ والسَّمَاءِ، وَمَا يُنزِّلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يُخْرِجُ اللهُ إلا بِقَدَرٍ مُقَدّرٍ، يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَإِن مِّن شَـۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ﴾ [الحِجْر:21]، وَمَا مِن شَيءٍ إلا مَوجُود فِي خَزَائِنِهِ فَهُو الذِي لَهُ مُلكُ السَّمَاوَات والأَرض، يَقُولُ تَعَالَى ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ [المُنَافِقُون:7]، وَالخَزِينَة مَعنَاهَا أَنَّهَا تَحتَوِي الثَّرَوَات وَالأَشيَاء الثَّمِينَة الظَّاهِرَةِ والبَاطِنَةِ، وَمِنهُ يُوسُف ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ لَمَّا طَلَبَ مِن رَبِّهِ أَن يَجعَلَهُ عَلَى خَزَائِنِ الأَرضِ، يَقُولُ تَعَالَى ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾[يُوسُف:55]

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النَّحل:26].

فِي قولِهِ تَعَالَى ﴿قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ﴾ اِستِعَارَة تَمثِيلِيَّة، فَقَد نَزَلَت الآيَة فِي حَقِّ النمرُود بن كَنعَان وَقَومه لَمَّا أَرَادُوا الصُّعُودَ إِلَى السَّمَاءِ، وَهَذَا المَثَل صَالِح لِجَمِيعِ الأُمَمِ، فَهُو تَمْثِيلٌ لِاستِئصَالِ الأُمَمِ مِنَ الوُجُودِ، فَجَاءَ التَّعبِيرُ بِالبُنيَانِ، وَمِنهُ قَولُ عَبدَةَ بن الطَّبِيبِ[3]:

---

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج4، ص187.

[2] . الزَّمَخشرِي، تفسِيرُ الكشَّاف عَن حَقَائق التَّنزيل وَعُيُون الأَقَاوِيلِ في وجُوهِ التَّأوِيلِ، دط. بيروت:1407هـ، دارُ الكتَاب العَرَبِي، ج6، ص23.

[3] . الدكتور يحي الجبوري، شعر عبدة بن الطبيب، دط. بغداد: 1971، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع، ص163. ابن عاشُور: التحرير والتنوير، تونس: 1984، الدار التونسية للنشر، ج16، ص45.

فَمَا كَانَ قَيس هلكه هلك وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بُنيَانُ قومٍ تَهَدَّمَا

قَالَ مَحيي الدِّين الدرويش" فَقَد شَبَّهَ حَالَ جَمِيع المَاكِرِينَ المُبطلِّين المُدَبرِين للمَكَايِد والمُؤَامرَات، وَالذِينَ يُحَاوِلُونَ إِيقَاعَ الضَّرَرِ وَالكَرِّ بِالمُؤمِنِينَ، وَنَصْبِ الشباك لهم، بِحَال قومٍ بَنَوا بُنيَانًا شَامِخًا، وَدَعَّمُوهُ بِأَسَاطِينِ البِنَاء وَقَوَاعده، فَطَاحَ البُنيَان مِن الأَسَاطِينِ نَفسهَا، بِأَن وَهَنَت وَلَم تَقو عَلَى إِمسَاكِ مَا أُقِيمَ عَلَيهَا، فَتَهدَّم السَّقف، وَهَوَى عَلَيهَا"[1].

وَجَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي بِأَلفَاظٍ فِيهَا مِنَ التَّمثِيلِ مَا فِيهَا؛ مِن دلالاتٍ وَمَعَانِي، فَكَلِمَةُ ﴿مَكْر﴾ وَ﴿أَتَى﴾﴿فَخَرَّ﴾ و﴿السَّقْفُ﴾ و﴿بُنيَانَهُم﴾، فَنَتِيجَةَ مَكْرِهِم أَتَى بُنيَانَهُم وتَهَدَّمَ مِنَ القَوَاعِدِ، وَجَاءَهُم العَذَابُ مِن فَوقِهِم مِن جِهَةِ السَّمَاءِ لا الأَرضِ.

يَقُولُ تَعَالَى ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النَّحل:40]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة تَشبِيه تَمثِيلِي فِي قوله تَعَالَى ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" فَهِيَ اِستِعَارَة للكَينُونَة، تُمَثِّل سُرعَة الإِيجَاد عِندَ تَعلُّقِ الإِرَادَة، وإِنَّمَا القَصدُ مِنهُ تَصوِير سُرعَةَ الحُدُوث بِمَا لا يَتَجَاوَز أَمَدهُ النُّطق بِلَفظِ كُن، وَمَا أَسهَلَهَا"[2]، فَهِيَ تُصَوِّرُ لَنَا سُرعَةَ الإِيجَادِ بِالإِرَادَةِ، وَهَذِهِ الكَينُونَة هِيَ بَينَ الكَافِ والنُّونِ فِي التَّحقِيقِ.

فَالكَينُونَة سِترٌ وَتَغْطِيَةٌ عَن حَاجَةٍ، وَفِيهَا دلالَة عَلَى القُدرَةِ والإِيجَادِ مِن عَدَمٍ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلاَۢ بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النَّحل:94]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة استِعَارَةٌ تَمثِيلِيَّة فِي قوله تَعَالَى ﴿فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ قَالَ محيي الدِّين" للمُستَقِيمِ الحَال يَقَعُ فِي شَرٍّ عَظِيم، وَيَسقُط فِيهِ؛ لأَنَّ القَدَمَ إِذَا زَلَّت نَقَلَتِ الإِنسَانَ مِن حَال خير إِلَى حَال شَرّ، ويُقَالُ لِمَن أَخطَأَ فِي شَيءٍ: زَلَّت بِهِ قَدَمُهُ"[3].

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج4، ص236.

[2] ـ المصدر نفسه، ج4، ص247.

[3] ـ المصدر نفسه، ج4، ص297.

جَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي فِي هَذِهِ الاِستِعَارَة التَّمثِيلِيَّة بِلَفظِ ﴿فَتَزِلَّ﴾ وَبِلَفظِ ﴿قَدَمُۢ﴾ وَالقَدَم فِيهَا دَلالَة عَلَى الثَّبَاتِ كَمَا فِي قولِهِ تَعَالَى ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [الأَنفَال:11] وَبِمَفهُومِ المُخَالَفَةِ أَن تَزِلَّ القَدَمُ بعد الثبات أي: أَن تَسقُط إِلَى الهَاوِيَةِ ﴿فَتَزِلَّ﴾ فِيهَا دَلالَةٌ عَلَى أَنَّهَا كَانَت ثَابِتَةً، وَأَمَّا ﴿قَدَمُۢ﴾ فَجَاءَت نَكِرَةً لِتُوَجِّهَنَا هَذِهِ الاِستِعَارَةُ التَّمثِيلِيَّة إِلَى أَنَّ هَذَا السُّقُوطِ مُتَعَدِّد الأَوجُهِ والأَسبَاب، وَلَم يَكُن سَبَبًا وَاحِدًا هُو الذِي زَلَّت بِهِ القَدَمُ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً اِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً﴾ [الإِسْرَاء:29]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارَة تَمثِيلِيَّة فِي قوله تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً اِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾، فَقَد شَبَّهَ حَالَ البَخِيل المُمْتَنِع عَن الإِنفَاقِ بِحَالِ مَن يَده مَغلُولَة إِلَى عُنقِهِ، فَهُو لا يَسْتَطِيع التَّصَرُّفَ فِي شَيءٍ، وَشَبَّهَ حَالَ المُبَذِّرَ المُسرِف بِحَالِ البَاسِطِ يَدَهُ كُلَّ البَسْطِ، فَلا يَبقَى لَهُ شَيءٌ فِي كَفِّهِ.

وَجَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي فِي الاِستِعَارَةِ التَّمثِيلِيَّة يَدعُونَا إِلَى التَّوَسُّطِ فِي الإِنفَاقِ، وَقَد دَعَانَا القُرآنُ الكَرِيم إِلَى التَّوَسُّطِ فِي كُلِّ شَيءٍ، يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ [البَقَرَة:143]

وَفِي الآيَةِ حَالَتَين، حَالَة قَبض اليَدِ وَجَعلِهَا مَغلُولَةً إِلى العُنُقِ فَلا يَخرُجُ مِنهَا شَيء، مِمَّا يَنتُجُ عَنهُ تَضيّيق عَلَى النَّفسِ وَالأَهلِ وَالوَلَدِ، وَبَسْطُ اليَدِ فِيهِ إِضَاعَةٌ للمَالِ فَلا يَبقَى مِنهُ شَيءٌ؛ فَالتَوَسُّع فِي الإِنفَاقِ بِغَيرِ حَاجَةٍ فَلا يَبقَي شَيئًا.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اِخْتَصَمُواْ فِے رَبِّهِمْۖ فَالذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِے بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُۖ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحَج: 19]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارة تَمثِيلِيَّة فِي قوله تَعَالَى ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ قَالَ محيي الدِّين الدرويش" جَعَلَ تَقطِيعَ الثِّياب وَتَفصِيلهَا عَلَى قُدُودِ الكُفَّار بِمَثَابَةِ الإِحَاطَة بِهِم، مَعَ التَّهَكُّمِ

الذِي يَنطَوِي عَلَيهِ، أَي: أَنَّهَا تَشْتَمِلُهُم وَتَحتَوِيهِم كَمَا تَشْتَمِلُ الثِّياب لابِسَهَا وَتَحتوِيهِ"[1]،وَهِيَ تَمْثِيل لِلعَذَابِ أَنَّهُ يُحِيطُ بِهِم مِن كُلِّ جَانِبٍ، فَكَمَا تُحِيطُ الثِّيَابُ بِالجِسمِ كَذَلِكَ النَّار تُحِيطُ بِهِ مِن كُلِّ جِهَةٍ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِے كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ [الشُّعراء:224]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارَة تَمثِيلِيَّة قَالَ محيي الدِّين الدرويش" لَيسَ ثَمَّةَ وَاد، ولا شِعَاب، ولا هيَام، وَإِنَّمَا هُو تَغَلْغُل إِلَى مَنَاحِي القَول، وَاعْتسَاف فِي الأَوصَاف...."[2]، فِي الآيَةِ حَدِيث عَنِ الشُّعَراءِ فَالشُّعَراء يَطرقُونَ جَمِيعَ المَيَادِين التي تَتَعَلَّقُ بِالحَيَاةِ، وجَمِيع أَبوَاب الشِّعر المُختلِفَة، وَقَد جَاءَ التَّعبِيرُ بِلَفْظَيْ ﴿وَادٍ﴾ و﴿يَهِيمُونَ﴾ فَالوِديَان مُتَعَدِّدَة من حيث العمق والخُطُورة، فَكَذَلِكَ الشُّعَرَاءُ فِي خَوضِهِم لِلشِّعرِ، وَوَصْفِهِم بِالهيمِ أَي: أَنَّ أَكْثَرَ طُرُقِهِ غَير مَحبُوبَةٍ مِن هِجَاءٍ وفَخرٍ وَغَيرِهَا.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَمَنْ يُّسْلِمْ وَجْهَهُۥ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِۗ ﴾ [لُقْمَان:21]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة اِستِعَارَة تَمثِيلِيَّة فِي قوله ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰۗ﴾ فَقَد مَثَّلَ فِي الآيَةِ حَالَ المُتَوَكِّل عَلَى اللهِ بِحَالِ مَن أَرَادَ أَن يَتَدَلَّى مِن جَبَلٍ شَاهِقٍ، فَاحْتَاطَ لِنَفسِهِ بِأَن اسْتَمسَكَ بأَوثَقِ عُروةٍ مِن جَبل مَتِينٍ مَأْمُون انقِطَاعه، وَقِيلَ هُو تَشبِيهٌ تَمثِيلِي لِذِكرِ طَرَفَي التَّشبِيه.

فَالذِي أَخلَصَ قولَهُ وفِعلَهُ لِلهِ تَعَالَى، فَهُو مُتَمَسِّك بِحَبلِ اللهِ المَتِين الذِي لا يَنقَطِع.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَۖ﴾ [الصَّافَّات:177]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِسْتِعَارَة تَمثِيلِيَّة فَقَد شَبَّهَ العَذَابَ الذِي نَزَلَ بِسَاحَتِهِم علّل علَى الرَّغمِ مِن أَنَّهُم أُنذِرُوا ولَكِنَّهُم لَم يُبَالُوا بِالإِنذَارِ وَالتَّخوِيف، فَعَمَوا وَصَمُّوا آذَانَهُم عَن سَمَاعِ النَّذِير، فَقَد شَبَّهَ

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج5، ص120.

[2] ـ المصدر نفسه، ج5، ص466.

ذَلِكَ بِالجَيشِ الذِي أَنذَرَ القَوم بَعدَ نُصحِهِم وَإِرشَادِهِم وتَوجِيهِهِم، لَكِن لَم يَسمَعُوا ذَلِكَ الإِنذَار فَوَقَعَتِ الكَارِثَة.

وَجَاءَ التَّعبِير القُرآنِي فِي الاِستِعَارَةِ التَّمثِيلِيَّة بِلَفْظَي ﴿نَزَلَ﴾[1] و﴿بِسَاحَتِهِمْ﴾ فَالأُولَى جَاءَت دَالَّة عَلَى حُلُولِ العَذَابِ، والثَّانِيَة جَاءَت دَالَّةً عَلَى الديَارِ وَالمَنَازِل، وَكِلا اللَّفظَينِ يَشتَرِكَانِ فِي كَلِمَةِ مَنَازِل مِن حَيثُ الاِشتِقَاقِ والمَعنَى.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ ١٧ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُۚ﴾ [غَافر:18]

فِي الآيَةِ اِستِعَارَة تَمثِيلِيَّة فِي قوله ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ﴾ فِي الآيَةِ تَصوِير لِحَالَةِ النَّاس يَومَ القِيَامَة ولا يَرَى النَّاس وَقتهَا إِلا النَّار أَو الجَنَّة تِلقَاءَ وَجهِهِ، قَالَ محيي الدِّين" لِتَجسِيدِ الهَول فِي ذَلِكَ اليَوم الذِي تَكُون فِي مُشَارَفَتِهِم للنَّارِ؛ فَعِندَ ذَلِكَ تَرْتَفِع قُلُوبهُم عَن مَقَارِّهَا، فَتَلصَق بِحَنَاجِرِهِم، فَلا هِيَ تَخرُج فيَمُوتُوا ويَسْتَرِيحُوا، ولا هِيَ تَرجِعُ إِلَى مَوَاطنِهَا فَيَتَنَفَّسُوا الصُّعَدَاء، ويتَروحُوا، وَلَكِنَّهَا مُعْتَرِضَة كَالشّجَا"[2].

تُصَوِّرُ لَنَا هَذِهِ الاِستِعَارَة التَّمثِيلِيَّة الخَوف والاِضطرَاب الذِي يَكُون فِي ذَلِكَ اليَومِ المَشهُود، وَقَد عَبَّرَ القُرآنُ الكَرِيم فِي آيَةٍ أُخرَى عَن حَالَةِ القُلُوبِ وَبلُوغِهَا الحَنَاجِر فِي الدنيَا، وَمِنهُ قوله تَعَالَى ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْۖ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ ٱلظُّنُونَاۖ﴾ [الأَحْزَاب:10] فَمِن شِدَّةِ الخَوفِ مِنَ المَآلِ وَمِن هَولِ المَوقِفِ تَلصَقُ القُلُوبُ بِالحَنَاجِرِ خَوفًا مِن سُوءِ العَاقِبَةِ وَالمُنقَلَبِ.

[1] . وَرَدَت كَلِمَةُ (نَزَلَ) فِي القرْآنِ الكَرِيمِ فِي 293 مَوضِع مِنَ القرآن الكريم، 17 مَرَّة اسمًا مشتقًا من بابِ (فَعَّلَ)، سَبْعَ مرَّاتٍ اسم مُشْتَقٍ مِن بَابِ (أَفْعَلَ)، وَمَرَّتَيْنِ بِصِيغَةِ (مَنَازِلَ)، ومَرَّة بِصِيغَةِ (نَزْلة)، وثَمَان مَرَّاتٍ بِصِيغَةِ (نُزُل)، سِتَّ مَرَّاتٍ فِعْلا مِنَ الثُّلاثِي المُجَرَّد، اثنَانِ وَسِتُّون مَرَّةً ورَدَتْ فِعلاً بِصِيغَةِ(فَعَّل)، ومائَة وثلاثَة وثمَانُون مَرَّة بصيغة(أَفْعَل)، وَسَبْعَ مَرَّاتٍ بِصِيغَةِ (تفَعَّل).

[2] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج6، ص558.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [فصِّلَت:43]

فِي الآيَةِ القُرآنِيَّة اِسْتِعَارَة تَمثِيلِيَّة في قوله ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ فَقَد شَبَّهَ عَدَمَ سَمَاعِهِم وَقَبُولِهِم لِهَذا القُرآن كَمَن يُنَادَى مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ فَهُم سَوَاءٌ.

وَهَذِهِ الاِستِعَارَة التَّمثِيلِيَّة تُصَوِّرُ لَنَا حَالَ المُعرِضِينَ عَنِ الدَّعوَةِ عَلَى الرَّغمِ مِن سَمَاعِهَا بِحَالِ مَن يُنَادَى مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ، وَهَذَا مُتَعَلِّقٌ بِقِلَّةِ فَهْمِهِم لِمَا سَمِعُوا، وَقَد يَكُونُ مَعنَى الآيَةِ عَلَى الحَقِيقَةِ أَنَّهُم يُنَادَونَ مِن كُلِّ بَعِيدٍ لِقُبحِ أَعمَالِهِم وَصَنِيعِهِم فَيَكُون هَذَا النِّدَاء بِأعلَى صَوتٍ وَأَمَامَ الخَلْقِ انتِقَاصًا لَهُم وَدَحرًا لَهُم، لِعَدَمِ إِيمَانِهِم وَسَمَاعِهِم.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحُجُرَات:1]

فِي الآيَةِ القرآنِيَّة اِستِعَارَة تَمثِيلِيَّة فِي قوله ﴿بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ فَقَد شَبَّهَ" تَعَجُّل الصَّحَابَة فِي إِقدَامِهِم عَلَى البَتِّ فِي الحُكمِ عَلَى أَمرٍ مِن أُمُورِ الدِّين بِحَالَةِ مَن تَقَدَّمَ بَينَ يَدَي مَتبُوعه أَثنَاءَ سَيرِهِ فِي الطَّرِيقِ"[1]، هَذِهِ الاِستِعَارَة التَّمثِيلِيَّة تُصَوِّر لَنَا المُعَامَلَة التي كَانَ العَرَبُ[2] يَتَمَيَّزُونَ بِهَا قَبْلَ مَجِيءِ الإِسلامِ وَفِي بِدَايَاتِهِ؛ وَهِيَ الجَفَاء وَسُوء الأَدَبِ فِي خِطَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَفِي ذَلِكَ دَعوَة إِلَى اِلتِزَامِ الأَدَبِ والأَخلاقِ الحَسَنَة عِندَ مُخَاطَبَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَطْلَقَ لَفْظَ اليَدَينِ وَأَرَادَ مَعنَى الجُلُوسِ مِنَ الجِهَتَينِ فَمِثلهُمَا مِثل اليَدَينِ؛ يَد مِنَ جِهَةِ اليَمِينِ وَيَد مِن جِهَةِ وَاليَسَار.

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج7، ص245

[2] ـ القرطبي، أبُو عبد اللهِ مُحَمَّد بن أحمَد الأنصَارِي القُرطُبِي، الجَامِع لأحكَام القُرآن، القُرطُبِي، ط1. القاهرة: 2005، مكتبة الصَّف، ج 16، ص215.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيراً مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَّاكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيِّتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحُجُرَات:12]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارَة تَمثِيلِيَّة فِي قوله ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَّاكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيِّتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ فَقَد شَبَّهَ المُغتَابِين للمُؤمِنِين كَمَن يَأكُلُونَ لُحُومَهُم مِن خِلالِ الحَدِيثِ عَنهُم وَعَن أَعرَاضِهِم.

وَفِي الآيَةِ مُبَالَغَاتٍ عَدِيدَةٍ مِنهَا:

أَوَّلُهَا: الإِستِفهَامُ الذِي مَعنَاه التَّقرِير كَأَنَّهُ أَمر مَفرُوغ مِنهُ، مَبتُوت فِيهِ.

وَثَانِيهَا: جَعَلَ مَا هُو الغَايَة مِنَ الكَرَاهَة مَوصُولا بِالمَحَبَّةِ.

وَثَالِثُهَا: إِسنَادُ الفِعلِ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ؛ لِلإِشعَارِ بِأَنَّ أَحَدًا مِنَ الأَحَدَينِ لا يُحِبُّ ذَلِكَ.

وَرَابِعًا: أَنَّهُ لَم يَقْتَصِر عَلَى تَمثِيلِ الاِغتِيابِ بِأَكلِ لَحمِ الإِنسَانِ، وَهُو أَكرَهُ اللُّحُومِ، وَأَبعثِهَا عَلَى التَّقَزُّزِ، حَتَّى جَعَلَ الإِنسَان أَخًا.

وَخَامِسُهَا: أَنَّهُ لَم يَقْتَصِر عَلَى أَكلِ لَحمِ الأَخِ حَتَّى جَعَلَهُ مَيِّتًا، وَمِن ثَمَّ فَضَحَتِ هَذِهِ الآيَة أَصحَابَ البَيَانِ، وقَالَ النَّبِي ﷺ:" مَا صَامَ مَن ظَلَّ يَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ"[1].

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ فَإِنَّ لِلذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوباً [2] مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الذاريات:59]

فِي الآيَةِ اِسْتَعَارَة تَمثِيلِيَّة فَقَد شَبَّهَ الذِينَ يَتَّبِعُون الظَّالِمِينَ فِي ظُلمِهِم، مَثَلُهُم كَمَثَلِ الذِي يَحمِلُ الدَّلو مِنَ المَاءِ وَيخرجُ بِهِ المَاء مِن البِئْرِ وَيُقسِّمُهُ عَلَى الآخَرِينَ عِندَ إِخْرَاجِهِ، فَكَذَلِكَ بِالذُّنُوبِ بِالنِّسبَةِ للمُتَّبِعِينَ، فَالمُقْتَدِي لَهُ نَفس الذَّنب مَعَ الظَّالِم ولله دَرُّ القَائِل[3]:

لَنَا ذُنُوب ولَكُم ذُنُوبُ فَإِن أَبَيتُم فَلَنَا القَلِيبُ

---

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج7، ص258.

[2] . مَعْنَى كَلِمَةُ ﴿ذَنُوبًا﴾ وَقَد وَرَدَتْ مَرَّتَيْنِ بهَذِهِ الصِّيغَة، ومَعْنَاهَا الفرَس الذِي لَهُ ذنب طَوِيل، وَمِنهُ أَذْنَابُ القَومِ، وَمِنهُم الأَتْبَاع فِي الرَّذَائِلِ، وَمِنهُ الذَّنب سُمِّى بِذَلِكَ بِاعتبَارِ مَا لَهُ مِن عِقَابٍ وَتَبِعَاتٍ.

[3] .القرطبي، أبُو عبد اللهِ مُحَمَّد بن أَحمَد الأنصَارِي القُرطُبِي، الجَامِع لأحكَام القُرآن، القُرطُبِي، ط1. القاهرة: 2005، مكتبة الصَّف، ج 17، ص42.

وجَاءَ التَّعبِيرُ فِي الاِستِعَارَةِ التَّمثِيلِيَّة لِيُبَيِّنَ اللهُ لَنَا الاِشتِرَاك فِي الذَّنبِ بَينَ القَائِلِ والمُستَمِع وَبَينَ القَائِلِ والمُتَّبِعِ، وَمِن ذَلِكَ مَا صَوَّرَهُ القُرآنُ الكَرِيم لَنَا فِي أَقوَالِ المَجَالِسِ، يَقُولُ تَعَالَى ﴿وَقَدْ نُزِّلَ عَلَيْكُمْ فِے ٱلْكِتَٰبِ أَنِ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِے حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِے جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾ [النّسَاء:140]

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ إِعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِے ٱلْاَمْوَٰلِ وَالاَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ اَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرِيٰهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰماً وَفِے ٱلاٰخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحَدِيد:19]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة اِستِعَارَة تَمثِيلِيَّة فِي قوله ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ اَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ[1] نَبَاتُهُ﴾، قَالَ محيي الدِّين الدرويش" فَهُو تَمثِيل لِلحَيَاةِ الدنيا فِي سُرعَةِ انقِضَائِهَا، وقِلَّة جَدوَاهَا بِحَالِ نَبَات أَنبَتَهُ الغَيث فَاسْتَوَى، وَأُعجِبَ بِهِ الحُرَّاث"[2].

جَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي عَن طَرِيقِ هَذِهِ الاِستِعَارَة التَّمثِيلِيَّة لِيُصَوِّرَ لَنَا حَالَ الدنيَا وَالآخِرَة، فَالدُّنيَا مَحفُوفَة بِالشَّهَوَاتِ مِن لَهوٍ ولَعِبٍ وتَفَاخُرٍ فِي الأَموَالِ وَالأَولاد وَالزِّينَةِ وَالزَّخرَفَةِ، وَالآخِرَة مَحفُوفَة بِالمَكَارِهِ لأَنَّ نَتِيجَتَهَا وَعَاقِبَتهَا عَظِيمَة فَهِيَ إِمَّا مَغفِرَة وَرِضوَان مِنَ العَلِيِّ القَدِير، وَإِمَّا عَذَاب شَدِيد ومَقَامٍ مَذمُومٍ.

إِنَّ الزَّارِعَ لَمَّا يَنزِل الغَيْثُ يَبْتَهِج بِبَهجَةِ ظُهُور النَّبَاتِ ونُمُوّهِ، فَيَخضَر النَّبَات ثُمَّ يَصفَر ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا، فَحَالَةُ النَّبَاتِ فِي هَذِهِ الحَالَةِ مِن بَهْجَةٍ وَخُضْرَةٍ ثُمَّ الحُطَام، كَمَثَلِ الإِنسَانِ فِي مَرَاحِلِ نُمُوِّهِ، ففي مَرَاحِلِهِ الأُولَى يَكُون فِي بَهجَةٍ ونَشوَةِ الطفُولَةِ والشَّبَابِ ثُمَّ يَكُونُ كَهلا، فَيَكُونُ شَيْخًا يَضعُف وَيَسقَم وَتُصِيبُهُ الأَسقَام، وَنَوَائِب الدَّهرِ تَفتَكُّ بِهِ وَبِذُرِّيَتِهِ وبِمَالِهِ، ثُمَّ يَكُون مَآلُهُ الموت لا مَحَالَةَ.

[1] . مَعْنَى كَلِمةُ ﴿الكُفَّار﴾ وَهُم الزُّرَّاع والحُرَّاث مِنْ أَهلِ الفَلاحَةِ.

[2] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج7، ص433.

- يَقُولُ تَعَالَى ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصَّف:8]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارَة تَمثِيليَّة فِي قوله ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾ حَيثُ مَثَّلَ الإِسلام بِالنُّورِ وَمَثَّلَ مُحَارَبَتَهُ بِالإِطفَاءِ، فهِيَ تَمثِيل للذِينَ يُحَارِبُونَ الإِسلامَ وَأَركَانَهُ بِأَفواهِهِم وَأقلامِهِم، لَكِن يَأبَى اللهُ ذَلِكَ، وَمُتِمٌ نُورَهُ لأَنَّهُ الدِّين الحَق، لا تَتَعَارَض أَحكَامه والحَيَاة الإِنسَانِيَّة.

وَجَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي فِي هَذِهِ الإِستَعَارَة التَّمْثِيلِيَّة بِألفَاظٍ دَالَّةٍ وَهِيَ ﴿لِيُطْفِـُٔواْ﴾ وَ﴿نُورَهُۥ﴾.

- يَقُولُ تَعَالَى ﴿رَّسُولاً يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَمَنْ يُومِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحاً نُّدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِے مِن تَحْتِهَا ٱلاَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداً قَدَ اَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُ رِزْقاً﴾ [الطَّلاق:11]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارَة تَصرِيحِيَّة فِي قَوْلِهِ ﴿لِّيُخرِجَ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ فَقَد حُذِفَ المُشَبَّه وَذُكِرَ المُشَبَّه بِهِ، فَقَد شَبَّه الكُفرَ بِالظُّلمَات وفِيهَا تَشبِيهُ الإِيمَانِ بِالنُّورِ وَهُو الطَّرِيق المُستَقِيم.

فَكَلِمَةُ الخُرُوج فِيهَا دَلالَة عَلَى أَنَّ هُنَاكَ دُخُول، فُهُم دَخَلُوا فِي الإِيمَانِ والهِدَايَةِ بَعْدَمَا كَانُوا فِي الكُفرِ.

وَالظُّلمَات هِيَ رَمز وَدَلالَة عَلَى الجَهلِ وَالضَّلالِ وَالبَاطِلِ، وَالنُّور هِي دَلالَة عَلَى العِلمِ وَالهُدَى وَالحَق، وَدَلالَة الآيَة الظُّلُمَاتِ جَاءَت مُعَبِّرَةً عَنِ الإِنتِقَالِ مِن حَالَةٍ إِلَى حَالَة، جَاءَت نَاسِخَةً لِمَا كَانَ سَابِقًا.

- يقُولُ تَعَالَى ﴿ اَفَمَنْ يَّمْشِے مُكِبّاً عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدِىٓ أَمَّنْ يَّمْشِے سَوِيّاً عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المُلْك:23]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة اِسْتِعَارَة تَمثِيلِيَّة، فَهَذِهِ الآيةَ تَمثِيل بَينَ الكَافِرِ والمُؤمِن، فَالكَافِر لا يَهْتَدِي لأَنَّهُ لا يُحِبُّ ذَلِكَ، فَهُو لَا يُرِيدُ أَن يَرَى مَنَارَةَ الطَّرِيق، والمُؤمِن يَهتَدِي الطَّرِيق بِبَصَرِهِ وبَصِيرَتِهِ.

وَجَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي فِي هَذِهِ الاِستِعَارَة التَّمثِيلِيَّة بِلَفظَينِ مُعَبّرَينِ عَن المَشِي ﴿مُكِبّاً﴾ و ﴿سَوِيّاً﴾، فَالمُكَب عَلَى رأسِهِ لا يَرَى ما أَمَامَهُ ولا يَلتَفِت يَمِينًا ولا شمَالا فَمَن كَانَ هَذَا حَالُهُ فَإِنَّهُ لا مَحَالَةَ أَنَّهُ يَتَعَثَّرُ وَيَصطَدِم بِأَشيَاءَ قَد تُدَمِّر حَيَاتَهُ، فَفِي ذَلِك غِيَاب البَصِيرَةِ، واللَّفظ الثَّانِي فِيهِ دَلالَة عَلَى الاِسْتِوَاءِ فِي المَشِي، وَفِيهِ دَلالَة عَلَى حُضُورِ البَصِيرَةِ وَكَمَالِ العَقلِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [القلم:42]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة اِستِعَارَة تَمثِيلِيَّة فِي قوله ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ أَي: يوم تَكشِفُ القِيَامَةُ عَن أَحوَالِ النَّاسِ فِي الأَعمَالِ وَهُو يوم شَدِيد وَمُرَوِّع، فَيُقَالُ: شَمَّرَتِ الحَربُ عَن سَاقِهَا، قَالَ الشَّاعِرُ حَاتِم الطائي[1]:

أخو الحَرب، إن عَضَّت بِهِ الحَربُ عَضَّهَا وَإِنْ شَمَّرَت عَن سَاقِهَا الحَرْبُ شَمَّرَا

وَقَالَ رؤبة بن العجَّاج[2]:

عَجِبتُ مِن نَفسِي وَمِن إِشفَاقِهَا وَمِن طِرَادِ الطيرِ عَن أَرزَاقِهَا

فِي سَنَةٍ قَد كَشَفَت عَن سَاقِهَا حَمْرَاءَ تَبرِي اللَّحمَ عَن عراقِهَا

يَومَ الكَشف هُو يوم القِيَامَةِ الذِي يَحصُلُ فِيهِ العَجز عن العَمَلِ؛ لأَنَّ يَومَ القِيَامَةِ يَكُون فِيهِ الحَسَاب ولا عَمَل، والدنيَا يَكُون فِيهَا العَمَلُ ولا يَكُون فِيهَا حِسَاب، ولأَنَّ الإِنسَان كُلّ عَمَلٍ يَعْمَلهُ فِي الدنيَا يَجِدهُ مُدَوَّنًا فِي كِتَابٍ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَة.

وَهُم لا يَستطِيعُونَ السُّجُود، وَهَذَا مِن عِدَّةِ وُجُوهٍ مِنهَا:

ـ تَوبِيخًا لَهُم وَلِمَا كَانُوا يَعمَلُونَ فِي الدنيَا.

ـ لأَنَّ الأَعمَالَ خُتِمَت، وَسَيُجزَونَ مَا كَانُوا يَعمَلُون.

ـ لأَنَّهُم فِي الدنيَا كَانُوا مُقَصِّرِينَ فِي جَنبِ اللهِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِے ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحَاقَّة:10]

---

[1] ـ حاتم الطائي، ديوان حاتم الطائي، شرحه وقدم له: أحمد رشاد، ط3. بيروت: 2002، دار الكتب العلمية، ص22.

[2] . رؤبة بن الحجاج، مجموع أشعار العرب، تصحيح وترتيب: وليم بن الورد، ط1. بيرلين، 1903، طبع بآلات دروغةلين المشهورة، ص27.

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارة تَمثِيليَّة ويُسَمِّيهَا محيي الدِّين مِن بَابِ اِستِعَارَةِ المَعقُول للمَحسُوسِ" وَهِي الاِستِعَارَة المُرَكَّبَة مِن الكَثِيفِ واللَّطِيف، فَالمُسْتَعَار الطغي، وَهُو الاِستِعلاء المُنكَر، والمُستَعَار مِنهُ كُل مُستَعلٍ، مُتَكَبِّر، مُتَجَبِّر، مُضمَر، والمُستَعَار لَهُ: المَاء، والطغي مَعقُول، والمَاء مَحسُوس، والمُستَعَار مِنهُ مَحسُوس"[1].

وجَاءَتِ الاِسْتِعَارَةُ التَّمْثِيلِيَّة فِي الآية القُرآنيَّة لِتُصَوّر لَنَا حَالَة النَّاس فِي كُلِّ زَمَانٍ، وأَنَّ هَذِهِ الآيَة تُبَيِّن لَنَا وَتُذَكِّرنَا حَتَّى نَتَّعِظ ولا نَقَع فِي نَفسِ الخَطَإِ، وَطَغَى المَاءُ زَادَ عَن حَدِّهِ، وَالحَمل فِي الجَارِيَةِ المَقصُود بِهِ الحَمل عَلَى السَّفِينَةِ وَهِيَ سَفِينَةُ نُوح ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ فَالخِطَاب نَزَلَ فِي حَقِّ نُوحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ وَمَن كَانَ مَعَهُ مِنَ النَّاجِينَ.

ـ يَقُولَ تَعَالَى ﴿وَالْتَفَّتِ اِلسَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ [القيامة:29]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِستِعَارَة تَمْثِيليَّة قَالَ:" لِشِدَّةِ كَرب الدنيَا فِي آخِرِ يَومٍ مِنهَا، وَشِدَّةِ كَربِ الآخرَة فِي أَوَّلِ يَومٍ مِنهَا؛ لأَنَّهُمَا يَومَانِ قَد التفا بِبَعضِهِمَا، واختَلَطَا بِالكَربِ، كَمَا تلتَفُّ السَّاقُ عَلَى السَّاقِ"[2]، فَالسَّاقُ تُعَبِّرُ عَنِ الشِّدَّةِ، والتَّعبيرُ القُرآنِي جَاءَ مُعَبِّرًا عَنِ التِقَاءِ شِدَّتَينِ، شِدَّة نِهَايَة الدنيَا مَعَ شِدَّةِ بِدَايَةِ الآخِرَةِ، فَكَانَ اللقَاءُ بَينَ يَدَي الوَاحِد القَهَّار.

وَجَاءَ التَّعبِيرُ القُرآنِي فِي هَذِهِ الاِستِعَارَة التَّمثِيلِيَّة لِيُصَوِّرَ لَنَا حَالَةَ الإِنسَانِ عِندَ نِهَايَةِ الدنيَا وَبِدَايَةِ الآخِرَة فِي المَنطِقَةِ الفَاصِلَة بَينَهُمَا وَهِي يَوم الحِسَاب، يَومَهَا يَكُونُ الإِنسَان فِي شِدَّةٍ وَالتِفَافُ السَّاقِ بِالسَّاقِ هِيَ اِلْتِفَافُ رِجْلٍ بِرِجْلٍ، يَكُونُ الإِنسَانُ فِيهَا مَيِّتًا لا يَستَطِيعُ فِعْلَ شَيءٍ يَنفَعُهُ، فَقَد وَصَلَ إِلَى مَرحَلَةِ الحِسَابِ وَهِيَ بِدَايَةُ حَيَاةٍ جَدِيدَةٍ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفَجْر:14]

فِي الآيَةِ القُرآنيَّة اِسْتِعَارَة تَمثِيليَّة" شُبِّهَ كَونهُ تَعَالَى حَافِظا لأَعمَالِ العِبَاد، مُرَاقِبا عَلَيهَا، وَمُجَازِيا عَلَى مَا دَقَّ، وجَلَّ مِنهَا، بِحَيثُ لا يَنجُو مِنهُ بِحَالِ مَن قَعدَ عَلَى الطريقِ مُتَرَصِّدًا

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج8، ص51.

[2] ـ المصدر نفسه، ج8، ص155.

لِمَن يَسلكهَا لِيَأْخُذَهُ، فَيُوقِعَ بِهِ مَا يُرِيد، ثُمَّ أُطلِقَ لَفظُ أَحَدِهِمَا عَلَى الآخَرِ"[1] هذا القول هو على حقيقته، فَالمَصِير إِلَيهِ وَحدَهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وَالحِسَاب هُو مَصِيرُ كُل إِنسَان، وَسَيُجَازَى بِمَا عَمِلَ؛ لأَنَّهُ سَوف يَجِدهُ مَرصُودًا عِندَهُ فِي كِتَابٍ، فَاللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً ولا كَبِيرَةً، وأَمَّا الطُّغَاةُ مِمَّن تَكَبَّرُوا وأَفسَدُوا وَعَتَوا فِي الأَرضِ فَسَادًا، فَهؤُلاءِ اللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى لَهُم بِالمِرصَادِ فِي الدنيَا وَالآخِرَة.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ فَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴾ [الشَّمس:15]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة اِسْتِعَارَة تَمثِيلِيَّة وَالضَّمِير فِي ﴿ فَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴾ فَهُو عَائِد عَلَى اللهِ أَو عَلَى الرُّسلِ أَي:" أَنَّهُ سُبحَانَهُ لا يَخَافُ عَاقِبتَهَا، كَمَا تَخَافُ المُلُوك عَاقِبَة أَفعَالهَا، والمَقصُود مِن الاِسْتِعَارَة: إِهَانتهُم، وإِذلالهم، ويَجُوزُ أَن يَعُودَ الضَّمِير عَلَى الرَّسُولِ، أَي: أَنَّهُ لا يَخَافُ عَاقِبَة إِنذَارِهِ لَهُم"[2]، وَقَد يَعُودُ الضَّمِيرُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَالِح ـ عَلَيهِ السَّلام ـ أَنَّهُ لا يَخَافُ عُقْبَى هَذَا العَذَاب الذِي يَنزِلُ بِالعَاصِينَ مِن قَومِهِ؛ لأَنَّ اللهَ يُنجِيهِ مِنهُ وَهُوَ وَعْدُ اللهِ، وَهَذَا العَذَاب هُو عُقبَى لَهُم لِمَا قَامُوا بِهِ.

ـ يَقُولُ تَعَالَى ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ [3] (2) ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشَّرح:3]

فِي الآيَةِ القرآنيَّة اِستِعَارَة تَمثِيلِيَّة، صَوَّرَت لَنَا أَنَّ اللهَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى إِكرَامًا لِنَبِيِّهِ مُحَمَّد ﷺ أَنَّهُ وَضَعَ عَنهُ كُلَّ حِمْلٍ ثَقِيلٍ أَثقَلَ كَاهِلَهُ، فَحمل الرِّسَالَة الإِلهِيَّة حمل ثَقِيل يقُولُ تَعَالَى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَينَ أَن يَّحمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ [الأحزاب:72]، وَمِنهَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَحَطَّ عَنهُ كُلَّ ذُنُوبِهِ، فَقَد غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ.

---

[1] ـ محيي الدِّين الدرويش، إِعْرابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ، ج8، ص307.

[2] المصدر نفسه، ج8، ص332.

[3] . إِنَّ كَلِمَةَ ﴿وِزْر﴾ وَرَدَتْ فِي القُرآنِ الكَرِيم فِي سَبْعٍ وَعِشْرِينَ مَوْضِعًا، وَقَد وَرَدَتْ بِصِيَغٍ مُخْتلفَة، فَقَد جَاءَتْ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِعْلاً ثُلاثِيًا مُجَرَّدًا.

والمقْصُود بِكَلِمَةِ ﴿وِزْرَكَ﴾ مَا كَانَ يُتْعِبُكَ يَا مُحَمَّد مِن أَمْرِ الجَاهِلِيَّة، وَهِيَ تَعْنِي الحِمْلَ الثَّقِيل.

إِنَّ النَّبِيَّ ـ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلام ـ فِي دَعوتِهِ لِلهِ تَعَالَى لَقَى الأَذَى الشَّدِيد مِن قومِهِ وَكَانَ يَدعُوا لَهُم بِالمَغفِرَةِ وَالهِدَايَةِ، واللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى وَضَعَ عَنهُ الوِزرَ؛ لأَنَّهُ حَبِيبُهُ وخَلِيلُهُ، وَقَد قَرَنَ شَهَادَتَهُ بِشَهَادَتِهِ، فَعَصَمَهُ مِنَ الوُقُوعِ فِي الوِزْرِ، وَوَضَعَ عَنهُ حِملَ الدنيَا وَالآخِرَة بِأَن غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَفِي الآخِرَةِ هُو أَوَّل مَن يَسْتَفتِح بَاب الجَنَّة، وَهُو أَوَّل الدَّاخِلِينَ لَهَا.

وَمِنهُ يُمكِنُ القَولُ فِي هَذَا الفَصْلِ أَنَّ القرآن الكَرِيم نَزلَ علَى أُمَّةٍ أهلُهَا أهلُ بيَانٍ وبلاغةٍ وفَصَاحةٍ، فخَاطبَهم بِلسَانٍ عَربِي مبينٍ، فَكَانتِ البَلاغةُ كاشِفةً لمعانٍ القُرآن الكريم مِن خلال الاستعَارة بأنواعها، وَكَانت هَذِهِ العَنَاصِر مُسَاهمَةً فِي كَشْفِ خبَايَا القُرآنِ الكرِيمِ ومعانيهِ وتوجيهَاتِهِ ومَرَاميهِ، فكَانتِ الِاسْتِعَارةُ كاشِفَةً عن أَسْرَارِ القرآن ومكنُونَاتهِ.

نَتَائِجُ البَحثِ:

الحمد لله الذي وفَّقَنَا لإتمَام هَذِهِ الأُطرُوحَة الموسومة بـ القَضَايا البَلاغِيَّة وأَثرُهَا فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي فِي كِتَابِ (إعرَابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبيَانُهُ) لِمحيي الدِّين الدروِيش بعد مَجهُودات طَوِيلَة بينَ أُمَّهَات الكُتُب مِن تفسيرٍ ولغَةٍ وبَلاغَةٍ ونحوٍ ومعَ كُل كتَابٍ لَهُ صِلَة بِالأُطرُوحَة، لنقِفَ في الأخيرِ عَلَى أَهَمِّ النَّتَائِج التي تَوصَّلنَا إليهَا والتي مِن أَهَمِّهَا:

ـ بَينَ الإعرَابِ وَالتفسِير علاقَة مُتَأَصِّلَة، فلغَةُ القُرآنِ الكَرِيم لُغَة مُعربَة، لهَا تأثِير على التوجيه القُرآني وَفَهم مَعنَى الآيَات وهَذَا مَا لَمِسْنَاهُ فِي هَذا الكِتَاب، وقَد قَام محيي الدين الدرويش بِإعرَابِ القُرآنِ الكَرِيم كَامِلا مَعَ ذِكْرِ وُجُوه الإعْرَاب فِي بَعْضِ الآيَاتِ.

ـ دِرَاسَة أَثَر الإعرَاب في آياتِ العقِيدَة وأَثَرُهُ في توجيهِ المعنَى القُرآنِي، وقَد كَان لَهُ الأثَر فِي تَحدِيدِ الحُكم والمَعنَى القرآني من خلال الأمثلة المَدرُوسَة.

ـ تَوَسُّع محيي الدِّين الدرويش فِي عِلمِ البَيَانِ أَكثر مِن عِلمِ المَعَانِي وَالبَدِيع، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى ثَقَافَتِهِ اللغَوِيَّة والبَيَانِيَّة الوَاسِعَة، وَعلمه بِمَعَانِي الأَلفَاظ وَدَلالتِهَا، وَكَذَلِكَ لِطَبِيعَةِ الكِتَاب فَهُو بَيَانِي.

ـ الوقُوف على أَثَرِ القُرآن الكَرِيم على البَلاغةِ، وفَضل القُرآن الكَرِيم على البَلاغَة، وتِبْيَان حَال البَلاغَة قَبْلَ مَجِيءِ القُرآن الكَرِيمِ وبَعدَ نُزُولِهِ.

ـ إِظهَار الجَانِب البَلاغِي وَاللغَوِي فِي التفسِير، وعلاقته بتَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي مِن جهَةِ المدَارِس البَلاغيَّة القديمَة والحديثَة، وذلِكَ وِفْقَ أُصُول ومنَاهِج علم التفسِير.

ـ يَستعِينُ محيي الدين الدرويش فِي تَحليلِهِ للقَضايَا البَلاغِيَّة بِالشِّعرِ القَدِيم والحَديث، وَمِن خِلالِهِ يَتَحدَّد المَعنَى القُرآنِي، فَكَانَ الشِّعْر جُزءٌ أَسَاسِي مِن تَحديدِ الأَحْكَام والمَفَاهِيم القُرآنِيَّة.

ـ يُعَدُّ محيي الدِّين الدرويش مِن أَحَدِ أَهَمِّ عُلمَاء اللغَة والنّحو والبَلاغَة والأَدَب في العصر الحَديث، وقَد ربطَ محيي الدِّين الدرويش بين القُرآن الكَرِيم والعُلُوم السَّابِقَة بِغَرَضِ الوُصُول إِلَى مَكَامِنِ المَعنى القُرآنِي.

- يَرَى محيي الدِّين الدرويش أَنَّ فَهْمَ القُرآن الكَرِيم وَتَوجِيه آيَاتِه تَشترِكُ فِيهِ عُلُوم مُختلِفَة؛ أَوَّلهَا اللغَة العَربية التي نزَلَ القُرآن الكَرِيم بِهَا، يُضَافُ إِليهَا عُلُوم البَلاغَة وعِلم المُنَاسَبَةِ وأَسبَاب النُّزُول وغَيرِهَا، وهُو مَا كانَ مُطَبَّقًا فِي كِتابِهِ.

- يَرَى محيي الدِّين الدروِيش أَنَّ كُتُبَ أعَارِيب القُرآن الكَرِيم تَعتَمِدُ عَلَى بَعضِهَا البَعض، وقَد ذَكَر فِي مُقَدِّمَة كِتَابِهِ أَنَّهُ اِعتَمَدَ على جُملَة مِن كُتُب أعَارِيب القُرآن الكَرِيم، وكُتُب المَعَاني والنّحو والتفسِير.

- إِنَّ كِتَابَ محيي الدِّين الدَّروِيش (إِعرَابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وَبَيَانُهُ) مُدَوَّنَة غَنِيَّة بِمَا فِيهَا مِن مَجَالاتِ العُلُومِ المُختَلِفَة؛ مِن لُغَةٍ وَإِعرَابٍ وَبَلاغَةٍ وَنَحوٍ وَأَدَبٍ ونقدٍ وتَارِيخٍ وَغَيرِهَا، مِمَّا يَجعَل الدَّارِسَ لَهَا فِي أَيِّ مَجَالٍ من المَجَالاتِ اللُّغَوِيَّةِ والشَّرعِيَّةِ يَجِدُ فِيهَا مُرَادَهُ وَمَجَالَهُ الذِي يَطمَحُ، فَهِيَ مُدَوَّنَة تَتَمَتَّعُ بِجُملَةٍ مِنَ الخَصَائِصِ التي تُؤَهِّلُهَا مِن أَن تَكُونَ مَجَالا للدِرَاسَةِ.

- إِنَّ البَحثَ فِي التَّوجِيهِ البَلاغِي لآيَاتِ القُرآنِ الكَرِيمِ يُعطِي مَعَانِي قُرآنِيَّة أُخرَى، فهو يَجْعَلُ الأَلفَاظَ أَقَلَّ اِتّسَاعًا للمَعَانِي حيثُ تكُون يُسَاهِم التوجِيه فِي تَحدِيدِ المَعَانِي، فَالبَلاغَةُ كَشَفَت عَن مَعَانِي وَدَلالات قُرآنِيَّة كَانَت خَفِيَّة.

- محيي الدِّين الدروِيش مِن مَدرَسَة الصَّنعَة الفَنِّيَّة وَهِيَ تَعتَمِدُ عَلَى التَّذَوُّق الفَنِّي، فَهُو يَتَذَوَّقُ المَعَانِي وَيُحَرِّك الأَلْفَاظ لِيَسْتَخْرِجَ مِنهَا المَعَانِي الكَامِنَة فِيهَا، فَهُو يَرَى أَنَّ المَعَانِي مَوجُودَة خَلف هَذِهِ الأَلفَاظ وَمَا تَحمِلُهُ مِن صَنعَةٍ فَنِّيَّة.

- محيي الدِّين الدرويش مُنضَبِط فِي مَنهَجِهِ الذِي رَسَمَهُ، وَيَعُودُ سَبَبُ الإِنضِبَاطِ لِكَونِهِ مَارَسَ التَّعلِيم فِي المَدَارِسِ التَّعلِيمِيَّة الحُكُومِيَّة وَالحُرَّة، فَقَد كَانَ أُستَاذًا للغَةِ العَربِيَّة، والأُستاذ فِي زَمَنِهِ تَجِدُهُ مُتَمَكِّنًا مِنَ العُلُومِ اللُّغَوِيَّة وَالأَدَبِيَّة، وَمُتَشَبِّعًا بِالثَّقَافَةِ العِلمِيَّة الوَاسِعَة.

- اِستِطَاعَ محيي الدِّين الدروِيش أَن يُعَالِجَ بعض القَضَايَا البَلاغِيَّة المَوجُودَة فِي القُرآنِ الكَرِيمِ؛ وَيَعُودُ ذَلِكَ لِكَونِهِ شَاعِرًا وأَدِيبًا مُتَمَكِّنًا.

ـ محيي الدِّين الدرويش مِنَ الأَوَائِلِ الذِينَ رَبَطُوا بَيْنَ الإعرَابِ والقَضَايَا البَلاغِيَّة فِي مُؤَلَّفٍ وَاحِدٍ، وَهَذَا بِغَرَضِ إِيجَادِ عَلاقَةٍ بَينَ البَلاغَةِ وَالإعرَابِ، فَالبَلاغَة تَدرُسُ المَعنَى، وَالإعرَاب يُعَدُّ فَرع المَعنَى، ولا يُمكِن أَن نعرِبَ دُونَ أَن نَفهَمَ المَعنَى.

ـ اِعْتَمَدَ محيي الدِّين الدرويش فِي مُؤَلَّفِهِ عَلَى مَنهَجٍ مُعَيَّنٍ؛ هَذَا المَنهَج مَبنِي عَلَى أَربعة عَنَاصِر وَهِيَ: الإعرَاب، وَاللغَة، وَالبَلاغَة، وَالفَوَائِد، وَهَذِهِ العَنَاصِر فِي الحُضُور وَالعَدَم تَختَلِفُ مِن عُنصرٍ إِلَى عُنصرٍ؛ إِلَّا أَنَّ هُنَاكَ عُنصُر الإعرَاب ثَابِت مَوجُود فِي كُلِّ الآيَاتِ، وَبَعدَهَا عُنصُر البَلاغَة أَكْثَرَ تَطَرُّقًا، ثُمَّ عُنصُر اللغَة، فَعُنصُر الفَوَائِد.

ـ التَّفسِيرُ بِهِ تُعْرَفُ آيَات الذِّكرِ الحَكِيمِ، وَالتَّأوِيل هُو مِنَ الأَوجُهِ التي تُعرَفُ بِهَا المَعَانِي القُرآنِيَّة، وَقَد يَكُونُ أَوجُهًا مُتَعَدِّدَة، وَالتَّأوِيل لَهُ أَهلُهُ مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي العِلمِ، وَمِن هَؤلاءِ الصَّحَابي عَبدُ اللهِ بن عبَّاس ـ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا ـ والذِي دَعَا لَهُ النَّبِي صَلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّم (اللَّهُمَّ فَقِّهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمهُ التَّأوِيل) فَقَد كَانَ يُلَقَّبُ بِالبَحرِ، ومحيي الدِّين الدرويش تَطَرَّقَ إِلَى بَعضِ التَّأوِيلات وَالمَقصُود بِهَذِهِ التَّأوِيلات المُتَعَلِّقَة بِالعَقِيدَةِ، فَالعُلَمَاء مَا تَعَلَّقَ بِالعَقِيدَةِ تَجِدُهُم بَعِيدِينَ عَن التَّأوِيلِ، وأَمَّا محيي الدِّين الدرويش فَقَد خَاضَ فِي بَعضِ الآيَاتِ القرآنية دَارِسًا لِمعَانِيهَا.

ـ تَأَثُّرُ محيي الدِّين الدرويش بِغيرِهِ كَبَقِيَّة العُلمَاءِ ممن سَبِقَهُ مِن أَهلِ العِلمِ، فَمِنَ العُلَمَاءِ الذِينَ تَأَثَّرَ بِهِم نَجِد: الزَّمَخشَرِي، ابن أَبِي الإصبع، المبرّد، عبد القاهر الجُرجَانِي،...

ـ مَا نُلاحِظُهُ هُو دِقَّةُ تَسمِيَة محيي الدِّين الدرويش لِكِتَابِهِ(إِعرَابُ القُرآنِ الكَرِيم وَبَيَانُهُ) فَالعنوَان يَتَوَافَق مَعَ المُحتَوَى، قَد اِهْتَمَّ اِهْتِمَامًا بَالِغًا بِالإعرَابِ وَالبَيَان، وَهُمَا لَفْظَانِ مُكَوِّنَانِ لِعنوَانِ الكِتَابِ، فَمَنهَجُهُ فِي الكِتَابِ يُبيِّنُ طَبِيعَةَ التَّأليفِ، فَقَد جَمَعَ الإعرَابَ وعلم المَعَانِي وَعِلمَ البَيَان، فَأَغلَب كِتَابِهِ يَتَحَدَّثُ عَن الإعرَابِ، وَبَيَانِ مَعَانِي الكَلِمَات، والبَيَان البَلاغِي، لِهَذَا فَالقَارِئ لَهُ يَجِد مَا يَحْتَاجُهُ فِي هَذَا المَيدَانِ.

ـ اِعتِمَاد محيي الدرويش عَلَى من سَبِقَهُ فِي عِلمِ الإعرَابِ وَفِي الجَانِبِ التَّطبِيقِي بِالذَّاتِ، كَمَا اِعتَمَدَ عَلَى الآرَاءِ اللغَوِيَّة والتَّفسِيرِيَّة وَالبَلاغِيَّة لِنُخبَةٍ مِنَ العُلَمَاءِ، وَلِمَصَادِرِ مُتَأَصِّلَة فِي هَذَا المَيدَان مِنهُم، الزَّمَخشرِي، العكبرِي، أَبُو حَيَّان التَّوحِيدِي، المُبرّد، ابن أَبِي الأصبع،

وَقَد تَأَثَّرَ محيي الدِّين الدرويش بِهِم، وَقَد نَجِدُهُ يَنقُلُ آرَاءَهُم دُونَ الإِشَارَة إِلَيهِم، وَقَد يَنقُلُ آرَاءَهُم نَقلا مُطَابِقًا، وَقَد نَجِدُهُ في بعضِ الحَالاتِ يُخَالِفُهُم، وَيُنَاقِش آرَاءَهُم وَيُعطِي رَأْيَهُ، وَهَذَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى شَخصِيَتِهِ العِلمِيَّة، وَقُدرتِهِ عَلَى مُعَالَجَةِ قَضَايَا التَّفسِير والإعرَاب والبَلاغَة وَالنَّحو.

ـ مِن خِلالِ الدِّرَاسَةِ وَمُقَارَنَة المُصطَلَحَات التي طَرَحَهَا محيي الدِّين الدرويش فِي كِتَابِهِ، يَتَبَيَّن أَنَّ محيي الدِّين الدرويش فَهِمَ المُصطَلَحَات فَهْمًا دَقِيقًا لا يَتَعَارَض مَعَ السَّابِقِينَ، وَيَجمَع بِهِ الحَاضِرِينَ مِن أَصحَابِ هَذَا الفَن، وَقَد يَكُون من أَسباب هَذَا التَّعَمُّق، تَصحِيح بَعض المُصطَلَحَات وَالتَّعلِيق عَلَيهَا، وَإِضَافَة مُصطَلَحَات فِي هَذَا المَيدَان.

ـ مِنَ الجَوَانِبِ التي يَمْتَلِكُهَا محيي الدِّين الدروِيش وَظَهَرَت فِي كِتَابِهِ(إعرَابُ القُرآنِ الكَرِيمِ وبَيَانُهُ) الجَانِب النَّقدِي، وَقَد ظَهَرَ مِن خِلالِ التَّعلِيق والتَّرجِيح فِي بَعضِ الآرَاءِ وَالقَضَايَا التي دَرَسَهَا عُلَمَاء البَلاغَة، وَمِن خِلالِ شَرحِ الشَّوَاهِدِ، وَمِن خِلالِ التَّمَيّز بَينَ مُصطَلَحَات الفَنِّ الوَاحِد؛ كَنَقدِهِ ابن الأَثِير فِي نِسبَةِ فَنِّ الاِستِدرَاج إليهِ، فَردَّ عَليهِ أَنَّه تَجَاهل الإِمَام الزَّمَخشرِي فِي تَحليلِهِ لِهَذَا الفَنِّ وإن لَم يُسَمِّهِ بِاسمِهِ.

ـ اِستَطَاعَ محيي الدِّين الدروِيش مِن خِلالِ تَطوِيعِ عِلم البلاغة بِعُلُومِهَا الثَّلاثَة فِي الوُصُول المعَاني القُرآنِية، وتوجِيهَات الآيَات.

ـ اِهتَمَّ محيي الدِّين الدرويش بِعلم المَعَانِي والبَيَان أَكثر مِن عِلم البَدِيع.

ـ تَأَثُّرُ محيي الدِّين الدروِيش بِكَثِير مِن علمَاء البَلاغَة والتَّفسِير واللغَة مِنهُم: سِيبوَيه وابن أَبِي الأصبَع والزَّمخشَرِي والعكبرِي ابن الأَثِير والمُبرد وأَبِي حيَّان التوحِيدِي... .

ـ اهتمَّ محيي الدين الدرويش بفنُون البَلاغَةِ ونقلِهَا عن علمَاء البَلاغة والتفسِير، وَقَد ناقشَ هذهِ الفنُون وكَانَ لَهُ رأي فِيهَا.

ـ محيي الدِّين الدروِيش كَانَ مِن مدرسَةِ الصَّنعَة التي تَهتَمُّ بِالذَّوقِ الفَنِّي، فَقَد كَانَ يجدُ متعَةً في دراستِهِ البَلاغِيَّة للآيات القرآنية.

ـ إنَّ حِفظَ محيي الدروِيش للقُرآنِ الكَرِيم في سِنٍّ مبكرة، ودِرَاسَتِهِ لعلُومِ اللغَةِ العربِية أكسَبَهُ تَمكُّنًا في النحو والبَلاغَة، بالإضَافَة إلى ممارسَتِهِ لمهنَةِ التعلِيم، وكتَابتِهِ للمقالاتِ والأشعَار، هذَا الذِي سَاعَدَهُ عَلَى إعرابِ القُرآن الكريم ودِرَاسته دراسَة بيانيَّة، فقَد دامَ تأليفه لِهَذِهِ السِّلسلَة أكثر مِن عشرين سَنَة.

ـ يُقِرُّ محيي الدِّين الدرويش بالمَجَاز وأنَّ لَهُ أثر في تأويل الآيات القرآنية وتوجيهها.

ـ لقد تَنَوَّعَت الصُّوَر البَيَانِيَّة فِي كتَابِ محيي الدِّين الدرويش، وقَد تَضَمَّنَتِ الكَثِير مِن المَعَانِي الجَارِيَة عَلَى سُنَنِ العَرَبِ، فقَد كَان يَنطَلِق مِن اللغَةِ، فَالاستِعَارَة تَنَوّعَت بين التَّصريحيَّة والمَكنِية والتمثِيلِيَّة، وقَد كَان تَحليله الذِي يَعتمِد عَلى التذوقِ قَد زادَهَا تقريبًا للمعنى.

أهم التوصيات:

ـ ضَرُورَةُ الاهتمَام بالقرآنِ الكَرِيم على مُستوى الجَامِعَة مِن خِلالِ تدريسهِ لجميعِ التخَصُّصَات مَعَ مَا يتَوافَق وكُل تَخَصُّص.

ـ الجَانِبُ البَلاغِي واللغوِي فِي القرآنِ الكريم مُهم؛ لأنَّهُ هُو الأصل في فهمِ القُرآن الكريم، وهَذِهِ الجوانِب تَحتَاجُ إلَى بَحثٍ أكثر.

ـ من المُقترحَات عند دراستِي لسلسلةِ محيي الدِّين الدرويش:

موضوع: دراسةُ الجَانب النقدِي للقضَايَا التي جاء بِهَا محيي الدين الدرويش.

هَذِهِ أَهَمّ النتائِج والتوصيات والمقترحات التي تَحَصَّلنَا عليهَا من خلال دراستنا لهذِهِ المدونة، ونَسأَلُ اللهَ العَلِي القَدير أنْ يَجعَلَ هَذَا العمَلَ خَالصًا لوجهِهِ الكريم، والحمدُ لله ربّ العالمينَ.

فهرس المَصَادر والمراجِع

ـ القرآن الكريم برواية ورش؛ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

أولا: المعاجم

1 ـ الأزهرِي، أبِي منصُور محمَّد بن أحمد الأزهَرِي الهَرَوِي، تهذيبُ اللغَةِ، تح: عبد السَّلام هَارُون، دط. مصر: 1967، الدار المِصْريَّة للتأليفِ والترجمَة.

2 ـ بنُ فَارِس، أبُو الحَسَن أحمد بن فَارِس بن زَكَرِيا، مقَاييس اللغَةِ، تح: عبد السَّلام هَارُون، دط. مصر: 1979، دارُ الفِكْر للطِبَاعةِ والنَّشر.

3 ـ بن منظُور: لسَانُ العربِ، دط. القاهرة: دت، دارُ المَعَارِفِ.

ثانيا: الكتب

1 ـ إبراهيم أنيس، إحيَاءُ النَّحو، دط. القاهرة: 1959، مطبَعَة القَاهرة.

2 ـ إبراهِيم بركَات، العلاقَة بَينَ العَلامَة والمَعنى فِي كِتَابِ سِيبويه، دط. مصر: 1983، مكتبة الخانجي.

3 ـ إبراهيم عبد الله رفيدة، النَّحو وكُتُب التَّفسِير، ط3. ليبيا: 1990، دار الكتُب الجَماهِيريَّة.

4 ـ ابن أبي الإصبع المِصْرِي، بَدِيعُ القُرآنِ، تح: حفني محمَّد شَرَف، دط. مصر: دت، نَهْضَةُ مِصر للطبَاعَةِ والنَّشر والتَّوزيع.

5 ـ ابن أبِي شَيْبَة، المُصنَّف لابن أبِي شَيبة، تح: حبيب الرَّحمَن الأَعْظمِي، مُؤسَّسة علوم القرآن.

6 ـ ابن الأنبَاري، أسْرارُ العربيَّة، دط. دمشق: 1957، المجمع العلْمِي العَرَبِي.

7 ـ ابن الجَزرِي، النَّشر فِي القِرَاءاتِ العَشْر، ط2. بيروت: دارُ الكُتُب العِلْميَّة.

8 ـ ابن خلدُون، عبد الرَّحمْن بن خلدون، مقدِّمة العَلامَة ابن خلدُون المُسَمَّى: دِيوَان المُبتدأ والخَبر في تاريخِ العَربِ والبربَر وَمن عَاصَرهم من ذوي الشَّأن الأَكْبر، ط1. بيروت: 2006، دار الفكر.

9 ـ ابن النَّديم، الفِهْرِست، تح: إبراهيم رمضَان، ط2. بيروت: 1997، دَارُ المَعْرفَة.

10 ـ ابن جِنِّي، الخَصَائِص، تح: محمَّد علي النَّجَّار، ط3. مصر: 1406هـ، الهيئَة المِصْريَّة العامَّة للكتَابِ.

11 ـ ابن السيِّد البَطليُوسِي، أَبِي محمَّد عَبد الله بن محمد ابن السيّد البطليوسِي، التَّنبِيه عَلَى الأَسْبَابِ التي أَوْجَبَتِ الخِلاف بَيْنَ المُسْلِمِينَ، قَرَأَهُ وعلَّقَ عَلَيْهِ: يَحْيَى مُرَاد، ط1.بيروت:2003م، دَارُ الكتُب العلميَّة.

12 ـ ابن سَلام، أَبُو عُبيد القَاسِم، الغَرِيبُ المصنَّف، تح: محمد المُخْتار العبيدِي، ط1. 1996، المجمع التونسِي للعلُوم والآداب والفنون ودار سحنون للنشر والتوزيع.

13 ـ ابن عاشُور: التحرِير والتنوِير، تونس: 1984، الدار التونسيَّة للنشر.

14 ـ ابن عبد البر، أبو عُمَر يُوسُف ابن عبد البَر القُرطُبِي، بَهْجَةُ المَجَالِس وَأُنسُ المَجَالِسِ، تح: محمد مرسي الخولي، بيروت:1981، دارُ الكتبِ العلميَّة.

15 ـ ابن فارس، الصَّاحِبي فِي فقهِ اللغَةِ العَربِية وَمَسَائِلهَا وَسُنَنِ العَرَب في كَلامِهَا، تح: أحمد صقر، دط. القاهرة: 1977، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

16 ـ ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، دط. بيروت: 1418هـ، دار الكتب العلميَّة.

17 ـ بن قيم الجوزيَّة، محمَد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقِي.

ـ الصَّواعِقُ المُرسَلَة، تح: علي بن مُحمَّد ط1. دمشق:2009، دار العاصمة.

ـ بدائعُ الفَوائِد، تح: علي بن محمَّد العُمران، دمشق: 2008، مجمع الفقه الإسلامِي.

ـ الفَوائِدُ المُشوِّق إلَى علُومِ القُرآن وعِلْم البيَان، تح: جماعَة من العلمَاء، ط2. بيروت: 1988، دار الكتُب العلميَّة.أبُو حيَّان، محمَّد بن يوسف، البَحرُ المُحِيط، ط1. بيروت: 1413ه/1993م، دارُ الكُتُب العلميَّة.

18 ـ ابن هشام، جمال الدين ابن هشام الأنصاري، مُغني اللبِيب عن كتب الأعاريب. تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دط. القاهرة: دت، مطبعة المدني نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

19 ـ ابن يعيش، يعيش بن علي بن يَعِيش مُوفَّق الدِّين، شَرحُ المُفصَّل،ط1. مصر: دت، إدارة الطبَاعَة المُنِيرَة.

20 ـ أبوبكر جَابر الجَزائري، هَذَا الحَبِيب مُحَمَّد يَا مُحِب، ط1.بيروت:1995، دارُ الفِكْر.

21 ـ أبو بَكرٍ مُحمّد بن عبد المَلك الشنتريني، تَنبِيهُ الألبَابِ عَلَى فَضَائِلِ الإعْرَابِ، تح: عبد الفتاح الحموز، ط1. عمان: 1995، دار عمار.

22 ـ أَبُوهِلال العَسْكَرِي، كتَابُ الصِّنَاعَتيْنِ، تح: علي محمد البجَاوي ومحمَّد أبو الفضْل إبراهِيم، دط. سوريا: دت، مطبعة عيسى البَابِي الحَلبِي.

23 ـ أَحمَد أَمِين، ضُحَى الإسْلام، دط. مصر:1933، مكتبة النَّهضة المصريَّة.

24 ـ أحمد حَاطُوم، كتَابُ الإعرابِ، الإمَارات: 1992، شركة المطبوعَات للتَّوزِيع والنَّشر.

25 ـ أحمد سليمَان ياقُوت، ظَاهرةُ الإعرابِ فِي النَّحُو العَرَبِي وتَطبيقهَا في القُرآنِ الكريم، دط. :2003، دارُ المَعرِفَة الجامعيَّة.

26 ـ الأنصَارِي، صَفِي الدِّين أَحمد بن عبد الله الخَرْزجِي، خُلاصَةُ تَهْذِيب الكَمَال فِي أسْمَاء الرِّجَالِ، دط. مصر: دت، المَطبَعَة الخيْريَّة.

27 ـ الأنباري، محمَّد بن القَاسم بن محمَّد بن بشَّار أبو بَكر الأنبَارِي، إيضَاحُ الوقْفِ والابتِدَاء فِي كِتَابِ اللهِ عزَّوجَلَّ، دط. دمشق: 1971، مطبُوعَات مَجْمَعُ اللغة العربية بدمشق.

28 ـ بدران، الشَّيخ العلامَة عبد القادر بن أحمد بدرَان، جَواهِرُ الأفكَار ومَعَادِنُ الأسْرار المُسْتخرجَة من كَلامِ العَزيزِ الجَبَّار، دط. دمشق:1999، المَكتَب الإسلامِي للطباعَة والنَّشر.

29 ـ بَسيُونِي عبد الفتَّاح فيود، بَينَ المَكْنِيَّة والتَّبَعِيَّة والمَجَاز العَقلِي، ط1.القاهر:2010م، مُؤسَّسَة المُختَار للنَّشر والتَّوزِيع.

30 ـ البيهقي، الإمَام أَبِي بَكر أحمد بن الحُسَين البَيهَقِي، الجامع لشعب الإيمان، تح: مختار أحمد الندوي، عبد العلي عبد الحميد حامد، ط1. دمشق: 2003، مكتبة الرشد.

31 ـ الجُرجَانِي، أبوبكر عبد القَاهر الجُرجَانِي.

ـ أَسرار البلاغَة فِي عِلمِ البَيَانِ، تعليق: الشّيخ: محمَّد رشيد رضَا، دط. القاهرة: 2020، مكتبة التقوى ناشرون للطبع والنشر والتوزيع.

ـ دَلائِلُ الإعجَاز، اعتنى بِهِ علي محمَّد زينُو، ط1. دمشق: 1426هـ/2005، مؤسسة ناشرون.

32 ـ جلال الدِّين السيوطي، الإتقَان في علوم القرآن، تح: أحمد بن علي، ط3.سوريا: 1991، دَارُ الحَلبِي.

33 ـ الجُوينِي، منَاهجُ فِي التفسِير، ط1. الإسكندرية: دت، منشأة المَعَارف العَامَّة.

34 ـ حَفنِي محمَّد شَرَف، ابن أَبِي الأصبع مِن علمَاء البَلاغَة، دط. القاهرة: 1962، مطبعة القَاهِرَة.

35 ـ الخطَابِي، أَبُو سُليمَان حمد بن محمد الخَطابِي، غريب الحديث، تح: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، دمشق: 1982، دار الفكر.

36 ـ الخطيب البغدادِي، الجَامِع لأخلاقِ الرَّاوي وآداب السَّامِع، تح: محمود الطحان، دط. الرياض: دت، نشر مكتبة المعَارف.

37 ـ خليل أحمد عمايرة، المَسَافة بين التَّنظير النَّحوِي والتَّطبيق اللغوِي، ط1. عمان:2004، دار وائل للنشر والتوزيع.

38 ـ الرَّضي، محمَّد بن الحسن الاستراباذي، شرحُ الرَّضِي لكافيَة ابن الحَاجِب، تح: حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي ويحيي بشير مصطفى، ط1. الرياض: 1966.

39 ـ الزُّبيدِي، محمَّد بن الحَسَن الزُّبيدي الأندلُسِي، طبقَات النَّحويّين واللُّغَوِيّين، تح: محمد أبو الفضل إبراهِيم، ط2. القَاهِرة: 1984، دارُ المَعَارف، ص10.

40 ـ الزَّجَّاجِي، أَبُو القَاسم الزَّجَّاجي، الإيضَاح في عِلَلِ النَّحو، تح: مَازِن المُبارك، ط3. بيروت: 1979، دارُ النفائِس.

41 ـ الزَّركشي، البُرهَان فِي علُوم القُرآن، تح: أبي الفضل الدميَاطِي، دط. القاهرة: 2006، دَارُ الحَدِيث.

42 ـ الزَّمخشرِي: محمود بن عمر.

ـ أسَاسُ البَلاغَة، تح: محمد باسل عيُون السُّود، ط1. بيروت: 1419هـ/1998، دَارُ الكُتُبِ العِلميَّة.

ـ تفسِيرُ الكشَّاف عَن حَقَائق التَّنزيل وَعُيُون الأقَاوِيلِ في وجُوهِ التَّأوِيلِ، دط. بيروت:1407هـ، دارُ الكتَاب العَرَبِي.

ـ المُفَصَّل في صنعة الإعرَاب، تقديم: علي بوملحم، ط1، بيروت: دَار الهِلال 1993.

43 ـ سُعاد كرِيدِي، أثرُ الحَرَكَة فِي تَوجيهِ الدلالة، ط2. العراق: 2010، مجلةُ أورُوك للأبحَاث الإنسَانيَّة.

44 ـ سعد سليمَان حمُّودَة، دُرُوس فِي البَلاغَةِ العَربيَّة، كُليَّةُ الآداب، جامعَة الإسكندرية، دارُ المَعرفَة الجَامعيَّة، دط، 1999.

45 ـ السَّعدي، عبد الرَّحمن بن ناصر بن عبد الله السَّعدي، شَرْحُ القَواعد الحسَان لتَفسِيرِ القُرآن، ط1. القاهرة: 2012م/1433هـ، دار الآثار للنَّشر والتَّوزيع.

46 ـ السكاكِي، محمد بن علي السَّكاكِي، مفتاحُ العلُوم، ضبطَهُ: نَعِيم زرزور، ط2، لبنان: 1407هـ/1987م، دارُ الكُتُب العِلميَّة.

47 ـ سيبويه، الكتاب، تح: عبد السَّلام محمد هارون ، دط. القاهرة: 1966، دار القلم والهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب.

48 ـ سيد قطب، في ظلال القرآن، ط15. القاهرة: 1408هـ، دار الشروق.

49 ـ السيُوطِي، عبد الرَّحمن بن أبِي بكر جلال الدِّين السيُوطِي، الإتقَان فِي عُلُومِ القُرآنِ، تح: أحمد بن علي، دط. القاهرة:2006.

50 ـ الشَّاطبِي، إبراهيم بن مُوسَى بن محمَّد اللخمِي الشَّاطبِي الغرناطِي، المُوافقَات، دط. 2007، دار ابن عفان.

51 ـ الشَّرِيفُ الجُرجَانِي، علي بن محمد السيّد الشَّريفُ الجُرجَانِي، مُعْجَمُ التَّعريفَات، ط1. بيروت: 1983، دار الكتب العلمية.

52 ـ صُبحِي الصَّالح، دِرَاسَات فِي فقه اللغَةِ، ط3.بيرُوت: 1407هـ، العلم بالمَلايين.

53 ـ الطبرِي، ابن جَرِير الطبرِي، تفسيرُ الطبَرِي من كتَابِهِ جَامِعُ البيَان عَن تأوِيل آي القُرآن، تح : الدكتور بَشَّار عوَّاد مَعرُوف وَعِصَام فَارِس الحرسَتَانِي، ط1. بيرُوت: 1415هـ/1995م، مُؤسَّسَة الرِّسَالَة.

54 ـ الطوفِي، أبُو الرَّبِيع نجم الدِّين سليمَان بن عبد القَوِي الطوفي، الصَّعقَة الغَضَبِيَّة فِي الرَّدِّ عَلَى مُنكِرِي العَرَبِيَّة، تح: محمد خالد الفاضل، ط36. الأردن: 2013، منشورات مجلة الوعي الإسلامي.

55 ـ الطيار، مساعد بن سليمَان بن نَاصِر الطيَّار، التَّفسِير اللُّغَوِي للقُرآنِ، ط1. الدمام: 1422هـ، دار بن الجوزي.

56 ـ عَامر السَّامرائِي، آرَاءٌ فِي العَرَبيَّة، دط. :دت.

57 ـ عبد العزيز عتيق، فِي تَارِيخ البَلاغَة العَرَبيَّة، دط. بيروت: 1985، دار النَّهضَة العربيَّة.

58 ـ عبد الغني العطري، عبقريَّات، ط1. دمشق: دت، دارُ البَشَائِر.

59 ـ عبد الفتَّاح لاشِين، التَّراكِيب النَّحويَّة من الوِجهَة البَلاغِيَّة عند عبد القاهر الجرجاني، دط. الرِّياض: 1990، دَار المرِّيخ.

60 ـ عبد القادر عيَّاش، مُعجَم المُؤلِّفِينَ السُّورِيِّين في القرن العِشرين، دط. دت: سوريا، دَار الفِكْر، ص190، عبد الغَني العطرِي، عبقريات، ط1. دمشق: دت، دارُ البَشَائِر.

61 ـ عبد المُعين المَلُّوحِي، بلَدِي الصَّغير الحَبِيب حِمص، دط. حمص: 2002، غُرفَة التجَارة والصِّناعَة.

62 ـ عبدُ الوكِيل الرعيض، ظاهرة الإعرَاب فِي اللغَةِ العربيَّة، ط2. طرابلس: 2009، جمعيَّةُ الدعوَة.

63 ـ العزَّاوِي، عقيد خالد حمُّودي محيي العزَّاوي، النَّظْم القُرآني في تفسيرِ نَظم الدررِ في تناسبِ الآيَات والسُّور، ط1. دمشق:2013، دار العصمَاء.

ـ المَنهَجُ البَيَانِي فِي تفسِيرِ القُرآنِ فِي العَصرِ الحَدِيث، ط1. دمشق: 2012، دار العصمَاء.

64 ـ العكبرِي، أبو البقَاء عبد الله بن الحُسَين، اللبَاب فِي عِلَلِ البنَاء والإعرَاب، تح: مختار محمَّد طليمات، دمشق، دار الفكر، ط1. 1995.

ـ مَسَائِل خِلافيَّة فِي النَّحُو، تح: محمد خَير الحلوَانِي، ط2. دمشق: دت، دارُ المَأمُون للتراث.

65 ـ علي عبد الواحِد، في فِقْهِ اللغَةِ، ط8. مصر: دت، دار نهضَة مصر.

66 ـ الفارِسِي، أبُو علي الحَسَن بن عبد الغفَّار الفَارِسِي النَّحْوِي، الحُجَّة فِي عِلَلِ القِرَاءَات السَّبْع، تح: الشَّيخ عَادل أَحمد عبد المَوجُود والشَّيخ محمَّد علي محمد معوض، لبنان: 2013، دار الكتُب العلميَّة.

67 ـ فَاضل صَالح السَّامرائِي، على طَرِيق التَّفسِير البَيَانِي، ط1. عُمَان: 2011، دَار الفِكر.

68 ـ فَخر الدِّين الرَّازِي، التَّفْسِير الكَبِير، دط. بيروت: 2000، دَارُ الكُتُب العِلميَّة.

69 ـ فهد بن سليمَان الرُّومِي، بُحُوث فِي أصُول التَّفسِير ومَنَاهجه، ط4. الرياض: 1419هـ، مَكتبَةُ التَّوبَة.

70 ـ فهد الرُّومِي، بُحُوث فِي أُصُول التفسِير، ط4.، الرياض: 1419هـ، مكتبة التوبة.

71 ـ القَاسِم بن سَلام أبُو عُبيدَة، فضَائِلُ القُرآنِ وَمَعالمهُ وآدَابُهُ، دط. المغرب: دت، وزارة الأوقاف والشؤُون الإسلاميَّة بالمغرب.

72 ـ القُرطُبِي، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد الأنصَارِي القُرطُبي، الجَامِع لأحكَام القُرآن، القُرطُبِي، ط1. القاهرة: 2005، مكتبة الصَّفا.

73 ـ القَزوينِي، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، الإيضَاح فِي عُلُومِ البَلاغَةِ، تح: محمد عبد المنعم خفَّاجِي، ط3.بيروت: دت، دارُ الجِيل.

74 ـ القلقشندِي، أبُو العبَّاس أحمد القلقشندي، صُبح الأعْشَى فِي صِنَاعَةِ الإنشَاء، دط. بيروت: دت، دَارُ الكُتُبُ العلميَّة، ج1، ص168.

75 ـ مَازن المُبارك، النَّحو العَرَبِي العِلَّة النَّحوية: نشأتهَا وتَطَورهَا، ط1.القاهرة: 1965، المكتبة الحديثة.

76 ـ المُبرِّد، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، كتاب المُقْتَضَب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة،دط. القاهرة: 1388هـ، لجنة احياء التراث الإسلامي.

ـ 76

77 ـ محمد أحمد خضير، الإعرابُ والمعنى فِي القُرآن الكَرِيم، دط. مصر:2011، مكتبة الأنجلو مصريَّة.

79 ـ محمَّد بَاي بلعالم، منحَةُ الأترَاب شرح عَلَى مُلحَةِ الإعرَابِ، دط. الجزائر: 2001، دار هومة للطباعَة والنَّشر والتَّوزِيع.

80 ـ محمَّد بن أحمد بن سَالِم السفَارِينِي الحَنبَلِي، غِذَاءُ الألبَابِ فِي شَرحِ منظُومَةِ الآدَاب، تح: محمَّد عبد العَزيز الخَالَدِي، ط1. بيروت: 1996، دَارُ الكُتُبِ العِلمِيَّة.

81 ـ محمَّد بن علي الصبَّان الشَّافِعِي، حَاشِيَة الصبَّان عَلَى شَرحِ الأشمُونِي عَلَى ألْفيةِ ابن مَالك، دط، بيروت: دت، دار الكُتُب العلميَّة.

82 ـ محمد حسن جبل، الِاحتجاجُ بالشِّعرِ في اللغَةِ، الوَاقع وَدَلالاتهُ، دط، القاهرة: 1986، دار الفِكر العَرَبِي.

83 ـ مُحَمَّد حسن عثمَان، إِعرابُ القُرآنِ الكَريم وبَيَان مَعانِيهِ، ط1. القاهرة: 2002، دار الرِّسَالَة.

84 ـ محمَّد حُسين الذَّهبِي، التفسِير والمُفسِّرون، ط7. القاهرة:2000، مكتبة وهبة، ج2، ص180. عثمان أحمد عبد الرحيم، التَّجديد في التفسير المفهُوم والضَّوابِط، دط. مجلة الوعي.

85 ـ محمَّد رَجَب البيُّومِي، خُطُوات التفسِير البيَانِي، ط1. مصر:1971م، مطابِع الشَّركة المصريَّة للطباعَة والنَّشر.

86 ـ مُحمد زغلول سلام، أثرُ القُرآن فِي تَطوّر النَّقد العَرَبِي إِلَى آخِر القَرْن الرَّابع الهِجْرِي، ط3. مصر: 1968، دار المعَارف.

87 ـ محمد عبد الخَالق عَظِيمَة، دراسَات لأسلُوب القُرآن الكَرِيم، دط. دت، القاهرة، دار الحدي.

89 ـ محمد غازي التدمُرِي، الحَركَة الشِّعريَّة المُعَاصِرة فِي حِمْص 1956/1900، دط. دمشق:1980، مطبعة سوريا.

90 ـ محمَّد منيف فقيهي، نظريَّةُ إعجَاز القُرآن عند عبد القَاهر الجُرجَانِي، دط. صيدا:1959، المَكتَبَة العصريَّة للطبَاعَة والنَّشر.

91 ـ مَحمُود أَحمد نَحلَة، فِي إِعرَابِ القرآنِ، ط1 بيروت: 1989، دار العلُوم العرَبية.

92 ـ محيي الدِّين الدرويش، إعرابُ القُرآنِ الكَريم وبيَانُهُ، ط12. دمشق: 2014، دار ابن كثير.

93 ـ مرتضَى جَوَاد باقر، مُقدِّمَة في نَظَريَّة القوَاعِد النَّحوِيَّة، ط1. الأردن:2002، دار الشروق للنشر والتوزيع.

94 ـ مسعُود بُودوخة، عنَاصِر الوظيفَة الجَمَاليَّة في البَلاغةِ العربيَّة، ط1. الأردن: 2001، عالم الكتاب الحَدِيث.

95 ـ مصطفى إبرَاهِيم، اِحيَاءُ النَّحو، دط. القاهرة: 2012، مُؤسَّسة هنداوي للتعليم والثَّقافَة، مقَدّمَةُ الكتَاب.

96 ـ مكَّي بن أبِي طَالب القَيْسِي، مُشْكل إِعْرَاب القُرآن، تح: يَاسِين محمَّد السوَاس، ط2.دار المَأمُون للتُّرَاثِ.

97 ـ منَّاع القطَّان، مباحث في علوم القرآن، ط3. الرياض: 2000م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

98 ـ الموصلي، موفق الدِّين أبُو البقَاء بن يَعيش المَوصِلي، شَرحُ المُفَصَّل للزَّمخشَرِي.

99 ـ النَّحَّاس، أبُو جعفر النَّحَاس أحمد بن محمَّد بن إسماعِيل بن يُونس المُرادِي النَّحوي، إِعرابُ القُرآنِ، علق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط1. بيرُوت: 1421هـ، دارُ الكتُب العلميَّة.

100 ـ نعيم الحمصي، تاريخ فكرة إعجاز القرآن، دط. دمشق: 1955.

101 ـ الهروي، أبُو عُبيدَة القَاسِم بن سَلَّام الهَرَوي، فَضَائِل القُرآن، دط. بيروت: دت، دارُ الكُتُبِ العلميَّة.

102 ـ الهمذاني، حُسين بن أبِي العِز الهَمَذانِي، الفَريد فِي إعرَابِ القُرآنِ المَجِيدِ، تح: فهمِي حسين النَّمر، فؤاد علي مخير، دار الثقافة، الدوحَة.

103 ـ ياقوت، أحمد سليمَان ياقُوت، ظاهرة الإعْراب فِي النَّحُو العَرَبِي وتَطْبيقها فِي القُرآنِ الكَرِيم، دط. بيرُوت:2003، دَارُ المَعرِفَة الجَامِعيَّة.

104 ـ يُوسُفُ بن خَلَف العِيسَاوِي، عِلم إعرَابُ القُرآنِ تأصِيل وبَيَان، ط1. الرياض: 2007، دارُ الصميعي للنَّشر والتَّوزيع.

ثالثا: الدواوين وشروحها

1 ـ أبو تمام، ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي، تقديم: عبدالحميد يونس وعبد الفتاح مصطفى، دط. القاهرة: دت، مطبعة حجازي.

أحمد شوقي، الشوقيات، دط. مصر: 2012، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

2 ـ الأعشى، ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتحقيق: محمد حسين، دط. القاهرة: 2012، المطبعة النموذجية.

3 ـ امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، ضبطه الأستاذ: مصطفى عبد الشافي، ط5. بيروت: 2004، دار الكتب العلمية.

4 ـ أوس بن حَجَر، ديوان أوس بن حَجَر، تحقيق وشَرح: الدكتور محمد يُوسف نجم،ط3، بيروت: 2009، دار صَابر.

5 ـ البحتري، ديوان البحتري، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفي، ط3. مصر: دت، دار المعارف.

6 ـ بشر بن أبي خَازم، ديوان بشر بن أبي خازم الأسَدي، قدَّم لَهُ وشرحَهُ: الدكتور صلاح الدين الهواري، راجعه: الدكتور ياسين الأيوبي، دط. مكتبة الهلال.

7 ـ جرير، ديوان جرير، دط. بيروت: 1986، دار دار بيروت للطباعة والنشر.

8 ـ حسان بن ثابت، شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، وضعه وصححه: عبد الرحمن البرقوتي، دط. مصر: 1929، المطبعة الرحمانية لصاحبها عبد الرحمن موسى شريف، ص214.

9 ـ ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، قدم له وشرحه: أحمد حسن سبج، ط1. بيروت: 1995م/1415هـ، دار الكتب العلمية.

10 ـ زهير، زهير بن أبي سلمى، ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدم له: الأستاذ علي حسن فاعور، ط1. بيروت:1988، دار الكتب العلمية.

11 ـ طرفة بن العبد، طرفة بن العبد الأعلم الشنتمري، ديوان طرفة بن العبد، تح: درية الخطيب ولطفي الصقال، دط. بيروت: دت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

12 ـ علي بن أبي طالب، ديوان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه جمع وترتيب: عبد العزيز الكرم، ط1، بيروت:1988.

13 ـ عنترة بن شداد، ديوان عنترة بن شداد، اعتنى به وشرحه: حمدو طماس، ط2. بيروت: 1425ه/2004، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ص17.

14 ـ قعنب ابنُ أُمِّ صَاحِبٍ، ديوان قعنب ابنُ أُمِّ صَاحِبٍ، ط1. المدينة المنورة: 2018، معهد المخطوطات العربية.

15 ـ كعب بن زهير، كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، ديوان كعب بن زهير، حققه وشرحه وقدم له: الأستاذ علي فاعور، دط. بيروت:1997، دار الكتب العلمية.

16ـ لبيد بن ربيعة العامري، ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دط. بيروت: دت، دار صادر.

17 ـ المُتنبِّي، ديوَان المُتنبِّي، دط. بيروت: 1983، دار بيروت للطباعة والنشر، ص571.

18 ـ المعتمد بن عباد، ديوان المعتمد بن عباد ملك إشبيلية، جمعه وحققه: أحمد أحمد بدوي، حامد عبد المجيد، القاهرة: 1951، المطبعة الأميرية بالقاهرة.

19ـ النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3. القاهرة: دت، دار المعارف، ص30.

20 ـ يزيد بن مفرغ الحميري، ديوان يزيد بن مفرغ الحميري، جمعه وحققه: الدكتور عبد القدوس أبو صالح، ط1. بيروت: دت، مؤسسة الرسالة.

رابعا: الرسائل الجامعية

1 ـ الرَّحِيلِي، سَعُود بن سَعِيد بن نويجي، التَّوجيهَات النَّحْويَّة والصَّرفيَّة للقراءَاتِ القُرآنيَّة فِي كتَاب" مَعَانِي القُرآن" لأبِي جَعْفَر النحَّاس، بَحْث وَدِرَاسَة، بَحْثٌ تَكميلِي مُقَدَّم لنيلِ درَجَة العالميَّة، الرَّقْم الجَامِعِي42780276، إشرافُ: رِيَاض الخَوام، السَّنَة الجَامعيَّة: 1428هـ/1429هـ.

2 ـ المَسَائِلُ البَلاغية فِي كِتابِ" إعْرَاب القُرآن الكَريم وبيانه" لمحيي الدين الدرويش ـ عَرْض ودراسَة ـ إعدادُ الطالب: عايد بن بركي الصَّاعدي، إشراف فضيلة الدكتُور: علي بن دخيل الله العُوفِي، السنةُ الجَامِعِيَّة: 1431هـ/1432هـ.

خامسا: المجلات

1 ـ حسن خميس الملخ، الحِجَاجُ فِي الدرسِ النحوي، مقال ضمن مجلة عالم الفكر المجلد:5، عدد خاص: الحجاج.

2 ـ مَجَلَّةُ الفَيْصَل: مَجَلَّة ثَقَافِيَّة شَهْرِيَّة، السَّعُودِيَّة، العَدَد7.

3 ـ مجلة الكلية، العدد الرابع، الدلالات المجَازيَّة لأعضاء الإنسان في معجمِ لسَان العرب لابن منظُور، صالح ملا عزيز، تَارا فائز سعيد، مقداد محمد شكر قاسم، المجلد الأول، 2011.

فَهْرسُ المَوضُوعَات

الإهداء.....أ

شكر وعرفان.....ب

مقدمة.....1

الفصل التمهيدي

محيي الدِّين الدروِيش وَالدِّرَاسَات البَلاغِيَّة للقُرآنِ الكَرِيم

المبحث الأول: ترجمة لحياة محيي الدين الدرويش ولآثاره.....11

1 ـ حَيَاةُ محيي الدِّين الدرويش.....11

1ـ 1 اِسمُهُ ونَسَبُهُ وَمَولِدُهُ.....11

1 ـ2 ـ حَيَاتُهُ العِلمِيَّة والعَمَلِيَّة.....11

1 ـ3 ـ أَدَبُهُ وَشِعْرُهُ.....12

1 ـ 4 ـ مُؤَلَّفَاتُهُ.....13

1 ـ5 ـ وَفَاتُهُ.....15

المبحث الثاني: الإعراب والتَّفسِيرُ اللُّغَوِي للقُرآنِ الكَرِيمِ..... 16

1 ـ تَعرِيفُ التفسِيرُ.....18

أ ـ لُغَةً..... 18

ب ـ اِصطِلاحا..... 19

2 ـ تَعريفُ كلمَة اللُّغَوِي.....19

3 ـ صِلَةُ الإعرَابِ بِالقُرآنِ الكَرِيمِ.....26

4 ـ الإعرَابُ وَعِلمُ التَّفسِير نَظرة تَأصِيلِيَّة.....30

5 ـ الفَرقُ بَينَ تَفسِيرُ الإعرَابِ وتَفسِيرُ المَعنَى.....34

6 ـ الإعرَابُ وَالمَعنَى وتوجيه المعنى القرآني.....35

6 ـ 1 ـ فَهمُ الجُملَة المُرَاد إِعرابُهَا إِفرَادًا وَتَركِيبًا.....38

6 ـ 2 ـ صِحَّةُ المَعنَى أَولَى مِن صِحَّةِ الإِعْرَاب.....38
6 ـ 3 ـ مُوَافَقَةُ الإِعرَابِ لِمَعهُودِ كَلامِ العَرَب وَسُنَنِ قَوَاعِد خِطَابِهِم.....39
6 ـ 4 ـ السِّيَاقُ والمُنَاسَبَة وَسَبَبُ النُّزُول مَطِيَّةٌ لِفَهمِ اِحتِمَالات المَعْنَى.....40
6 ـ 5 ـ مُرَاعَاةُ القِرَاءَاتِ القُرآنِية وَالرَّسم القُرآنِي وَالعِلم بِهِمَا.....41
7 ـ العَلامَةُ الإِعرَابِيَّةُ والمَعْنَى.....41
7 ـ 1 ـ غِيَابُ العَلامَة الإِعرَابِيَّة وَحَذفها.....43
أ ـ التقَاءُ السَّاكِنَيْنِ.....43
ب ـ الاتِّبَاعُ.....43
7 ـ 2ـ الحَرَكَاتُ الإِعرَابِيَّة وَدَلالتهَا 44
أ ـ مفهُوم الحَرَكَة لُغَةً.....44
ب ـ مَفْهُومُ الحَرَكَةِ اصْطَلاحًا.....44
المبحث الثالث: الدراسَاتُ البَلاغِيَّة للقُرآنِ الكَرِيمِ.....47
1 ـ البَلاغَةُ العربية وعلاقتُهَا بالمَعنَى.....50
2 ـ الإِعرَابُ والبَلاغَة.....51
3 ـ التَّفسِيرُ البَيَانِي والبَلاغَة.....52
3 ـ 1 ـ مفهُومُ التَّفسِير البَيَانِي.....52
3 ـ 2 ـ التَّفسِيرُ البَيَانِي وبَدَايَاته.....54
الفَصلُ الأَوَّل: عِلمُ إِعرَاب القُرآنِ الكَرِيم النَّشأَة وَبِدَايَة الظُّهُور.
المبحثُ الأوَّل: نَظرَة تَأصِيلِيَّة لِعِلمِ إِعرَابِ القُرآنِ الكَرِيم.....64
1 ـ جملة(إعرابُ القُرآنِ الكَرِيم).....64
2ـ مُركَّبُ (إعرابُ القُرآنِ الكَرِيم) وَحَدُّهُ.....64
3 ـ الإِعرابُ في اللغَةِ والاصْطِلاح.....64

3 ـ 1 ـ لغَةً.....64
3 ـ 1 ـ 1 ـ البيان.....64
3 ـ 1 ـ 2 ـ الحسن.....64
3 ـ 1 ـ 3 ـ الانتقال.....64
3 ـ 1 ـ 4 ـ التغير.....64
3 ـ 1 ـ 5 ـ العرفان.....64
4 ـ جُملَةُ (إعرابُ القُرآنِ الكريم) في الآثارِ النَّبويَّة.....65
5 ـ تعريفُ عِلم إعرَاب القُرآن الكَرِيم.....68
6 ـ أعاريبُ القرآنِ الكَريم القَدِيمَة والحَدِيثَة.....68
أ ـ مصنَّفاتُ أعاريب القرآن الكريم القديمة.....69
ب ـ مصَّنفات معَانِي القُرآن الكَريم ومَجَازه ومشكلهُ.....69
1 ـ كُتُبُ إعرَاب القُرآن الكَرِيم الحديثة ومبَاحثهَا.....70
1 ـ 1 ـ مَبَاحِثُ أعَارِيبُ القُرآنِ الكَرِيم.....70
1 ـ 2 ـ المَبَاحِثُ النَّحوِيَّة والصَّرفِيَّة.....70
1 ـ 3 ـ المَبَاحِثُ البَلاغِيَّة.....70
1 ـ 4 ـ مبَاحِثُ عِلْمُ القِراءَات.....71
1 ـ 5 ـ المَبَاحِثُ اللغَوِيَّة.....72
2 ـ أعَارِيبُ القُرآنِ الكَرِيم المعاصرة.....72
3 ـ الأَعَارِيبُ المُعاصِرَة لِسُور مُعينَة.....77
المَبحثُ الثَّاني: التَّفسِير والبَلاغَة العَرَبِيَّة.....78
1 ـ البَلاغةُ العَربِيَّة قَبلَ مَجِيء القُرآن الكَرِيم.....80
2 ـ تَفسِيرُ القرآنِ الكريم وكتُبُ الإعراب والمَعَانِي.....81

3 ـ ظَاهِرَةُ الإعرَاب وَعِلمُ إِعرَابِ القُرآنِ الكَرِيمِ.....82
4ـ مَفَاهِيمُ الإِعرَاب المعاصرة.....83
المَبحَثُ الثَّاني: الإِعرابُ القُرآنِي وأثرُهُ فِي عُلُومِ العَرَبِيَّة والشَّرِيعَة.....86
أَوَّلا. الإِعرَابُ وعلاقته بتوجيه الأحكام الفقهية.....86
ثَانِيًا. البلاغة وعلاقَتُهَا بِالتَّوجِيه العَقَدِي عِندَ محيي الدِّين الدروِيش.....88
المَبحثُ الثَّالث: منهج محيي الدِّين الدرويش فِي كِتَابِهِ.....92
1 ـ النَّحو والإِعرَاب.....92
2 ـ عِنَايَتُهُ بمَعَانِي الألفَاظ.....93
3 ـ عِنَايَتُهُ بالتَّوجِيهِ البَلاغِي للآيَاتِ القُرآنِيَّة.....94
4 ـ الفَوَائِد.....94
5 ـ عِنَايَتُهُ بِالقِراءَات القُرآنِيَّة.....95
6 ـ التَّفسِيرُ.....95
7 ـ التفسيرُ وَالاِسْتِعَانَة بِاللغَةِ العربية.....96
8 ـ مَنهجُهُ فِي تَرجِيحِ الأَعَارِيب.....96
9 ـ منهجه في التوجيه والدلالة.....97
أ ـ التَّوجِيهُ اللغَوِي المُعجَمِي للمَعَانِي القُرآنِيَّة.....97
ب ـ الذَّوقُ الفَنِّي.....98
ج ـ الإِتِّبَاعُ.....98
د ـ الرَّأي الغَالِب.....99
10 ـ المصَادِر.....99
11 ـ مُصطَلَحَات محيي الدرويش وأرآؤهُ البَلاغِيَّة.....100
12 ـ الفُنُونُ البَلاغِيَّة والمُصطلَحَات المَوجُودَةُ فِي كِتَابِهِ.....101

13 ـ قَضِيَّةُ اللَّفظِ والمَعنَى عِندَ محيي الدِّين الدرويش.....103
14 ـ التَّولِيدُ في المَعَانِي عند محيي الدين الدرويش.....105
15 ـ الاعتمادُ عَلَى الشَّواهِدُ الشِّعريَّة فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.....105
16 ـ تَأثرُهُ بِالشِّعرِ وَخَصَائِصه.....110
17 ـ الشَّاهِدُ الشِّعرِي فِي كُتُبِ المَعَانِي وأعَارِيبِ القُرآن الكَرِيم.....112
18 ـ الإِعتِمَادُ عَلَى النَّثرِ فِي تَوجِيهِ المَعْنَى القُرآنِي.....113
19 ـ مَسَائِل نَحويَّة ورأي محيي الدِّين الدرويش فيها.....114
20 ـ نقدُهُ للعُلَمَاءِ فِي المَسَائِلِ البَلاغِيَّة.....119
21 ـ أرَاؤُهُ التفسِيرِيَّة للقُرآنِ الكَرِيم.....123
22ـ طبَعَاتُ الكِتَاب.....125

الفصل الثَّانِي: عِلمُ المَعَانِي وَتَوجِيهُ المَعنَى القُرآنِي فِي كِتَابِ محيي الدِّين الدروِيش

المبحث الأَوَّل: عِلمُ المَعَانِي وَدَلالاتُهُ فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.....127
1 ـ عِلمُ المَعَانِي فِي التَّفسِيرِ القُرآنِي.....127
2 ـ علم المعاني لغة واصطلاحًا..... 127
2 ـ 1 ـ المَعَانِي لُغَةً.....127
2 ـ 2 ـ عِلمُ المَعَانِي اِصطَلاحا..... 127
أولا. التَّقدِيمُ وَالتَّأخِيرُ وَأَثَرُهُ فِي تَوجِيهِ دَلالَةِ المَعنَى القُرآنِي.....128
1 ـ التَّقديمُ والتَّأخِير اللَّفظِي وأثرهُ في المَعنَى القُرآنِي.....128
2ـ التَّقدِيمُ والتَّأخِيرُ وأثَرهُ فِي توجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.....129
3 ـ التَّقدِيمُ والتَّأخِير عند محيي الدِّين الدروِيش وحالاتهُ.....131
3 ـ 1 ـ تقديمُ الضَّمِير.....131

3 ـ 2 ـ تَقدِيمُ الجَار والمَجرُور عَلَى الفِعلِ.....133
4 ـ التَّقدِيمُ والتَّأخِيرُ وعلاقتُهُ بالسِّياقِ القُرآنِي.....134
4 ـ 1 ـ التَّقدِيمُ لِلأَهَمِّيَّةِ والقِيمَة والأثر.....134
4 ـ 2 ـ التَّقديمُ للتفضيلِ والتَّشرِيفِ والمكانة.....135
4 ـ 3 ـ التَّقدِيم بِسَبَبِ العِنَايَة.....136
4 ـ 4 ـ التَّقديمُ للسَّبقِ في الوجُودِ وَغَيرِهِ.....137
ثانيًا ـ الذِّكرُ والحَذفُ ودلالاتهُمَا فِي تَوجيهِ المعنَى القُرآنِي.....141
1 ـ الذِّكرُ وَدَلالاتُهُ فِي التَّوجِيهِ القرآني.....141
1 ـ 1 ـ الذِّكر اصطلاحًا.....141
1 ـ 2 ـ الذِّكر وتَوجِيه المَعنى القُرآنِي عِندَ محيي الدِّين الدرويش.....141
2 ـ الحَذفُ وَدَلالاتُهُ فِي التَّوجيهِ القرآني.....143
2 ـ 1 ـ الحَذفُ لُغَةً.....143
2 ـ 2 ـ الحَذفُ اِصطلاحًا.....143
3 ـ أقسام الحَذفُ مِن الوجهة البَلاغِية.....144
3 ـ 1 ـ الاقتِطَاعُ مِن الكَلِمَةِ.....144
3 ـ 2 ـ الضَّميرُ والتَّمثيلُ.....146
3 ـ 3 ـ الاستِدلالُ بالفِعلِ لِشَيئَينِ.....147
5 ـ الحَذفُ مِن الوِجهَةِ النَّحويَّة.....147
5 ـ 1ـ حَذفُ المُبتَدَإ.....147
5 ـ 2 ـ حَذفُ الفَاعِل.....148
5 ـ 3 ـ حَذفُ المُضَاف.....148
5 ـ 4 ـ حَذفُ الصِّفَة.....149

5 ـ 5 ـ حَذفُ المَفعُولِ بِهِ.....149
6 ـ الحَذفُ وأشكاله.....152
6 ـ 1 ـ الحَذفُ مِن الوِجهَةِ البَلاغيَّة.....153
6 ـ 2 ـ الحَذفُ مِن الوِجهَةِ النَّحويَّة.....153
6 ـ 3 ـ الحَذفُ مِن الوِجهَةِ اللُّغَوِيَّة.....153
ثالثًا: التَّعريفُ والتَّنكِيرُ ودلالتهُمَا فِي تَوجِيهِ المَعْنَى القُرآنِي.....153
1 ـ المَعرفَةُ وأقسَامُهَا.....154
أ ـ التَّعرِيفُ ودلالاتُهُ فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.....155
2 ـ التَّنكِيرُ ودلالاتُهُ فِي توجِيهِ المَعنى القُرآنِي.....158
رابعًا: الخَبَرُ والإنشَاء وَدَلالتهُمَا فِي تَوجِيهِ المَعْنَى القُرآنِي.....170
1 ـ الخَبَرُ ودلالاتُهُ.....170
أ ـ الخَبَرُ لُغَةً.....170
ب ـ الخَبرُ اِصطِلاحًا.....170
ج ـ الخَبَرُ بَينَ النُّحَّاةِ والبَلاغِيِّينَ.....170
2 ـ الإنشَاءُ ودلالاتُهُ.....173
أ ـ الإنشَاءُ الطَّلَبِي.....173
ب ـ الإنشَاءُ غَير الطلَبِي.....173
خامسا: الإيجَازُ والإطنَابُ ودلالتهمَا فِي تَوجيهِ المَعْنَى القُرآنِي.....174
1 ـ الإيجَازُ ودلالاتُهُ.....174
1 ـ 1ـ أنواع الإيجاز عند محيي الدين الدرويش.....174
2 ـ الإطنَابُ ودلالاتُهُ.....182
سادسا: القَصرُ والحَصر ودلالتهُمَا فِي تَوجِيهِ المَعْنَى القُرآنِي.....184

1 ـ القَصرُ ودلالاتُهُ.....184
أ ـ القَصرُ لُغَةً.....184
ب ـ القَصرُ اِصْطَلاحًا.....185
2 ـ الحَصرُ وَدَلالاتُهُ.....187

الفصل الثَّالث: عِلمُ البيَانِ تَوجِيه للبَلاغَةِ القُرآنِيَّة

فِي كتَابِ إعرَابِ القرآنِ الكَرِيمِ وَبَيَانه

1ـ عِلمُ البَيَانِ القُرآنِي.....189
أ ـ البَيَانُ لُغَةً.....189
ب ـ البَيَانُ اِصطَلاحًا.....189
المبحثُ الأوَّل: التَّشبِيهُ البيَانِي ودلالاتُهُ في التَّوجِيهِ القُرآنِي.....191
1 ـ التَّشبيهُ لُغَةً واصطِلاحًا 191
أ ـ التَّشبِيهُ لغةً.....191
ب ـ التشبيهُ اصطلاحًا.....191
2 ـ التَّشبِيهُ عِندَ محيي الدين الدروِيش.....191
3 ـ التَّشبِيهُ التَّمثِيلِي وتَوجِيه المَعنَى القُرآنِي.....200
المَبحثُ الثَّانِي: المَجَازُ ودلالاتُهُ فِي تَوجِيهِ المَعنى القُرآنِي.....215
1 ـ المَجَاز لغةً واصطلاحًا.....215
1 ـ 1 ـ المَجَازُ لُغَةً.....215
1 ـ 2 ـ المَجَازُ اصطِلاحًا.....215
2 ـ أقسَامُ المجازِ عِندَ محيي الدين الدرويش.....217
2 ـ 1ـ المَجَازُ المُرسَلُ وَدَلالاتُهُ فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.....217
2 ـ 2 ـ المَجَازُ العَقلِي وَدَلالاتُهُ في تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.....250

المَبحَثُ الثَّالِث: الكِنَايَةُ وتَوجِيه المَعْنَى القُرآنِي.....262

1 ـ الكناية لغة واصطلاحا.....262

1 ـ 1 ـ الكِنَايَةُ لُغَةً.....262

1 ـ 2 ـ الكِنَايَةُ اِصطِلاحًا.....265

2 ـ الكناية وتوجيه المعنى القرآني عند محيي الدين الدرويش.....263

الفَصلُ الرَّابِع

الاِستِعَارَةُ فِي كِتَابِ إِعرَابِ القُرآنِ الكَرِيم وبيانه.

1 ـ الاِستِعَارَةُ وَأَثَرُهَا فِي تَوجِيهِ المَعنَى القُرآنِي.....277

2 ـ الاستعارة التصريحية وتوجيه المعنى القرآني عند محيي الدين الدرويش....281

3 ـ الاستِعَارَة المَكَنِيَّة وتَوجِيه المَعنَى القُرآنِي عِندَ محيي الدِّين الدروِيش.....300

4 ـ الاِستِعَارَة التَّمثِيلِيَّة ودَلالتُهَا فِي تَوجِيهِ المعنى القُرآنِي.....325

خاتمة.....342

قائمة المصادر والمراجع.....347

فهرس الموضوعات.....361

الملخص:
يُعَدُّ كِتَابُ محيي الدِّين الدروِيش المُسَمَّى:(إِعْرَابُ القُرآن الكَرِيم وبيانه) مِن أَهَمِّ كُتُب إعْراب القُرآن الكريم، والبَلاغَة العَرَبِيَّة، وقَد ضَمَّنَهُ الكَثِير مِن القَضَايَا الإِعْرَابِيَّة والنَّحْوِيَّة واللغَوِيَّة والبَلاغِيَّة، وهَذِهِ الأُطرُوحَة تَنَاوَلْتُ فِيهَا جُمْلَة مِن قَضَايَا عِلْم المَعَانِي وَعِلْم البَيَان؛ وهَذَا لأُبَيِّنَ قُدْرَة مَحْيي الدِّين الدروِيش وتَمَكّنهُ مِنَ الإِعْرَاب وَعُلُوم البَلاغَة.
وقَد تبَيَّنَ لِي مِن خِلال هَذِهِ الأُطرُوحَة أَنَّ محيي الدِّين الدرويش يُعدُّ عَالِمًا مِن عُلمَاء البَلاغَة والنَّحو والأدَب والنَّقد، وَكِتَابهُ يُمْكِنُ أَن يَكُون لَهُ دَوْرٌ فِي تَوْجِيهِ الدراسَات البَلاغِيَّة وَالقُرآنِيَّة مِن خِلالِ المَنهْجِ والطَّرِيقَة التي سَلَكَهَا فِي تَوجيهِ الآيَات القُرآنِيَّة.
إِنَّ محيي الدِّين الدروِيش تَمَيَّزَ عَن غَيْرِهِ مِن خِلالِ إِعْرَابِهِ وتَرْجِيحَاتِهِ الإِعْرَابِيَّة وَآرَاءِهِ البَلاغِيَّة، وَمُعَالَجتِهِ لآرَاءِ مَن سَبِقَهُ مِن عُلَمَاءِ الإِعْرَاب والبَلاغَة، كَمَا تَمَيَّزَ بِعَرْضِهِ الدقِيق للمُصْطَلَحَات البَلاغِيَّة.

Abstract:

The book of Muhyi al-Din al-Darwish which is named as "The Parsing of the Noble Qur'an and its Explanation" is one of the most important books on the parsing of the Holy Qur'an and Arabic rhetoric. It has been included in many parsing, grammatical, linguistic and rhetorical issues. This thesis dealt with a number of issues of semantics and the art of tropes in order to demonstrate the capacity of Muhyi al-Din al-Darwish and his ability in parsing and rhetoric.
Through this thesis, it became clear that Muhyi al-Din al-Darwish is considered a scholar of rhetoric, grammar, literature and criticism and his book could have a role in guiding rhetorical and Quranic studies through the curriculum and the way he used to direct the Quranic verses. Muhyi al-Din al-Darwish was distinguished from others by his parsing, parsing weights, his rhetorical opinions and his treatment of the opinions of those who preceded him from the scholars of parsing and rhetoric. He was also distinguished by his precise presentation of the rhetorical terms.